إشراف وتنسيق: د. بختة مقرانطة

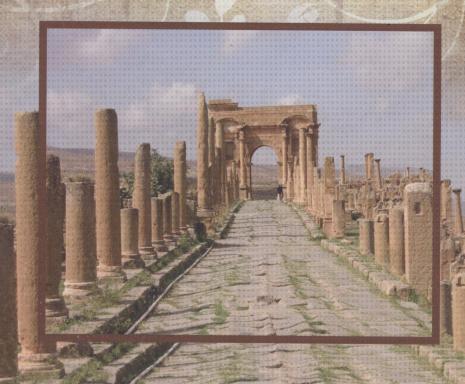


# المحينة والريف في الجزائر القديمة

أعمال الملتقى الوطني الأول

المنعقد يومي07-06 نوفمبر2013 جامعة معسكر - قسم العلوم الإنسانية

فرع الأثار



delid

مكتة الريث وليطباقع والهنير الفؤوز

# إشراف وتنسيق : د. بختة مقرانطة

# المدينة والريف في الجزائر القديمة

أعمال الملتقى الوطني الأول المنعقد يومي 06-07 نوفمبر 2013 جامعة معسكرقسم العلوم الانسانية فرع الأثار

> ڪباعة مكتبئر(افرنىڭ دولانلائور ولاننيئر ـ (الطرنوئر

| العنوان: "المدينة والريف في الجزائر القديمة" السلسلة: أعمال الملتقيات: أعمال الملتقى الوطني الأول المنعقد يومي 70 - 00 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الناشر: منشورات جامعة معسكر المؤلف جماعي، اشراف وتتسيق المكتورة مقرانطة بختة معيئة التحرير: أد. طيبي غماري، أد. بوداود عبيد، أد. بوغفالة ودان، أة. ستي صندوق حقوق النشر: محفوظة لمنشورات جامعة معسكر رممك : رقم الإيداع القانوني: وقم الإيداع القانوني: وقع تيمقاد الأثري والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 10.213.45.81.11.52 الباتف/فاكس: الباتف/فاكس: الباتف/فاكس: الباتف/فاكس: الباتف/فاكس: المريق المامونية، معسكر، صب. 20.213.45.81.11.52 الجمهورية الجزائرية. المجهورية الجزائرية. المولة المخاطئة المنافقة المن         |                         |  |
|---|-------------------------|--|
| الناشر: منشورات جامعة معسكر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية فرع الأثار الناشر: منشورات جامعة معسكر المؤلف جماعي، اشراف وتتسيق الدكتورة مقرانطة بختة حقوق النشر: محفوظة لمنشورات جامعة معسكر حقوق النشر: محفوظة لمنشورات جامعة معسكر الطبع: الرشاد للطباعة والنشر/ سيدي بلعباس/ الجزائر. حرمك : رقم الإيداع القانوني: صورة الغلاف: موقع تيمقاد الأثري العنوان: كلية العلوم الإنسانية الهاتف/قاكس: البريد الإلكتروني: والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52   | العنوان:                | "المدينة والريف في الجزائر القديمة"                                |
| الناشر: منشورات جامعة معسكر المؤلف جماعي، اشراف وتنسيق الدكتورة مقرانطة بختة المؤلف جماعي، اشراف وتنسيق الدكتورة مقرانطة بختة هيئة التحرير: أد طيبي غماري، أد بوداود عبيد، أد بوغفالة ودان، أة ستي صندوق حقوق النشر: محفوظة لمنشورات جامعة معسكر الطبع: الرشاد للطباعة والنشر/ سيدي بلعباس/ الجزائر. ريمك : رقم الإيداع القانوني: صورة الفلاف: موقع تيمقاد الأثري العنوان: كلية العلوم الإنسانية الهاتف/فاكس: البريد الإلكتروني: والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52 الجمهورية الجزائرية.  http://www.univ- الموقع ماع/site2013/facultes/fchs/rech pub html  | السلسلة:                | أعمال الملتقيات: أعمال الملتقى الوطني الأول المنعقد يومي 06- 07 نو |
| الناشر: منشورات جامعة معسكر المؤلف جماعي، اشراف وتنسيق الدكتورة مقرانطة بختة هيئة التحرير: أد. طيبي غماري، أد. بوداود عبيد، أد. بوغفالة ودان، أة. ستي صندوق حقوق النشر: محفوظة لمنشورات جامعة معسكر الطبع: الرشاد للطباعة والنشر/ سيدي بلعباس/ الجزائر. ردمك : رقم الإيداع القانوني: صورة الغلاف: موقع تيمقاد الأثري العنوان: كلية العلوم الإنسانية الهاتف/فاكس: البريد الإلكتروني: والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52 الجمهورية الجزائرية. المهورية الجزائرية.   |                         | 2013، جامعة معسكر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم          |
| المؤلف جماعي، اشراف وتنسيق الدكتورة مقرانطة بختة ميند: أد. طيبي غماري، أد. بوداود عبيد، أد. بوغفالة ودان، أة. ستي صندوق حقوق النشر: محفوظة لمنشورات جامعة معسكر الطبع: الرشاد للطباعة والنشر/ سيدي بلعباس/ الجزائر. ردمك : رقم الإيداع القانوني: ومنع تيمقاد الأثري صورة الفلاف: موقع تيمقاد الأثري المناوان: كلية العلوم الإنسانية الهاتف/فاكس: البريد الإلكتروني: والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52 مسكر. عسكر. الجمهورية الجزائرية. http://www.univ-  |                         | الانسانية، فرع الأثار  |
| هيئة التحرير: أد. طيبي غماري، أد. بوداود عبيد، أد. بوغفالة ودان، أة. ستي صندوق حقوق النشر: محفوظة لمنشورات جامعة معسكر الطبع: الرشاد للطباعة والنشر/ سيدي بلعباس/ الجزائر. وم الإيداع القانوني: وقع تيمقاد الأثري معورة الغلاف: موقع تيمقاد الأثري العنوان: كلية العلوم الإنسانية الهاتف/قاكس: البريد الإلكتروني: والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52 00.213.45.81.11.52 الجمهورية الجزائرية. معسكر. المهورية الجزائرية. المهورية الجزائرية. المهورية الجزائرية. المهورية الجزائرية. المهورية الجزائرية.   | الناشر:                 | منشورات جامعة معسكر  |
| حقوق النشر: محفوظة لمنشورات جامعة معسكر الطبع: الرشاد للطباعة والنشر/ سيدي بلعباس/ الجزائر.  ردمك : رقم الإيداع القانوني: صورة الفلاف: موقع تيمقاد الأثري العنوان: كلية العلوم الإنسانية الهاتف/قاكس: البريد الإلكتروني: والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52  الجمهورية الجزائرية.  http://www.univ- الموقع  | المؤلف                  | جماعي، اشراف وتنسيق الدكتورة مقرانطة بختة                          |
| الطبع: الرشاد للطباعة والنشر/ سيدي بلعباس/ الجزائر.  ردمك : رقم الإيداع القانوني:  صورة الغلاف: موقع تيمقاد الأثري  العنوان: كلية العلوم الإنسانية الهاتف/فاكس: البريد الإلكتروني:  والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52  الجمهورية الجزائرية. معسكر.  http://www.univ-  الموقع http://www.univ-  الموقع المهودية الجزائرية.  | هيئة التحرير:           | أد. طيبي غماري، أد. بوداود عبيد، أد. بوغفالة ودان، أة ستي صندوا    |
| ردمك : رقم الإيداع القانوني:  صورة الفلاف: موقع تيمقاد الأثري العنوان: كلية العلوم الإنسانية الهاتف/فاكس: البريد الإلكتروني: والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 305 طريق المامونية، معسكر. الجمهورية الجزائرية.  http://www.univ- الموقع معرد/ ويالارعة/fshs/rech pub html   | حقوق النشر:             | محفوظة لمنشورات جامعة معسكر  |
| صورة الفلاف: موقع تيمقاد الأثري الباتف/فاكس: البريد الإلكتروني: البريد الإلكتروني: والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52   | الطبع:                  | الرشاد للطباعة والنشر/ سيدي بلعباس/ الجزائر.                       |
| العنوان: كلية العلوم الإنسانية الهاتف/قاكس: البريد الإلكتروني: والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52   | ردمك :                  | رقم الإيداع القانوني:  |
| والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 00.213.45.81.11.52 والاجتماعية، جامعة معسكر، صب. 305 مطريق المامونية، معسكر. الجمهورية الجزائرية. http://www.univ-  | <b>صورة الغلاف:</b> موق | نع تيمقاد الأثري   |
| مريق المامونية، معسكر. الجمهورية الجزائرية.  http://www.univ- الموقع dz/cite2013/facultes/fshs/rech pub html  | العنوان: كلية العلوم    | الإنسانية الهاتف/فاكس: البريد الإلكتروني:                          |
| الجمهورية الجزائرية.<br><u>http://www.univ-</u><br>الموقع مراكزية على مراكزية | والاجتماعية، جامعة م    | <b>ىسك</b> ر، صب.  |
| http://www.univ-<br>mascara dz/site2013/facultes/fshs/rech_pub.html   | 305، طريق المامون       | ية، معسكر.   |
| mascara dz/site2013/facultes/fshs/rech_nuh.html   | الجمهورية الجزائرية.    |  |
| mascara.dz/site2013/facultes/fshs/rech_pub.html الالكتروني:   | الموقع                  |  |
|   | الالكتروني:             | ascara.dz/site2013/facultes/fshs/rech_pub.html                     |

2014 الإفتيتاحية أد. غماري طيبي

#### الإفتيتاحية

أد. غماري طيبي عميد كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية جامعة معسكر

لا يمكن لأحد أن ينكر على الجزائر تاريخها العريق الموغل في القدم الممتد إلى ألاف السنين دون انقطاع، إذ كشفت طبقاتها الأرضية عن زخم من المعالم الأثرية والمخلفات للعديد من الحضارات، أما عن ما هو ظاهر فوق أرضها من مواقع فهو عبارة عن متاحف طبيعية تعود بزائرها قبل الباحث فيها إلى زمن تلك الحقب التاريخية القديمة، محاولا فهم ورسم صورة قريبة لواقع الحياة في تلك الفترة.

والغاية الأساسية من إصدار هذه النسخة الأولى لهذا الملتقى العلمي الموسوم ب: "المدينة والريف في الجزائر القديمة"، هي تسليط الضوء على ثنائية المدينة والريف، وذلك لشدة ترابطهما، مركزين في ذلك على المجال الوطني " الجزائر"، ومن خلال هذه المقاربة بين المدينة والريف، في مظاهر الاختلاف والتناقض، التباعد والتقارب، التواصل والتكامل التي حكمتهما، من حيث الإنتاج المادي واللامادي ضمن الإطار البيئي لتلك الفترة، فضلا عن تبيان أثرهما الاقتصادي محليا وخارجيا، وانعكاساته على النمط المعيشي والاجتماعي وامتداداته الثقافية.

امتدت فعاليات هذا الملتقى على مدار يوميين (6 و7 نوفمبر (2013) تم فيهما عرض أكثر من ثلاثين محاضرة غطت مختلف محاور الملتقى، ففي المحور الأول الخاص بالعمارة الريفية والمدنية، تطرق كل من الباحثين أوعمر إعيشوشن من جامعة الجزائر 2 ومحمد فوزي معلم من جامعة قالمة إلى العلاقة التي تربط المدينة بالريف من خلال نموذجان الأول من الأوراس و الصومام، والثاني خاص بمنطقة كالما ومحيطها، أما الباحث محمد فوكة من جامعة الشلف فقد تطرق إلى تطور التجمعات السكانية في سهل الشلف في الفترة الممتدة من القرن 1م إلى القرن 3م، أما الباحثة .بختة مقرانطة من جامعة معسكر فقد تعرضت إلى دراسة التواصل العمراني لقصر ابن سنان بين العصر القديم والوسيط، كما قدم الباحث محمد بن عبد المؤمن من جامعة وهران محاولة في رصد جوانب من تاريخ وواقع مدن قديمة بالغرب الجزائرى (سيقا، كويزا وريجيايي)،

وعرضت الباحثة مها عيساوي من جامعة تبسة المنشأت المعمارية لمدينة تيفست، ومريم بقدور من جامعة بشار تطرقت إلى المرافق الأساسية لمدينة تيمقاد الأثرية، و درست فاطمة الزهراء بهلول من جامعة باتنة مجموعة من حمامات الشرق الجزائري، أما مراد زرارقة من جامعة قالمة فقد تحدث عن الوسط الطبيعي وتقنيات القلع وأثرهما على تصنيف المدافن النوميدية المبكرة.

أما عن المحور الثاني الخاص بواقع الحياة الاقتصادية في الجزائر القديمة، فقد استقطب هذا المحور العديد من الباحثين : على رأسهم العربي عقون من جامعة قسنطينة 2، عزيز طارق ساحد جامعة الجزائر 2، أم الخير العقون من جامعة وهران، لخضر بن بو زيد من جامعة بسكرة، محمد الحبيب بشاري جامعة الجزائر 2، جمال عناق من جامعة تبسة، ستي صندوق من جامعة معسكر، خالد محفوظ من جامعة عنابة . أما المحور الأخير عن الحياة الاجتماعية، فنجد من الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع، تلك التي عرضها الباحث عبد الرحمان بن عطي الله من جامعة تبسة حول البدوفي الجزائر ودورهم خلال العصور القديمة، والباحث عبد الحميد بعيطيش من جامعة باتنة حول التجمعات القبلية الكبرى في المملكة النوميدية ودورها في تكريس نظام الحكم والباحث على أحمد شعبان من عنابة المثاقفة ودورها في الحراك الفكري في المغرب القديم,

من خلال هذا الملتقى تم تحقيق العديد من الأهداف التي صبت إلى تثبيتها مديرة الملتقى د. مقرانطة بختة والمتمثلة في خلق احتكاك وتواصل بين باحثي الريع الأول من الأساتذة والباحثين في التاريخ والآثار القديمة والجيل الجديد. تجديد المعارف على ضوء الأبحاث الأكاديمية الحديثة العهد، متابعة حركة التعمير بالجزائر القديمة، إبراز الأهمية الاقتصادية للأرياف والمدن خلال العصور القديمة والتعريف بالإنتاج المادي واللامادي للمجتمع وإبراز دينامكيته خلال العصور القديمة.

وفي الأخير، لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم في نجاح وإثراء هذا الملتقى، وفي مقدمتهم مديرية الثقافة لولاية معسكر وجمعية التوميات للحفاظ على الآثار وترقية التراث.

#### **Qsar Ibn Sinan** (Albulae)

#### Dr. Bakhta Moukraenta Université de Mascara

Cet article entre dans le cadre d'une série d'études visant à compléter nos recherches sur les localités dites antiques dans les sources arabes du Moyen Âge. (Moukraenta Abed, B. 2012). Au cours de nos recherches sur l'histoire et les antiquités des différentes villes algériennes nous avons constaté qu'un très grand nombre de villes, bourgades ou localités étaient considérées comme non antiques dans les sources arabes alors qu'en réalité elles dataient de l'Antiquité, comme dans le cas de Qsar Ibn Sinan, l'antique Albulae. Le but de nos recherches c'est d'arriver à constituer une carte archéologique complète des localités antiques (dites antiques ou non antiques) en Maurétanie Césarienne et en Numidie à partir des sources arabes du Moyen Âge\*.

Albulae. se situe à une altitude de 35° 17' 22" Nord et à une longitude de 1° 8' 28" Ouest, dans une région volcanique (Gentil, L. 1896: 364-372), à une trentaine de kilomètres de la capitale de Syphax Siga, à 72 km de Portus Divini (Oran-Mers el-Kebir) et à 54 km d'Altava (Ouled-Mimoun) (Gsell, S. 1997 : f. 31, n°9).

Le site a connu plusieurs appellations, africaine, latine puis arabe. La première est celle du camp militaire Praesidium Sufative établi en 119 sous le règne d'Hadrien. Les Romains ont accolé à Praesidium l'adjectif sufative dérivé du mot sufat, à partir de la racine panberbère suf qui désigne l'eau courante. Le site aurait donc pris cette dénomination à cause de l'oued sur lequel il a été établi et dont il gardait la vallée. Cet adjectif est d'utilisation fréquente dans la toponymie et l'onomastique africaines, (De Pachtère, F. 1913: 346; Camps, G. 1986: 341). Auprès du camp militaire a dû se développer une ville nommée par les Romains Albulae. Morcelli apparente ce toponyme à la couleur des eaux par analogie à l'Aquae Albulae italienne (De Pachtère, F. 1913 : 347). Toutefois si nous revenons à l'environnement de notre Albulae, nous constatons l'existence de carrières de calcaire blanc exploitées depuis l'antiquité, cette explication serait plus adéquate avec sa dénomination. Au Moyen Âge la localité prit le nom de Qsar Ibn Sinan en relation avec la personnalité de Mansour Ibn Sinan (Ibn Hayyane, 1979 : 5, 261). Une autre localité portant le même toponyme est cité par Al-Idrisi en Libye, elle est située près de la ville de Tripoli (Al-Idrisi. 1983: 174).

Les sources arabes citent plus souvent la région et la tribu d'Azdaja que la localité de Qsar Ibn Sinan elle-même (Ibn Khardadabah, 88; Ibn Hawqal, 79; Al-Muqqadassi, 66-68; Al-Istibsar; Abu Al-Fida, 137, Al-Yacqubi, 63). La tribu d'Azdaja était l'une des tribus les plus influentes de l'Ouest Algérien à l'époque du Moyen Âge. Ibn Khaldun écrit que « Selon la plupart des généalogistes, les Baranès forment sept grandes tribus : les Azdadja, les Masmouda, les Aurèba, les Adjica, les Ketama, les Sanhadja et les Aurigha...Sabac Ibn Soleiman et ceux qui suivent son autorité y ajoutent les Lamta, les Haskoura et les Guezoula » (Ibn Khaldoun, I, 169). Et dans un autre passage : «... Les Azdadja, tribus autrefois très nombreuse, habitaient le Maghreb Central, aux environs d'Oran. Ils furent alors redoutables par leur puissance et se signalèrent plus d'une fois dans les révoltes et guerre qui désolèrent le pays » (Ibn Khaldoun, I, 282-283).

« Al-Masalik wa al-mamalek » d'Al-Bakri est la seule source décrivant Qsar Ibn Sinan en précisant sa situation géographique : «Tlemcen ... De là on se rend à Tafda, grande ville renfermant une nombreuse population. Ensuite on arrive à Qsar d'Ibn Sinan l'Azdadji autour duquel on voit beaucoup de jardins arrosés par la rivière de Kedel. De là on marche jusqu'à Yallal». (Al-Bakri. 1961, p. 143).

Ce passage d'Al-Bakri n'apporte pas grand chose à la connaissance du site, ceci est dû soit la brièveté des renseignements recueillis auprès de voyageurs ou de commerçants, soit parce qu'il s'agit de passages repris dans les œuvres d'Al-Warrāq source capitale dans la rédaction de l'ouvrage d'Al-Masalik wa al-mamalek.

Āl-Warrāq<sup>2</sup>\*est l'auteur de plusieurs ouvrages que citent les biographes arabes et dont on a perdu la trace (Ibn Hayyane. 198: 33; Ibn 'Umair al-dabi, 1884: 131; Al-Humaydi. 1952: 90; Brockelmann, C. 1937: I, 233; Brunschvig, R. 1945: 149, 151); Al-Maqqari parle de deux livres réalisés spécialement pour Al-Mustansir l'Omeyyade: le premier sur les itinéraires de l'Ifriqiya et ses royaumes, et un autre sur les rois de l'Ifriqiya et leurs guerres (Al-Maqqari, 1968: 3, 163). Des monographies sur Tāhart, Wahrān, Tanas, Siğilmassa, Nakūr et Basra ont également disparu. Seuls des fragments des itinéraires et des royaumes d'Afrique subsistent chez Al-Bakri, et d'autres auteurs tardifs. Il est bien regrettable que ces œuvres soient perdues car elles nous auraient bien éclairés sur l'histoire antique de l'Afrique du Nord en général et de l'Algérie en particulier. D'autant plus que les auteurs postérieurs à Al-Warrāq ont dû résumer et ne recueillir que certains passages de ses œuvres, se contentant de le citer souvent dans leurs introductions par souci de rédaction...

Dans les sources arabes nous pouvons aisément localiser l'antique Albulae située entre Tafda, l'antique Tepidae et Yalal, l'antique Ballene Praesidium. La position géographique stratégique de la ville continua à lui donner de l'importance au cours de toute la période antique, ce qui n'a pas été le cas au Moyen Âge. Le Praesidium Sufative était l'un des postes du limes Maurétanien qui passait par la vallée du Chélif et les plaines oranaises au nord du Tessala. Selon l'itinéraire d'Al-Bakri reliant Qairouan à Fès, après avoir traversé quelques localités du Maghreb Extrême, le voyageur arrive à Ğarawa et poursuit sa route vers Tarnāna-Tilimsān- Qsar Ibn Sinan – Yalal - Al-Ġuzza – Tahart – Tamgilt – Izmama –Haz – Bura - hisn Muzaya - Qsar al-<sup>c</sup>Atiš -Al-M'sila – Adena - Tubna. Cet itinéraire suit en général les limes de Maurétanie et de Numidie, cependant il est à retenir qu'il se détourne d'une partie du limes de Maurétanie puisque à Tilimsan-Pomaria il se dirige vers le nord en direction d'Albulae et continue jusqu'à Ballene Praesidium en passant par Ad Dracones, Regia, Tasaccora et Castra Novum puis il se dirige vers Mina et rejoint le limes à Tahart ; de là la route continue vers le limes de Numidie jusqu'à Qairouan, ceci au cours des X<sup>e</sup> et XI<sup>e</sup> siècle, mais nous constaterons un siècle plus tard que le Qsar Ibn Sinan n'est plus cité dans l'itinéraire d'Al-Idrisi. Les routes dont parle l'auteur partent toutes essentiellement de Tilimsan. Le premier tracé liant Tilimsan à Tanas correspond dans certains de ses tronçons au tracé antique liant Pomaria à Ballene Praesidium donc suivant l'itinéraire : Tilimsan - cAlawiyina-Babalut - Sai (village) - Rihal-al-Safasif – Afkan -Mu<sup>c</sup>askar - Aïn al-Safasif – Yalal – Guzza - Suq Hamza – Bağa -Tanas. Ce tracé suivait la route ancienne Pomaria - Altava - Tensra - Aquae Sireneses - Mascara selon le tracé hypothétique de la route qui la reliait à Ballene Praesidium et

se poursuivait en traversant des localités médiévales pour aboutir finalement à Cartennae. Toutefois la seconde route reliant Tlemcen à Wahran pouvait emprunter le même ancien tracé direct Pomaria - Portus Divini via Albulae en traversant la rivière Salsum (oued El-Malah). (Moukraenta, B. 2006 : 460-462, 471-472 ; *Id.* 2012: 4, 2099-2100).

Les textes arabes ne citent ni l'origine antique de la ville d'Albulae ni ses antiquités, cela nous amène à nous poser quelques questions : est-ce que les auteurs qui ont visité le Maghreb à l'exemple d'Ibn Hawqal et Al-Hassan al-Wazzan ne sont pas passés par cette localité, n'avait-elle plus l'intérêt qu'elle possédait au cours de l'antiquité ? Dans ce sens une hypothèse s'impose aussi, peut-être le reste de la ville antique ou les monuments antiques ont-ils été recouverts naturellement ou détruits ? Pour répondre à ces interrogations et à cette hypothèse nous devons nous tourner vers les textes antiques et les fouilles effectuées dans cette localité. Nous retracerons en premier l'historique de la ville tout en établissant un lien avec les investigations archéologiques.

La région aux alentours du site d'Albulae semble avoir été occupée depuis l'époque préhistorique à l'exemple des restes humains remarquables appartenant au type dit de Mechta (l'homme de Rio Salado) ; ces humains vivaient dans des grottes du mont<sup>3</sup>\* Sidi Kacem (Doumergue, F. 1919: 60 ; Gsell, S. 1997 : f. 20, n°1, 2, 3 ; f. 31, 19, 32, 33,...).

La première localité antique connue avant le Qsar Ibn Sinan médiéval était le Praesidium Sufative, camp militaire établi en 119 par le procurateur L. Seius Avitus. Il a été construit par la cohorte Flavia Musulamorum (Février, P.-A. 1989 : I, 159, II, 142). Ceci n'exlut pas l'hypothèse de l'existence d'une localité préromaine sur le site, certes les témoignages sont rares mais significatifs : en réalité nous avons deux témoignages. Le premier consiste en deux inscriptions qui nous informent de la restauration du temple de la Dea Maura comme nous le verrons plus bas, et la restitution du temple de la déesse Caelestis par des cavaliers :  $q(uod) \ b(onum) \ f(austum) \ f(elix) \ sit \ equites \ deae \ magnae \ virgini \ | \ caelesti \ restituerunt \ | \ templum \ numine \ ipso \ di | \ ctante \ equites \ constanter \ eu | m \ templum \ restituerunt. (C.I.L., 9796, 21665) ; le second est une étude sur le terrain mené pendant des années par J. Lethielleux encore dans son état manuscrit conservé dans la bibliothèque du Centre de Documentation Économique et Sociale (CDES Sophia-Oran-), où l'auteur établit la présence d'un centre punique ou punico-berbère.$ 

Le nom d'Albulae est cité par l'Itinéraire d'Antonin et l'Anonyme de Ravenne, puisque Pompénius Méla, Ptolémée et Pline ne citent que quelques stations de la région ; et malheureusement la première feuille de la Table de Peutinger qui contenait le dessin des routes de la Tingitane et la Césarienne a été perdue (Itinéraire d'Antonin, 15; l'Anonyme de Ravenne, 156). L'agglomération en elle-même s'est constituée au cours du II<sup>e</sup> siècle autour du poste militaire romain susdit<sup>4</sup>\*. Le développement de la ville est incontestable pendant le Bas-Empire; l'exemple évident témoignant d'une vie municipale active et structurée pendant cette période est une inscription commémorant la restauration du temple de la Dea Maura par les soins du curateur et dispunctor d'Albulae C. Julius Fortunatus: imp(eratoribus) diocletiano et maximiano augg(ustis) et c[ons]tantio | et maximiano nobilissimo[c]aess(aribus), c(aius) iul(ius) fortunatus cur(ator) | ac disp(unctor) rei[pub(licae)] [al]bul(ensis) templu[m] [de]ae maurae ad pristinum | statum reformavit, [duu]mvira[tu], c(aius) iul(ii) gaitatis iun(ioris) | et l(uci) sei felicis, aedilicio l(uci) arri(i) privati et c(ai) muci(i) mu | ciani iun(ioris) et

aur(eli) dom[---]str et aur(elius) quintum et (a)em[ilius ---] ia sua exhibuerunt t(itus) fl[avius fortun]atus scripsit anno p[rovinci]a(e) CCLX. (C.I.L. 21665; Demaeght, L., 1889: 84; Leglay, M. 1964: 334; G. Camps, 1990: 131-153). Toutefois Albulae semble avoir accédé au rang de municipe ou de colonie<sup>5</sup>\* entre 199 et 299 (Gascou, J. 1982: II, 10.2, 241-242). Puis elle devint l'une des cités du royaume de Masuna, une inscription funéraire citant le frère du praefectus de Safar, un roi dont nous retrouvons le nom cité dans l'une des plus importantes inscriptions d'Altava (C.I.L., VIII, 9800, 9835). Nous retrouvons également dans la notice de 484 des évêques de la Maurétanie Césarienne le nom de Tacanus albulensis (Mesange, J. 1912: 485), des inscriptions de types funéraires attestent la continuité de la ville jusqu'au VI<sup>e</sup> siècle (Flahault, E. 1901: 32-33 ; Déjardins, V. 1939: 48 ; Marcillet-Jaubert, J. 1977-79: n°3, 5, 16). Après cette période c'est le trou noir, ce qui laisserait supposer que la ville a disparu définitivement, mais nous ne pensons pas que ce soit le cas, les habitants locaux n'ont jamais dû quitter ce lieu, la preuve en est la citation de Qsar Ibn Sinan par Al-Bakri: donc au cours du X<sup>e</sup> siècle, un chef berbère Mansour Ibn Sinan occupait bien les lieux avec sa tribu.

Nous considérons que cette localité a été continuellement habitée, le seul bémol dans la reconstitution de cette continuité est à chercher dans les rapports de fouilles! Nous avons constaté en les consultant que les recherches archéologiques n'ont pas été correctement menées pour pouvoir dévoiler tous les trésors recélés par la cité, d'autant plus que la ville coloniale a été bâtie sur le site probablement médiéval au moins en partie et antique d'Albulae, ce qui est confirmé par le témoignage suivant : « Cette ville gisait donc enfouie dans la poussière des siècles, et probablement pour toute l'éternité, lorsqu'en 1849, cet emplacement remarquable, où il existait déjà une petite redoute, fut choisi pour y établir le nouveau village. Un de mes amis, géomètre attaché au service du Génie à Tlemcen, M. Raby du Vernay, fut chargé d'en exécuter le tracé. Ce fut lui qui découvrit le premier document offrant quelque intérêt. Voici comment il en rend compte dans une lettre adressée au Président de la Société historique algérienne, en date du 20 février 1856 (...). Enfin, le village s'éleva ; les pierres de taille qui perçaient le sol servirent à tous les travaux militaires ainsi qu'aux constructions particulières, mais le service du génie se réserva rigoureusement tout ce qui, provenant de fouilles, pouvait intéresser l'art ; c'est ainsi que l'on put mettre de côté un certain nombre d'inscriptions lapidaires et quelques autres objets non moins précieux pour la science archéologique» (Fey, L. 1858: 3, 420-421).

Parmi les éléments archéologiques découverts à Albulae: un nombre important d'inscriptions mentionnant le nom de la ville liées à différentes époques et domaines politique, religieux et civil (C.I.L. 9795, 9796, 9797, 9827, 9828, 21665, 21671; Berbrugger, A. 1856: 247-248; Fey. 1858: 424; Demaeght, L. 1889: 84; *Id.* 1890: 101; De Pachtère, F. 1913: 340-348; Demaeght, L. 1932: 47-70, Leglay, M. 1966: 334; Marcillet-Jaubert, J. 1977-79: n°10; Benseddik, N. 1979: n°137, 227, n° 232, 247; Camps, G. 1990: 131-153; ...); deux cimetières, un aqueduc<sup>6</sup>\*, de vastes citernes, deux huileries, des meules à grain, des sculptures, de la céramique, témoignent de la présence d'une population importante. (Fey, L. 1858: 3, 420-428; Gsell, S. 1901, 2, 35, 405; Flahault, E. 1901: 32-38; Demaeght, L. 1932: n° 503, 505, 508; Déjardins, V. 1940: 217-219; Lethielleux, J. 1974: 69-71; Gsell, S. f. 31, n°9)

Nous avons relevé dans nos lectures sur les fouilles effectuées par les soldats français, une importante observation concernant l'existence d'une couche de cendre et de charbon de bois à demi consumé, elle atteint en plusieurs endroits les 25 cm, ce qui laisserait penser que la ville antique a été incendiée, et soumise à un tremblement de terre que l'on peut déduire d'après la position des pierres dans les fondations murales. Donc il est fort possible que la cité antique a perdu toute son importance après cet incendie et ce tremblement de terre.

Au cours du Moyen Âge la cité est devenue de moindre importance, puisque les sources arabes en la citant la qualifient de « Qsar » donc un château-fort au sens propre du mot ; les sources arabes sont toujours précises dans leurs descriptions des agglomérations en utilisant les termes de ville, village, bourgade, forteresse...

Qsar Ibn Sinan était entouré de villes pôles telles que Tlemcen et d'autres villes moins importantes, ce qui a entrainé à notre avis une évolution de ce Qsar assez limitée comme ce fut le cas d'ailleurs pendant l'antiquité avec la présence de Siga, de Pomaria et d'Altava. Nous axerons notre attention sur deux localités dont parle Al-Bakri quand il évoque notre Qsar: Tafda et Yalal. La première est désignée comme une grande ville renfermant une nombreuse population, tandis que Yalal est qualifiée également de grande ville ayant un djama', donc ayant une population encore plus importante que la précédente. Les textes arabes sont d'accord sur le fait que c'est une région fertile (Al-Ya<sup>c</sup>qubi, 357-359; Ibn Hawqal, 87-89; Ibn Said, 144-145; Al-Idrisi, 102-104; Al-Istibsar 134-135), cependant Al-Bakri est le seul à préciser que les environs de Qsar Ibn Sinan étaient parsemés de jardins fertiles, mais cela ne suffit pas pour qu'une localité s'impose.

Un passage d'Ibn Hayyan atteste qu'en 316 de l'hégire, Ibn Sinan chef de la tribu des Azdadja devint l'allié du pouvoir des Omeyades, contre les chiites. La ville revint en quelque sorte au rôle de camp militaire qui était le sien pendant l'antiquité. Ainsi c'est le rôle politique que joua Mansour Ibn Sinan qui nous a donné l'occasion de connaitre l'existence de cette localité (Ibn Hayyane, 1979 : 5, 261).

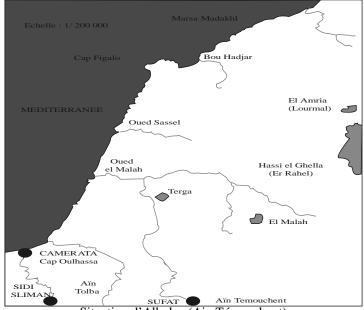
Ce que nous avons avancé à propos de la continuité de l'occupation d'Albulae, nous le retrouvons dans le cas similaire de la ville de Lamis-Lambeisis dans la province de Numidie. Maintes études sur Lambèse la présentent comme une ville déchue de toute importance après avoir perdu son statut de capitale au profit de Constantine, Timgad dans l'antiquité et de Bagai au cours du Moyen Âge qui l'ont supplantée, et l'absence de l'évocation de Lambèse dans les textes ou les sources tardives de l'antiquité a donné naissance à différentes interprétations, en quelque sorte l'acte de décès de la ville a été rapidement déposé (voir l'étude de synthèse de Y. Duval, 1995). Cependant nous avons démontré, à travers plusieurs passages de textes arabes du 12<sup>e</sup> au 14<sup>e</sup> siècle qui citaient et décrivaient la ville de Lamis localisée à Lambeisis, qu'elle était occupée par les arabes à cette période et bien ultérieurement au 7<sup>e</sup> siècle (Moukraenta, B. 2011).

La survivance et la disparition d'une ville doivent à notre avis être étudiées certes localement (ville-campagne) et dans un cadre plus global qui est la province, les conclusions auxquelles nous sommes parvenues en étudiant l'évolution des villes antiques de l'Algérie (Numidie, Maurétanie Césarienne et Maurétanie Sitifienne) nous conduisent à dire que les villes qui ont eu une histoire particulière et un statut juridique dans l'antiquité

ont survécu à l'époque médiévale (Moukraenta Abed, B 2012: 4, 2025-2053; Moukraenta, B., HASSAB, S. 2012: 300-380).

Une grande partie de la mémoire et de l'histoire de ce site est

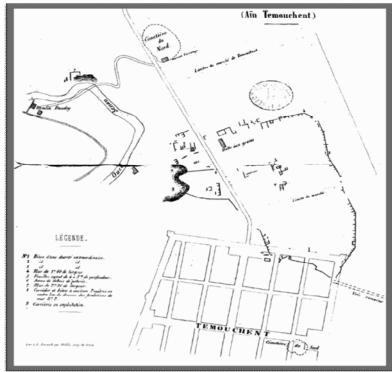
Une grande partie de la mémoire et de l'histoire de ce site est perdue à jamais à cause d'investigations archéologiques désordonnées et irrationnelles; c'est le cas de beaucoup de sites antiques de l'ouest algérien qui étaient et restent les « orphelins » des investissements archéologiques à l'époque coloniale et même après l'indépendance.



Situation d'Albulae (Ain Témouchent)
(B. Moukraenta d'après J.-P. Lethielleux, p. 34)



Situation d'Albulae (d'après S. Gsell, Feuille de Tlemcen, 31)



Plan des ruines d'Albulae (Noël, Revue Africaine, 3, 1858, n° 18)

#### Notes complémentaires :

\*Nous avons exposé cette problématique à la fin de notre mémoire d'habilitation

(habilitation soutenue à l'université d'Oran en 2008). <sup>2</sup>\* Muhammad b. Yūcef Al-Qarawi Al-Warrāq (363H/ 973-974 J.-C.), géographe et historien andalou, ses parents sont originaires de Guadalajara, mais il a grandi à Qairouān.

3\* Massif montagneux surplombant l'actuel village de Terga.

4\* La particularité militaire de la localité avait disparu avec la construction de la nouvelle ville, cependant l'épigraphie atteste la présence d'un nombre important de corps de troupe (les Exploratores Batavorum, les Exploratores Germanici, une vexillatio venue de Germanie inférieure, la cohorte Aelia Expedita et la cohorte II Sardorum.

<sup>5</sup>\* Une inscription non datée illustre la commémoration de la construction d'un aqueduc, refait selon l'inscription à neuf depuis ses fondations (C.I.L., 21671) : [te]rent(ius) cutteus et ma [.]onnula ejus, una cum | [t]erentiis cutteo ianuario considio | augustino et feliciano [fi]lis | aquagium nova opere a so|lo extructum suis possessionibu[s] | constituerunt et ded(i)caverunt.

#### Bibliographie

#### Sources:

- -Ravennatis Anonymi Cosmographia, Edidervnt M. Pinder et G. Parthey, Berolini in Aedibvs Friderici Nicolai, 1860.
- -Itinéraire d'Antonin. (1929). Itineraria romana. I. Itineraria Antonini Augusti et Burdigalense, O. Cuntz (éd.), Leipzig: Teubner.
- Ouvrages:
- -Abu Al-Fida. (1905). Kitāb al-muhtaşar fi ahbār al-bašar, Le Caire.

- -Bakri (al-). (1965). Kitāb al-masālik wa l-mamālik (Description de l'Afrique Septentrionale), M.-G. De Slane (éd. trad.), Paris: Maisonneuve.
- -Albertini, E. (1928). « La route frontière de la Maurétanie entre Boghar et Lalla Maghnia », B.S.G.O., 48, p. 33-48.
- -Benseddik, N. (1979). Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le Haut-Empire, Alger : Ahmed Zabana.
- -Berbrugger, A. (1856), « Aîn Temouchent (Timici) », Revue Africaine, 1, p. 246-
- -Brockelmann, C. (1937-1942). Geschichte der arabischen Literatur, Leiden.
- -Brunschvig, R. (1945). Un aspect de la littérature historico-géographique de l'Islam, Mélanges Gaudefroy-Demombynes, Le Caire.
- -Camps, G. (1986,). «Albulae», Encyclopédie Berbère, p. 341-342.
- -Camps, G. (1990). «Qui sont les Dii Mauri», Antiquités Africaines, 26, 1990, p. 131-153.
- -Déjardins, V. (1939). «Deux inscriptions chrétiennes d'Albulae (Aïn-Temouchent)», B.S.G.A.O., 60, p. 48-49.
- -Déjardins, V. (1940). «Essai historique sur Albulae», B.S.G.A.O., 61, p. 217-247. -Demaeght, L. (1889). «Inscriptions inédites de la province d'Oran (Ad
- Albulas)», B.S.G.A.O., 9, p. 83-87.
- Demaeght, L. (1890). «Inscriptions inédites de la province d'Oran», B.S.G.A.O., 10, p. 99, 221, 399. -Demaeght, L. (1932). Catalogue raisonné des objets archéologiques du Musée de
- la ville d'Oran, Oran : L. Fouque. (2<sup>e</sup> édition revue par F. Doumergue).
- -De Pachtère, F. (1913). «Les origines romaines d'Albulae et la frontière de Maurétanie Césarienne au II<sup>e</sup> siècle », B.S.G.A.O., 27, p. 340-348.
- -Duval, Y. (1995). Lambèse chrétienne : la gloire et l'oubli. De la Numidie romaine à l'Ifriqiya, Paris: Institut d'études augustiniennes.
- -Doumergue, F. (1919). «Contributions au préhistoire de la province d'Oran», B.S.G.A.O., 39, p. 49-86. -Gascou, J. (1982). «La politique municipale de Rome en Afrique du Nord I, De la
- mort d'Auguste au début du IIIe siècle», A.N.R.W, II, 10.2, p. 136-229.
- -Gentil, L. (1896). «Sur les volcans éteints des environs d'Ain-Temouchent, B.S.G.A.O., 16, p. 364-372.
- -Gsell, S. (1901). Monuments antiques de l'Algérie, Paris: Albert Fontemoing. -Gsell, S. (1997). Atlas Archéologique de l'Algérie, 2<sup>ème</sup> éd., Alger: Agence Nationale d'Archéologie et de Protection des Sites et Monuments Historiques.
- -Ibn Hayyane. (1979). Al-muqtabas, B. Challemita (éd.), Rabat/Madrid: Institut Espagnole de la culture arabe.
- -Ibn Hayyane. (1983). Al-muqtabas fi ahbār bilād al-Andalus, A.-A. Hadji (éd. crit.), Beyrouth.
- -Ibn Hawqal. (Sans date d'impression). Sūrat al-Ard, Le Caire : Dar al-kitab.
- -Ibn Kardadabah. (1889). Al-Masālik wa-l-mamālik, M.-J. De Goeje (éd.), (Bibliotheca Geographorum Arabicorum), Leiden: E.-J. Brill. (Hadj Sadok, M.
- (1949). Description du Maghreb et de l'Europe au III siècle IX siècle, Alger).
  -Fey, L. (1858)., «Timici Colonia (Ain-Temouchent de l'Ouest)», Revue Africaine, 3, p. 420-428.
  -Février, P.-A. (1989). Approche du Maghreb romain, pouvoirs, différences et
- conflits, Aix-En-Provence : Édisus.
- -Flahault, E. (1901). « Fouilles à Ain Temouchent », B.S.G.A.O., 21, p. 32-38.
- -Ibn Khaldoun. (1999). Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale, De Slane M.-G. (éd. trad.), Paris: Geuthner.
- -Ibn 'Ûmair al-dabi. (1884). Bouryat al-multamis fi riğāl 'ahl al-Andalus, Madrid. -Ibn Said. (1982). al-Magribī, Kitāb al-Đugryāfiyā, I. El-Arabi (éd. crit.), 2 édition,
- Alger: O.P.U.
- -Idrisi (al-). (1983). Kitāb Nuzhat al-muštāq fi ihtirāq al-Afāq, H. Sadok (éd. trad.), Alger: O.P.U.
- -Humaydi (al-). (1952). Ğadūt al-muqtabas fi dikr wulat al-Andalus. Le Caire.
- -Leglav. M. (1966). Saturne Africain, monument, Paris: Arts et Métiers Graphiques.

- -Lepelley, Cl. (1979). Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, Paris : Etudes Augustiniennes.
- -Lethielleux, J. (1974). Le littoral de l'Oranie Occidentale, d'Ain Temouchent au Kiss sur 100 kilomètres de côtes 20 sites maritimes évoquent 30 siècles d'histoire,
- -Maggari (al-). (1968). Nafh al-tib mina gusni al-Andalousie al-ratib, I. Abbas (éd. crit.), Beyrouth.
- -Mesange, J. (1912). L'Afrique chrétienne : évêchés et ruines antiques d'après les manuscrits de Mgr Toulotte et les découvertes archéologiques les plus récentes, Paris: Ernest Leroux.
- -Marcillet-Jaubert, J. (1977-1979). «Inscriptions et reliefs d'Aïn Temouchent », B.A.A, VII, p. 87-110.
- -Moukraenta, B. (2006). «Essai sur le réseau routier de l'Ouest du Maghreb Central (Maurétanie Césarienne) d'après les géographes arabes (9ème –12ème siècles)», L'Africa Romana, XVIe Congrès international di Studi, Rabat, 2004, p.
- -Moukraenta Abed, B. « Un nouveau regard sur Lambèse », Actes du colloque sur l'Aurès antique tenu à Paris en septembre 2011 (à paraître).
- -Moukraenta Abed, B. (2012). L'îmage de l'Algérie antique au travers des sources arabes du Moyen Âge, Alger: Ministère de la Culture.
- -Moukraenta, B., HASSAB, S. (2012). L'évolution du fait urbain au Maghreb depuis l'antiquité jusqu'au haut Moyen Âge, L'Africa Romana, XIXe Congrès international di Studi, Sassari, 2010, p. 819-850.
- -Muqqadassi (al-). (1906). Ahsan al-taqasim fi macrifat al-aqalim, M.-J. De Goeje (éd.), (Bibliotheca Geographorum Arabicorum), Leiden : E.-J. Brill.
- -Kitāb al-Istibsār fi <sup>c</sup>Ajāi b al-Amsār, Description de la Mekke et de Médine, de l'Egypte et de l'Afrique septentrionale, par un écrivain marocain du VIe siècle hégire (XIIe J.-C.), S.-Z. Abd-Hamid (éd. crit.), Casablanca, 1985.
- Ya<sup>c</sup>qūbi (al-). (1892). Al-Buldān, M.-J. De Goeje (éd.), Lugduni Batavorum, (traduction: Wiet G. (1937), Les Pays, Le Caire: I.F.A.O). -Wilmanns, G., Mommsen, Th. (1881). Corpus Inscriptionum Latinarum, (VIII),
- Berlin.

#### المنشآت المعمارية الرومانية في مدينة تيفست

د. مها عيساوي

جامعة تبسة

تزخر بلدية تبسة بتراث أثري مادي يتنوع بين الممتلكات الثقافية العقارية والممتلكات الثقافية المنقولة والممتلكات الفنية التي تعود لأقدم العصور، وتنتشر المنشآت المعمارية الأثرية في تعايش مهيب مع البناءات الحضرية المعاصرة في معظم ربوع البلدية، بل وتتنوع أيضا فمنها على سبيل المثال المنشآت الدينية كمعبد مينارف والبازليكا المسيحية، ومنها منشآت الترفيه كالمسرح المدرج، وكذا المنشآت الدفاعية كالسور البيزنطي، ووصولا إلى بناءات ذات طابع عسكري كمعسكر الفرقة الأوغسطية الثالث وغيرها.

أما أنأى القرى الريفية في الولاية فهي في معظمها ذات طبيعة جغرافية زراعية، وأما الجبلية فهي منتشرة في مناطق كثيرة مثل ثليجان وقسطل ومرسط ويوكوس فتزخر بالآثار ذات الطابع الاقتصادي ومنها قنوات تصريف المياه كخنقة صفصاف الوسرى المحاذية للسد الجديد الذي يمون دائرة بئر العاتر ووصولا إلى أدوات الحياة اليومية التي تزخر بها هناشير الريف في ولاية تبسة.

وحري بنا ان نطرح في هذه المداخلة تساؤلا عاما هو : ما هي أبرز البناءات العمومية في مدينة تيفست خلال العهد الروماني تاريخا ووصفا أثريا وصمودا عبر الزمن وذلك من خلال دراسة تاريخية وأثرية عامة؟ وتهدف المداخلة إلى عرض أبرز المنشآت المعمارية عرضا تاريخيا وأثريا صرفا.

# أولا: لمحة عن المنطقة التي تحتوي على تيفست الأثرية -1

ولاية تبسة من الولايات الحدودية الشرقية، تمتد على شريط حدودي يقدر (29كلم)، تتربع على مساحة قدرها 130878كلم مربع، 17٪ منها أراض زراعية، 58٪أراض سهبية، و 13٪أراض غير صالحة للزراعة، و5.8٪أراض غابية. بلغ عدد سكانها حسب احصاءات 1993 حوالي:587.938ن، متوزعين على 28 بلدية، بكثافة سكانية تقدر حولي:44٪ن/كلم2. وتضاريس المنطقة الشمالية أغلبها جبلى ذات طبيعة رعوية

كالجرف والدكان والحوض الواقعة على الهضاب العليا، وأخرى ذات طابع صحراوي مثل سلسلة الجبل الأبيض.أما تبسة عاصمة الولاية فتقع في شمال جبل الدكان على بعد 45 كلم من الحدود الجزائرية التونسية، وترتفع مدينة تبسة عن سطح البحر بنحو 960 مترا. فهي منطقة رعوية وتشتهر بنوعية مواشيها ورشاقة خيلها وجودة زرابيها، وكذا بعض الصناعات الحرفية، وهي أيضا مركز تجاري وفلاحي مهم من حيث كونها تحتوي على عدة منابع منجمية وغابية ثرية. (احصاءات المكتب البلدي للولاية).

## أصل ومصادر وتطور تسمية " تبسة "

- أصل التسمية : عرفت في العصور القديمة باسمين هما "إيكاتموبيلوس" في العهد البوني، ثم" تيفستيس" خلال الاحتلال الروماني والواندالي والبيزنطي فمن أين وردت تلك التسميات؟ وما ذا أورد المؤرخون بصددها؟

- الدراسات السابقة حول التسمية: إن البحث في الدراسات السابقة عن تاريخ تبسة في العصور القديمة يجد أن عددا من مؤرخي المدرسة الاستعمارية قد تناولوها بالبحث ونذكر منهم: ستيفان جزال والألماني موفرز، ثم غابريال كامبس وكريستيان كورتوا ثم سيري دير وش، ما يفيدنا في فهم التسمية وذلك نقلا عن ديودوروس أخبارا متناثرة عن أصل التسمية، حيث كانت تعرف باسم "هيكاتومبيلوس "أي مدينة المائة باب خلال القرن الثالث قبل الميلاد، والباحث حول أصل التسمية سيتعرض لفرضيات عديدة منها على سبيل المثال ما ذكره غابرييل كامبس من ان تبسة كانت مدينة لوبية منذ القرن الثالث قبل الميلاد، ففي سنة 247 ق.م قام القائد حنون القرطاجي أثناء الحرب البونية الثانية (اكسيل، س. 2007: قام القائد على مدينة داخلية كبيرة وهي "ايكاتمومبيلوس" كلمة اغريقية تعني مدينة مائة باب وأن سان جيروم هو من قدم هذا الشرح حسب رواية ديودوروس الصقلي وأخذ منها 3000 رهينة، وأن عدد سكانها قد بلغ آنذاك 15000 نسمة.

أما بالبحث في الأدلة الأثرية فقد قدر الباحث كريستيان كورتوا المساحة بناءً على عدد السكان وكانت حوالي61هكتارا. وهذا يعني أنها مدينة كبيرة ومهمة من الناحية التجارية. (كامبس، ق. 2008: 85)

هكذا يمكن القول إنها كانت مدينة ذات تسمية بونية حيث يذكر جزال عن ملتزر أنه من المكن أن يكون القرطاجيون هم الذين

أطلقوا تلك التسمية لما رأوه من تشابه بين طيبة الفرعونية وايكاتومبيل ولست أدرى هل التشابه تجارى أم مناخى؟ (Gsell, S. 1920: II, 95)

ثم أصبحت تابعة للمملكة النوميدية، واشتهرت بالزراعة والأسواق التجارية الأسبوعية خلال القرن الثاني قبل الميلاد.

كما عرفت بالتسمية نفسها منذ أن وطنها الاحتلال الروماني حوالي 40 ق.م، واستوطنت فيها الفرقة الأوغسطية الثالثة حوالي 75 للميلاد في المكان الأثرى المعروف حاليا بتبسة الخالية.

- أما الشواهد الأثرية الدالة على أصل التسمية فنجد لوحة باللغة اللاتينية أعلى أحد الأبواب في المسرح المدرج منقوش فيها تيفستيس، ويعود عهد هذا البناء العمومي إلى فترة حكم فاسباسيان.
- أما عن أصل معنى التسمية: فهناك فرضية الألماني موفرز الذي قارب الاسم مع طيبة المصرية، ويرى العربي عقون في ترجمته لبيار كاستيل أنها مقاربة تنم عن جهل بمعرفة أصول اللغة الامازيغية، ولهذا نستبعد هذه الفرضية (كاستيل، ب. 2010: 10) والغالب أنها تسمية نوميدية كما أشار آخر محافظ للمتحف في الحقبة الاستعمارية سيري دير وش إلى ذلك ( De ).

لقد ظلت تعرف بتيفستيس إلى غاية دخول جحافل الواندال واستقرارهم قرب بنر العاتر وذلك في بداية القرن السادس للميلاد. ثم أخرجهم البيزنطيون بقيادة القائد سولومون منها وظلت التسمية على حالها، وكان سولومون قد بنى المدينة وحصنها بالأبراج والأسوار، وجعل المدخل الرئيسي للمدينة هو قوس النصر الروماني كراكلا. وعندما اعتنق أهلها الإسلام الحالي خلال القرن الثامن للميلاد أصبحت تعرف بتبسة، إلى أيامنا هذه.

## 3- الدراسات التاريخية السابقة حول تبسة

إن الدراسات السابقة ثرية حول المنطقة وقد كان معظمها دراسات وصفية مسحية اضطلع بها الضباط العسكريون منهم على سبيل المثال الضابط مول الذي وضع تقريرا في المجلة الأثرية لقسنطينة في دراستين هامتين حول تبسة الأثرية وضواحيها.(86, 86) Moll, M. 1858-1859)

كما عمل كثيرون منهم على آثار المدينة والمواقع الأثرية منهم: ألبير بالو(Bosredon, 1878) و بوسريدون (Bosredon, 1878) وأنطوان هارون

ديفيلفوس (Castel, P.) و بيار كاستيل (De Villefosse, H. 1871: 3) وروني كانيا (Cagnat, R. 1927: 138)، ثم محافظ متحف مينرف سيري دي روك الذي وضع الدليل الأثري الذي يحتوي على دراسات أثرية وصفية وافية تعد مصادر لا غنى عنها حول آثار مدينة تيفست القديمة.

وقد صنفها ستيفان جزال في الأطلس الأثري فأحسن في رصد مواقع (Gsell, S. 1997: f. 28)

5- 2- الدراسات بعد الاستقلال: إن الدراسات متنوعة ايضا غير أنها تركز على الفترة الرومانية، والوصف هو الغالب في الدراسات الأثرية لتبسة كما هو الحال في آخر دراسات أثرية حول المدينة لكل من سيرج لانسال (23) Lancel, S. 2003: 223) وجان ماري بلاس ديروبليس وكلود سينتس (De Roblès, M., Sintès, Cl. 2003: 220)

### ثانيا: التراث الأثرى بولاية تبسة

1- التعريف بقائمة التراث الأثرى

حسب التشريعات القانونية الجزائرية (قانون 04- 98 المؤرخ في 2003/09/14 والمرسوم التنفيذي رقم03- 311 الموافق ل2003/09/14 فالتراث الثقافي للجزائر هو تراث الأمة، ويتكون من جميع الممتلكات فوق وتحت ثرى الجزائر، وأقسام التراث الثقافي عديدة ومتنوعة، وسنعرض هنا للتراث الأثرى في ولاية تبسة وهو من النوع المادى:

# 1- التراث الأثري المادي

تشمل ولاية تبسة على 25 موقعا ومعلما مصنفا وطنيا منذ 1968 إلى غاية 2007، وذلك وفق قرار التصنيف المنصوص عليه في الجرائد الرسمية.

- 1- الممتلكات الثقافية العقارية:
- البناءات العمومية: قوس النصر كراكلا، معبد مينارف،
   القلعة البيزنطية، تبسة الخالية.
  - مواقع أثرية:المسرح المدرج، مواقع ما قبل التاريخ.
    - 2- الممتلكات الثقافية المنقولة:

تشمل بصفة عامة التحف الأثرية وهي متنوعة جدا ويضمها متحف معبد مينارف والمتحف الوطني العمومي وتقدر حسب قوائم الجرد بثلاثة آلاف قطعة.(مقراني، ل. 2008: 7- 9)

2- المعالم والمواقع الأثرية بولاية تبسة حسب فترات ما قبل التاريخ والعصور القديمة

تحتوي ولاية تبسة ومدينة تبسة على معالم ومواقع أثرية تعود إلى مختلف الفترات والعصور التاريخية القديمة، وتزخر المدينة بمواقع كثيرة بدءا من فترة ما قبل التاريخ كموقع سيدي محمد الشريف الذي يعود إلى حضارة العصر الحجري القديم الأعلى في ما يسمى بالحضارة الحجرية القفصية ويقدر تاريخها حوالي بالألف الثامن قبل الميلاد.

لا نجد أي بناء أثري مادي يعود للفترة النوميدية في مدينة تبسة ولا كذلك في البلديات والقرى والمداشر، ولكن تم العثور فقط على بعض العملات النوميدية والتي لا نعلم هل يمكن منها اعتبار المدينة نوميدية فعلا أم أنها جاءت بغرض التجارة، خاصة وأن تيفس كانت مركزا تجاريا في تلك الفترة.

أما بالنسبة للنقوش النوميدية فهناك حوالي 08 نقوش صرفة من مجموعة ماسكيري وهي منسوخة أثبتها شابو في ديوان النقوش اللوبية وتنتمي إلى نوع الكتابة النوميدية الشرقية الماصيلية ذات الاتجاه العمودي من الأعلى إلى الأسفل، وقد وجدت في مناطق ريفية هي: هنشير سيدي عبد الله بمرسط. وعين شابرو ومشتى لبيض في ثليجان وبير العقلة في عقلة قساس وهنشير بوراوي في الشريعة وفي بحيرة لرنب وبوسكيكين قرب وتتيسولعوابدية.(Chabot, J.-B. 1940: 130)

### 3- التعريف بأهم المنشآت المعمارية الرومانية في المدينة

يقصد بها مجموعة الآثار التي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا وهي:

- قوس النصر كراكلا.
  - المدرج.
  - البازليكا المسيحية.
- موقع الفرقة الأوغسطية الثالثة.
  - معبد مينارف الوثني.
    - الدارة الرومانية.
- السور البيزنطي بابراجه وباب سولومون (غير مدرج في الدراسة).

كذلك تناولت بالوصف والشرح كتب التاريخ والآثار آثارا شبه مندثرة و مندثرة وهي:

- باب قسنطينة (ينتظر الترميم).
  - مقبرة الدكتور سعدان.

- الفوروم(اختفت معالمه حاليا تماما ويقال ان موضعه هو ساحة وسط المدينة او ساحة كارنو كما كانت تعرف في عهد الاحتلال الفرنسي).
- قناة المياه (التي تنبع من رمادية سيدي محمد الشريف إلى وسط المدينة).
- المسرح المدرج الصغير (قرب باب شالة واندثرت معالمه بسبب طغيان السور البيزنطي).

#### ثالثا : وصف مبتسر للمنشآت المعمارية الرومانية في مدينة تيفست

سنحاول في هده المداخلة أن نقتصر على أوجز وصف لأهم المعالم الرومانية في تيفست الأثرية وهي :

1- قوس النصر كراكلا: بني حوالي 212 للميلاد في عهد حكم الأسرة السويرية وتزخر المراجع الأثرية بتقديم وصف دقيق له. وعموما يعتبر قوس النصر من أهم المعالم التي خلفها الوجود الروماني في المدينة، له أربعة أبواب في وضعية متناظرة مكعبة وكل واجهة بنيت على شرف فرد من أفراد الأسرة السويرية، فالواجهة الشرقية مكرسة لسبتيموس سيفيروس، والغربية لجوليا دومنا في صورة نوط لحامية المدينة، والواجهة الجنوبية لكراكلا والشمالية لم تحدد الشخصية المهداة إليه.

كل قوس بفتحة 4.60م، وارتفاع 7.50متر، والسقف الداخلي مكون من ألواح حجرية طويلة في جدران والواجهات كانت فيها زخارف لم يبق منها ما يدل على جمالها.

ويحتوي قوس النصر كراكلا (212- 217م) على نقيشتين مهمتين فهم ملامح من التاريخ الاجتماعي للمدينة، فبعد أن منح الإمبراطور كراكلا حق المواطنة لجميع سكان الإمبراطورية، وعرفانا من أهالي تيفست شيدوا قوس نصر رباعي الوجوه، تضمن نصا يعترف بالولاء والشكر لكراكلا، كونه قدم ترقية اجتماعية وسياسية للأفراد، فالروماني بالتجنس أصبح مثل الروماني بالولادة، ولا فرق بينهما في تحمل أعباء المواطنة كواجب الخدمة العسكرية ودفع القسط العشريني من اكتساب التركة، فالوضع القانوني الجديد مكن سكان تيفست من اكتساب كيان وسط المواطنين الرومان والطبقة الأرستقراطية بعد أن منح الاسم الثلاثي لكل فرد. وبالتالي يمكن أن نعتبر النقيشات جزءا من المنشآت في حالة قوس النصر كراكلا.



صورة تمثل الوجه الغربي لقوس النصر كراكلا ( De Roblès, M. et Sintès, Cl. 2003: 225)

#### 2- <u>معيد مينارف</u>

الذي يمكن أن يعود إلى القرن الثاني للميلاد، شيد كذلك في عهد الأسرة السويرية (193- 217)للميلاد، تحت اشراف القنصل أنطونيوس، هو عبارة عن غرفة مستطيلة (ط:8 م)، (ع:6.75م)، وقد شيد فوق أرضية مرتفعة بحوالي (2.50م) و (ار:4م)، ويتقدم غرفة العبادة إيوان (بوديوم) بأبعاد تقدر على النحو التالي: (7م . 4م) و10درجات ويقال أنه شيد لأجل هرقل وباخوس حاميا سبتيم سيفيروس.



صورة تمثل واجهة معبد مينرف ( De Roblès, M., Sintès, Cl. 2003: 223)

### 3- البازليكا:

كانت مؤسسة دينية واجتماعية - حسب اتفاق الذين درسوا البازليكا تاريخيا وأثريا وهندسيا مثل جيي ودوبري ومونصو ومونيي وكوب و غيرهم كثير - ، فيها مكان شيد للقديسة كريسبينا التي لقت حتفها خلال الاضطهاد الروماني للمسيحيين الأفارقة سنة 395 للميلاد، ومدخلها يعرف باب الشرف وتبعد 500مترعن قوس النصر كراكلا بطريق الكاردو الكبير، شيدت خلال المرحلة الأولى بدءا من 310م بعد حادثة إعدام القديسة كريسبينا في: (30/12/05م)، أما طريق الديكومانوس فطريقه من باب سولومون.

وقد عرفت البازليكا صراعات مذهبية بين الكاثوليكية والدوناتية وأبعادها (200م. 100م) وأول ما كانت عبارة عن دير ثم ألحق ببازليكا ثانوية صغيرة وأخرى محصورة بين السور الدفاعي البيزنطي الذي بني لاحقا والمجمع وتوجد بها ملحقات للخيول، وضمت في العهد البيزنطي ثلاث كنائس: كنيسة كريسبينا وكنيسة قابينيلا والكنيسة الكبيرة التي تحتوى على القاعة الداخلية والمطهرة.



صورة تمثل باب الشرف وهو مدخل البازليكا (De Roblès, M., Sintès, Cl. 2003: 226-227)

نستنتج مما سبق ومن الدراسات السابقة والمعاصرة أثرية كانت أو تاريخية أن البناءات العمومية الرومانية في مدينة تيفست لا تزال صامدة في وجه الزمن و هذا أكبر دليل على متانة بنيانها و قوة الهندسة الرومانية، كما وأن الحفاظ على هذه المنشآت المعمارية الأثرية الثمينة لن يتأت في وقتنا

الحاضر إلى بجهود الجامعة باحثين وطلبة للحفاظ عليها، وعليه يجدر بنا أن ننوه هنا إلى تلك التجربة حديثة النشأة التي ربطت بين الجامعة وارتبطت بميلاد انشاء المتحف الوطنى العمومي بتبسة بمقتضى المرسوم التنفيذي 68- 90 المؤرخ في 11صفر عام 1430هـ الموافق ل 07 فبراير سنة 2009 والمتضمن انشاء المتحف، وجهود السيدة مديرة المتحف التي تؤمن تسهيلات للطلبة الجامعيين في قسم التاريخ بما يسهل جمع التراث الثقافي المنقول من المناطق الريفية للولاية، ومن المعروف أن المدن الحدودية تعرف نشاطا كبيرا في الاتجار وتهريب آثارنا، فإن تجربة الطلبة في الحفاظ على تراثهم لا تزال في بداياتها محتشمة ولكنها جادة، وتقتصركيفية الحفاظ على التراث المادي من قبل الطلبة على ما يلي:

- 1- احصاء المواقع الأثرية في الولاية بالاعتماد على الخريطة الأثرية لجزال.
  - 2- اجراء عروض وصفية للمواقع الأثرية الريفية.
    - تصوير المواقع والقطع الأثرية.
    - محاولة ادراج بعض المواقع في التصنيف. -4

وهي وإن تكن محاولات محتشمة غير أنها عظيمة الفائدة للحفاظ على التراث المعماري الأثرى في ولاية تبسة.

#### بيبليوغرافيا

- اكصيل اص. (2007). تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.5، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.
  - احصاءات المكتب البلدى للولاية.
- كاستيل ب. حوز تبسة- دراسة وصفية جغرافية تاريخية لاقليم تبسة واعراشها- ، ترجمة وتحقيق: العربي عقون، ط.1، دون مكان النشر: مطبعة بغيجة حسام الخاصة.
- كامبس ق. (2008). ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة: العربي عقون، الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.
- مقراني م.- ل. (2010). تراث ثقافي وهوية، منشورات مصلحة التراث الثقافي لولاية تيسية.
- -Ballu, A. (1894). Tebessa, Lambèse, Timgad, Paris: éd. Berthaut Frères.
- -Bosredon. (1878). « Promenade Archéologique dans les environs de Tebessa »,
- R.S.A.C., XIX, p. 1-43. -Gsell, S. (1997). Atlas Archéologique de l'Algérie, 2ème éd., Alger: Agence Nationale d'Archéologie et de Protection des Sites et Monuments Historiques.

- H. de Villefosse, L. (1880), « Tebessa et ses monuments », Le tour du monde, Algérie, p. 1-15.
- -Chabot, J.-B. (1940). Recueil des inscriptions Libyques, Alger: Imprimerie Nationale.
- -De Roblès, J.-M., Sintès, Cl. (2003). Sites et monuments antiques de l'Algérie, Aix-en-Provence: Edisud.
- -Moll, M. (1858-1859). « Mémoire historique et Archéologique sur Tébessa (Theveste) et ses environs », R.S.A.C., IV, p. 26-86.
- -Corbier, P., Gascou, J. (1995). « Inscriptions de Tébessa d'après les archives de Paul-Albert Février », Antiquités Africaines, 31, p. 277-324.
- -Castel, P. (S.D.) Tebessa (Histoire et description d'un territoire Algérie), Paris: éd. Henry Paulin.
- -Lancel, S. (2003). L'Algérie antique. De Massinissa à saint Augustin, Paris : Mengès.
- -Gsell S. (1920). Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris : Librairie Hachette.
- -De Roch S. (1952). Tébessa (antique Theveste), Alger : Imprimerie Officielle.

# المنطقة الريفية والمنطقة الحضرية في جنوب نوميديا في الفترة الرومانية

واعمر إعيشوشن جامعة الجزائر2

يوجد جدال في مواضيع البحث التي تناولت موضوع تحديد المنطقة الريفية والمنطقة الحضرية في الفترة الرومانية، يمكن تلخيصها في وجهتي نظر تعتمد الأولى على الخصائص الطبيعة في تحديدها على العامل السكاني أي بين مناطق خاصة بالمغاربة وأخرى خاصة بالرومان. انطلاق من هذا الجدال أجرينا دراسة ميدانية لتوضيح كلا من الرأيين ومدى تطابقهما في الواقع و كانت منطقة الأوراس بكتلتها الجبلية ومحيطها السهلي هو ميدان هذا البحث لكونها منطقة تتكون من كتلة جبلية ومنطقة سهلية.

لاحظنا بعد إجراء هذه الدراسة وجود عدد معتبر من التجمعات السكنية في المنطقة الجبلية اكتسبت عدة خصائص العمران الحضري. استتجنا من ذلك أنه يمكن لمنطق أن تتطور وتتحول إلى منطقة حضرية أو أن يحدث عكس هذه الظاهرة كما حدث لكثير من المدن الواقعة على حدود الليمس في الفترة المتأخرة من عهد الرومان. فيعود السؤال التالي: كيف يمكن تحديد المنطقة الريفية من منطقة حضرية ؟ وعلى أي أساس نعتمد في تحديد كل منطقة من الأخرى ؟ ما هي المنطقة الريفية ؟ وما هي المنطقة الريفية ؟

انطلاقا من الملاحظة السابقة يمكن القول إنه لا يكفي اعتبار أن المناطق الجبلية هي الخاصة بالمحيط الريفي بينما تحدد المناطق السهلية ميدان المحيط الحضري. ولا يكفي أن نعتبر أن كل المناطق التي يسكنها المغاربة مناطق ريفية وأن التي يسكنها الرومان هي مناطق حضرية، فعامل الاختلاف الطبيعي بين الجبال والسهول وعامل الاختلاف العرقي بين المغاربة في الجبال والرومان في السهول يجب أن يتم تحديده على معايير أخرى مثل الاختلاف في النمط المعيشي والنمط العمراني التنظيم الاجتماعي والإداري وكذلك النمط الاقتصادي. وتم اختر مصطلح معيار لكي لا يتحتم علينا إجراء المقارنة بين خصائص كل محيط.

1. المعيار الطبيعي: يتمثل في كل الخصائص الطبوغرافية والجغرافية التي تتميز بها كل منطقة، والتي لها تدخل مباشر في تحديد النمط المعيشي للإنسان.

منطلق هذه الفكرة هو اعتقاد أن النمط الحضري يسود في المناطق السهلية المسطحة والنمط الريفي في المناطق الجبلية. نجد هذا الرأي عند كورتوا كريستيان (Courtois, Ch. 1955: 121) الذي يرى أن الجبال عامل أساسي في تحصين النمط المعيشي التقليدي للسكان المحليين وعامل معرقل لسرعة انتشار النمط الحضاري الروماني، لأن الجيش الروماني كان يتفادى الجبال في توسعه ويختار المناطق السهلية لبناء حصونها ومدنها الجديدة. ويقترح الباحث (Wackermann, G. 2001: 119) عامل الانحدار والعلو أنهما مرتبطتين بالمحيط الريفي. وكذلك الباحث ديسبوا جون(187: 1949) الذي يرى أن البيئة الجبلية تمثل الوجه المقابل للبيئة السهلية والعلاقة بين النمطين المعيشيين علاقة مقابلة، حيث يخضع النمط المعيشي الريفي النمط المعيشي الريفي النمط المعيشي الريفي الظروف الطبيعية.

نستنتج من هذا الوصف محدودية وجود هذا النمط الاجتماعي أو انعدامه في شمال إفريقيا منذ القديم، وهذا استنادا على قول الباحث فيفري بول ألبير (Février, P.-A. 1967: 64) أن المعطيات الأثرية تدل على وجود المدن الليبية في السهول مختلف مناطق المغرب قبل العهد الروماني. وفي رأيي أن هذا صحيح لأنه وصف لم نجد ما يدل عليه أثريا في الأوراس والأوراس جزء من كل المغرب.

2. المعيار السكاني: هو البحث عن التوزيع الحقيقي لسكان المغرب القديم بين المحيطين الريفي والحضري بمختلف تركيباته. حيث تسود وجهة نظر تعبتر المحيط الحضري ميدان خاص بسكان رومانيين بينما يعيش في الريف سكان محليين. نجد هذا الرأي عند نفس الباحثين المذكورين فيما سبق. منهم كوتوا كريستيان (Courtois, Ch. 1955: 121) الذي يرى أن السهول كانت ميدانا مخصص للعنصر الروماني. وأن النمط المعيشي الحضري غير معروف في شمال إفريقيا إلا بمجيء الرومان الذين نشروه في الحضري غير معروف في شمال إفريقيا إلا بمجيء الرومان الذين نشروه

المجتمع الإفريقي، فتبناه سكان السهول لكن بقي سكان المناطق الوعرة طوبوغرافيا على تعيش نمطها التقليدي.

وفي نفس السياق يرى واكرمان جورج (: Wackermann, G. 2001) أن النمط المعيشي الريفي يفرض على الإنسان نمط التنقل الموسمي وانه ينظم حياته وفق ما توفره له تلك الطبيعة من مصادر العيش، وكثيرا ما تكون هذه المصادر غير كافية.

هذا ما نفهمه من قول الكاتب نفسه (Despois, J. 1949: 187) عن دور كلا من الرحل وسكان الجبال الذي كان دورا إيجابي في تمويل الحضارة الرومانية باليد العاملة والمنتجات الصحراوية والجبلية. إذن ليس في هذا الوصف ما ينطبق على المجتمع الإفريقي القديم.

نفهم من رأي كورتوا أن التطور الحضاري هو التطور الذي ينشأ في المدن والمناطق الحضرية، بينما النمط المعيشي الذي عرفه سكان المحيط الريفي لا يعتبر من التحضر. كما أن الشعوب التي تتأثر بنمط حضاري خارجي لا تعتبر شعوب متحضرة بل شعوب متغيرة لأنها لم تصنع التحضر أو التطور بل نلقنه من غيرها(327 :1991 ; 1991). من الجانب الأثري لا يمكن تحقيق ذلك لأن سكان الأوراس معروفين بالنمط المعيشي نصف التتقلي هذا ما يجعل حدود انتشارهم غير ثابت، وهذا من جهة ومن جهة أخرى تعبر الشواهد الأثرية المكتشفة في الأوراس على دور الطبقة الغنية والطبقة الوافدة من المدن ولا نجد شواهد تعبر عن سكان الأوراس من غير هذه الطبقة.

3. المعيار الاقتصادي: يتمثل في مصادر عيش وتطور كل مجتمع سواء ما توفره له الطبيعة أو في قدرة كل مجتمع في ابتكار تقنيات التحكم في استغلال محيطه الطبيعي. وتختلف هذه الطرقات من محيط طبيعي إلى آخر وكذلك من محيط حضري إلى محيط ريفي. ويمثل هذا الاختلاف معيارا للتمييز بين المحيط الريفي والحضري.

يعتبر الباحث جورج باسكال (George, P. 1955: 55) هذا الاختلاف اختلاف في المستوى المعيشي، والعلاقة بين المحيطين قائمة على طرفين غير متكافئين اقتصاديا، فالنمط المعيشي في المدن يوفر متطلبات الحياة بينما الريفي يعاني أهله العزلة والتخلف الحضاري.

بينما يعتبر بنابو مارسيل(Benabou, M. 1976: 118) أن هذا الاختلاف قد تحول من عامل الخلاف والتمييز إلى عامل التكامل الاقتصادي بين المجتمعين ودافع إلى نشأة علاقة بين الرحل والرومان وبين سكان الريف والرومان. حيث كانت الرومان يسمحون للرحل بتأجير الأملاك الإمبراطورية للرعي الموسمي. أما سكان الجبال فالشريحة النشيطة منهم يتنقلون حسب المواسم إلى مزارع السهول الكبرى من أجل العمل أو يستقرون في المدن ليمارسوا الاشتغال الحرفية أو المهن المدنية أو العسكرية.

نفهم من هذا الرأي أن حاجة كل طرف للاستفادة من معرفة وطاقة ومنتجات الطرف الآخر هو عامل أو دافع للتقريب بين سكان المحيطين رغم اختلاف نمطهم الحضاري. ويتمثل هذا التبادل في استفاد سكان الجبال والصحراء من المنتجات الصناعية الحضرية كما تستفيد المدن من المنتجات الرعوية والفلاحية القروية(Chouquer, G. 2010: 105) وطاقاتها البشرية، في هذه الحالة أصبح الفرق في النمط المعيشي عامل تكامل وتقارب أكثر منه عامل صراع.

وللعامل الاقتصادي دور في نشأة أحياء سكنية جديدة خاصة في نقاط التقاء الطرقات التجارية بين مختلف المناطق أين تظهر منشآت عمرانية مرتبطة بالخدمات التجارية مثل محطات الإيواء والالتقاء وأسواق لتبادل السلع، فتتبعها المنشآت الاجتماعية ثم الإدارية، فتتحول إلى منطقة عمرانية يمكن أن تتطور إلى مدينة إذا استمرت هذه العوامل أو تضعف إذا توقفت فيها الحركة التجارية. في الحالة الأولى تصبح هذه المناطق العمرانية مركز اختلاط سكان الريف بسكان المدن.

إذا اعتمدنا على ما كتبه قزال سيفان(Gsell, S. 1927: 220) عن الشواهد الأثرية للمباني والبقايا الفخارية التي عثر عليها في المناطق الجبلية من الأوراس أنها تتشابه في تقنيات صنع الفخار أو بناء المنشآت وأنها بلغت مستوى إتقان نظيرتها في المواقع الحضرية، إنها معطيات تعاكس رأي جورج باسكال مع أن رأى قزال هو الصادر قبل هذا الأخير.

عاد كذلك لوفو فيليب (Leveau, Ph. 197: 204) إلى فكرة الباحث جورج وعاقب عليها أنها حالة لا يمكن أن تنطبق إلا في حالات نادرة وعلى مجموعات بشرية تتعرض للتهديد من العوامل الطبيعية فتضطر للبحث عن

اللجوء. فهي لا تنطبق على سكان الجبال في شمال إفريقيا أو المجتمعات التي كانت متقدمة في الميدان الفلاحي في الفترة القديمة. فلا يمكن أن نطبقها إذن على سكان الأوراس في الفترة الرومانية، هم عرفوا الزراعة قبل وصول الرومان (Camps, G. 1960).

4. المعيار الاجتماعي: يتمثل في كل من المعتقدات وطرق التنظيم الاجتماعي التي تسود في كل مجتمع. ويمكن أن نعتبره من بين معايير التميز مجتمع ريفي من مجتمع مدني.

إذا تحدثنا عن الجانب الديني فسنجد أن المدن تسود فيها الديانة الرسمية الرومانية تنتقل أينما انتقلت شريحة من المجتمع الروماني، ثم تتعايش مع الديانات المحلية أو تدمجها تحت الديانة الرومانية باعتبارها هي الرسمية (343 :Benseddik, N. 2006 عن جراء هذا التراجع تبقى الديانة المحلية غير رسمية هي المنتشرة عند المجتمعات الريفية. وإن وجدت شواهد للديانة الرومانية في جبال الأوراس إلا أنها قليلة وانتشارها محدود بالمقارنة مع شواهدها في المدن الرومانية. وقد تم العثور على نقيشة تذكر اسم إله المنابعتم اكتشافها في غابة جبل عسكر في الحوض العلوي لوادي فظالة في الأوراس الغربية ويعود تاريخها إلى القرن الثالث Pupuis,X., Morizot, P. القرن الثالث . 1992: 887).

فيما يخص مجتمع المدينة الرمانية فهي تشكل من مجتمع طبقي. وكانت طبقة الأثرياء هي الأقل عددا لكنها هي الأهم و أهمية المدينة مرتبط بدور هذه الطبقة في لإثراء المدينة ماديا، فكلما احتوت المدينة عدد أكبر من الأثرياء كلما حققت لسكانها رفاهية أكثر (Picard, G.-Ch. تعتبر المدن فضاء تداخل المعتقدات والأفكار بين مختلف سكانها بسبب اختلاف أصولهم الحضارية، فيمكن أن تكون عامل التجانس والتكامل الفكري، كما يمكن لها أن تكون عامل الصراع بين الطبقات وبين السكان الذين لهم أصول مختلفة أو بين هذه الشرائح الاجتماعية والعنصر الرسمي الذي يمثل السلطة الرومانية.

لا نجد هذا النظام عند المجتمعات الريفية التقليدية، فهي تعمل على التحكم في نمطها الاجتماعي التقليدي(Février, P.-A. 1976: 305). هذا وصف ينطبق على المجتمع في الأوراس.

5. المعيار العمراني: يضم خصائص العمرانية التي تميز بين الريف والمدينة، وسيتم تبيين مراحل تطور الإحياء السكنية من قرية إلى المدينة.

يمكن للقرية أو حي سكني صغير أو ريفي أن يتطور إلى أن يصبح مدينة، لأن توسعها السكاني تصاحبه ضرورة بناء المنشآت العمومية التي تتطلبها المدينة لتسيير مختلف ميادين حياة سكانها.

هذه هي السياسة التي اتبعتها روما في تطوير عدة أحياء أو قرى من شمال إفريقيا إلى مدن في صنف البلديات، حيث وضعت أجهزة إدارية في المدن الرئيسية، ثم في المدن والأحياء الصغيرة فأصبح لها منشآت عمومية ونفعية وأحياء سكنية تستقبل سكان جدد ليستقروا فيها. هكذا كانت تتطور وتتوسع أحياء صغيرة إلى أحياء واسعة عمرانيا وتكون قد حققت من هذا الجانب شرط من شروط تحولها من مركز سكني ريفي إلى مركز حضري. قدم موريزو بيار (31: Morizot, P. 1988) عدة أمثلة بين فيها كيف ظهرت بلديات في جبال الأوراس وكانت في أصل مراكز عسكرية أو أحياء سكنية ريفية.

يمكن إدراج المراكز العسكرية ضمن هذه العناصر العمرانية التي تجهز بها المراكز الحضرية، منها الجدران والمباني العسكرية. يقول كورتوا (Courtois,Ch. 1955: 121) أن المدن الرومانية التي بنيت في وسط سكاني إفريقي مفروض عليها تقوية أجهزة أمنها لكي تضمن أمنها. وكانت أغلبية المدن الرومانية تحتوي أسوار وأبواب وأقواس كعناصر معمارية تقاس بفخامتها وضخامتها وقوة المدينة.

يمكن أن نعتبر الاعتناء بالجانب المعماري في البناء من مقاييس هذه المقارنة. ففي المدن تنتشر المبني الكبيرة والعامة فيه اهتمام بالجانب الشكلي والجمالي لكل الوحدات السكنية سواء الخاصة أو العمومية بينما يسود في التجمعات السكنية الريفية نمط بناء تقليدي. ثم نجد آثار لمواقع الفيلات الريفية التي بنيت على النمط المعماري الحضري، نجد أمثلة كثيرة في جبال الأوراس(Alquier, J. 1941: 31)

لا نجد هذه المنشئات في المحيط الريفي. وإذا وجدت فيمكن أن نعتبرها مدينة في محيط ريفي. بذلك يمكن أن نقول أن الاختلاف في الجانب

العمراني يمكن أن يكون من معايير التمييز بين المحيط الريفي والحضري ومعيار لانتقال مجتمع ذات نمط معيشي حضري.

يمكن كذلك إدراج تقنيات البناء كمعيار للمقارنة بين العمران الريفي والعمران الحضري. حيث يغلب النمط المعماري الروماني على مباني المناطق الحضرية، وهو مختلف عن النمط المعماري التقليدي الريفي الذي يختلف بدوره بين البيئة الشبه صحراوية والبيئة التلية. كما يوجد فرق بين النمط المعماري بين الفيلات الحضرية والفيلات الريفية Villa Urbana و rustica.

يمكن أن نصل من خلال هذا الوصف إلى نتيجة أن انتشار التجمعات السكنية في الفترة القديمة لا يعكس الصورة الوصفية التي ذكرناها في المعطيات النظرية والتي تعتبر المناطق السهلية هي محيط العمران الحضري والمناطق الجبلية خاصة بالعمران الريفي. يقول الباحث فيقري بول ألبير أن المعطيات الأثرية تدل على وجود المدن الليبية في السهول قبل العهد الروماني، هذا ما أثبنه في دراسته لمواقع أثرية في سهول سطيف :1966 (Février, P.-A. 1966) هذا ما أشبنه يتخلق الفرق بين العمومية هي التي تخلق الفرق بين المحيطين السكنيين.

6. المعيار الإداري: يخص تصنيف الإداري الذي وضعه الرومان في تحديد مستوى التجمعات السكانية كأن تكون من صنف , Fundus, Vicus, مستوى التجمعات السكانية كأن تكون من صنف , Chouquer, G. 2010: 105) Monsy Pagus (Chouquer, G. 2010: 105) في المستونية والقبلية المستونية الريفية والقبلية المسكانية الريفية والقبلية المسكانية الريفية والقبلية وحاكم المدينة praefetus gentes (Leplley, Cl. 2001: 137) Civitatis praefectus في السكانية الحضرية. وكان هذا التصنيف الإداري هو أساس تحديد نوع حقوق العلاقة بين سكان التجمعين السكنيين وهي أساس التحديد نوع حقوق العلاقة بين سكاني. ويعتبر كل من يسكن مدينة من رتبة مستعمرة هو (Christol, هو الذي يتمتع بحقوق أكثر ممن يسكن خارجها , M. 2005: 21)

انتهجت روما هذه الطريقة الإدارية كحل للحفاظ على الأراضي التي توسعت عليها لكى تنظم أهالى هذه الأراضى وتدمجهم في مراكزها

الإدارية الموجودة في المدن الرئيسية. لا تتدخل روما بصفة مباشرة في إدارة شؤون هذه الشعوب التي استعمرتها لكن تحتم على ممثلي هذه الشعوب الخضوع لإدارتها (Aounallah, S. 2010: 157).

عندما أصدر قانون المستعمرات Lex manciana في عهد العائلة الفلافية والذي كان ينص على تحويل المستعمرات الإفريقية الرومانية إلى ملكيات إمبراطورية ويسكنها قدماء الجيش من أصل إفريقي، ارتفع عدد المدن النوميدية والبونية التي حققت الشروط الارتقاء إلى صنف مستعمرات. يمكن أن نقول أن بموجب هذا القانون تحول الكثير من سكان المغرب القديم من سكان ريفيين إلى سكان حضر بعد تحول أحياءهم إلى مدن من صنف المستعمرات.

لكن عندما أصدر كراكلا قراره في 212 لم يبقى كثير من هذه المدن ولم يعد سكان المناطق الريفية في حاجة إلى ذلك لأن هذا القرار قد سمح لكل سكان الحصول على حق المواطنة الرومانية دون الأخذ بعين الاعتبار مستوى التصنيف الإداري. بل شهد السكان حركة معاكسة وهي انتقال أفراد من سكان المدن إلى المناطق الريفية وإنشاء فيها فيلات ريفية سواء لإقامة فيها بصفة دائمة أو بصفة موسمية. هذا ما شاهدته جبال الأوراس التي عرفت حركة عمرانية من هذا الصنف بداية من القرن الثالث (Morizot, P. 1989: 69).

كما أن الرمان لم يحدثوا كثير من التغير في أنظمة المدن المغربية التي احتلوها. يقول بيكار (Picard, G.-C. 1990: 32) أن تحويل حكم المدن نوميدية و القرطاجية إلى الحكم الروماني قد تم بدون أي تغير كبير، لأن طرق التنظيم لم تتغير بل احتفظت المدن القرطاجية بمجالسها المحلية رغم انتقال الحكم المركزي إلى يد الرومان. بهذا التطور أصبح عدد المدن الرومانية في المغرب القديم أكبر من عدد القرى، وكان ذلك نتيجة لسياسة تشجيع الأباطرة لهذه لرفع عدد المدن وسكانها من أجل تقوية عدد المؤيدين لسياستة.

قلنا في بداية هذا العنصر أنه بنفس الطريقة التي تتطور الأحياء الريفية إلى أحياء حضرية يمكن أن تتحول من مدن إلى أحياء ريفية. هذا ما حدث لكثير من المدن الرومانية الحدودية في القرن الرابع والخامس والتي

تركتها روما في المقاطعات الإفريقية بعد سقوطها، حيث بقي حكمها مستمر بعد سقوط روما، فتكونت على أنقاضها الممالك المحلية .Camps, G وكانت فيها المدن الصغيرة والكبيرة تستفيد من مزايا الحكم وبشكل عادل. لكن معظمها قد فقدت نشاطها ونقص عدد سكانها و توقفت كل المنشآت العمومية التي كانت تجعل منها وحدة حضرية.

ليس العامل الإداري وحده هو المسئول على نمو أو ضعف الأحياء أو ارتقاءها بل هناك العامل التجاري بفضله تطورت عدة أحياء ريفية واقعة على هذه الطرقات التجارية إلى مدن مهمة يقصدها سكان الريف للتمتع فيها بخدمات الترفيه وللمشاركة في الحياة الفكرية والدينية، والحياة فيها ليست مختلفة عن التي كانت في المدن الكبيرة (44) (Picard, G.-C. 1990: 44)).

كان للسياسة العسكرية الرمانية دور في اختيار أماكن إنشاء المدن الجديدة، وهي فكرة يعتبرها كريسطول (Christol, M. 2005 : 132) أساس توجيه توسع الجيش الروماني واختيار مواقع بناء معسكراته، فكان يفضل التوسع والاستقرار في السهول ويتفادى المناطق الوعرة والجبلية.

وحسب رأي لونقراند ( Lengrand, D. 2006: 112 ) فإن الرومان كانوا يهتمون بكل ما يجعل من حضارتهم حضارة جذابة، لجلب السكان المحليين إلى حضارتها، وهي نفس السياسة التي كانت منتهجة من طرف الملوك النوميديين والقرطاجيين، هذا ما جعل قبول سكانها الحكم الروماني وبشكل سريع. بينما التجمعات السكانية الواقعة خارج أقاليم المدن قد تأخر فيها هذا التحول (Christol, M. 2005: 200).

بعد عرض هذه المعايير نستخلص فكرة مهمة وهي في اختلاف آراء الباحثين في تحديد كمال لهذه. وعندما نحاول تطبيق هذه المعايير في الواقع تدم لها معطيات على وجهين منها ما يمكن أن ينطبق بين النظري والواقع ومنها ما ينطبق. هذا ما توصلنا إليه في البحث الأثري في منطقة جبال الأوراس. حيث قدمت لنا معطيات الأثرية وجود مواقع أثرية قديمة ذات مستوى عمراني مشابه بالنمط العمراني الحضري وشواهد تدل على تطور نمط العيش المستقر على حساب النمط نصف المستقر. وكان العامل الاقتصادي وراء تطور مستوى عيش سكان هذه المناطق الريفية وظهور

تجمعات حضرية تطورت بعضها عمرانيا إلى تجمعات حضرية في هذا الوسط الريفي (279: Morizot, P.1997).

من خلال ما تم عرضه من الآراء السابقة نقترح تقسيم المحيط المجغرافي القديم إلى منطقتين مختلفتين وهما المنطقة الحضرية والمنطقة الريفية وهناك من الباحثين من يقترح وجود منطقة ثالثة بينهما وهي منطقة شبه حضرية.

#### خصائص المنطقة الريفية و المنطقة الحضرية:

يقترح ميسناج (633 :633 (Mesnage, P. 1913: 633) إمكانية تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق، ويكون أساسه العامل البشري أكثر منه جغرافي وهذه المناطق هي المنطقة الحضرية والمنطقة شبه حضرية ومنطقة ريفية. ويقترح تروسي بول(197 :Trousset, P. 1980: 197) وجود ثلاثة مناطق منها المدينة ثم مناطق تكثر فيها الفيلات الاقتصادية تكون متأثرة ومرتبطة بصفة مباشرة بالمراكز الحضرية ثم مناطق لا تكثر فيها الفيلات وتعتبر الظهير الخلفي للمناطق الريفية تتميز بعدم أو بقلة ارتباطها بالمدن، وكان اقتصادها مازال يحافظ على نمطه السابق للعهد الروماني.

1. المنطقة الحضرية: تمثلها المدن بمختلف أحجامها. في فترة الإمبراطورية العليا كانت المدينة تبنى لكي تكون مركز القوة الاقتصادية والاجتماعية في محيطها الريفي (Trousset, P. 1980: 196). وكان لكل واحدة أجهزة خاصة مكلفة بنظامها الداخلي والخارجي، ويحتوي عمرانها منشآت خاصة تتمثل في الوحدات السكنية والتجارية والحرفية ومنشآت عمومية تنجزها الإدارة المحلية أو المركزية وتمولها مصادر مختلفة مثل هبات الأثرياء أو أموال عمومية. وتسهر الإدارة المحلية على تنظيم النشاطات والعلاقات البشرية داخل المدينة وعلاقة المدينة بالمدن الأخرى أو علاقاتها بالمناطق الريفية.

تعتبر المدن ملتقى ومقصد الطرقات والحركات التجارية والإدارية والاجتماعية، وكانت كل مدينة مركز انطلاق الطرقات المؤدية إلى الأراضي المحيطة بها والتي هي ملك لسكانها (247: Lassère, J.-M. 2006: 247). هذا ما عرفته مناطق من شمال الأوراس حيث بدأ العهد الروماني فيها بتحويل الأراضي الفلاحية إلى امتلاك إمبراطورية. ويدل الاسم القديم Aqua

Flavianae على أن هذه المنطقة وحمامها الطبيعي كانت ملكية هذه العائلة الإمبراطورية منذ عام 100 ميلادي وهو عهد الإمبراطور ترايانوس. وفي هذه الفترة أيضا تأسست في نفس الفترة مع مدينة تيمقاد كبلدية، وأعلن أهلها مواطنين من قبيلة بابيريا وهي قبيلة الإمبراطور ترايانوس ,C.I.L., VIII) (22303, 17679, 17705).

يعتمد سكان المدن في عيشهم على التجارة والصناعة والخدمات، والتجارة هي التي توفر لسكان المدينة الموارد الغذائية التي تنتج في الأراضي التابعة أو المجاورة لها أو بالمنتجات الريفية. ويتوقف تطور أو تقهقر قوة أي مدينة على عدة عوامل خارجية منها موقعها الجغرافي بالنسبة لشبكة الطرقات التجارية ثم محيطها الاقتصادي والسكاني، وعوامل داخلية منها نظامها الداخلي ونمط عيش سكانها.

2. المنطقة الشبه حضرية: هي المنطقة الجغرافية التي تقع في متوسط المنطقة الريفية والحضرية و تضم أراضي فلاحيه خاصة أو أملاك إمبراطورية أو أملاك عمومية وتقع فيها كذلك مناطق عمرانية تكون مرتبطة إداريا واقتصاديا واجتماعيا بالمدينة. حسب ميسناج . (Mesnage, P. في المنطقة يكون على أساس العامل البشري أكثر منه جغرافي والمنطقة شبه حضرية هي التي فيها سكان محليين يحافظون على النمط عيشهم التقليدي ويكونون خاضعين إداريا للمدينة.

يمكن أن ندرج في هذا المحيط كل المواقع الأثرية التي تمثل فيلات ريفية Pacus أو مزارع محصنة أو أحياء سكنية من صنف Villa rustica أو مزارع محصنة أو أحياء سكنية من صنف Vicus أن يكون التقسيم على المسافة والمواقع الأثرية حيث تسود في المناطق شبه الحضرية مواقع لمنشآت الفلاحية والصناعية وفلات ريفية تتكون من منازل للعمال والعبيد وإقامات خاصة بملاك هذه المزارع وتنتشر في المحيط المجاور للمدينة.

فالمدينة هي الوحدة العمرانية بمختلف مبانيها ووحداتها السكنية، منها التى تملك أسوار تحددها ومنها التى لا تملك ذلك، يوجد حول المدينة إقليم زراعي وتجمعات سكانية فلاحية تعتبر جزء من المنطقة الحضرية، فهذا مثال عن تحديد المنطقة الحضرية لمدينة تيمقاد اقترحها مورزو (Morizot, P. 1994: 227)، حيث يمكن تحديد توسع إقليم هذه عند بداية

حدود إقليم مدينة أخرى مجاورة لها، يمكن تحديد التعرف على هذه الحدود اعتمادا على الأنصاب الميلية تنطلق من مركز المدينة وتتوزع في مختلف الاتجاهات. فكان إقليم مدينة تيمقاد ممتد على مسافة قدرها.15 كلم نحو الجهة الشمالية و10 كلم نحو الشرق وبني اقتراحه على شواهد أثرية من نصب ميلي يدل على أن موقع مكان العثور على هذا النصب كان تابع لهذه المدينة وبالتالى تعتبر تلك الأراضي تابعة لسكان مدينة تيمقاد.

تربط بين هذه الأراضي والمدينة طرقات تعتبر في نفس الوقت طرق المتنقل وحدود بين الملكيات الخاصة أو العامة أو الملكيات الإمبراطورية (Chouquer, G. 2010: 196). يوجد كذلك حدود دينية للمدينة توضع من طرف المهندسين الرومان، إذ يمكن اعتبار هذه الحدود هي الفاصل بين المنطقة الحضرية وشبه الحضرية(Chouquer, G. 2010: 175). يوجد كذلك بعد ظهور المدينة في أرض جديدة تبنى على أراضي كانت تابعة لإحدى من القبائل Ager romanus تحوله روما إلى أرض رومانية الى منطقة تظهر (Chouquer, G. 2010: 180). بذلك يتحول من أرض ريفية إلى منطقة تظهر فيها مناطق حضرية ومناطق شبه حضرية.

يمكن أيضا أن يكون في إقليم مدينة تجمعات سكنية كانت تملك الأراضي إلى أن تشيد المدينة في تلك المنطقة ويصبح سكان تلك الأحياء و أملاكهم الزراعية تابعة إداريا للمدينة. وتبقى منها قطع أرضية لا نجد شواهد أثرية لا للفيلات الريفية ولا للأنصاب الميلية. فهي غير مدرجة في أملاك المدينة لأنها أراضي أحراش لا يمكن الاستثمار فيها ولا البناء فيها. في هذه الحالة لا يمكن أن نعتبرها من الناطق الريفية ولا نعتبرها من الناطق شمه الحضرية.

5- المنطقة الريفية: إذا اعتمدنا إلى أراء الباحثين مثل كورتوا الذي قال أن الريف هو الوجه المقابل للمدينة (Courtois, Ch. 1955:121) أو تروسيبأنه هو منطقة الجغرافية التي لا تكثر فيها الفيلات وتعتبر الظهير الخلفي للمناطق الريفية تتميز بعدم أو بقلة ارتباطها بالمدن، وكان اقتصادها مازال يحافظ على نمطه السابق للعهد الروماني (Trousset, P. والمناطقة الثالثة أي الريفية يمكن أن (197 : 1980أو ميسناج الذي يرى بأن المنطقة الثالثة أي الريفية يمكن أن نميزها بقلة وصول التأثيرات الرومانية إليها، وسكانها محتفظين بنظامهم

الحضاري التقليدي دون أن يتأثر بالنمط الحضاري الروماني .Mesnage, P. (Mesnage, P. 1913: 633)

لا يمكن اعتبار هذه الآراء كاملة تنطبق على كل المناطق الجغرافية من المغرب أو على كل مراحل الفترة الرومانية. فالتخليل قدم لنا نتائج وهي تغير النمط المعيشي بين الحضري والريفي حسب تطور وتوسع العمران الروماني. فهذا مثال عن المناطق السهلية لشمال الأوراس التي كانت أراضي تستغلها قبيلة الموزولام و حلفاءها وكانت عبارة عن أراضي ريفية رغم أن سكانها نوميد وأنها سهول زراعية، وبهد القرن الأول ميلادي شهدت هذه المنطقة حركة عمرانية عسكرية ومدنية على يد الرومان فشهدت ظهور مناطق حضرية على حساب المناطق الريفية ثم استقرار العنصر البشري الروماني على حساب العنصر النوميدي.

رغم تعدد هذه العوامل إلا أن فكرة التحديد الجغرافي بين المنطقتين يبقى غير واضح المعالم خاصة في تطبيقه على الواقع. كما يمكن أن يكون راجع لأسباب أخرى منها طبيعة سكان المغرب القديم الذين كانوا يتميزون بالحركة الدائمة وعدم استقرار سكان القبائل وهذا ما يجعل حدود أراضيها غير معروفة.

تطبيق هذه المعايير على أرض الواقع ليس واضح. هذا ما نحن في صدد إجراءه عليه دراسة بدأنها بالمنطقة الريفية والحضرية في الأوراس بمحيطه الجبلي و السهلي، إذ يوجد مواقع المدن القديمة كوحدة تمثل المنطقة الحضرية بيمنا ليس من السهل تحديد المنطقة الشبه حضرية ولإقليم كل مدينة ولا حدود المنطقة الريفية. كما يوجد فرق بين المناطق الشبه حضرية التي كانت تابعة اقتصاديا لمراكز حضرية دون أن تكون تابعة لها إداريا.

ويوجد عامل الزمن الذي يغير في حدود انتشار النمط الحضاري خاصة العمراني بين المحيطين إذ عرفت فترة القوة الحضارية لروما انتشار واسع للحركة العمرانية الحضرية وظهور مدن صغيرة حاول أهلها ومسئوليها تقليد النمط المعيشي الحضري الذي يسود في المدن الكبيرة.

إذا كانت حركة التمدن في فترة الإمبراطورية العليا قد عرفت توسع على حساب المناطق الريفية وشهدت ارتفاع عدد سكان المدن على عدد

سكان الأرياف فإن هذه الظاهرة قد عرفت حركة معاكسة في الفترة المتأخرة من الإمبراطورية السفلى خاصة في مناطق الحدودية الجنوبية والمناطق الغربية من مقاطعة موريتانيا القيصرية، حيث عرفت انجلاء كلي للرومان سواء الجيش أو الإدارة أو السكان، فتحولت الأراضي الزراعية إلى المناطق رعوية والمدن خالية لم تعد تابعة للمنطقة الحضرية.

لا يعني هذا أن النمط المعيشي الحضري مرتبط بالوجود الروماني في هذه المناطق، وأن انسحاب رومان منها أدى إلى اختفاء النمط الحضري فيها بل قام عدد من الحكام المحليين بتأسيس ممالك محلية حاولت الاحتفاظ بهذا الإرث الحضارى في مختلف المناطق من شمال إفريقيا.

تقييما لما اجري من أبحاث يمكن أن نقول أن هناك مجموعتين من وجهات نظر مجموعة الباحثين الأوائل ومجموعة الباحثين الحاليين بينها اختلاف أو تطور في وجهات نظر كل في فترته فهو تطور وتكتمل في ابحث أكثر منها تضارب في الآراء والأهداف.

كما تفادينا المقارنة الهندسية بين النمطين المعماريين لأن منهجية الموضوع لا تسمح بذلك و أن هذا الموضوع يمكن أن يدرس كإشكالية لوحدها. كما أن البحث من جانبه النظري يحتاج إلى بحث أثري لإثبات أو نفى ما يقدمه أصحاب هذه الآراء.

#### ببليوغرافيا

- -Alquier, J. (1942). « Ruines antiques de la vallée de l'Oued El Arab », Revue Africaine., 82, p. 31-39.
- -Aounallah, S. (2010). Pagus, Castellum et Civitas, études, épigraphie et d'histoire sur le village et la cité en Afrique romaine, Bordeaux: Ausunius.
- -Benabou, M. (1976) La résistance africaine à la romanisation, Paris: Maspero.
- -Benseddik, N. (2006). «Le piémont nord de l'Aurès et les cultes chroniens », Aouras, 3, p. 343-364.
- -Camps, G. (1960). Massinissa ou le début de l'histoire, Libyca Archéologie-Épigraphie, VIII.
- -Camps, G. (1980). « Rex gentiumMaurorum, recherche sur les royaumes de Mauritanie des VIe et VIIe siècles », Antiquités Africaines, 20, p. 180-218.
- -Chouquer, G. (2010). La terre dans le monde romain, Anthropologie, droit et géographie, collections d'archéo-géographie de l'université de Coimbra, Paris: Errance.
- -Christol, M. (2005). Regards sur l'Afrique romaine, Paris : Errance.
- -Courtois, Ch. (1955). Les Vandales et l'Afrique, Paris: Arts et Métiers Graphiques.
- -Despois, J. (1949). L'Afrique blanche, l'Afrique du Nord, Paris : PUF.
- -Djindjan, F. (1991). Méthodes pour l'archéologie, Paris: Armon Colin.
- -Dupuis, X., Morizot, P. (1992). « Une vallée pas connu de l'Aurès occidentale, Oued Fdhala », Africa Romana, 9, p. 365.

- -Février, P.-A. (1966). « Inscriptions inédites relatives la région de Sétif », Mélanges d'archéologie et d'histoire offerts à André Piganiol, I, p. 217.
- -Février, P.-A. (1967). « Aux origines de l'occupation romaines des hautes plaines de Sétif », Cahier de Tunisie, 15, p. 51-64.
- -Février, P.-A. (1976). « Dialogue d'histoire ancienne, religion et domination en Afrique romaine », Annales littéraires de l'université de Besançon, 188, p. 305-329.
- -George, P. (1951). Introduction à l'étude géographique de la population du monde, Paris: PUF.
- -Gsell, S. (1893). « Les ruines romaines du nord de l'Aurès », M.E.F.R.A., 13, p. 466.
- -Gsell, S. (1927). Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris : Hachette.
- -Janon, M. (1977). «Lambèse et l'occupation militaire de la Numidie méridionale », Studen fur den militargrenzen Roms, 10, Soderdruck, Bonn, p. 473-485.
- Lassère, J.-M. (2004). « Romanisation de l'Aurès », Aouras, 2, p. 65-76.
- -Lassère, J.-M. (2006). « Notice sur Mascula », Aouras, 3, p. 245-254.
- Leglay, M. Collections Latomus, Bruxelles, p. 226-243.
- -Lengrand, D. (2006). « Aperçu sur l'Aurès du haut empire », Aouras, 3, p.107-112.
- -Lepelley, Cl. (2001). La préfecture de tribu dans l'Afrique du Bas-Empire, l'Afrique romaine (de l'Atlantique à la Tripolitaine) de 69 à 479, aspect de l'Afrique romaine, les cités, la vie rurale, le christianisme, Bari: editepuglia, p. 137-181.
- -Leveau, Ph. (1977). « Opposition de la montagne et de la plaine dans l'historiographie de l'Afrique du Nord antique », Annales de géographie, 51, p. 201-205.
- -Mesnage, J. (1913). «Le christianisme en Afrique du Nord, origine, développement et extension », Revue Africaine, 57, p. 361-706.
- -Momson, T. (1881). Corpus inscriptionum latinarum, VIII, Berlin.
- Morizot, P. (1982). « La Zaouia de Beni Berbar, citée perigrinne ou municipe latine», B.C.T.H., 18B, p. 31-75.
- -Morizot, P. (1989). «Înscriptions de Tazembout (Aurès) aperçu sur un village romain de haute montagne en IIIème siècle », B.A.C., 20-21, p. 69.
- -Morizot, P. (1994). Archéologie aérienne de l'Aurès, Paris: CTHS.
- -Morizot, P. (2004). « Divinités africaines ou toponymes antiques du Djebel Aurès », Aouras, 2, p.91-102.
- -Picard, G.-Ch. (1990). La civilisation de l'Afrique romaine, Paris : Etudes Augustiniennes.
- -Trousset, P. (1980). « Villes, campagnes et nomadisme, représentation et réalités », Actes de colloque de L'U.E.R, Aix en-Provence, 16-17 mai, p.195-203.
- -Wackermann, G. (2001). Montagnes et civilisations montagnardes, Paris: Ellipses.

|  |  | l |
|--|--|---|
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |
|  |  |   |

## المرافق الاساسية للمدن الرومانية بالجزائر من خلال مدينة تيمقاد الاثرية

أ. مريم بقدور جامعة بشار

تعتبر منطقة شمال إفريقيا من ابرز الأماكن التي عرف التواجد الروماني إليها طريقا عبر البحر الأبيض المتوسط والصقلية، حيث استقر بها مدة من الزمن وشيد فيها العديد من المنشآت التي شكلت نسيجا عمرانيا راقيا ظلت أثاره شامخة إلى الآن واستهوت العديد من الباحثين والسياح المولوعين بالأثار والسياحة، إذ كان من بين الوسائل التي استخدمها المستعمر لبسط نفوذه بأي مستعمرة، أن قام بتأسيس عدة منشآت ومدن بأكملها والتي كانت معسكرات في بدايتها ،فالإمبراطورية الرومانية شيدت العديد من المدن في الشمال الإفريقي كان من بينها الجزائر التي تزخر بمجموعة من المدن القديمة خاصة بالشرق منها، حيث توجد مدينة تيمقاد الأثرية التي تعتبر ابرز مثال للضخامة والتطور في مجال العمران فهي تضم عدة مرافق سنحاول دراستها للتطرق إلى أهميتها الإستراتيجية وللتعريف بها.

شيدت مدينة تيمقاد في موقع استراتيجي هام، فهي بالإضافة الى كونها من جملة مدن خط الحصار الشمالي، تحرص الطريق الروماني الذي يمر شمال الأوراس ويربط ما بين تبسة شرقا وخنشلة وتيمقاد ولامبيز والقنطرة وطبنة غربا ،وتراقب طرق الاوراس الجبلية، طريق الوادي الأبيض الذي يتصل بالطريق الروماني الصحراوي عند تهودا وطريق وادي عبدي ويمتاز هذا المكان أيضا بوفرة مواد البناء والماء. (تغليسية م. 1982: 9). وتقع تيمقاد الاثرية على بعد 36 كلم شرق بانتة ،وقد بنيت في سهل متموج ،حيث احتلت مساحة بلغت حوالي 60 هكتار، وتمتد على طريق بلغ طوله 800م وهذا الطريق يشبه الطرق الرئيسية في المدن اليونانية بآسيا، اذ تظهر في الوسط مصفوفة بأعمدة متجهة من الغرب الى الشرق. (انظر الخريطة رقم

تعتبر مدينة تيمقاد من المدن الرومانية بشمال إفريقيا، التي شيدت بمستعمرة نوميديا لتعتبر حصنا لأفريقيا(39-35: 3973) وقد تأسست عام 100كمستعمرة لقدامي المحاربين الرومان تحت اسم Mariana Traiana Thamughadi» وذلك في عصر الإمبراطور تراجان وقد

اقامها قائد الفرقة الرومانية الثالثة الذي اقام لامباسيس منذ عام 81م. (Gsell, S. 1901: 113)

فقد بدأ وجود الجيش الروماني بصفة دائمة في تيمقاد ولامبيز سنة 80م، وفي 81م شرعوا في بناء أول معسكر لهم في الأمبيز، وتأخر إنشاء مدينة تيمقاد إلى عام 100م (Bouchareb, A. 2009: 1, 2)، ويمكن القول بأنها كانت قبل هذا التاريخ قرية صغيرة أو مركزا عسكريا وبدون شك سكن مدينة الجديدة قدماء المحاربين الذين تحولوا إلى ملاكين الأرض، والنوميدين الذين لهم علاقة حسنة مع الجيش الروماني، وكان في إمكان سكان تيمقاد حمل السلاح من جديد للدفاع على أموالهم الخاصة، إذا هوجموا من طرف سكان الجبال، وفعلا كانت الغارات، والهجمات اشهرها حوادث عام 265م، والتي الحقوا فيها بالرومان أفدح الخسائر، اتسعت تيمقاد في عهد الإمبراطور سبتم سيفر الإفريقي، وكل المدن الإفريقية على العهد الروماني ربحت من هذا الإصلاح والتهذيب، ففي تيمقاد أنشئ مركز تجارى جديد غرب قوس النصر، الذي كان يسجل نهاية مدينة تراجان من الناحية الغربية واليه تحول النشاط التجارى الذى كان بالسوق الشرقي ودكاكين الساحة العامة ، كما بني السكان أحياء جديدة، متحررة من التخطيط الهندسي المعهود في مدينة تراجان، وفي النهاية صارت مدينة تيمقاد ذات مساحة أكثر من 50هكتار، يستقر بها ما بين آلاف وخمسة عشر ألف مواطن، في القرن الرابع الميلادي. استمر الوجود الروماني في تيمقاد وكل القطر الجزائري إلى نهاية العقد الثالث من القرن الخامس الميلادي.

أما فيما يخص التواجد الفندالي، فقد دخلت تحت نفوذه عام 430 ولكن لم يلبثوا فيها وقتا طويلا، اما فيما يعرف عن العهد البيزنطي فقد أعاد الجيش التابع لجستتيان بقيادة الجينيرال صولون الكرة واحتل تيمقاد وهذا في العقد الرابع من القرن السادس الميلادي وقد تتبع هذا الأخير سياسة الإمبراطورية الرومانية في تشييد المدن والمعسكرات غير أنهم حولوا في فترة من الحكم بعض المساكن إلى كنائس وبعض البنايات إلى محاجر لمواد البناء لبناء مؤسساتهم الجديدة وكان منها القلعة التي بنيت في عهد جستنيانيوس جنوب المدينة القديمة ب400م(حاجي ياسين، ر. 2008 جستنيانيوس جنوب المدينة القديمة ب400م(حاجي ياسين، ر. 2008 والمكتبة، اذ في حوالي 500م دمرت تيمقاد اثر هجوم قبائل البربر من جبال الاوراس وقد استغل القائد البيزنطي سولومون مباني هذه المدينة لبناء حصن كبير بالمنطقة وقد دمرت تيمقاد نهائيا اثر الفتح الإسلامي وهجرت المدينة

نهائيا في حوالي 700م (حامد قادوس، ز. 2004: 355)، لتصبح من الآثار والمعالم الأثرية التاريخية التي تزخر بها الجزائر خاصة وشمال إفريقيا عامة حاليا.

## الوصف العام لتخطيط المدينة :(انظر اللوحة رقم 02)

كان تخطيط مدينة تيمقاد في البداية كمعسكر للجنود المسرحين من الفرقة الثالثة الرومانية، حيث كانت مسورة بسور مربع متساوى الأضلاع يبلغ طول الضلع الواحد حوالي 355م، بلغت مساحة المدينة حوالي 12 هكتار ثم أصبحت تصل إلى حوالي 50هكتار خارجة من الحدود الأولية ويوجد في مدينة تيمقاد شارعان رئيسيان يتقاطعان في زاوية قائمة، حيث يتقاطع الشارع الطولى الرئيسي الذي يتجه من الشمال الى الجنوب كاردو ماكسيميوس مع الشارع العرضى يتجه من الشرق الى الغرب دوكمانيوس ماكسيميوس(Ballu, A. 1894: 29)، وهي عبارة عن لوحة  $^{2}$ شطرنج كل مربع كان مقسم الى 36قطعة سكنية مربعة مقاساتها  $^{2}$ م من كل جانب مشكلة طرق ثانوية ضيقة. (طواهري، ح. 2005- 18:2006 حيث بلطت أرضية الشارعان الرئيسيان ببلاطات من الحجر الجيري، بينما نجد بقية الشوارع مرصوفة بالحجر الرملي، ويوجد ستة شوارع إلى الشرق من شارع الكاردو وتتجه هذه الشوارع إلى جهة الشمال حيث موقع الفورم الروماني، ويبلغ عدد البلوكات السكنية 111بلوك في مساحات متساوية وتحتوى هذه البلوكات على مبانى العامة والحمامات والاسواق وبعض هذه البلوكات مقسمة من خلال حوائط الى منزلين او ثلاثة في بعض الاحيان .

ونظرا لوضع المدينة الأمني فقد رأى المخططون أن تخدم كل مبانيها الوضع السياسي لها، فعلى سبيل المثال نجد المسرح قد صممت ممراته الرأسية موازية مع محور الشارع الطولي الكاردو وهذا يدعونا إلى القول أن المدينة كانت في الأصل معسكرا رومانيا ثم تحولت إلى مدينة سكنى. (حامد قادوس، ز. 2004:357)

### أهم المرافق الأساسية بمدينة تيمقاد:

يتراءى لزائر مدينة تيمقاد تلك الاطلال الشامخة في المدينة والتي تشهد على الثقافة العمرانية التي تميزت بها الامبراطورية الرومانية وما كانت عليه المباني من ضخامة وعظمة ورقي ، فما كان بها من شوارع مرصوفة ومزينة بأعمدة واقواس نصر وسوق عامة وهياكل الحكومية وحمامات ومسرح ومعابد وبيوت الخاصة يشهد على الرغبة الكامنة في

البقاء بهذه الارض التي تدر بالكثير من الخيرات التي ساهمت في هذا التطور\* (الجيلالي ع.- ر. 1982: 81) والتي يمكن ان نوجزها فيما يلي:

#### المعبد والمنصة:

تم بناء المعبد في الغرب من الساحة العامة فوق غرف متوسطة الارتفاع وهذا سنة 116م ولكنه لم يكتمل إلا بعد عام 117م اي بعد وفاة الإمبراطور تراجان وقد تم تخصيصه للإمبراطور والهة النصر فيكتوريا بارثيا التي ساعدته في انتصاراته على البارثيين، وهو معبد صغير جدا، مخططه مستطيل (7×504.)، ولم تكن هناك قاعة للعبادة مسبوقة بسلم، وهذا شيء ضروري في بناء المعابد الرومانية بل مسبوقة برواق ينتهي بجدار عمودي، وإمام الرواق أربع أعمدة ملساء ذات تيجان كرنثية وشرق الأعمدة والرواق نرى المنصة الخاصة بالخطباء الذين يتوجهون للمواطنين المجتمعين في الساحة .

#### معبد جيني للمستعمرة:

بني على الرصيف الشمالي لطريق لامبيز، حيث يمكننا الولوج إليه عبر ثلاثة أبواب ذات سلالم موضوعة على نفس الطريق، يحيط بالفناء رواق من ثلاث جهات وفي الطرف الشمالي للرواق الغربي غرفة صغيرة مستطيلة وينتهي أيضا الطرف الشمالي للرواق الشرقي غرفة صغيرة مستطيلة وفي جدارها الغربي باب ننفذ منه الى غرفتين مستطيلتين تحت الرواق مجموعة كبيرة من تماثيل الآلهة وفي الوسط أمام السلم المعبد أطلال المذبح المعبد عال يصعد إليه بسلم ذو ستة عشر درجة توصلنا إلى واجهة أربع أعمدة، أما الغرفة المخصصة لتمثال الإله، فهي قاعدة مستطيلة 7×508، وهو قياس مثالي للمعابد سنة 169م في عهد الإمبراطور ماركويل وكان مخصصا للعبادة السياسية وإذا كان اسم ووجه هذه غامضا فإنها مكلفة رسميا بحماية وصيانة مدينة تيمقاد الموضوعة تحت النفوذ الروماني. (تفليسية م. 44، 24: 1982

#### الساحة العامة :

مستطيلة الشكل طولها 50م، عرضها 43 (1981: مستطيلة الشكل طولها 50م، عرضها 43 (1981: وهو مرفوع بها رواق من جميع الجهات ما عاد الجزء الذي تشغله المنصة، وهو مرفوع عنها بمقدار درجتين وتحيط به أعمدة ذات تيجان كرنثية تحت الرواق الشمالي غرف متكتّ على دكاكين دوكمانوس مداخلها على نفس الرواق، شيدت كمكاتب لمصالح الإمبراطورية المختلفة أو للمحامين، إلا أن المكتب الأخير الذي يحتل الركنية الشمالية الشرقية، فهو متكئ على المراحيض الشعبية المتكونة

من غرفتين غير متساويتين أكبرهما تصل مساحتها الى 8×5،05، وفيها 25 مقعد والكراسي المعدة للأدب بعضها منفرد والبعض الآخر مزدوج ومن هذا المكتب نرى على اليسار ممرا ضيقا ،ينحدر من الرواق الشمالي الى طريق دوكمانوس من جهة أخرى، وعلى اليمين باب في الرواق الشرقي يؤدي إلى الطريق التى تفصل ما بين المحكمة الشعبية وبيت الحدائق.

### السوق الشرقي وسوق سيرتيوس:

الأسواق الرومانية أو في أي مكان ما عبارة عن فناءات مربعة أو مستطيلة تحيط بها دكاكين تتجه أبوابها إلى الرواق الذي يحيط بالفناء يبنون بناية دائرية تكون إما عين ماء أو حانوت لكن هذين السوقين في تميقاد خرجوا عن هذه القاعدة .

يعد السوق الشرقي من أجمل البناءات العامة في تيمقاد وقد بذلت مجهودات ضخمة لإنشائه في إطار هندسي منتظم ، عبارة عن مربع به مدخلين شمال وغرب مشكل من دكاكين موزعة على عرض السوق مقسمة إلى ستة دكاكين في كل جهة حسب المخطط الموضح أسفله (المخطط رقم 3)(15-13:1311) ، وهو يكون مع دكاكين الساحة العامة السابقة الذكر المركز التجاري الأول لمدينة تيمقاد، وظل يحافظ على هذه المكانة إلى أن بني سوق سيرتيوس والدكاكين المجاورة له غرب القوس في بداية القرن الثالث الميلادي، فالفلاحون يستطيعون في يوم محدد أن يأتوا لبيع محصولاتهم الفلاحية وشراء سلع أخرى من السوق والدكاكين القريبة منه، وبهذا الحي التجاري صار تموين تيمقاد مضمونا انظر (الصورةرقم 03)

أما السوق سيرتيوس فنلج إليه عبر الباب الشمالي الذي نجد على جانبيه ثلاثة دكاكين تفتح أبوابها للرواق الشمالي ونرى السوق عبارة عن فناء مستطيل يحيط به رواق ذو أعمدة وفي الوسط حوض ماء.

بني هذا السوق الممتاز المواطن الروماني سيرتيس وأهداه إلى البلدية لفائدة العامة من الشعب (تفليسية، م. 1982 :46).انظر (الصورة رقم4)

## المسرح الروماني بتيمقاد:

إن المسرح الروماني كالمسرح الإغريقي له اصل ديني قد بدأ لإكرام الإله الإغريقي باكوس واله العنب والخمر ديونيسوس، حيث كانت تقدم فيه الروايات ذات عجائب غريبة او مسرحيات قصيرة وقد كيفت لتناسب الخمسة ألاف متفرج.

تم بناء المسرح عام 168م، في عهد الإمبراطور ماركوس اوريليوس وهو من البناءات المهمة في هذه المدينة(3 UNESCO. 1981) وتدل الأعمدة والحجارة المنقوشة التي عثر عليها على انه من أروع ما أنجز، غير أن هذه الحجارة أصبحت صالحة لبناء القلاع والأسوار والكنائس في العهد البيزنطي.

نفد إلى هذا المسرح من المعبر الشمالي المسقف سابقا والذي يوصلنا إلى جوقة المسرح "الأوركسترا" وهو فناء صغير على شكل نصف دائرة. من حافة الاركسترا المقوسة تبدأ دكات المسرح أو المصاطب نصف الدائرة، تبدأ أولا ثلاث دكات عريضة كان الرومان يضعون فيها الأرائك ليجلس المسؤولون في المدينة ووراءها حاجز حجري يخترقه في الوسط سلم واحد يصعد الى نهاية المصاطب ومن هذا الحاجز تبدأ الدكات الخاصة بالشعب وهي اقل عرضا، وخمسة سلالم وكلها كانت متوجة برواق ذو أعمدة ومنه نرى عدة شرفات تتجه أبوابها للرواق. (تغليسة، م. 1982:31، 32) انظر (المخطط رقم50)

#### الحمامات بالمدينة:

في بداية القرن الرابع الميلادي بدأت المباني العامة تأخذ شكلا ومقاييس جديدة، فالحمامات الشمالية اتخذت مساحة 80×65م ورتبت أجزاءها كالعادة ،حيث يبدأ المدخل بوجود بعض الحجرات على الجانبين وهي تستخدم لتغيير الملابس يتبعها حجرة كبيرة للماء البارد وحولها من كل جانب صالة مستطيلة كانت تستخدم لممارسة الألعاب الرياضية وتسخين المجسم من خلال تمارين تمارس قبل الدخول إلى باقي أجزاء الحمام، حيث يؤدي إلى حجرة الماء الساخن التي يبقى بها قليلا ثم يعود إلى الغرفة الباردة وفيها ينتهى استحمامه ويخرج نشطا للسمر مع أصدقاءه.

يوجد بتيمقاد العديد من الحمامات حيث بلغ عددها أربعة عشر حماما موزعة على كافة أنحاء المدينة مما يؤكد أهمية هذه المدينة في العصور القديمة، إذ أن هذا العدد الكبير من الحمامات يوحي إلى العناية الكبيرة التي تبذل لإنشائها وحب سكان تيمقاد للرفعة والبذخ، كما أنها تجارة مربحة لما تدره من أموال طائلة لأصحابها آنذاك.

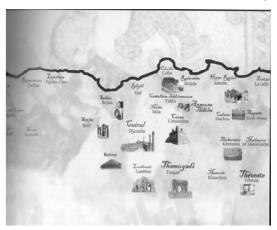
## المنازل:

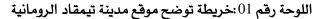
#### دار سیرتیوس:

هي بناية هامة تعطي صورة كاملة على ديار أغنياء تيمقاد في القرن الثالث الميلادي، حيث يطل المدخل الرئيسي على الطريق الكبير بالشرق من كاردو ويؤدى إلى دهليز مبلط بالحجر.

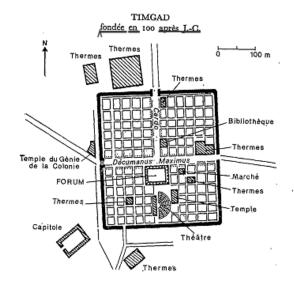
يحتوي المنزل على فناءين تحيط بهما مجموعة من ملاحق المبنى المختلفة كالغرف والحمام وغيرها ، فالفناء الأول ذو أعمدة وفي وسطه حوض مستطيل الشكل، احد القاعات المحيطة به ذات مساحة واسعة تعتبر قاعة استقبال تحمل أرضية فسيفسائية ويتصل الفناء الأول بالثاني برواق يمر بالجهة الجنوبية للقاعة الاستقبال وهو مستطيل الشكل يحتوي على حوض مبلط بالحجارة ذو حوض آخر تحته من القاعات التي تحيط به قاعة استقبال ثانية مبلطة بالحجارة ، خلفها حديقة واسعة تحتوي هذا المنزل على حمامات خاصة في زاويته الشمالية الشرقية. (طاهري، ح. 2005 - 2006) انظر (المخطط رقم 6)

بعد هذه الإطلالة الموجزة لأبرز المرافق التي لم نذكرها كلها، نخلص في نهاية هذا المقال إلى أن تيمقاد هي الصرح العظيم الذي يعطينا صورة عن الحياة اليومية والمستوى المعيشي للشعب النوميدي في ظل الحكم الروماني الذي وفر لنفسه كل المرافق الضرورية للعيش الرغيد في المستعمرة المجديدة بشمال إفريقيا، إلى جانب الأموال والخيرات التي تدرها هذه المرافق كالأسواق والحمامات وغيرها وهذا كله أملا في البقاء، كما أن هذه المرافق تبرز الثروات التي تدرها هذه البلاد من ماء ومواد أولية وغيرها مما يتبادر في أذهان الناظر إلى هذه المعالم الشامخة، لتبقى تيمقاد من المدن التي تميزت مرافقها بالتنوع والشمولية فهي مدينة سياسية وثقافية وتجارية في نفس الوقت.



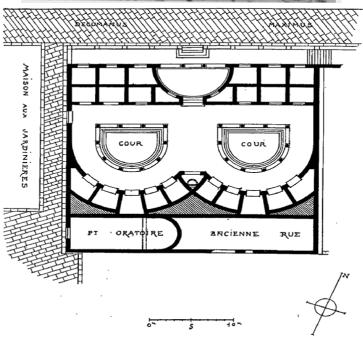




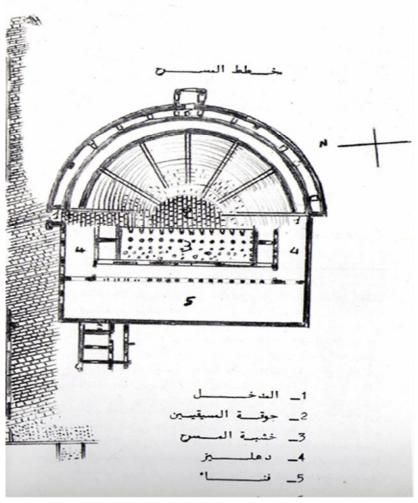


اللوحة والمخطط رقم 02: صورة جوية تبين مخطط تيمقاد



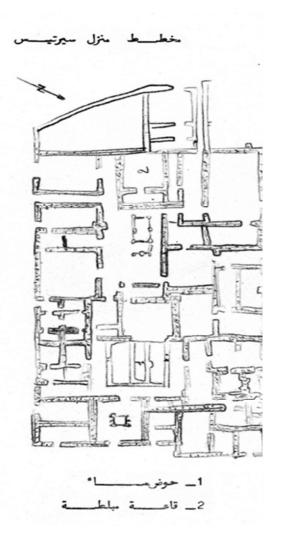


# Ballu(A) اللوحة و المخطط رقم03: السوق الشرقي بتيمقاد نقلا عن 03اللوحة رقم 03مسوق



اللوحة رقم 05:مخطط مسرح تيمقاد

اللوحة رقم 06:مخطط منزل سيرتيس بمدينة تيمقاد



#### هوامش إضافية

\*حيث عثر في تيمقاد وبالسوق العامة بالتحديد على لوحة للعب نقشت عليها هذه العبارة "vendri ,lavari ,ludererider,hocestuivere"، ومعناها "الصيد والاستحمام ، واللعب ، والضحك ، هذه هي الحياة "

#### ببليوغرافيا

- حامد قادوس، ز. (2004). اثار العالم الوطن العربي في العصرين اليوناني والروماني القسم الافريقي، الاسكندرية: دار البستاني.
- الجيلالي، ع. (1982). تاريخ الجزائر العام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- حاجي ياسين، ر. (2008- 2008). البازيليكات المسيحية في مقاطعة نوميديا دراسة اثرية تنميطية، اطروحة الدكتوراه غير منشورة، الاثار القديمة ،معهد الاثار ، جامعة الجزائر، الجزائر.
- طواهري، ح. (2006، 2005). منازل ذات الفناءين بأقليم نوميديا ،دراسة لمنازل تيمقاد ،جميلة ،عنونة وخميسة، رسالة الماجستير غير منشورة، الاثار القديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر، الجزائر.
- تغليسية، م. (1982). دليل اثار ومتحف تيمقاد، الجزائر: مديرية الأثار والمتاحف والمبانى والمناظر التاريخية.
- -Ballu, A. (1911). Les ruines de Timgad, Paris: Neurdein.
- -Ballu, A. (1894). Monuments antiques de l'Algérie: Tébessa, Lambèse, Timgad, conférence faite au Palais de Trocadéro, le 11 décembre 1893, Paris: Berthaud frères.
- -Gsell, S. )1901(. Les monuments antiques de l'Algérie, Paris: Albert Fontemoing.
- -Bouchareb, A. (2009). « Timgad : Renouveau urbain, nouvelle urbanité (À partir du IIe s.)», Réflexion(s), (http://reflexions.univ-perp.fr/).
- -UNESCO. (1981). Nomination to the world heritage listed mitted by Algeria «Timgad », French (http://whc.unesco.org/fr/list/194).
- Sorel, D. (1973). «La pénétration romaine en Afrique du Nord dans l'Antiquité. Un exemple : Timgad jusqu'à la mort de Empereur Trajan», Les échanges Méditerranéens, 4, p. 35-39.

## دراسة مقارنة للمسرح الروماني في الجزائر القديمة – مسرحي قالم وخميسة أنموذجا -

أ. جازية الفيلاليجامعة بشار

احتلّ الرومان بلاد المغرب القديم بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة لعدّة قرون، لازالت بصماته جلية وواضحة إلى يومنا هذا تبرز لنا مدى التأثّر والتأثير بين كلاً من الرومان وسكان المنطقة المحليّين، خاصّة في الحياة الإجتماعية والعمارة والفنون، فقد كان هناك إتصال دائم ووثيق يعبّر عن مدى إقبال وتواصل السكان المحليّين مع الرومانيين بحيث نلمس ذلك في المعالم الأثرية الواقعة بالمدن الرومانية الجزائرية القديمة التّي تستوْفي فيها شروط مخطط المدينة الرومانية، من شوارع، البازيليكا، الفوروم، المعبد، والمسرح الذّي كان يعتبر بدوره أحد معالم الترفيه والتسلية تحكى الحياة الإجتماعية لسكان المنطقة، والمجسدة في شكل الدراما ومشاهد مسرحية، فقد كانت عمارته تبرز لنا مدى ضخامة العمارة الرومانية فنيّا ومعماريًا، ومن بين هذه المسارح الرومانية: مسرح مداوروش، مسرح قالمة، مسرح تيمقاد، مسرح جميلة، ومسرح خميسة، وعلى هذا الأساس سيتم دراسة عمارة المسرح الروماني من خلال نموذجين موجودين بالجزائر القديمة هما المسرحين الرومانيين قالمة وخميسة، لذا استوجب أن يكون الاشكال على النحو التالي: كيف كان المخطط المعماري للمسرح الروماني بالجزائر؟ وما مدى اختلاف العمارة في مختلف المسارح المتواجدة بها من خلال الاعتماد على المسرحين خميسة وقالمة كدراسة حالة ؟

## 1-الخصائص المعمارية للمسرح الروماني:

قبل الحديث عن العناصر المعمارية لمسرح الروماني وجب التعريج في بادئ الأمر إلى لمحة تاريخية موجزة عن تطور عمارة المسرح ، فقد كانت في البداية تقام في ساحات عمومية ثم أصبحت عبارة عن بنايات مؤقّتة من الخشب، ليساهم فيما بعد "الفوروم" كجانبا هامًا في ذلك من خلال تقديم

مساحة خاصة للعرض، والسيرك، وبجانب المعبد، ليتحوّل المسرح إلى مكان للترفيه والتسليّة حيث ظهرت معالمه بظهور "الفيليوم" وهو حائط الخشبة ذُو الديكور البارز مغطّاة بالستائر، ويرجّح أن أقدم مكان للعرض هو المسرح "ديونيزوس" وهو عبارة عن ساحة دائرية تسمّى "الأركسترا" تقع على المنحدر الجنوبي للأكربول بمحاذاة معبد يتخّذ المتفرّجون المنحدر كمقاعد لمتابعة العروض، بعدها تجسدت فكرة بناء أول مسرح من مادّة الحجر وهو مسرح بومبي ذلك سنة 55ق.م، الذي احتوى على حوالي 30.000 مقعدا ( Delord, L. <a href="http://www.ac-grenoble.fr">http://www.ac-grenoble.fr</a> ويليه سنة 13 ق.م بناء مسرحين في نفس المنطقة من طرف الامبراطور كورنيليوس باليوس (طامر، مربي).

لقد اعتمد في تخطيط المسرح الروماني على حسب ماذكره "فيتروف"واصفاً إيّاه في كتابه أنه: "... يجب وضع دائرة أين هو المحيط يكون بحجم أسفل المسرح، وفي هذا الأخير ترسم أربع مثلثات متساوية الأضلاع وتوضع بفواصل متوازنة بحيث تلامس قمم حدودهما لهذا المحيط... وبنفس الطريقة التي يتعامل بها المنجمون حينما يرسم اثنا عشر علامة وفق العلاقة القائمة بين النجوم والموسيقى"، "يرسم المثلث الذي يقابل ضلعه خشبة الواجهة في الموقع الذي يقطع الدائرة يأتي خط آخر موازي له، حيث يمر من الوسط ليحدد مكان الحائط الذي يفصل خشبة المسرح عن الأركسترا، ومن ثم تصبح الخشبة أكثر عرضا من الخشبة اليونانية... وكل ما يحدث أمامنا يجري على الخشبة، أمّا الاركسترا فهي مخصصة للسيناتورات، ولا يجب أن يتجاوز إرتفاع الخشبة أكثر من ثلاثة أقدام حتّى يتمكّن الجالسون بالأركسترا من مشاهدة ما يفعله المثلين." (Vitruve. V. : 1.

لقد حرص "فيتروف" على تحديد أهّم المعالم والخصّائص الأساسية للمسرح الروماني، وتحديد مساحة كل عنصر على حدى وشروط بنائه، وتوضيح الإختلاف الحاصل بينه وبين المسرح اليوناني والتّأكيد على إعطاء الحجم الكبير للخشبة، وتخصيص مساحة "الأركسترا" لاستيعاب فئة مميّزة هي السيناتورات، إضافة إلى ذكر العناصر الثانوية كالسلاّلم وطريقة بنائها، والمدرجات ، و"سيما كافيا" (Cavea)، إضافة إلى تواجد عدّة منافذ وأبواب تسمح بخروج المتفرّج تُدعى "فوميتوري Vomitoriae".

# 2). لمحة تاريخية موجزة عن المسرحين الرومانيين "قالمة" و"خميسة": 1.2). مسرح قالمة:

يقع المسرح الروماني شمال- غرب مدينة كالما، وقد تمّ بنائه في النّصف التّاني من القرن التّاني ميلادي أو من القرن التّالث ميلادي من قبل إمرأة اسمها "أنيا إيليا ريستيتوتا" (Pierre, S. 1987: 67)، على حسب ما ورد في النقيشة اللاّتينية التّي وُجدت بالمنطقة، وهي كاهنة رسميّة للإمبراطور "فلامنكا أوغستا"، انفقت عليه حوالي 400.000 سيتروس، وقد تمّ تشيّيد لها خمسة تماثيل من قبل المجلس البلدي كاعتراف بالجميل لها .Gsell, S.

لقد أحدثت به عدة عمليات ترميم أولاها كانت مابين (1902- 1916) من قبل المهندس المعماري جولي الذي قام بإعادة تصوّر عناصره المعمارية بالاعتماد على العناصر المعمارية الموجودة بكلا من مسرح خميسة، وماداوروش بسوق أهراس، وقد عرف انتقادات عدّة إلاّ آنّه تمّ إعادة دمجه في الحياة اليومية كمعلما أثريًا ومتحفا محليًا يشهد على فترة تاريخية مهمة بالجزائر بصفة عامّة وقالمة بصفة خاصّة، وقد تمّ تصنيفه ضمن التراث الوطنى سنة 1900م.

### 2.2). مسرح خميسة:

تقع خميسة على بعد 32 كم جنوب غرب سوق أهراس، وعلى بعد 14 كم شمال شرق سدراتة قرب جبل راس العالية يرتفع شمال غرب خميسة على بعد 6 كم، حيث تنبثق ينابيع مياه المجردة، واد غانم، واد كرب، كانت تعرف قديما باسم "تبرسيكوم نوميداروم"، فقد رفعت الى مرتبة بلدية في عهد تريانوس، وكانت تنتمي الى قبيلة بابيريا، فالنقيشات تشهد على ذلك ، ثمّ أخذت كمستعمرة حوالى سنة 270م.

قد أقيمت حفريات في عدة سنوات وذلك عام 1877م، ومابين(1903م إلى غاية 1905م) كشفت عن العديد من المعالم الاثرية من بينها: منازل رومانية، بازيليكا، صهاريج، فوروم، طرق، مقابر، معابد، لمسرح الروماني (طواهري، ح. 2006: 27، 28).

3).الدراسة المعمارية للمسرحين الرومانيين "قالمة" و"خميسة":
 5.1) الدراسة المعمارية للمسرح الروماني قالمة:

يأخذ شكل المسرح الروماني النصف الدائري ذا محور 58,05 (بوعزة، ل.2011: 106)، يحتوي على مختلف الخصّائص المعمارية للمسرح بصفة عامة والمتمثلة فيما يلى:

- 1.1) الواجهة الأمامية (Postscaenium): وهو عبارة عن الجدار الخلفي للمنصة، ذات الشكل المجوّف، به باب مدخل مستطيل الشّكل يعلوه عقد مقوّس، وسلّم داخلي مبني من الحجارة الضخمة، يتوسيّط جانبين بارزين يحويان كل منهما على عمودين دائريين بهما تاج كورنثي يعلوهما الأرشيتراف وكورنيش، وبالقرب منهما تجويفين غائرين مخصيّصين لوضع التماثيل، كما هناك قاعتين مستطيلتي الشيّكل مخصيّصة لتغيير ملابس المثلين وعارضي المسرحيات تتوسطهما المنصة الخشبية.
- أ.2) المنصنة الخشبية (Pulpitum- Proscenium): تمثّل أبعادها بحوالي 37م طولا، و15,7م عمقا، كان يُشرف في عمقها على جدار ذو ثلاث دعامات مجوّفة، الوسطى فيها تجويف مربّع الشكل، والجانبين تجويفين منحني، وقد اعتمد قرال في مخططه على رافوازي الذي يرى بأنه لم يبق منها إلا الوسطى واليمنى فقط 89(:1991.)

كما يوجد بجانب المنصّة الخشبية فتحات مربّعة وأخرى نصف دائرية ذات الشّكل المجوّف (une niche)، وممّر له مدخلين رئيسيين (vomitorium principal) على شكل قبو يعلو أحدهم جدار ذات مدخل مقوّس، وهما مخصصيّن لدخول القياصرة وأعيان وموظفي المدينة.

- 1.5) الأوركسترا (Orchestra): وهي عبارة عن ساحة نصف دائرية تسمّى المنقلة ذات زاوية 90°، يحدّد موقعها مابين المنصّة الخشبية والمدرجّات، تتحّد وظيفتها مع سور المنصّة والفتحات المجوّفة لإعطاء صدى الصوت قويّ الخّاص بالعارضين وممثلي المسرحيات.
- 1.4) المدرجات (Cavea): كانت المدرجات مخصّصة للمتفرجين على حسب الطبقات الاجتماعية منها العلوية للطبقة العادية، والسفلية للطبقة الراقية، كما انّ يأتي اتجاه هذه المدرجات نحو الناحية الشمالية والشمالية الغربية، أي تأخذ نفس إتجاه المنحدر الذي وُجدت عليه، ممّا سهّل للبنائين

من استغلال انحدار السفح في بناء المدرج، فقد كانت هذه المدرجات في بادئ الأمر قد اندثرت معظمها بفعل العوامل الطبيعية والبشرية، ولكن أثناء عمليات الترميم تم إعادة تجديدها من قبل المهندس المعماري جولي سنة 1902م، والسلطات المحلية سنة 2001م، كما أنه يفصلها ممرات تسمح بمرور المتفرجين (عند الهبوط والصعود)، وربما كان عددها عشر درجات للسفلية، واثنا عشر درجة بالعلوي، وقد أشار ديلامار Delamare في مخططه للمسرح في أعوام الاربعينيات من القرن التاسع عشر أن مدرجات المسرح تتكون من ستة أجنحة بينها اربع أدراج في القسم العلوي, (Berbrugger, عفصل بين المسمين(العلوي والسفلي)، ويوجد ممر على طول المدرج يفصل بين القسمين(العلوي والسفلي)، ويوجد ممرين آخرين يعتمدان على سقف مقوس، يُفضي إلى الممر الأيسر الموجود في الجهة الشرقية بواسطة دهليز مربع الشكل، وكما هو معروف أنّ المريْن ينفتحان على العتبة الفاصلة مربع القسمين (العلوي والسفلي) لتكون مداخل للمتفرجين، وهما يتواصلان ببرج ينزل حتّى المنصة، وقد أشار رافوازي Ravoisié على أنها كانت مبلطة بالرخام،(Salama, P. 1987: 97)

كما يوجد في نهاية القسم العلوي للمدرجات صفّ مقوّس يحوي على حوالي عشرين عمود دائري الشكل، وخلف هذا الصّف يوجد مدرجات وسور حامي يدور حول المسرح بأكمله به فتحات عبارة عن أبواب ذات عقد نصف دائري، وقد افترض رافوازي Ravoisié أنّه يوجد رواق معمّد يدور مع جدار المسرح في الأعلى من الداخل على حافّة المنصّة، وكان يوجد به حاجز فاصل صغير يعد بمثابة درابزين مزيّن بمشكاواة ذات أشكال مستطيلة ومنحنية متواضعة بشكل متناوب (فون مالتسان، م. 1979: 250، 251).

نشير أيضا الى وجود عدّة مداخل، كانت منها أربعة قد فتحت في الجدار الخارجي للمسرح في محور التقويس في أعلى الدرج، بحيث تتواجد قاعة لم يبق منها إلا الارصفة ذات ارضية رخامية، ينتهي عمقها في انحناءة مقوّسة، يعتقد بأنه كانت تحتوى على تمثال لمعبود مقدّس أو إمبراطور.

## أ.2)مسرح خميسة:

يقع "المسرح الروماني خميسة" بالجهة التحتانية من الناحية الشمالية لمدينة خميسة القديمة (Thubursicum)، عرف فيها العديد من الحفريات في

الأعوام السَّالفة، من أهمّها تلك الحفرية التي تمّت سنة 1900م. Gsell, S.) (189) له خصوصياته المعمارية ليحمل طيّاته مخطط المسرح الروماني فهو كذلك شكله نصف دائري، يحتوي على واجهة أمامية مندثرة معالمها تقريبا، لكن أثناء الاطلالة عليها فإنّها تدلّ على أنّ الواجهة كانت مزيّنة المظهر تحمّل طياتها باب مدخل بجانبيه بروز ضخم يحتوي على أعمدة وفتحات مجوّفة (des niches) كانت توضع بها تماثيل، إضافة الى منصة خشبية لكن بفعل العوامل الطبيعية اندثرت بقى منها فقط عشر دعامات تشهد على طريقة تركيب المنصّة الخشبية، وبقربها فتحات مربعة وأخرى نصف دائرية، وبجانبي هذه المنصّة يوجد ممرا هي عبارة عن مداخل مغطاة بسقف على شكل قبو أمّا الأوركسترا فهي نصف دائرية على شكل المنقلة موقعها يربط بين المدرجات والمنصة الخشبية، ومدرجات التي منها يستطيع المتفرّج الاطلاع على مختلف المسرحيات الدرامية، والتّى تتكوّن من عشرون درجة يفصل بين خمسة عشر وخمسة اخرى ممرا يسمح بمرور وعبور المتفرجين، ليأتي السور هدفه حماية للمدرجات التي بنيت على منحدر، وأيضا يساعد على مدّ صدى أصوات الممثلين للمسرحيات. (Gsell, S. 1901: 1, 190)

## 4). دراسة مقارنة للمسرحين:

يتم عرض اوجه الشبه والاختلاف لدى المسرحين الرومانيين قالمة وخميسة من خلال أهم العناصر المعمارية الرومانية والتخطيط المعماري الذي يولج الأولوية تحدي اشكالية تطابق المسرحين في جميع الخصائص المعمارية، ونلمس ذلك في كل من المنصة الخشبية والمدرجات، والمداخل الرئيسية إضافة إلى أوركسترا والواجهة الخلفية للمنصة الخشبية، في مسرح خميسة يبلغ طول وتر بالنسبة للمركز ب 2.20م، والمركز بالنسبة للجدار الاساسي 40,5م، امّا عن عرض الشريط المستطيل فيترواح ب 2.65م، وفتحة الأوركسترا 17.80م، امّا عن عرض الشريط المستطيل فيترواح ب أمّا عن عملية التبليط فإن أرضية مسرح خميسة مبلّطة بتبليط مركب بتزيينات هندسية، امّا مسرح قالمة فلا يقدّم لنا أي اثر عن تبليط الأوركسترا، فيمكن الاشارة انها قد تآكلت بفعل العوامل الطبيعية والتأثير البشري، كما يتم الاشارة ايضا الى المداخل الجانبية ففي مسرح خميسة نجدها ترتكز على مدخل يمدّ نحو الخارج مباشرة والآخر نحو المرافق لضرورة مورفولوجية وبناية جدار يمدّ نمو الغيرة، أمّا في مسرح قالمة فتوجد خاصية مميّزة متمثلة في أنّ المدخلين للمدّ أمّا في مسرح قالمة فتوجد خاصية مميّزة متمثلة في أنّ المدخلين المدّ أمّا في مسرح قالمة فتوجد خاصية مميّزة متمثلة في أنّ المدخلين المدّ أمّا في مسرح قالمة فتوجد خاصية مميّزة متمثلة في أنّ المدخلين فويّة، أمّا في مسرح قالمة فتوجد خاصية مميّزة متمثلة في أنّ المدخلين

الجانبيين يمدّان نحو الداخل في مستوى الرواق الفاصل بين المدرجات السفلي والوسطى، وقد رممٌ هذا المعلم من قبل المهندس المعماري جولي الذي اعتمد في اعادة تصوره بتوجيهات قزال، أيضا اختيار الهضبة لبناء المسرحين في اتجاه واحد وهو الشمال الغربي يعتمد أساسه في توفير مواد البناء، وقد جاء بناء الخشبة بمسرح خميسة قائم على مجموعة دعامات موضوعة بطريقة قائمة تربط بين الجدار الأمامي والخلفي للخشبة، وبقي الخندق يحافظ على عشرة منها وكانت وظيفتها حمل لوح الخشبية، أما مسرح قالمة فقد اعيد ترميمه بمادة الخشب، أما فيما يخص الجدار الامامي للخشبة ففي حقيقة الامر تكمن وظيفة هذا الجدار في تحسين النظر والعمل على المساعدة في ارتداد الصوت، وكذلك دور تزيّني من خلال الكوات ففي مسرح خميسة يمتد الجدار الأمامي للخشبة 18.20م إلى حدّى المدخلين الجانبيين، وزيّن منه الجزء المقابل لفتحة الأوركسترا بسبع كوات أما بالنسبة للجدار الأمامي لخشة مسرح قالمة فإنه تمّ ترميمه وإعادة تركيب كوات منها مربعة الشكل والأخرى نصف دائرية، إضافة إلى تقنية البناء ففي مسرح خميسة اعتمدت على الحجارة الكبيرة المنحوتة، وفي مسرح قالمة لم يتم العثور على تقنية تحدّد مواد بناء الهيكل كما يحتوى كل من المسرحين على المرافق الجانبية للخشبة والمتمثلة في عدّة قاعات مخصصة لأغراض مختلفة أهمها قاعة تبديل الملابس للممثلين، نجد حدود المرافق تفوق قطر مبنى المدرجات عكس مسرح قالمة الذي نجد حدود مرافقه أقل من قطر مبنى المدرجات.

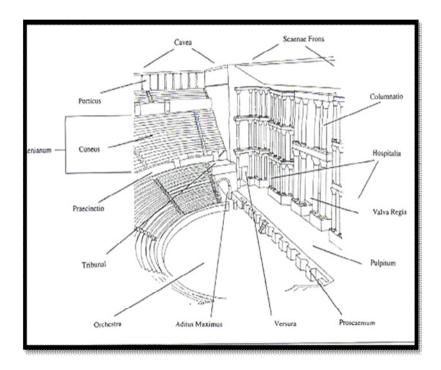
إذ يمكن القول أنّ الاختلاف الطارئ على المسرحين يكون فقط في المقاييس الخاصّة بالمدرجات والواجهات، إضافة إلى تحديد موقعهما بالنسبة للنسيج العمراني الروماني أمّا من حيث الأقسام المعمارية نلاحظ توافق في المخطط المعماري.

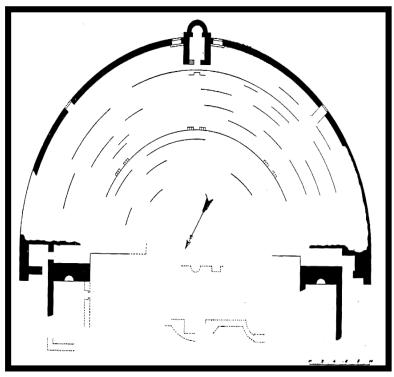
صفوة القول، أنّ المسرح الروماني بصفة عامة ترك بصمة واضحة في مدى التأثير على الحياة الاجتماعية لسكان المنطقة في ظل الاحتلال الروماني كما أبرز مدى عظمة العمارة الرومانية بغض النظر أن الرومان لم يكن هدفهم اثناء احتلال منطقة شمال افريقيا التعمير بقدر استغلال ثرواتها الطبيعية، إلا انها ساهمت في إبراز اهمية الجزائر من ناحية تضاريسها الطبيعية وموقعها الإستراتيجي لذا يمكن القول ان المسرح الروماني في كلا من قالمة وسوق اهراس شغلا وظيفة واحدة وهندسة معمارية واحدة.

#### ببليوغرافيا:

- بوعزة، ليلى.(2011). المعالم الأثرية التراثية في ولاية قالمة تشخيص الواقع واقتراح الحلول، مذكرة غير منشورة لنيل رسالة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتورى، قسنطينة.
- طامر، أنوال. بناية المسرح الروماني بالجزائر، قسم الفنون الدرامية، كلية الآداب والترجمة والفنون، جامعة وهران.
- طواهرية، حكيمة. (2006). منازل ذات الفناءين بإقليم نوميديا (دراسة لمنازل تيمقاد، جميلة، عنونة وخميسة)، رسالة جامعية غير منشورة لنيل شهادة ماجستير، تخصص آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر.
- فون مالتسان، هانريش. (1979). ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة أبوالعيد دودو، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- رياش، شريف. (2009). مسرحا تيمقاد وجميلة (دراسة وصفية تحليلية)، مذكرة غير منشورة لنيل شهاد ماجستير في الاثار القديمة، معهد علم الاثار، حامعة الحزائر.
- -Berbrugger, A. (1864). «Chronique Archéologique », Revue Africaine, 8, p. 387-400.
- -Bouchenaki, M. (1978). Cité Antique de l'Algérie, Alger: Ministère de l'Information et de la culture
- -Delord, R. Le Théâtre à Rome, fiche civilisation : <u>http://www.ac-grenoble.fr</u>.
- -Gsell, S. )1901(. Les monuments antiques de l'Algérie, Paris: Albert Fontemoing.
- -Gsell S. (1997). Atlas Archéologique de l'Algérie, 2<sup>ème</sup> éd., Alger: Agence Nationale d'Archéologie et de Protection des Sites et Monuments Historiques.
- -Salama, P. (1987), Bornes Militaires d'Afrique Proconsulaire, un panorama historique du Bas Empire romain, Tunis: Institut National d'Archéologie.
- -Vitruve.De l'architecture, livre (V) http://remacle.org/bloodwolf/erudits/Vitruve/livre5.htm

الصورة رقم 10: مخطط يوضّح أهم العناصر المعمارية للمسرح الروماني Gros, P. II, 273.





الصورة رقم02: مخطط عام عن المسرح الروماني بقالمة Gsell, S. I, 195.

# تطور التجمعات السكانية في مناطق سهل الشلف وضواحيه في الفترة المتدة من القرن الأول ميلادي إلى القرن الثالث ميلادي

أ. محمد فوكة
 جامعة حسيبة بن بوعلى بالشلف

اجمع الباحثون في تاريخ بلاد المغرب القديم على أن التجمعات السكانية في المنطقة قديمة قدم الانسان الذي استقر بها، ولعل الشواهد الاثرية المادية التى لا تزال إلى اليوم لدليل قاطع على ذلك.

وهذا ما نجده في منطقة دراستنا (سهل الشلف)، أين اكتسفت مخلفات لتجمعات بشرية تعود لفترة ما قبل التاريخ في كل من تنس، سيدي عكاشة وواد سلي في سهل الشلف، وأخرى للفترة القديمة اقيمت من طرف البحارة الفينيقيين على السواحل مثل كارتينا (تنس حاليا)، الداموس وبني حواء كمراكز تجارية تحولت مع مرور الزمن إلى مدن كبرى.

وشواهد معمارية تدل على الممالك الوطنية مثل الضريح الملكي الموريطاني في الشمال واضرحة لجدار بتيارت في الجنوب وهذا ما ادراجناه في دراستنا تحت مسمى ضواحى سهل الشلف.

أما التجمعات السكانية المعروفة في سهل الشلف فقد ظهرت بعد الاحتلال الروماني للمنطقة بداية من مطلع القرن الأول الميلادي (سنة 40 ميلادية) ،حيث أمتد الاستيطان ليشمل كامل أراضي السهل مركزا على المناطق السهلية والأراضي الخصبة والمجاري المائية، وهذا ما تؤكده الكتابات التاريخية والشواهد الأثرية، ويعد سهل الشلف جزءا من موريطانيا القيصرية (Heurgon, J.1958:13). ومن مظاهر سيطرت الرومان على السهل العدد الكبير من المدن التي ترجع لتلك الفترة والمنتشرة في على محور وادي الشلف بين جندل شرقا وغليزان غربا، والتي لم تتل اهتماما كبيرا من طرف الباحثين الجزائريين عكس الباحثين الفرنسيين في الفترة الاستعمارية الفرنسية الذين درسوا الشواهد الاثرية المادية الثابتة والمنقولة في المنطقة واثروا بها مكتباتهم وكونوا بها رصيدا ببليوغرافيا معتبرا بدليل

الاعتماد الكلي على هذا الرصيد من طرف الباحثين المعاصرين في دراساتهم للمنطقة.

ان الحديث عن التجمعات السكانية في سهل الشلف يقودنا لتحديد موقع هذه الرقعة الجغرافية في السياسة المتبعة من طرف الادراة الرومانية في بلاد المغرب.

ولتسليط الضوء على مكانة سهل الشلف بالنسبة للامبراطورية الرومانية تعرضنا للنقاط التالية:-

- أولا:- أسباب الوجود الروماني في سهل الشلف.
- ثانيا: أسباب وعوامل ظهور التجمعات السكانية.
- ثالثا:- التجمعات السكانية في سهل الشلف وتطورها.
  - رابعا:- مصير التجمعات السكانية.

نظرا لشساعة مساحة سهل الشلف المكون من ثلاثة مناطق كبري هي: سهل الشلف الاعلى، سهل الشلف الاوسط وسهل الشلف الادنى، ركزنا في دراسة تطور التجمعات السكانية على منطقة وسط السهل الذي تضم اليوم جزءا من ولاية عين الدفلى، ولاية الشلف وولاية غليزان.

أسباب الوجود الروماني في سهل الشلف: لايمكن الحديث عن التجمعات السكانية في سهل الشلف دون معرفة أسباب الوجود أو الاحتلال الروماني في المنطقة والتي يمكن حصرها في نقطتين رئيسيتين هما:

## <u>أ-</u> <u>عسكرية</u>: تتمثل في:

- حماية حدود عاصمة مقاطعة موريطانية القيصرية IOL (شرشال)، والحفاظ على مصالح الإدارة الرومانية وكينونتها الاستعمارية.
- مواجهة القبائل المحلية التي كانت تمثل تهديدا حقيقيا للوجود الروماني في المنطقة بسبب رفضها للاستعمار الروماني.
- حماية الممتكات المتمثلة في الأراضي التي اغتصبتها الإدارة الرومانية من سكان البلاد وتوطين العناصر الرومانية واللاتينية المتدفقة على المستعمرة الجديدة.
- الموقع الجغرافي المميز للسهل المتصل بالبحر الابيض المتوسط شمالا والذى يعتبر مفتاح المناطق الداخلية الواقعة جنوب العاصمة شرشال،

لذا اختارته الادارة العسكرية الرومانية لإنزال قواتها العسكرية، والتي يمكن أن تتنقل نحو الغرب أي نحو مدينة Magnus ونحو مدينة Lombadia "المدية" عبر مليانة، ومن مدينة كارتيناي "تنس" نحو جبال الونشريس جنوبا وغليزان غربا، وبالتالي السيطرة على كامل السهل والتحكم في كل التخوم(Benseddik, N. 1979: 151)

#### <u>ب-</u> <u>اقتصادیة</u>: تتمثل فے:

- الأراضي الزراعية، فكما هو معروف فإن سهل الشلف يعد من أخصب الأراضي في شمال إفريقيا على مر العصور كما أن منتجاته من أجود المنتجات، هذا ما شجع الرومان على احتلاله واستغلاله من خلال خلق ملكيات جديدة لتصريف فائض السكان في روما وتوفير الموارد الغذائية للجيش الروماني في شمال إفريقيا وتوفير القمح للعاصمة روما (حارش، مهد. 1992: 204) التي كانت تعاني نقصا فادحا في هذه المادة، وعرف سهل الشلف في هذه المفترة بخزان روما من الحبوب.إضافة إلى الاستفادة من المجاري المائية سواء في التحصين أو النشاط الفلاحي.
- أسباب وعوامل ظهور التجمعات السكانية: يرجع ظهور التجمعات السكانية: يرجع ظهور التجمعات السكانية في سهل الشلف (موضوع الدراسة) بالدرجة الأولى إلى السياسة العسكرية المطبقة من طرف الأدارة الرومانية في المنطقة، والمتمثلة أساسا فيما يعرف بمنظومة خط الليمس الذي يمثل الحدود الجنوبية للإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا، وهو الخط الفاصل بين أراضي الاحتلال الروماني في شمال أفريقيا وأراضي الشعوب المعادية لها في الجنوب، (جوليان، ش-أ 1983: 184) وقد شيد هذا الخط على مراحل بين القرنين الأول والثالث وكان اتجاهه في البداية شرق غرب ثم شمال جنوب بعد أن تم للرومان السيطرة الكاملة على أراضى أفريقيا الشمالية.

ويتكون الليمس من ثلاثة خطوط رئيسية أضيفت إلى بعضها تدريجيا، الخط الأول: الخندق Fossatum الذي تتخلله أبراج وحصون ومراكز مراقبة، الخط الثاني مكون من أبراج وقلاع محصنة منعزلة، والخط الثالث عبارة عن شبكة من الطرقات الإستراتيجية (جوليان، ش.-أ. 1983: 184) تعمل على تسهيل حركة الفيالق العسكرية لإحكام السيطرة

على المنطقة، واعتمد الرومان في اختيار أماكن وضع استحكماتهم على التضاريس والمجارى المائية.

ومر هذا الخط بمرحلتين تاريخيتين هامتين أثرتا بشكل كبير في سهل الشلف، المرحلة الأولى كانت في القرن الأول ميلادي عندما أمر الإمبراطور تراجان بتطبيقه في إفريقيا للحد من خطر القبائل المحلية، ويمر في وسط سهل الشلف بداية من مدينة البرواقية شرقا إلى المحمدية غربا Castra Nova مسايرا لمجرى وادي الشلف، ومن مظاهره ظهور العديد من المعسكرات في المنطقة منها الشلف Tangitanum مليانة، Zucchabar عين الدفلى، كوريطانيا القيصرية الجنوبية.

المرحلة الثانية جاءت تماشيا مع سياسة الإدارة الرومانية المتمثلة في إعمار الأرض من خلال توطين المستوطنين القادمين من روما بفعل تزايد قوتها في المنطقة مقابل تراجع قوة القبائل المورية، وتبدأ من القرن الثالث ميلادي عندما أمر الإمبراطور سبتيم سيفار بتوسيع الحدود جنوبا حتى جبال الونشريس في منطقة سهل الشلف التي أصبحت تعرف بجبال الليمس، وعليه انتقل الليمس من وسط سهل الشلف إلى ما وراء جبال الونشريس، وأصبح الخط يمتد من بوغار شرقا ثم ثنية الأحد ثم تيارت ثم فرندة غربا (حارش م.-ه. 1982: 188).

ومن نتائج هذا الانتقال تحول أغلب المعسكرات التي كانت تمثل خط الدفاع الأول أو خط الليمس في القرن الأول إلى تجمعات سكانية ثم إلى مدن كبرى منها كاستيوم تنجيتانوم ومينا اللتان أصبحتا من أهم المدن في المنطقة.

ولعل الهدف الرئيسي من هذا التغير العسكري يتمثل في بسط السيطرة الكاملة على سهل الشلف ومطاردة القبائل المورية وعزلها بعيدا عن السهل، ودفعها إلى مناطق سهل السرسو، ومراقبة تحركاتها بفضل النقاط العسكرية ومراكز المراقبة منها كولمناطة في منطقة الونشريس.

• التجمعات السكانية في سهل الشلف وتطورها: وقد تناولناها حسب موقعها من الشرق إلى الغرب، كما أشرنا إلى ظروف ظهورها ثم

تحول طبيعتها وتطورها ثم رتبتها الادارية، مستعينين بالادلة التاريخية والشواهد الاثرية.

4- Aquae Callidae 1 حمام ريغا: هي مدينة جبلية تقع وراء مدينة مليانة وتشرف بذلك على سلاسل مرتفعات زكار الشرقية حتى مدينة S.1997: f. 12, n°3) (Gsell, بومدفع، وجاء ذكرها في بيان رحلة أنطوان ,Caesarea المدينة المدية المدينة المدينة المدينة المدينة المدينة وويصرية Caesarea (شرشال).

كما ذكرت هذه المدينة على قائمة أسقفيات موريطانيا القيصرية يا المجمع الأسقفي المنعقد 484 بقرطاجة باسم Episcopus Aqueusis : 484 بقرطاجة باسم (Gsell, S. f. 12, n° 3).

وبعد الحفريات التي أجريت في المنطقة تم تحديد موقع المدينة القديمة في الجهة الجنوبية للحمام المعدني الرئيسي، حيث تم العثور على بقايا السور المحيط بالمدينة، وأسس مبنى الكنسية وكتابات على شرف الإمبراطور قورديان Berbrugger, A. 1864: 34) Gordien III) الذي حكم الإمبراطورية بين 238- 244م، والذي ربما قد يكون زار المدينة أو ارتقت في عهده إلى مرتبة أعلى.

كما تم اكتشاف المقبرة الرومانية في الجهة الشرقية للمدينة وبها عدة كتابات جنائزية، والعديد من التوابيت الحجرية تحمل كتابات وإشارات مسيحية 474)473-: Berbrugger, A. 1864-: فيمة وميداليات وبعض أنواع الجرار والأواني المنزلية.

كما وجد تمثال نصفي لبطليموس، والذي يعتقد أنه نقل من قيصرية إلى هذه المدينة إذا علمنا إن هناك طريقا رومانيا هاما قديم يربط المدينتين حددت مسافتها في بيان رحلة أنطوان (Gsell, S. 1997: f. 12, n°3) بـ 25 ميلا وهي صحيحة لأنها هي نفس المسافة الموجودة حاليا.

3- 2 **روكابار** - **مليانة**: تقع مدينة زوكابار في سفوح جبال زكار التي تحميها من الظهر، في حين تبقى متفتحة على سهل الشلف من الجهتين الجنوبية والغربية.

لقد ذكر الرحالة ابن حوقل مدينة مليانة قائلاً مليانة مدينة أزلية ولها حظ من نهر الشلف مرحلة، ومنها إلى سوق كران وهو حصن أزلى له مزارع

وسوان وهو على نهر الشلف أيضا مرحلة، ومن سوق كران إلى ريغا وهي قرية ولها سوق صالح ولها فواكه وأجنة وأنهار ومزارع (ابن حوقل: 77 - 89.)، أما البكري فقد اكتفى بالقول إنها مدينة رومانية (البكري: 725)، وهو ما أكده ليون الإفريقي بالقول: "أن الرومان هم الذين أسسوا مليانة وسموها مكنانة (الوزان: 34). تعتبر مدينة مليانة (زوكابار) قديمة مليانة وسموها مكنانة (الوزان: 34). تعتبر مدينة مليانة (زوكابار) قديمة تسميتها، إذ تعني كلمة Zucchabar سوق الحبوب في الفنيقية 1997. تسميتها، إذ تعني كلمة Zucchabar سوق الحبوب في الفنيقية أن (Ssell, S. 13, n°5). لكن مهما يكن أصل التسمية فالمعروف تاريخيا أن الفنيقيين أسسوا مراكزهم التجارية ومدنهم على الشريط الساحلي فقط، ويكاد يتفق جميع المؤرخين والباحثين أن الفنيقيين لم يتوغلوا في الداخل(176: 176) وفي سهل الشلف اكتفى هؤلاء بمدينة تنس وما جاورها أين أسسوا مرفئا هاما بها عند مصب وادي علالة (الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، 2000: 50) ويعود احتمال ضعيف مع غياب وجود أدلة تثبت ذلك.

أما المؤرخ بلين فقال أن مليانة مستوطنة رومانية أسسها الإمبراطور Berbrugger, 1864:)425 "Colonia Agusta quac item Zucchabar" أغسطس أغسطس أعسا المدينة في قائمة أسقفيات موريطانيا القيصرية في المجمع الأسقفي لسنة 484 م تحت اسم Zucabiaritanus. وأثناء ثورة فيرموس ضد الاحتلال الروماني زار الكونت تيودوز Theodose مدينة مليانة وأسس بها معسكرا كبيرا للجيش الروماني، نظرا للغارات المتالية لقبائل الموروبيد على المنطقة، وارتقت المدينة بعدها لتصبح مستوطنة (Colonia) والنوميد على المنطقة، وارتقت المدينة بعدها لتصبح مستوطنة (Bsell, S.: f. 13, n° 5)1997 الباحثين والمؤرخين أن مدينة زوكابار مشتقة من كلمة زكار والتي تطلق على الجبال المحيطة بها ومن هؤلاء المؤرخين Cat, E. 1891: 193) (Cat, E. 1891: 193)

ومن خلال الحفريات التي قام بها الفرنسيون تمكنوا من تحديد مكان المدينة القديمة المتواجدة في نفس مكان المدينة الحالية، وتم العثور على بقايا السور الخارجي، وبقايا المقبرة القديمة وما تحمله من كتابات وأثاث جنائزية وتوابت حجرية، والعديد من بقايا الفخار، كما تم العثور

على بقايا كنسية مسيحية تحمل بصمات البيزنطيين ,(Gsell, S. 1997: f. 13) n° 4)

5- 3- (Maliana) مدينة الخميس: الحديث عن مدينة الخميس يقودنا للحديث عن مدينة مليانة فالأسماء متداخلة ومتباينة المدلول بين الحديث والقديم، اسم مليانة مليانة القديم يطلق على الخميس، أما اسم زوكابار Zucchabar، فيطلق على مدينة مليانة الحالية الشيء الذي جعل الكثير من المؤرخين يخلطون بينهما، مما دفع بغزال إلى القول إن زوكابار ينطبق على مدينة مليانة الحالية وأن الخميس عبارة عن ملحق لها الكتابات (Gsell, S. : f. 13, n° 6)1997ابات القديمة وتتواجد بها كنيستين احدهما كاثوليكية وأخرى دوناتية مما يدل على أهميتها.

ومن خلال الآثار المكتشفة في الجهة الشرقية لواد بوطان الذي يخترق المدينة ويصب في وادي سوفاي ، فقد تم العثور على بقايا قنوات وأنابيب نقل المياه وصهاريج وأحواض ومزارع وبقايا منازل وأدوات الجنائزية ( .X ( 1955: 178 ).

وذكرها القديس أوغستين "Subdiaconus Mallianensis" في إحدى رسائله مما يدل على أهمية هذه المدينة في نظر المسحيين الكاثوليك 1997: (Gsell, S. f. 13, n°6) كما تم العثور في الجهة الغربية على بقايا وآثار تنتشر على رقعة واسعة جدا ما دفع بالمؤرخ Berbrugger إلى تقدير عدد سكانها بـ (Berbrugger, A. 1857: 480-481).

ومن خلال الآثار المكتشفة يتبين إن المدينة كانت ذات أهمية زراعية لما وجد بها من بقايا فلاحية ومعمارية، بالإضافة إلى كونها تقع على طريق هام يربط مدينة Lambadia (المدية) والعاصمة الموريطانية شرشال مرورا بحمام ريغا Aquae Callidae.

5- Oppidium Novum 3 عين الدفلى: تأسست هذه المدينة في القرن الأول الميلادي على مقربة من مجرى وادي الشلف 13, n° 4)1997)، وحدد مكانها بحوالي واحد كلم ونصف إلى الشمال الشرقي لمدينة عبن الدفلى الحالية.

وذكرت مدينة Oppidum Novom في مدونة الكتابات اللاتينية المجلد8 تحت رقم9642 وهي عبارة مستوطنة أسسها كلوديوس المجلد8 تحت رقم9642 وهي عبارة مستوطنة أسسها كلوديوس (Salama, P. 1951: 36) Claudius وذكرها المؤرخ بلين (Gsell, S. 1997: f. 13, n° 4 de ductis veteranis oppidium novum من هذه الكتابة أن الإمبراطور كلود أسسها لقدماء الجنود الرومان المسرحيين من الجيش.

وذكرت أيضا في جغرافية بطليموس، ووجدت في بيان رحلة أنطوان باسم "Oppido Novo Clolonia" وكان بها قاضي رئيسي ومتصرف مالي، و جاء ذكر هؤلاء الأشخاص في مدونة الكتابات اللاتينية، المجلد 8 تحت رقم9642 ، 9643، ويستشف من الكتابات أن مدينة Oppidum رقيت إلى مستوطنة منذ عهد الإمبراطور كلاوديوس.

كما ذكرت هذه المدينة في المجمع الأسقفي لسنة 484 ضمن قائمة الأسقفيات لموريطانيا القيصرية، تحت اسم Oppidonobensis.

وكانت هذه المدينة تتميز بموقعها الجميل حيث تتواجد على هضبة محاطة بمجرى واد الشلف من الشرق والشمال متصلة بسهول شاسعة وأراضى خصبة شرقا وغربا.

ومن خلال الحفريات التي أجريت في المدينة تم الكشف عن بقايا مقبرة مسيحية وأدوات فلاحية لاسيما بقايا مطاحن الحبوب والزيوت، كما تم العثور على بقايا جسر روماني على مجرى واد الشلف بالإضافة إلى آلات حربية وكتابات جنائزية (Gsell, S. 1901: 11).

15- 5- —"Tigava Municipium" العامرة: لقد اختلفت المصادر الفرنسية في تحديد موقع هذه المدينة، فمنهم من يعتقد أنها بلدة العامرة الحالية القريبة من عين الدفلى، ومنهم من يرى أنها اندثرت. والحديث عنها يقودنا للحديث عن تيغافا كاستر Castra العطاف التي تتشابه معها من حيث مظاهر السطح المتمثلة في السهول والمرتفعات، غير أن أغلبية المؤرخين يتفقون على أنها بلدة العامرة، التي تقع في الشمال الغربي لمدينة عين الدفلى على الضفة اليمنى لوادي الشلف وقد جاء ذكرها في المصادر (Yacono, X.) القديمة تحت اسم Tigava المؤرخ بلينوس Gsell, S.: f. 13, n°1)1997 Pline كما ذكرها المؤرخ بلينوس

وجاءت في جغرافية بطليموس، وذكرت أيضا في قائمة أسقفيات موريطانيا القيصرية في المجمع الأسقفي 484 تحت اسم Tigobitano، وذكرها أيضا أنطوان في بيان رحلته Tigava Municipio. وذكرها أيضا أنطوان في بيان رحلته Théodose أثناء قيادته إحدى الحملات العسكرية ضد فيرموس وأقام بها معسكرًا للجيش الروماني (48-45 :1997: 45)

أصبحت Tigava أسقفية (Reisser, J. 1989: 205-219) وبها عدة كنائس صغيرة وبقرار من الإمبراطور أغسطس ارتقت إلى بلدية Mumicipie وأصبحت تتمتع باستقلالها وحقوقها.

ومن خلال المخلفات الأثرية المكتشفة يمكن القول أنها كانت مدينة جميلة تحيط بها أسوار من حجر المقاطع أبعادها 01 كلم طول و800م عرض، يمر بها وادي طاريا الذي أقيم عليه سد كبير ( ,Yacono, ), X. 1955: 177 كان يزود المدينة بمياه الشرب وسقي الأراضي الزراعية، كما تم العثور على رصيف "Quai" على وادي الشلف يعتقد إنه كان يستعمل في الملاحة النهرية (170-1699: 1979) وبقايا أثرية أخرى من حمامات، فسيفساء، مقبرة، وميداليات مؤرخة بين القرنين الثاني والخامس الميلادي ومئات الأمتار من أنابيب المياه ومجموعة من النقود المتنوعة مما يفسر الحركة التجارية للمدينة، وحتى الآن لا تزال شواهد رومانية تؤكد أهمية المدينة.

تتميز تيغافا بموقعها الجغرافي الهام حيث تقع على الطريق الرئيسي القديم الرابط بين عين الدفلى Opodium Novium والشلف 22 Tangitanum وهذا ما يؤكده بيان رحلة أنطوان إذ حدد المسافة الأولى بـ 22 ميلا والمسافة الثانية بـ 32 ميلا. (Gsell, S 1997: f. 13, n° 3)

وعززت هذه الطريق بمراكز حراسة ونقاط مراقبة كثيفة شرقا وغربا في أعالي مرتفعات عين الدفلى وبني راشد لضمان أمن الطريق.

6 - 6 - Acatellum-Tangitanum مدينة الشلف: أسس الرومان هذه المدينة في القرن الأول الميلادي، (والتي تعني المعسكر الطانجي) وتم تحديد مكانها عند التقاء وادي تسيغاوت ووادي الشلف ( 1955: 1855)، واكتشفت بقايا هذه المدينة من طرف الجيش الفرنسي في ربيع 1843 إثر الحملة التي قادها الجنرال بيجو على سهل الشلف، تم تحديد

معالم هذه المدينة المتمثلة في السور المحيط بها الذي يبلغ طوله 600 م وعرضه 300 م (Vidal, C. 1936: 8).

وتحتل هذه المدينة مركزا استراتيجيا هاما، حيث تشرف على الطريق الرابط بين الشرق والغرب أي بين المدية Lambadia ومستغانم ولاعترين الشمال والجنوب أي بين تنس Cartennae وجبال الونشريس Ancoraruis mons.

وذكرت هذه المدينة في عدة مصادر قديمة إذا جاء اسم مدينة كاستلوم—تانجيتنوم في بيان رحلة أنطوان بأنها تبعد عن تيغافا (العطاف) ب 22 ميلا وعن مدينة Vogal (بوقادير) بـ 18 ميلا وهي مسافات يمكننا القول أنها دقيقة (178 :785).

وتعرضت المدينة لهجوم من طرف القبائل الجبلية المورية بقيادة سيسغا Sisga حوالي 253م. وقد تمكن فالريان Valerien من القضاء على الثورة سنة 255م وفي هذه السنة ارتقت مدينة كاستلوم-تانجيتنوم إلى مصاف المستوطنات الرومانية تتمتع بكل حقوقها ( Gallien Gallien)

وبفضل موقعها الإستراتيجي والدفاعي باعتبارها مركز السهل الممتد من مدينة (عمورة) Sufasar شرقا حتى (غليزان) Mina غربا، أصبحت تتحكم في المعابر الرابطة بين الشمال والجنوب أي بين الونشريس والظهرة بفضل خط الليمس الممتد عبر مجرى الوادي وما يشمله من حصون وقلاع عسكرية وطرق وأسوار ونقاط مراقبة وإشارات ضوئية، وهو ما ساعد بدوره على قيام تجمع سكاني بالقرب من معسكر كاستيلوم—تانجيتوم (Yacono, X. 1955: 176)، أخذ تسميته من اسم المعسكر على غرار التجمعات السكانية الأخرى المجاورة، التي ظهرت بالقرب من النقاط العسكرية في مختلف مناطق السهل التي احتفظت بأسمائها العسكرية ومدينة Timici في مرتفعات الظهرة، ومدينة Tigava في الدفلي.

وجاء ذكر المدينة أيضا في تقرير مجمع قرطاج سنة 411 م، وعلى قائمة أسقفيات موريطانيا القيصرية في اجتماع 484 تحت اسم castelli كما ذكر فيها أسماء لقساوسة المدينة(Gsell, S. 1997: f. 12)

أجريت في المدينة حفريات اكتشف على إثرها معالم أثرية هامة مثل بقايا الحمامات في مكان مقر البلدية الحالي، وبقايا قناة مائية تمتد لأكثر من ثلاثة (03) كيلومترات تجلب الماء من واد تسيغاوت إلى المدينة، غير أنه يبقى أكبر وأهم اكتشاف هو بازيلكة القديس ريبارنوس Reparatus المزينة بالفسيفساء وعليها كتابات تؤرخ لبنائها سنة م 324. وهي أقدم بازيليكة (كنيسة) مؤرخة في إفريقيا، كما تم العثور على لوحات فسيفساء تمثل حملة صيد جماعية (Gsell, S. 1901: 108).

#### : تنسن Cartennae -7 -3

تعد مدينة تنس من المدن الجزائرية القديمة حيث استعملها الفنيقيون والقرطاجيون كمحطة تجارية (Heurgon, J. 1958: 15)، وذلك قبل التاريخ الميلادي، على غرار المدن الساحلية الأخرى مثل شرشال وتيبازة وعنابة.

وورد ذكر مدينة Cartennae في جغرافية بطليموس، وذكرها غزال "Cartennae" (Gsell, S. 1997: f. 12, n° 2) وعثر بها على كتابة كتب عليها: oclonia Augusti legio secunda" للحينة بنيت من هذه الكتابة أن المدينة بنيت من طرف الفرقة الأوغستية الثانية بأمر من الإمبراطور سنة 30 ق م ( .1958: 15 )، وتكون قد ارتقت إلى مرتبة مستوطنة لقدماء الجنود، على عهد الإمبراطور أغسطس بناءا على ما يفهم من هدا الكتابة.

كما اعتبرت معطة هامة لفرق عسكرية أخرى فيما بعد أمثال فرقة بانونيا وجيرمانيكا Germanie وPannomie، والدور الكبير الذي قامت به هذه الفرق في صد هجومات المور وقبائل البقواط عبر المنطقة الممتدة بين مستغانم Quiza والجزائر Icosium.

خلال الحفريات التي قام بها الفرنسيون في الفترة الاستعمارية تم العثور على العديد من المخلفات الأثرية خاصة في الجزء الغربي منها الكنز المعروف Trésor de Tènes الذي اكتشف سنة 1936، متكون من 19 قطعة (Heurgon, J. 1958: 20) من فضة وذهب وبرونز، تحمل إشارات ورموز مسيحية تعود للقرن الخامس الميلادي.

كما جاء اسم المدينة ضمن قوائم المجمع الأسقفي لسنتي 411 و484 تحت اسم Epicopatus-Cartenatius. ونظرا لمكانة هذه المدينة فقد عاشت أطوار الصراع العنيف بين أنصار الكنيسة الرسمية (الكاثوليكية) وأنصار الكنيسة (الدوناتية)، وهو الصراع الذي أدى إلى انبثاق فرقة ثالثة وهي الفرقة الروقاتية بقيادة روقاتوس Rogatus.

في سنة 122م تعرضت المدينة إلى التخريب والحرق من طرف قبائل البقواط الذين تمكنوا من تحطيم نصب تذكاري أقامه سكان المدينة على شرف Fulcinius-Oplatus على عهد الإمبراطور هادريانوس (الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، 2000: 11).

5- 8- Mazouna مازونة مدينة أزلية بناها الرومان، على بعد نحو 40 ميلا من البحر، تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة، لقد كانت مدينة متحضرة جدا في القديم (الوزان :26) ويلاحظ وجود بقايا أثرية متنوعة تدل على أصلها الروماني بالإضافة إلى الكتابات المنقوشة على قطع الرخام (الوزان :26).

وكانت هذه المدينة مرتبطة بطريقين هامين الأول نحو المدينة العسكرية المجاورة القلعة Gsell, S.: 1997: f. 12, n° 7) والأخرى التي تتجه نحو مدينة مستغانم Quiza.

يعود تاريخ الاحتلال الروماني للمنطقة إلى القرنين الرابع والخامس الميلادين (Blehamissi, M. 1981: 28). وذلك من خلال الآثار المكتشفة من قبل الباحثين والمؤرخين والمتمثلة في بقايا حنايات وأحواض مائية، في حين يرى لافرنشي Florenchi (Blehamissi, M. 1981: 28) أن المدن المتواجدة في الظهرة عبارة عن مراكز عسكرية ذات طابع دفاعي بالدرجة الأولى، وهذا يعود لطبيعة المقاومة الجبلية. والمتجول في مدن وقرى مديونة وسيدي أمحمد بن علي، يلاحظ العديد من هذه البقايا كحجر المقاطع والجرار الكبيرة التي لا زالت تحتفظ بها العديد من العائلات في منازلهم أو في ساحاتهم.

5- 9- مدينة مينا ضمن مدن Mina مدينة غليزان: تصنف مدينة مينا ضمن مدن سبهل الشلف الأدنى أسسها الرومان سنة 40م(311 :Ruffer, J. 1907) أي خلال القرن الأول الميلادي، وهي الفترة نفسها التي بنيت فيها معظم مدن السهل.أقام الرومان هذه المدينة في مكان مدينة بربرية قديمة وتبين من

خلال الآثار المكتشفة من نقود قديمة وميداليات، أن المدينة عرفت نموا وإزدهارا كبيرين خلال القرن الثاني الميلادي.

وحسب المؤرخ ريفر Ruffer أن كلمة Mina مشتقة من Mine أي معدن الذهب أو الفضة، وقد تعني الكلمة أيضا خصوبة الأرض ( ,X. 1955: 179

كما تم العثور بها على بقايا كنيسة كبيرة و ذكرت هذه المدينة في المجمع الأسقفي لقرطاج سنتي 411 م و484م.

وكانت تتواجد على الطريق الرئيسي الداخلي والذي يربط مدن موريطانيا القيصرية بالجهة الغربية حيث يتجه هذا الطريق نحو Praesidium يلل حاليا ثم يتجه بعد ذلك نحو Quiza مستغانم الميناء الرئيسي لمينا وحوض الشلف الأسفل والذي كانت تمر عبره منتوجاتها الفلاحية والحيوانية.

كما كانت هناك طريق يتجه نحو الجنوب أي نحو مدينة تيارت وطريق يربطها شرقا بمدينة Gadaum-Castra أى جديوية حاليا.

اشتهرت مدينة مينا بمنتوجاتها الفلاحية نظرا لوفرة السهول الخصبة في كل من وادي الشلف ووادي مينا والماء الذي يوفرانه للسقي، والدليل على ذلك بقيايا بعض السدود التي أقيمت على وادي مينا، وبقايا قنوات نقل الماء التي امتدت حتى المدن والقرى المجاورة (Gsell, S. 1902: 12-14)

إضافة إلى هذه المدن نجد مدنا أخرى لا تقل أهمية نظرا لموقعها الاستراتيجي، لكنها لم تنل حقها من الدراسات الاثرية المعمقة لاسباب تبقى مجهولة، ويتعلق الامر بمدينة Timici المعروفة اليوم بقلعة أولاد عيسى بلدية تاوقريت، والتي تحدث عنها قزال في الأطلس الاثري ( .Testl, S. 1997: f.)

ومدينة Arsonaria: والمعروفة اليوم بالدحامنية، تقع شمال مقر بلدية الظهرة، تبعد عن البحر بحوالي 5 كلم، بالقرب من ضريح ومقبرة الولي الصالح سيدي بوراس، وقد عثر بها على كتابة ترجع إلى فترة حكم الأسرة السفيرية تبين رتبتها الإدارية وهي Divvmvir مما يعنى انها كانت بلدية أو مستعمرة، وذكر إسمها وموقعها في مسلك أنطوان ومن طرف كل من Pline في مخطوط على بعد 03 أميال عن البحر، وذكرت في كتاب de

Géographe Ravenne وتقع بين Géographe Ravenne و Portus Magnus، في حين المجاب المباه ال

### مصير التجمعات السكانية

استمر الوجود الروماني في السهل مدة ثلاثة قرون كاملة وربما أربعة، عرفت خلالها المنطقة نجاحا وتطورا كبيرين، لاسيما في المجال الزراعي.(Yacono, X. 1955: 186).

أما عن مصير هذه التجمعات فقد تعرضت معظمها للتدمير والتخريب، على غرار مدينة كاستيليوم تنجيتانوم التي تعرضت لهجوم من طرف القبائل الجبلية المورية بقيادة سيسغا Sisga حوالي 253 م ( . 253 م ( . 1936: 10 )، ومدينة كارتينا التي خربت ودمرت من طرف قبائل البقواط سنة 122م (الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، س 2000: ( . ثم قام سكانها بإعادة بنائها، للتعرض بعد ذلك للغزو الوندالي الذي دمر أغلب المدن الرومانية في شمال افريقيا بما فيها مدن سهل الشلف.

يمكن القول أن التجمعات السكانية في سهل الشلف بدأت معالمها تظهر في القرن الاول ميلادي أي مع البداية الفعلية للوجود الروماني في شمال إفريقيا (بلاد المغرب القديم)، وأصلها أو نواتها كانت في أغلبها عسكرية بامتياز هذا ما تؤكده اسماء الكثير من المدن إضافة إلى مواقعها الإستراتيجية.

أما ظروف تطورها وتصنيفها في رتب إدارية جاءت نتيجة للسياسة الرومانية المتبعة في المنطقة القائمة على شقين، الأول عسكري يتمثل في خط الليمس الذي نتج عنه سيطرة الادارة الرومانية على منطقة سهل الشلف وبالتالي استتباب الأمن، والثاني إداري يتمثل في سياسة الرومنة التي نتج عنها ظهور مستوطنات لقدماء المحاربين في الفيالق العسكرية الرومانية نتيجة رغبة الادراة الرومانية اعمار المنطقة بالعنصر الروماني حول المراكز العسكرية والتي أصبح لها لاحقا إلى مراتب إدارية مرموقة.

واستمرت أغلب هذه التجمعات حتى الفترة البيزنطية التي وصلت فيها إلى أوج التطور والازدهار على غرار كاستيوم تنجيتانوم وكارتينا.

يصطدم الباحث في تاريخ واثار منطقة حوض الشلف بمجموعة من الصعوبات أهمها تحديد التاريخ الدقيق لظهورها ومراحلها التاريخية نتيجة ندرة أو انعدام النصوص التاريخية التي أشارت إلى هذا الجانب، إضافة إلى صعوبة حصر مخلفاتها وشواهدها الثرية التي اندثر جزء كبير منها، ووجود أغلبها تحت التراب وخير دليل على ذلك الاكتشافات الأثرية في المنطقة من حبن إلى آخر.

#### ببليو غرافيا

- أبي القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي المعروف بابن حوقل النصيبي (1992). صورة الأرض، بيروت لبنان: دار مكتبة الحياة.
- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز. ( 1992). المسالك والممالك، تونس: الدار العربية للكتاب.
- الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية. (2000). خلاصة تاريخية لمدينة تنس وضواحيها، إصدار، تيبازة.
- الوزان، حسن (ليون الأفريقي). ( 1983) . وصف أفريقيا، بيروت لبنان: دار الغرب الاسلامي.
- جوليان، ش.- أ. (1983). تاريخ أفريقيا الشمالية، تونس- الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647 م تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، النشرة الرابعة ، تونس: الدار التونسية للنشر.
- حارش، م.- ه. (1992). التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ
  - فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر.
- --Benseddik, N. (1979). Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie Césarienne, sous le Haut Empire. Alger: SNED.
- -Berbrugger, A. (1857). «Ruines romaines de bled safari», Revue Africaine, 1, p. 480-481.
- -Berbrugger, A. (1864). «Ruines de Marabout Sidi Abdelkader», Revue Africaine, 8, p. 344.
- -Berbrügger, A. (1866). «Ruines de Hammam Righa», Revue Africaine, 10, p. 473-474.
- -Cat, E.-Ch. (1891). Essai sur la province romaine de Maurétanie Césarienne, Paris: E. Leroux.
- -Farochon, (1856). «Antiquités du cercle de Ténès, Revue Africaine», 1, p. 428-440.
- -Gsell, S. (1902). Les monuments antiques de l'Algérie, Paris: Albert Fontemoing.
   -Gsell, S. (1902) Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie, Paris: Ernest Leroux.
- -Haichour, B. (1997). «Révolution Africaine des tribus et mode de vie dans la vallée du Cheliff», El Moudjahid du 25/02/1993 au 03/03/1993, p. 45-48.
- -Heurgon, J. (1958). Le trésor de Ténès, Paris: Arts et Métiers Graphiques.
- -Ibos, B. (1895). Notice sur la mosaïque d'Orleansville, Alger: Pierre Fontana.
- -Salama, P. (1951). Les voies romaines de l'Afrique du Nord, Alger: Imprimerie Officielle du Gouvernement Général de l'Algérie.
- -Vidal, G. (1936). Un témoin d'une date célèbre: la basilique chrétienne d'Orleansville 324, Alger: Pierre Fontana.
- -Yaccono, X. (1955). La colonisation des plaines du Chelif, de Lavigerie au confluent de Mina, Alger.: E. Imbert.

# لمحة عن مختلف المنشآت الفلاحية المنتشرة في منطقة قالمة خلال الفترة القديمة (النوميدية و الرومانية)

أ. محمد فوزي معلمجامعة 8 ماى 1945 قالة

تتميز منطقة قالمة أو كالما قديما كباقى مناطق شمال افريقيا بثرائها التاريخي و الأثرى الراجع لمختلف الحقبات التاريخية ولا سيما الفترة القديمة، هذه الأخيرة تمثلت بغض النظر عن المدن، في العمران الريفي و المتمثل خاصة في المنشآت الدفاعية بمختلف أنواعها والفلاحية؛ تجلت لنا هذه الأخيرة بعد عمليات تحرى بسيطة قمنا بها في محيط المنطقة، و التي تختلف باختلاف موقعها الجغرافي و الطبوغرافي اللذان كانا بمثابة عاملين أساسيين في فرض نوع المنتوج (قمح و زيتون وعنب ...) وكذلك صاحب الملكية أو العقار الفلاحي؛ سواء إن كان تابع للإمبراطور نفسه أو أحد أفراد عائلته، وهي ما نطلق عليها اسم الدومانات أو العقارات الإمبراطورية التي سجلت وجودها في محيط المنطقة منذ النصف الأول من القرن الأول ميلادى من خلال كتابة جنائزية خاصة بأحد العبيد التابعين للإمبراطور كلود والتي كانت دليل على أن هذا الإمبراطور كانت له أملاكه في منطقة قالمة منذ النصف الأول من القرن الأول ميلادي. بالإضافة إلى عقارات أخرى كانت تابعة للطبقة السيناتورية والخاصة من النبلاء، والتي تتباين هي الأخرى بحسب طبوغرافية تمركزها ؛ فمنها التي نجدها تتركز في مناطق مرتفعة وتشرف على مساحات واسعة وهي ما نطلق عليها اسم المزارع المحصنة ومنها تلك غير المحصنة والتي تتمركز عادة في المناطق المسطحة والسهلية، بالإضافة إلى ممتلكات السكان المحليين التي نجدها على العموم في المناطق الجبلية الصعبة والتي أطلقنا عليها اسم المزارع النوميدية.

فمجال الدراسة التي قمنا بها، لا يقتصر على الحدود القديمة لكالما الرومانية فقط، بل يشمل أقصى الحدود الغربية للمقاطعة البروقنصلية وأقصى الحدود الشرقية للمقاطعة النوميدية، كون أن الحدود الإدارية لقالمة حاليا تشمل حدود المقاطعتين سالفتا الذكر.

# I- العقارات الإمبراطورية

نستهل بحثنا بنماذج لبعض الدومانات الإمبراطورية محاولين تجنب في الوقت الحالي مختلف التفاصيل سواء من حيث الأصناف والتسميات (السالتوس واللاتيفونيا والفوندس)، أو كيفية تسييرها و تنظيهما الداخلي...، جل هذه الأخيرة لم يعد لها وجود في الوقت الحالي، وذلك لعدة أسباب منها: توسع العمران على بعضها من جهة واستعمال حجارتها في مختلف البناءات الحديثة من جهة أخرى، أين سنحاول التطرق إلى نماذج منها فقط محاولين تحديد هويتها من خلال بعض النقيشات الجنائزية لعبيد كانوا يشتغلون في هذه العقارات، وذلك بورود أسامي لبعض الأباطرة بالإضافة إلى عدد من الوظائف المعروفة داخل هاته العقارات أو الدومانات.

#### أ- مدينة كالما:

جل نقيشات مدينة كالما (قالمة) بدورها لم يبقى لها وجود في الوقت الحالي، فالمعروفة منها هي تلك التي وردت لنا من خلال الأبحاث المنشورة في نهاية القرن التاسع وبدايات القرن العشرين. أين سجلنا عددا منها يشير إلى بعض العقارات الإمبراطورية التي كانت منتشرة في محيط المدينة، ولحسن الحظ أن عددا منها مازال محفوظ حتى وقتنا الحالي.

وفيمايلي نستعرض البعض منها:

# C.I.L., 5384; 17500 = I.L.A., I, 323 -1



SATVRN
INA TI
CLAVDI
CAES VIL
VIX A XXX
ET VENV
STA F VI
A XV H

#### نقيشة ساتورنينا محفوظة في الحديقة الأثرية

SATVRN/INA TI(berii) /CLAVDI(i)/ CAES(aris) VII(ica)/ VIX(it) A(nnis) XXX/ ET VENV/STA F(ilia) VI/(xite) A(nnis)XV H/(ic) [s(ita)] s(unt) ou [e(st)] s(ita)

(Demsiri-Laadoua, L. 1997: 16); (Gsell, S. 1965: n°323, p. 37)
هي عبارة عن نقيشة جنائزية تمثل إثنين من العبيد التابعين 
Vilica الأولى تحمل اسم ساتورنينا Saturnina المدعوة بـ: فيليكا Vilica الإمبراطور. الأولى تحمل اسم ساتورنينا العاملة في المزرعة؛ هذه الأخيرة واقعة في ملكية تابعة للإمبراطور 
كلود Claude أين توفيت عن عمر يناهز 15 سنة في حين أن ابنتها 
فينوستا Venusta توفيت عن عمر يناهز 15 سنة. إذا فالنقيشة تؤرخ ابتداءا 
من سنة 41 ميلادي(16: 1997. Laadoua, L. 1997: 16). وحسب غزال فالنقيشة 
محفوظة على مستوى متحف قالمة، (323, p. 37)، هذا الأخيريقصد به حديقة سريدي حاليا، 
علما بأن النقيشة حولت سنة 1999 إلى الحديقة الأثرية من طرف مراد 
زرارقة مدير الفرع الأثري آنذاك.

#### C.I.L., 5415 = I.L.A.,I, 324 = R.S.A.C.,1875: 397 -2



IANVARI SALTVARIVS NERONIS CA AVG SER VIX A XXX H S E

# نقيشة يانوياريوس محفوضة

## في حديقة سريدي

IANVARI(us)/SALTVARIVS/NERONIS CA(esaris)/AUG(usti) SER(vus) VIX(it) A/(nnis) XXX H(ic) S(itus) E(st).

نقيشة تكشف عن عبد آخر يحمل اسم يانوياريوس سالتوياريوس نيرون Demsiri- توفي عن عمر يناهز 30 سنة. -Demsiri) نيرون Laadoua, L .1997: 16) وحسب السيد بول Poulle فإن هذا الشخص توفي عن

عمر يناهز 32 سنة وأن النقيشة تم اكتشافها قرب خزان المياه في الحي العلوي للمدينة. فيانوياريوس حارس حقل، عبد لنيرون القيصر المعظم.

وبعد عملية التحري التي قمنا بها حول هاته النقيشة، تبين لنا بأنها أتت مثل ما هو وارد في البيبليوغرافيا سابقا ؛ أي أن الميت توفي عن عمر يناهز 30 سنة، مع العلم أن مكان تواجدها الحالي هو حديقة سريدي العمومية.

فالعبيد عادة ما يحملون اسم واحد فقط، حيث يمكن ترجمة معنى كلمة سالتوياريوس Saltuarius بحارس الغابة أو حارس الملكية أو حارس المزارع الكبيرة (Poulle, A. 1875: 397; Gsell, S. 1965:. n°324, 37).

فهذا الدومان التابع لملكية الإمبراطور نيرون والواقع في ضواحي قالمة لا نعرف بالضبط مكانه؟ ولا بأي طريقة تم الحصول عليه؟ فهناك كتابة وجدت في هنشير مشيرة تشير إلى أن الإمبراطور نيرون قام بقتل ستة أشخاص كانوا يملكون نصف أراضي إفريقيا ؛ إذ يمكن أن نفترض بأن مصادرة الممتلكات كانت تتبع بقتل الأشخاص وحتى المذابح الكبرى وهذا ما لم يصرح به بلين. فالكتابة إذا تؤرخ مابين 54 و 68 ميلادي. ; Poulle, A. 1875: 397; Picard, G.-Ch. 1990: 63)

## "C.I.L., 5415 = I.L.A., I, 325 = M.E.F.R., 1970: 725 -3



GAETVLICVS DOMITIANI CAESARIS SER VIX AN XXV H S E

نقيشة الجيتولي محفوضة يخ الحديقة الأثرية

نقيشة جنائزية كرست للمسمى قايتوليكوس Gaetulicus، وهو من العبيد الذين كانوا تابعين للإمبراطور دوميسيان Domitien . توفي عن عمر يناهز 25 سنة، وهي بالتالي تؤرخ إبتداءا من 81 ميلادي. ( L. 1997: 17 . 1997: 17 )، فهذه الكنية وجدت كثيرا في الفترة الرومانية حيث نجدها أيضا في العديد من المواقع منها قلعة بوعطفان وهنشير الحمام وتيبيليس وهنشير لولو (ريني أو عين مخلوف حاليا) (726-723 :1970 . 1990). النقيشة محفوظة هي الأخرى أمام الأولى، أين حولت أيضا سنة 1999 من طرف الحديقة العمومية "مصطفى سريدي" إلى الحديقة الأثرية لكالما من طرف مدير الفرع الأثرى دائما.

# Popoulus ) ب- مجمع حريدي السعيد أو عين النشمة أو قياس (Thabarbusitanus

على بعد حوالي 2500 متر جنوب جنوب- غرب مدينة قالمة في المكان المسمى في الوقت الحالي بمجمع حريدي السعيد، وجدت كتابتين في مذبحين من الرخام في المقبرة الشمالية. مع العلم بأن هذا الموقع و بعد دراستنا المتواضعة له، تبين لنا بأنه مر بعدة مراحل وتعاقب عدة ثقافات في رقعة جغرافية صغيرة، بدءا بالفترة النوميدية ثم التأثيرات البونية فالرومانية وأخيرا الفترة القديمة المتأخرة. وعليه فقد سجلنا مايلى:

<u>I.L.A.,I,476.</u> /Bernelle, C.R.AC.Hipp, 1891: 17 ; -1 <u>R.S.A.C., 1892 : 71/ Benoit, C.R.AC. Hipp.1902,p.9</u>.



| DMS           | D MS      |
|---------------|-----------|
| MONNI         | L. OPTATV |
| CA AVGG       | S VIX AN  |
| VERNA         | NIS C     |
| VIXIT AN      | HSE       |
| NIS XXXV      |           |
| OPTATVS VXORI |           |
| POSVIT        |           |
|               |           |

نقيشة مونيكا و أوبتاتوس محفوظة في الحديقة الأثرية

D(iis) M(anibus) S(acrum)/ MONNI/CA AVG(ustorum duoum)/ VERNA/ VIXIT AN/NIS XXXV OPTATVS/ VXORI/ POSVIT

D(iis) M(anibus) S(acrum)/ L(ucius) OPTATU/S VIX(it) AN/NIS C/ H(ic) S(itus) S(est)

نقيشة جنائزية وجدت في مذبح من الرخام، محفوظة في متحف قالمة ، ويتألف من واجهتين. الواجهة الأولى تتمثل في كتابة مكرسة إلى مونيكا وهي من الذين ولدوا كعبيد داخل ملكية إمبراطورية، وقد توفيت عن عمر يناهز 35 سنة. و قد قام زوجها أوبتاتوس بوضع الكتابة. والعظيمين أو الإمبراطورين هنا ربما يقصد بهما سواء مارك أوريل ولوكيوس فيروس أو مارك أوريل وكومود أو سبتيم سيفير وكاركلا.

أما الواجهة الثانية تشير ربما إلى نفس الشخص أوبتاتوس الذي توقيق عن عمر يناهز 100 سنة، وحسب اسمه لوكيوس، فقد يكون قد أخذ حريته ربما بعد وفاة زوجته تحت حكم الإمبراطور لوكيوس فيروس أو سبتيم سيفير. إذا فالنقيشة تؤرخ سواء بعد 161 أو بعد 193 ميلادي.

# ت- هنشير الحمام (حمام بلحشاني):

في هذا المكان الواقع على بعد حوالي 75, كلم جنوب غرب بلدية عين العربي و1100 متر جنوب جنوب- شرق حمام قرفة، توجد مخلفات أثرية جد واسعة تعود إلى الفترة الرومانية والمعروفة في مختلف البيبليوغرافيا تحت اسم هنشير الحمام. فمثله مثل المواقع سابقة الذكر فقد وجدت أيضا مجموعة من النقيشات تدل على وجود ملكيات امبراطورية اندثرت في الوقت الحالى، أين نسجل منها ما يلى:

#### 1- **A.EP**. 1957: 92b

[Pri]MUS AUG(usti) LIB(ertus).../[ma]CERIAM TEMPLI DEAE CAELESTIS/ PECUNIA A SOLO RESTITVIT

النقيشة وضعت من طرف معتوق إمبراطوري، حيث قام بترميم حائط معبد الإلهة كايليست Caeleste بماله الخاص.

(Leglay M. 1954: 194 ; A.EP. 1957, n° 92b ; Demsiri-Laadoua, L .1997: 19-20)

# ث- حمام دباغ (Aquae Thibilitanae)

الواقع على بعد حوالي 12 كلم على مدى الطيران غرب جنوب غرب مدينة قالمة وأمام محطة القطار القديمة. تم العثور على بعض الكتابات التي تدل على وجود بعض المزارع الإمبراطورية في المنطقة، نسجل منها مايلي:

# R.S.A.C. 1903, p.24, $n^{\circ}3 = C.I.L.$ , 18812 = I.L.A., $II^{2}$ , $II^{2}$



D M S
FORTVNATVS
ARK ER VIVO SIB
ET CONIVGI SVE
RARISSIME ET IN
COMPARABLE
ORIAM FECIT

نقيشة فورتوناتوس محفوظة في المسرح الروماني D(iis) M(anibus) S(acrum)/ FORTVNATVS/

ARK(arius)SE VIVO SIB(i)/ ET CONIVGÌ SVE/ RARISSIME ET IN/COMPARABLE[mem]ORIAM FECIT

نقيشة جنائزية وضعت لذاكرة فورتوناتوس Fortvnatvs من طرف زوجته. الميت هو من عبيد الإمبراطور وكان يشتغل في مزرعة امبراطورية، وحسب السيد بول Poulle فإن مختصر Ark هو Poulle بمعنى أمين صندوق un Caissier فالكتابة فتؤرخ بما بعد النصف الأول من القرن (Poulle, A.1882: 297, n°14; Gsell, S. 1976: II, n°4589; Demsiri الثالث. المحلوظة في الوقت الحالي في متحف المسرح الروماني وسط مدينة قالمة، وتحديدا عند مدخل المسرح من ناحية النصة.

#### C.I.L., 18813 = I.L.A., II<sup>2</sup>,4591 = R.S.A.C., 1882, 297, n° -2 13 = R.S.A.C., 1903, 25, n° 7



SYMBOLIS
D M S
FRVENDVS
CAESARIS N VERN
ADIVT TABVL
V A XXXIII M V D I
H S E
VITVLVS FE

نقيشة فروندوس محفوظة في المسرح الروماني

SYMBOLIS/ D(iis) M(anibus) S(acrum) / FRVENDVS/ CAESARIS N(ostri) VERN(a) / ADIVT(or) TABVL(ariis) / V(ixit) A(nnis) XXXIII M(ensibus) V D(iebus)I / H(ic) S(itus) E(st) / VITVLVS FE(it)

أما الكتابة الثانية فهي أيضا جنائزية تشير إلى فروندوس Fruendus، و هو من العبيد الذين ولدوا داخل عقار امبراطوري، حيث كان يشتغل كمساعد أو نائب محاسب في نفس الإدارة التي كان يشتغل فيها فورتوناتوس (في الكتابة السابقة).

(Poulle, A.1882: 297, n°13; Cagnat, R., Shmidt, I. 1894: n° 18813; Anonyme. 1903: 25, n°7; Gsell, S. 1976, II, n°4591; Demsiri-Laadoua, L.1997: 177-178) فهاته النقيشة هي بدورها محفوظة في متحف المسرح الروماني، و هي مقابلة للأولى.

#### II- العقارات الخاصة:

# أ- المزارع المحصنة:

هذا النوع من العقارات كما ذكرنا سابقا يتميز بطبوغرافية خاصة مقارنة بالمزارع الأخرى، حيث أنه من خلال عمليات التحري التي قمنا بها في المنطقة، كانت تظهر لنا للوهلة الأولى بأنها عبارة عن منشآت دفاعية نظرا لطبوغرافيتها المحصنة طبيعيا، وبعد الأخذ بعين الإعتبار تقنيات البناء المستعملة والبقايا الأثرية ومساحة الموقع، استطعنا تأكيد بأنها من المنشآت الفلاحية التي يمكن تصنيفها فيما يسمى بالمزارع المحصنة.

# 1 - بلاد بن زرقين:

في هذا المكان الواقع على بعد حوالي 250 متر شمال المزرعة الفرنسية لبرج بن زرقين و حوالي 550 متر جنوب جنوب غرب موقع هنشير تاسة ، وعلى الربوة التي تشرف على الطريق الحالي الرابط بين سلاوة عنونة وعين مخلوف من الجهة الغربية توجد مخلفات أثرية تعود إلى الفترة الرومانية(000 50 /1)، تتمثل في حجارة مصقولة من النوعين الكلسي البارد والرملي وهي تقريبا تكاد لاتظهر بسبب إندساسها بنسبة كبيرة تحت سطح الأرض، مع العلم أنها متباعدة عن بعضها البعض مسافة منتظمة تقريبا وهو ما يدل على أن الهيئة استعمل في بناءها التقنية الإفريقية.

#### مضاد ثقل لمعصرة زيتون



الموقع يحتوي على عنصرين لمعصرة زيتون، الأول عبارة عن مضاد للثقل من الحجر الرملي في حالة جيدة من الحفظ. بمقاسات قدرت به: 551, متر طول و700, متر عرض من الأسفل (القاعدة) و650, متر عرض من الأعلى (السطح) و700, متر ارتفاع. وهو من النوع الذي يحتوي على قناة وسطية تربط بين التعشيقتين هاتين الأخيرتين هما بحجم معتبر حيث قدر معدل طولهما به: 480, متر و 350, متر عرض من الأسفل (القاعدة) و 230, متر عرض من الأعلى (السطح). أما الثاني فيتمثل في مثبت مكسور من إحدى جانبيه ومقلوب، حيث تعذر علينا تحديد هويته للوهلة الأولى وهو بمقاسات قدرت به: 401, متر طول و 550, متر عرض ماهو واضح فوق سطح الأرض و 550, متر ارتفاع. أما تعشيقته فأبعادها قدرت به: 230, متر طول 180, متر عرض من الأسفل و 140, متر عرض من الأعلى. كما أن الموقع يحتوي على عدد معتبر البقايا الفخارية بمختلف الأصناف والأنواع منها ما كان موجه للتخزين ومنها ما كان موجه للإستعمال المطبخي.

ومن خلال طبوغرافية الموقع التي يمتد مجال الرؤية من خلاله إلى مسافات بعيدة خاصة من الناحيتين الجنوبية والشرقية، وتقنية البناء والمخلفات الموجودة فيه ومساحته الحالية المقدرة بحوالي 540 م² (30 م طول على 18 م عرض) (Google earth)، فإن الموقع كان من دون شك عبارة عن منشأة فلاحية، حيث يمكن تصنيفها أيضا ضمن ما يسمى بالمزارع المحصنة.

# 2- بلاد بن زرقي*ن* 2:

في هذا المكان الواقع على بعد حوالي 1300 متر جنوب شرق المزرعة الفرنسية لبرج بن زرقين، و 750 متر شرق كاف معروف وعلى المنحدرات المطلة الغربية المطلة على واد بوداب، توجد مخلفات أثرية تعود إلى الفترة الرومانية (1/50 000)، تتمثل في عدد معتبر من الحجارة المصقولة ذات تركيبتين جيولوجيتين مختلفتين تتمثلان في الكلسية و الرملية، ومن الصنفين المسطحة والمحدبة بمعدل مقاسات: 700, م طول و 450, م عرض و الصنفين المسطحة والمحدبة معتبرة من الموقع، مع العلم أن جلها لم تبقى في مكانها الأصلي، ومع ذلك سجلنا مخلفات لإحدى الهيئات من خلال صفوف من الحجارة متراصة ومتباعدة عن بعضها البعض بمسافة تقريبا منتظمة، مما يدل على أن هاته الأخيرة كانت مبنية بالتقنية الإفريقية، ما الميافة إلى بعض الصفوف الأخرى التي تكاد لا تظهر فوق سطح الأرض.

#### مخلفات مضاد ثقل وعتبة باب



كما سجانا مخلفات لمعصرتي زيتون على الأقل من خلال ثلاث عناصر، اثين منها يتمثلان مضادي ثقل، الأول من الحجر الرملي بأبعاد 940, م طول و 40,م عرض و350,م ارتفاع. وهو من النوع الذي يحتوي على قناة وسطية بمقاسات 780, م طول و 4 سم عرض و1 سم عمق، تربط بين التعشيقتين، هاتين الأخيرتين معدل قياسهما يقدر بـ: 260, م طول و 170, م عرض من الناحية السفلية الواسعة أو القاعدة و100, م من الناحية العلوية الضيقة و7 سم عمق. مضاد الثقل الثاني من الحجر الكلسي بأبعاد 880, م طول و 540, م عرض م عرض و700, م ارتفاع، وهو بدوره من النوع الذي تتوسطه قناة وسطية ذات

مقاسات 720, م طول و5 سم عرض و4 سم عمق تربط بين التعشيقتين، هاتين الأخيرتين بمعدل مقاسات 230, م طول و200,م عرض من القسم السفلي الواسع و130, م عرض من القسم العلوي الضيق و8 سم عمق. هذا العنصر يحتوي في سطح إحدى جانبيه على ثقب صغير مربع الشكل بمقاسات 4 سم من كل جانب، ونفس الشيء بالنسبة للعمق. أما العنصر الثالث فيتمثل في مثبت من الحجر الكلسي بأبعاد 251, م طول و 600, م عرض و 450, م ارتفاع. اما التعشيقة فهي بمقاسات 300, م طول و 200, م عرض من الجهة السفلية الواسعة و120, م عرض من الجهة العلوية الضيقة عرض من الجهة السفلية الواسعة و120, م عرض من الجهة العلوية الضيقة على إطارين مستطيلين محفورين، أبعاد الأول قدرت بـ: 450, م طول و 150, م عرض و6 سم عمق، عمل الثاني فبـ: 350, م طول و150, م عرض و6 سم عمق، المتابئ لهما وظيفة مع المثبت.

إضافة إلى هذا فقد سجلنا مجموعة من مختلف العناصر منها:

- عتبة باب من الحجر الرملي في حالة حسنة من الحفظ، ذات أبعاد خارجية قدرت ب: 901, م طول و580, م عرض و250, م ارتفاع (ما يظهر حاليا)، أما من القسم الداخلي فقدرت ب: 811, م طول و350, م عرض. نظام غلقها تمثل في ثلاث ثقب؛ اثنين من الجهة اليمنى وواحد من الجهة اليسرى.
- جزء من حوض صغير من الحجر الكلسي في حالة سيئة من الحفظ.
- حجر مصقول بمقاسات 0م 85, طول و510, م عرض، يحتوي على فتحة مربعة الشكل على إحدى جانبيه بمقاسات 15 سم، أما في الوسط فيحتوي على ثقبين مربعي الشكل بجانب بعضهما البعض بمقاسات 12 سم من كل جانب و 5 سم عمق، استعملتا ربما كقواعد لدعامات.
- حجر مصقول تكعيبي الشكل، جزء منه مدفون تحت الأرض و هو بمقاسات 500, م من كل جانب، يحتوي على ثقب وسطي في سطحه بأبعاد 190, م طول و 140, م عرض، استعمل ربما كقاعدة لإحدى الدعامات، مع العلم أن هذا العنصر وجدناه كثيرا أمام معاصر الزيتون خاصة في هنشير عين الزيتونة و مويهة حية و هنشير بوركيز...

كما أننا سجلنا عدد جد معتبر من مختلف البقايا الفخارية، فمنها ما كان موجه من أجل الإستعمال المطبخي، ومنها ما كان موجه من أجل تخزين مختلف المحاصيل الفلاحية ؛ خاصة الحبوب والزيوت.

الموقع محصن طبيعيا من جميع الجهات أي أنه يتركز فوق ما يسمى بالمهماز المقطوع، حيث أن المنفذ السهل له يبقى من الجهة الغربية.

ومن خلال طبوغرافية الموقع والمخلفات الأثرية الموجودة فيه ومساحته المقدرة بحوالي 1978 م² (46 م طول و43 م عرض)، فإن الموقع ومن دون شك كان عبارة عن منشأة فلاحية، كما أننا يمكن أن نصنفه بامتياز ضمن ما يسمى بالمزارع المحصنة.

## <u>ب- المزارع غير المحصنة:</u>

هذا النوع من العقارات عامة ما نجده في المناطق المنخفضة أو بالأحرى السهلية، أين يأخذ بعين الإعتبار قربها من إحدى عناصر الشبكة الهيدروغرافية (مجاري مائية و آبار و منابع ...).



منظر عام لموقع جنان الروش

# - جنان الروش

في هذا المكان الواقع على بعد حوالي 1000 متر شمال شمال شرق بلدية بلخير (google earth)، توجد مخلفات أثرية تعود إلى الفترة الرومانية ؛ تتمثل في عدد معتبر من الحجارة المصقولة بمختلف تكويناتها الجيرية والرملية وكذلك من النوعين المحدب والمسطح بمختلف المقاسات. وأثناء تجولنا في الموقع وضواحيه المستغل حاليا في الأشغال الفلاحية من طرف أحد الخواص

والذي هو في الواقع تابع للمجموعة الفلاحية لنفس البلدية (أنظر الصورة)، كما لفت إنتباهنا مخلفات إحدى الهيئات، مع بعض عناصر لمطاحن قمح من النوع الصناعي الكبير والمسمى باللغة الأجنبية (moulin à meule tournante) وتتمثل في ثلاث قطع من العنصر السفلي الثابت المعروف باسم الميتا (meta) ووحدة منها وجدت في الموقع و إثنان تم العثور عليهما على بعد عشرات الأمتار نحو الشمال في منحدر الشعبة، بالإضافة إلى عنصر واحدة يتمثل في الجزء العلوي المتحرك و المسمى بالكاتولوس (catillus) كما تم العثور على ثلاث مدقات (pillons) إثنين منها ذات مقبضين وهما من النوع السائد على العموم في العالم الروماني، أما الثالث فهو مغاير تماما ؛ حيث أنه مهيأ على حجر ذو أبعاد قدرت بـ: 480, م طول و 330, م عرض وحوالي 280, م طول ارتفاع، إذ أن هذا الأخير مشكل على شكل درج من الأعلى إلى الأسفل ؛ فقد يمكن أن هذا الأخير مشكل على شكل درج من الأعلى إلى الأسفل ؛ فقد يمكن منزل أحد الخواص الواقع جنوب أرض المجموعة الفلاحية الواقعة بمحاذاة منزل أحد الخواص الواقع جنوب أرض المجموعة الفلاحية الواقعة بمحاذاة منا المجموعة الفلاحية الواقعة بمحاذاة

كما سجلنا في الموقع أيضا عدد معتبر من البقايا الفخارية بمختلف أشكالها وأصنافها، منها ما كان مستغل من أجل الإستعمال المطبخي ومنها ما كان موجه من أجل التخزين.

ومن خلال طبوغرافية الموقع المسطحة الواقعة ضمن السهول المحصورة بين وادي السيبوس وزيمبة والمخلفات الأثرية المتواجدة ومساحة الموقع المقدرة بحوالي 52, هكتار (188 م طول على 130 م عرض)، فإن الموقع كان من دون شك عبارة عن منشأة فلاحية كبيرة، وأن إنتاج القمح كان جد معتبر بالنظر إلى عدد العناصر المذكورة سابقا والتي من دون أدنى شك كان يوجد أكثر من هذا العدد.

# III- المزارع النوميدية

هذا النوع من المزارع لا نقصد به تلك الموجودة في الفترة ما قبل الرومانية ؛ بل تلك الخاصة بالسكان المحليين موازاتا مع الإستيطان الروماني، مع العلم أننا نجدها عامة في المناطق الجبلية الصعبة أين كانت تركزت نشاطاتهم الفلاحية في كثير من الأحيان في المنحدرات من خلال

تهيئة بعض المسطحات الضيقة والمدرجة. فقد سجلنا الكثير من هذه النماذج في منطقة قالمة وخاصة في جبال ماونة، أين سنكتفى هنا إلا بموقع:

#### <u>- حفرة البير:</u>

هذا المكان يقع على بعد حوالي 8 كلم جنوب بلدية بن جراح على الطريق المؤدية إلى بئر بربعان على إرتفاع 615 متر فوق سطح البحر، توجد مخلفات أثرية تعود إلى الفترة الرومانية. هذا الموقع عرف من خلال مختلف بيبليوغرافيا القرنين الماضيين خاصة بكتاباته الليبية والتي تطرق لها خاصة كل من فيدارب Faidherbe في كتاب تحت عنوان "مجموعة كاملة من الكتابات النوميدية "و ريبود Reboud في كتاب "مدونة الكتابات الليبية البربرية" بالإضافة إلى مقال في مدونة قسنطينة لسنة 1882 وبارنال Bernelle في نفس المدونة لسنة 1892 ونفس المقال في تقارير آكاديمية هيبون لسنة 1893 وكوبولاني Coppolani في مقال لنفس الأكاديمية لسنة 1895. لسنة 1893 وكوبولاني (Faidherbe, G. 1870: n° 162, Reboud, V. 1870: Pl XV, n° 120 Gsell, S. 1997: f°18, n°185)

عند معاينتنا الميدانية للموقع تبين لنا بأنه يقع في منطقة عين السانية، وتحديدا مع المنعرج الواقع بين المرتفعين المعروفان باسم القلعة الكبيرة والصغيرة والمؤدي إلى بير بربعان، أين توجد مخلفات أثرية تعود إلى فترتي ما قبل التاريخ والرومانية. هذه الأخيرة فتمثلت في عدد هائل من الحجارة المنحوتة بطريقة خشنة من النوع الرملي الذي جلب من نفس المنطقة، حجارة الموقع منها ماهي مبعثرة و منها ماهي في مكانها مشكلة لبقايا مختلف الهيئات من خلال صفوف متباعدة عن بعضها البعض بمسافة منتظمة تقريبا، مما يدل على استعمال التقنية الإفريقية.

مع العلم أننا سجلنا مدخل إحداها من الجهة الشمالية من خلال إحدى أنظمة الغلق المهيأة في الحجرين المشكلان لجانبي المدخل الذي قدرت أبعاده بـ: 751,م، وغير بعيد من هنا نحو الجنوب سجلنا مخلفات لحوض صغير ذو أبعاد خارجية قدرت بـ: 950, م طول و640, م عرض و400, م ارتفاع أما الداخلية فبـ: 630,م طول و610,م عرض و230, م عمق. كما لفت انتباهنا إلى حجر منحوت ذو أبعاد قدرت بـ: 501,م طول و800, م عرض و400,م سمك (ما يظهر فوق مستوى سطح الأرض)، إذ أنه يحتوي في الواجهة المشكلة للعرض على ثقب صغير تربيعي الشكل بأبعاد 10 سم طول و8 سم

عرض و4سم عمق. وهو لا يتمركز فعلا وسط الحجر سواء من الناحية الطولية أو العرضية. أما الواجهة المشكلة للسمك فتحتوي على إطارين يحتلان تقريبا طول الحجر مع فاصل بينهما قدر بـ: 24سم، وهو يشبه بشكل كبير الساكف (un linteau) الذي يوضع عادة فوق المثبت الخاص بمعصرة الزيتون مثل ما هو موجود في معصرة برزقان بتبسة.



ومن الجهة الشرقية للموقع عثرنا على معصرة للزيتون فريدة من نوعها في المنطقة ككل، مهيأة على جلمود من الحجر الرملي يأخذ الشكل التربيعي بمقاسات 953,م طول و803,م عرض و معدل ارتفاع 950,م ما يميز هذه المعصرة عن باقي المعاصر هو تهيأة المثبت والحوض في نفس الجلمود، مع العلم أنه لا وجود لمضاد الثقل في الوقت الحالي، إلا أننا سجلنا في المكان الذي من المفروض أن يكون فيه في الجهة المقابلة للمثبت هو آثار لحفر مهيأ على شكل تعشيقة مقلوبة ولكنها غير عميقة استعملت ربما من أجل تثبيت حجر مضاد الثقل. (أنظر الصورة) قاعدة العصر مهيأة بطريقة متقنة قدر قطرها به: 551,م ،تحتوي في وسطها على علامة زائد داخل دائرة صغيرة استعملت ربما في تحديد المركز. قناتها ذات أبعاد 7 سم عرض و5 صغيرة أما القناة المؤدية إلى الحوض قدرت أبعادها به: 750,م طول وما بين ما بين 3 و5 سم عمق، أما العناة المؤدية إلى الحوض مهيأ بطريقة جد متقنة وفي نفس الجلمود ما بين 3 و5 سم عمق، مع العلم أن ما البين 3 و5 سم عمق، مع العلم أن

زاويته الخارجية مكسورة في الوقت الحالي، أين تظهر من خلال الحجر بأنها تعود إلى فترات قديمة. فيما يخص المثبت فهو بدوره مهيأ في نفس الجلمود، ما يظهر من أبعاد تعشيقته قدر بـ: 0، 25 م ارتفاع و 170, م عرض من القسم السفلي و100, م عرض من القسم العلوي. مع العلم أنه يفصل بينه وبين قاعدة العصر مسافة 761, م.

كما لفت انتباهنا في ضواحي الموقع وجود عدد معتبر من المسطحات الأرضية ما زالت تظهر حتى وقتنا الحالي هيئت بحجارة خام رملية متوسطة الحجم وذلك من أجل الأشغال الفلاحية. وعلى بعد حوالي 350 م شمال شرق الموقع تم العثور على مخلفات لقبر على شكل مصطبة جنائزية، ولكن لا وجود للطاولة ولا الحلقات في الوقت الحالى.

الموقع متمركز في مكان جد استراتيجي ومحمي طبيعيا من جميع النواحي من العوامل الطبيعية وخاصة الرياح وذلك بواسطة المرتفعات التالية: القلعة الكبيرة من الجهة الغربية والقلعة الصغيرة من الجهة الشمالية والقلعة الشوافة من الجهة الشرقية، ويبقى الإنفتاح الوحيد من الجهة الجنوبية. ومن خلال التسمية المشتركة بين هذه المرتفعات "القلعة" نلاحظ بأن جميعها تتميز بتحصين طبيعي ذو منحدرات شديدة من جميع النواحي تقريبا، كما أن تسمية المرتفع الشرقي "القلعة الشوافة" نسبة إلى مجال الرأية الواسع من قمة هذه الأخيرة، ونفس المعنى نجدها في عدد من مرتفعات الأوراس وبلاد الشاوية بصفة عامة تحت اسم "الشوف".

ما يميز الموقع في الوقت الحالي أو من خلال البيبليوغرافيا، هو الإنعدام التام للنقيشات اللاتينية، مقارنة بالليبية التي نشرت في مختلف البيبليوغرافيا والتي قام بجمعها شابو ونشرها في كتابه مدونة الكتابات الليبيةالصادر سنة 1940، والتي قدر عددها بـ: 24 نقيشة . 1940 (Chabot, J.-B. نقيشة . 24 نقيشة . 1940) وهذا من دون أدنى شك دليل على أن الموقع كان آهل بالسكان المحليين المكتسبين لطرق وتقنيات بناء رومانية مع محافظتهم لتراثهم اللغوي والكتابي.

# منشیر مشتة محبوبي / هنشیر مسار: (منظر عام لموقع مشتة محبوبي)

في هذا المكان الواقع على بعد حوالي 3000 متر شمال شمال غرب هنشير مغوط و1300 م شرق واد الشارف وأمام مشتة عائلة محبوبي، أو هنشير مسار كما ورد عند غزال في الأطلس الأثري، توجد مخلفات أثرية تعود إلى الفترة الرومانية (1/50 000)، (1/50 % , 1997: f°18, n°186). تتمثل في عدد معتبر من الحجارة المصقولة بطريقة خشنة من النوع الرملي، جلها مبعثر عبر أرجاء الموقع، ومع ذلك فقد سجلنا تلك مخلفات كثيرة

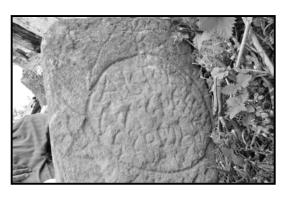


لهيئات بمختلف المقاسات مازالت تظهر من خلال صفوف من الحجارة متباعدة عن بعضها البعض بمسافة منتظمة مما يؤكد بأن تقنية البناء المستعملة كانت الإفريقية(أنظر الصورة)، بالإضافة إلى عدد معتبر من الحجارة الدبشية. كما سجلنا أيضا مخلفات لثلاث مطاحن قمح كبيرة من النوع الصناعي (moulins à meules tournantes) على الأقل، تتمثل في الجزء السفلي الثابت المعروف بالميتا (Meta)، جميعها من الحجارة الرملية، الأول مكسور في قسمه العلوي ما بقي من طوله قدر بـ: 650, م و 650, م. الثاني في حالة حسنة من الحفظ و هو بمقاسات 800, م طول و 600, م عرض، أما الثالث فهو أيضا مكسور من قسمه العلوي و ما بقي من طوله قدر بـ: 500, م طول و نفس الشيء بالنسبة للقطر. بالإضافة إلى بقايا من العنصر العلوي المتحرك المسمى بالكاتولوس (catillus) من الحجارة الرملية في حالة سيئة من الحفظ؛ لم يبقى منه حاليا سوى المقبض والجزء المحيط به. كما تم

العثور كذلك على عنصر مدفون بنسبة كبيرة تحت الأرض ما يظهر منه تبين لنا بأنه عبارة عن مدق. وبغض النظر عن ما تم تسجله سابقا، فقد تم العثور أيضا على عدد كبير من مختلف العناصر الأخرى أهمها:

- بقايا عمود من الحجر الرملي الأزرق بمقاسات 601, م طول و 450, م قطر.
- بقايا قاعدة عمود في حالة متوسطة من الحفظ، قدر قطرها ب: 300, م.
- بقايا تاجي أعمدة من النوع الأيوني الأول في حالة متوسطة من الحفظ، أما الثاني فلم يعد يظهر جيدا.

# نقيشة مسيحية في موقع مشتة محبوبي-



-حجر مصقول مدفون جانبيا تحت الأرض، بمقاسات حوالي 201, م طول و 450, م عرض (ما يظهر حاليا)، يحتوي على قناة هيأت على طول الحجر و من إحدى جانبية . مع العلم أنها مسدودة من جهة و مفتوحة من الجهة الأخرى.

وما يثير الإهتمام في هذا الموقع هو عثورنا على حجر مصقول بقاسات 900, م طول و 450, م عرض و 450, م سمك، يحتوي على كتابة داخل حقل دائري مع رمز للصليب من الجهة العلوية خارج الدائرة. استطعنا قراءة إلا الإسم الأول من الكتابة والمتمثل في ABRAM (أنظر الصورة)

وفيما يخص المخلفات الجنائزية التي عثرنا عليها في الموقع فتمثلت في بعض التوابيث بالإضافة إلى عدد من النقيشات الليبية والتي سوف نتطرق إليها لاحقا من خلال المقابر في المنشآت غير العمرانية.

ومن خلال طبوغرافية الموقع والمخلفات الأثرية الموجودة وتقنيات البناء ومساحته المقدرة بحوالي 52, هكتار (230 م طول و107 م عرض)، فإنه من دون شك كان عبارة عن منشأة فلاحية نوميدية هيأت في الفترة الرومانية وبنفس التقنيات، والدليل على ذلك هو عملية الصقل الخشنة التي يتميز بها الموقع بالإضافة إلى الكتابة المسيحية وفي نفس الوقت التقيد بالعادات النوميدية القديمة؛ مما يجعلنا نقول بأن مثل هذه المواقع يطلق عليها اسم المواقع النوميدورومانية. مع العلم بأن ليس هذا المثال الوحيد فب المنطقة، وسوف نتحدث عن هذا بالتفصيل في الدراسة التحليلية من هذا العمل.

فبالرغم من المجهودات المبذولة في الفترات الأخيرة من مختلف الأساتذة والباحثين والطلبة في هذا المجال من الدراسات المتعلقة بعالم الريف القديم، فإنه عدد هائل من التساؤلات والإشكاليات تبقى عالقة فيما يخص الكثير من القضايا، والمتمثلة خاصة في التنظيمات القانونية التي كانت تسير مختلف العقارات من حيث خضوعها تحت قانون المدينة، والضرائب...، وهل أن مختلف الإصلاحات الفلاحية التي وجدت في القسم الشرقي للمقاطعة البروقنصلية (مانكيانا ....) مست فقط تلك الدومانات أو كامل المقاطعة؟ بالإضافة إلى إشكاليات التأريخ في ظل غياب الكتابات والحفريات. والتي نعتمد لحد الساعة إلا على مختلف البقايا الفخارية المنتشرة على سطح الأرض والتي يمكن من خلالها إعطاء تأريخ نسبي فقط.

وبغض النظر عن الإشكاليات سابقة الذكر، فقد قمنا في مرحلة أولى من وضع دراسة أثرية لمنطقة قالمة سمحت لنا بالإجابة على جملة من التساؤلات فيما يخص تصنيف وتحديد هوية مختلف المنشآت الفلاحية مع تأريخ بعضها وإعطاء تأريخ نسبي لبعضها الآخر؛ وذلك جاء نتيجة البحث البيبليوغرافي متبوعا بدراسة ميدانية لعدد معتبر من المواقع الريفية في محيط المنطقة، أين تم العثور على عدد معتبر من المنشآت الفلاحية الجديدة بمختلف أصنافها (امبراطورية و خاصة)، بالإضافة إلى وضع عدد معتبر من التصحيحات التي وقعت فيها جل البيبليوغرافيا السابقة وحتى الخرائط الطبوغرافية خاصة فيما يتعلق بهوية المزارع النوميدية التي كانت تصنف على أنها عبارة عن مزارع رومانية بحكم حملها لنفس الخصائص الرومانية من لقى أثرية و صقل الحجارة و تقنيات البناء...، وبالتالي فإن منشآت

السكان المحليين كانت كثيرة خلال الفترة الرومانية خاصة ولكن للأسف لم تلقى من يمسح الغبار عنها وظلت تصنف على أنها رومانية. ومن هنا يمكن إطلاق فكرة تغيير مصطلح "الفترة الرومانية "إلى مصطلح "الفترة النوميدورومانية" أو "الليبورومانية" و إعادة النظر و الغوص في البحث على تثبيت وترسيخ شرعية هذا المصطلح، فكما هو معروف بأن تاريخنا القديم كتب من طرف باحثين و مؤرخين أوروبيين. أين لا نجد إطلاقا في كتاباتهم مصطح " الفترة الرومانية في بلاد الغال" بل الشائع هو " الفترة الغالية الرومانية". فالوصول إلى النتيجة المبتغاة من أجل إثبات المصطلح سالف الذكر، فيجب على الباحثين الإهتمام أكثر و التوجه إلى البحث في عالم الريف القديم الذي مازال يخزن في طياته حقائق كثيرة حول السكان المحليين الذين تزامنوا مع الإستيطان الروماني في شمال إفريقيا.

#### ببليوغرافيا

- -Anonyme. (1903). "Inventaire des antiquités de Hammam Maskhoutine", R.S.A.C., 37, p. 1-28.
- -Cagnat, R., Shmidt I. (1894). Corpus Inscriptiunum Latinarum, Voluminis Octavi Supplementum. Pars II, Inscriptiunum Provinciae Numidiae. berolini apvd georgium reimerum.
- -Chabot, J.-B. (1940). Recueil des inscriptions libyques, Paris: Imprimerie Nationale.
- -Demsiri-Laadoua, L. (1997). Les domaines impériaux en Afrique du Nord romaine, étude de la géographie historique, Villeneuve: Presses universitaires du Septentrion.
- -Faidherbe, Général. (1870). Collection complète des inscriptions numidiques (libyques) avec des aperçus ethnographiques sur les Numides, Paris: Librairie A. Franck
- -Gascou, J. (1970). «Le Cognomen Gaetulus, Gaetulicus en Afrique Romaine», M.E.F.R., 82, p. 723-736.
- -Gsell, S. (1997) Atlas Archéologique de l'Algérie, 2<sup>ème</sup> éd., Alger: Agence Nationale d'Archéologie et de Protection des Sites et Monuments Historiques.
- -Gsell, S. (1965). Inscriptions latines de l'Algérie, tome I, inscriptions de la Proconsulaire, Roma: L'ERMA di Bretshneider.
- -Gsell, S. (1976). Inscriptions latines de l'Algérie, tome II, volume II, inscriptions de la Confédération Cirtéenne, de Cuicul et de la tribu des Suburbures, Alger: Société Nationale.
- -Leglay, M. (1954), "Rapport sur l'activité archéologique en Algérie au cours des quatre dernières années (1950-1953)", Séance présenté le 13 décembre 1954, B.C.T.H., p. 181-203.
- -Picard, G.-Ch.(1990). La civilisation de l'Afrique Romaine, 2<sup>e</sup> édition, Paris: Études Augustiniennes.
- -Poulle, A. (1875)."Inscriptions de la Numidie et de la Mauritanie Sétifienne" R.S.A.C., 7, p. 351-440.
- -Poulle, A. (1878)."Inscriptions la Mauritanie Sétifienne et de la Numidie". R.S.A.C., 17, p. 313-430.
- -Poulle, A. (1882)." Inscriptions diverses de la Numidie", R.S.A.C., 22, p. 283-330.
- -Reboud, V. (1870). Recueil d'inscriptions Libyco-Berbères. Paris: Adrien Le Clere
- -Wilmanns, G. (1881). Corpus Inscriptiunum Latinarum, Voluminis Octavi Pars Prior, Inscriptiones Africae Latinae. Berolini apvd georgium reimerum.

#### Les thermes, Frigidaria ou nouveaux fora

#### Dr. Fatima Zohra Bahloul

Université de Batna

Cet exposé porte sur les travaux que nous avons menés et continuons de mener sur plusieurs sites antiques de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne, comme les sites de *Thamugadi* (Timgad), de Lambaesis (Lambèse-Tazoult), Cuicul (Djemila), Caesarea (Cherchel), Hippo Regius (Hippone), Castellum Tidditanorum (Tiddis). Ces travaux de terrains sur les thermes romains se déroulent dans le cadre de notre

La majorité des sites antiques de l'Algérie fouillés sont connus par leurs monuments, et surtout par leurs thermes; ces derniers étaient nombreux et étaient distribués à travers toute cité antique. Ce qui montre que d'un point de vue social et économique, le bain occupait une place importante dans la vie des anciens.

Les édifices thermaux se composent généralement et en moyenne de cinq salles disposées en en ligne selon un axe, en diagonale, disposées à angle droit, ou bien circulaire.

1 vestiaire (apodyterium)  $\rightarrow$  2 salle froide (frigidarium)  $\rightarrow$  3 salle tiède (tepidarium)  $\rightarrow$  4 salle de nettoyage étuve (destrictarium / laconicum)  $\rightarrow$  5 sálle du bain chaud (caldarium).

Les premiers thermes étaient de taille petite ou moyenne, le baigneur passait par quatre espaces importants et quatre atmosphères différentes; une fois le baigneur déshabillé dans le vestiaire (apodyterium), il commençait par un espace froid (frigidarium), puis s'échauffait dans un second espace tiède (tepidarium), il se nettoyait dans un espace très chaud destrictarium / laconicum et enfin il se baignait dans les bassins du dernier espace chaud (caldarium) et en sortant, il revenait sur ses pas. Les plans des thermes ont évolués, les espaces se sont multipliés et d'autres activités sont apparues (espaces de sports, de lecture, de promenade...), et sont apparus d'autres modèles, jusqu'au plan symétrique, modèle pratique pour les grands thermes monumentaux. Les espaces sont dédoublés. le circuit du baigneur n'était plus un va et vient, mais en boucle, un circuit circulaire, ainsi il n'y avait plus les encombrements.

1. Situation des thermes dans la ville

A la lecture des plans des villes antiques déjà citées, les thermes publics sont nombreux, de taille différente et sont distribués à travers tout le tissu urbain antique.

Ils sont situés sur des lieux privilégiés, ils sont prés des centres vivants, comme le forum, des voies importantes, prés des portes, à l'entrée de la ville, prés des marchés. Les bains sont plus fréquemment construits à proximité de bâtiments publics, c'est seulement par un manque d'espace que certains grands bains sont construits à la périphérie.

Le site de Timgad compte quatorze thermes publics et quinze thermes privés. (Fig. 1). Thébert soulignait: « Encore faut-il préciser que le nombre de bâtiments thermaux mis au jour à Thamugadi est sans parallèle même à Volubilis.» (Thébert, I. 2003: 229).

Le site de Lambèse est partiellement fouillé, et il renferme six thermes, deux bains publics situés dans la ville basse, un situé à l'intérieur du grand camp et le deuxième prés de l'amphithéâtre. La ville haute renferme trois thermes publics, au nord du Capitole se trouvent les thermes dits des Chasseurs, un second bain prés du temple d'Esculape et enfin le troisième bain à l'entrée de l'arc de Septime Sévère. Au Sud Ouest de ce bain, un bain privé appartenant à une riche demeure dite de l'Enfant à l'aiglon. (Fig. 2). A Djemila Huit bains ont été découverts, quatre bains publics, les thermes du Capitole, comme leur nom l'indique sont situés à proximité du Capitole et du forum, les grands thermes Sud construit prés de la porte de grande et sa façade principale projetait sur la rue prolongée du Cardo maximus, le troisième construit prés du forum sévérien et enfin les bains du Baptistère. Quatre autres bains privés appartenant aux riches maisons qui sont situés prés du vieux forum, quartier riche des habitants de Cuicul (Fig. 3). Le site de Cherchel possède quatre thermes publics, trois déjà connus, et quatre nobles domus étaient dotées de thermes privés. En étudiant les maisons nobles de Caesarea, Leveau signalait quatre bains privés appartenant à ces demeures. L'auteur identifiait en plus un quatrième bain public. Tous thermes ces sont pas représentés sur notre plan. (Fig. 4), (Leveau, Ph. 1982:130, 136, 144, 146, 148).

Trois bains sont connus à Tiddis, deux bains publics, les petits thermes sont construits prés du grand réservoir d'eau, les grands thermes demandaient plus d'espace, les anciens les ont installé au pied de la montagne. Un seul bain privé construit dans une grande villa à proximité

du Rhumel. (Berthier, A. 1951: 47).

Tous ces sites ne sont pas totalement fouillés, et il est possible que

d'autres bains serraient encore enfouis.

Timgad vient en première position renferme quatorze thermes publics c'est le plus grand nombre pour les thermes publics et privés, puis vient en deuxième position la cité de Lambèse, elle possède cinq thermes publics, Cherchel compte seulement quatre thermes publics, ce nombre est faible pour une capitale de la Maurétanie Césarienne. Djemila possède trois, et seulement deux thermes publics pour Hippone, et Tiddis. Même remarque pour une ville d'Hippone, grande ville portuaire, nous supposons qu'elle devrait avoir plus de bains.

Tous ces sites ne sont pas totalement fouillés, et il est possible que d'autres bains serraient encore enfouis.

| Sites                       |                             | Timgad | Lambèse | Cherchel | Djemila | Hippone | Tiddis |
|-----------------------------|-----------------------------|--------|---------|----------|---------|---------|--------|
| Thermes                     | Thermes<br>autres<br>types  | 13     | 3       | 3        | 1       | 1       | 1      |
| publics                     | Thermes<br>type<br>impérial | 1      | 2       | 1        | 2       | 1       | 1      |
| thermes                     | •                           | 14     | 5       | 4        | 4       | 2       | 2      |
| Thermes privés              |                             | 15     | 1       | 4        | 4       | 1       | 1      |
| Nombre total des<br>thermes |                             | 29     | 6       | 8        | 8       | 4       | 3      |

Tableau 1. Nombre et nature des thermes dans les sites de Timgad, Lambèse, Djemila, Cherchel, Hippone, Tiddis.

2. Situation des thermes de type impérial dans la ville

Généralement, nous définissons les thermes de type impérial ainsi : Le type impérial peut ainsi être caractérisé par une composition symétrique, une circulation rationnelle des baigneurs reposant sur l'absence d'itinéraire rétrograde et l'existence d'un tepidarium de sortie assurant la transition entre caldarium et frigidarium, des solutions architecturales souvent grandioses et une riche décoration intérieure. Sont donc exclus les bâtiments symétriques comportant dans le secteur chauffé

des itinéraires en partie ou entièrement rétrogrades. (Bahloul Guerbabi, F.-Z. 2012 : 2381, n. 1).

Les bains étaient des monuments énormes et demandaient énormément d'espace. Ils sont situés à l'extérieur de la ville primitive, en dehors de l'enceinte et souvent prés d'une porte comme à *Thamugadi* (Timgad), *Lambaesis* (Lambèse), *Cuicul* (Djemila), ou en bordure du rivage et à la limite d'une ville portuaire comme Caesarea (Cherchel), ou au pied de la montagne comme à Tiddis,

Les édifices thermaux sont volumineux, ils ont un impact énorme sur le tissu urbain, plus particulièrement les thermes de type impérial. Ils ont été des repères spatiaux au sein des agglomérations antiques et le sont

encore.

3.Les thermes de type impérial

Généralement, on définit les thermes de type impérial ainsi :

Le type impérial peut ainsi être caractérisé par une composition symétrique, une circulation rationnelle des baigneurs reposant sur l'absence d'itinéraire rétrograde et l'existence d'un tepidarium de sortie assurant la transition entre caldarium et frigidarium, des solutions architecturales souvent grandioses et une riche décoration intérieure. Sont donc exclus les bâtiments symétriques comportant dans le secteur chauffé des itinéraires en partie ou entièrement rétrogrades. (Bahloul Guerbabi, F.-Z. 2012 : 2381, n. 1).

4.Le frigidarium

Le frigidarium occupe la partie centrale de l'édifice, comprend la plus grande salle principale dotée de deux ou trois piscines froides. Généralement deux piscines sont symétriques, de larges bassins, revêtus de peintures ou de marbre, et l'on descendait par un escalier de deux ou trois marches. Des trois cotés et des fois seulement deux cotés sont limités par des murs, et sur le quatrième et des fois le troisième, sont largement ouverts.

Les murs de la grande salle du frigidarium, sont rythmés d'ouvertures, de niches rectangulaire et concaves, une caractéristique architecturale très répandue dans nos édifices thermaux de la région et s'apparente à ce que certains chercheurs ont appelé des « effets baroques ». (Bouet, A., Saragoza, F. 2007: 43)

5-1 Le *frigidarium* des grands thermes du Nord de

Thamugadi

Le frigidarium des grands thermes du Nord de Thamugadi couvre près de 400 m² (13,5 x 28,5 m), soit presque la surface de thermes de quartier. C'est encore la plus spacieuse et sans doute aussi la plus richement décorée des salles qui composent l'édifice, celle que Ballu identifiait comme une « grande salle centrale », et non comme le frigidarium, qu'il dédoublait en le plaçant dans les salles à abside et voûte d'arrêtes situées aux angles sud-est et sud-ouest du bâtiment. Yvon Thébert préfère y voir des salons ou des vestiaires (Thébert, I. 2003: 235), situant bien le frigidarium au cœur du bâtiment, à la croisée de l'axe de symétrie entre le tepidarium de sortie et la natatio, et de l'axe transversal entre les deux gymnases. Cette grande salle rectangulaire ouvre par ses petits côtés sur les gymnases, par deux portes encadrant une niche concave. Le grand côté opte également pour un dispositif symétrique sur ses deux faces: situées de part et d'autre du vestibule d'accès au tepidarium, selon le modèle impérial, les deux piscines trouvent en miroir deux niches rectangulaires de même largeur que l'ouverture des baies

donnant accès aux piscines. L'espace situé à la sortie du tepidarium offre également un accès latéral aux piscines. Ce vestibule donne accès au tepidarium par deux portes, pour chacun des flots de baigneurs, et au frigidarium par une baie étant ornée de deux colonnes et formant ainsi trois passages. En face, la grande baie à arcade ouvre sur la natatio.

5-2 Le *frigidarium* des grands thermes de Lambaesis Le *frigidarium* des grands thermes de Lambaesis appartiennent à la même catégorie : grande salle rectangulaire d'environ 220 m2 (16 x 13,75 m), encadrée cette fois par les apodyteria. Les deux piscines froides occupent les petits côtés du rectangle et sont selon le dispositif classique encadrées de deux couloirs de circulation. Leur particularité est d'être ouverte par une large baie tant du côté du frigidarium que du côté des apodyteria. Plusieurs niches concaves abritaient des statues, plus petites que celles du gymnasium qui abritaient les inscriptions et les statues d'Hercule. (Bayet, J. 1914)

5-3 Le *frigidarium* des grands thermes Sud de Cuicul

Le frigidarium des grands thermes Sud de Cuicul occupe le cœur de l'établissement thermal. Avec plus ses 170 m², il n'est pas le plus vaste espace du bâtiment, celui-ci étant ici le gymnase, unique et placé sur l'axe de symétrie, ce qui représente un dispositif original répondant à la configuration d'un terrain étroit et profond. Sa forme est celle d'un carré dont les quatre angles seraient recoupés par un jeu de courbes et contrecourbes, niches encadrant un renfort. Deux piscines froides, ornées sur trois côtés d'une niche rectangulaire, sont situées sur les côtés, et séparées de la façade externe par les tépidaria d'entrée. Sur l'axe de symétrie, une porte donne accès au *tepidarium* de sortie. Elle est encadrée de deux autres portes donnant accès à une petite salle servant de raccourci aux baigneurs souhaitant passer directement du destrictarium au frigidarium. En vis-àvis s'ouvre la grande baie de la *natatio*, marquée par deux colonnes. Entre les piscines et la *natatio*, deux autres portes permettent de regagner les *apodyteria*. (Leschi, L. 1953: 41)

5-4Le frigidarium des grands thermes Ouest de Caesarea

Le frigidarium des grands thermes Ouest de Caesarea adopte globalement le même dispositif que les thermes de Lambaesis : un hall rectangulaire, plus allongé donnant directement accès, d'un côté par une porte au *tepidarium*, de l'autre par une baie très large ouverte sur toute la longueur du *frigidarium*, à la *natatio*. (Thébert, Y. 2003 : 192). Comme à Lambaesis, les piscines à peu près carrées occupent les petits côtés et sont encadrées par deux couloirs menant aux gymnases. Stéphane Gsell signale un « beau parement en dalles d'onyx, provenant des carrières d'Aïn Tekhalet, dans le département d'Oran ». Les piscines du frigidarium sont ornées sur trois faces de niches alternativement rectangulaires et concaves. Elles pouvaient ainsi abriter des statues.

5-5 Le frigidarium des grands thermes de Tiddis

Nous connaissons peu de chose sur les grands thermes de Tiddis,

la surface de son *frigidarium* est inconnue.

| Nº | Thermes                                | Surface du<br>frigidarium | Surface des<br>piscines   | Surface de<br>la Natatio | Surface<br>totale des<br>bassins<br>froids | Surface<br>totale        |
|----|--|---------------------------|---------------------------|--------------------------|--|--------------------------|
| 01 | Grands<br>thermes<br>Nord de<br>Timgad | 436 m²                    | 44 +45m²                  | 108 m²                   | 197 m²                                     | 633 m²                   |
| 02 | Grands<br>thermes de<br>Lambèse        | 222,99 m²                 | 42,86+42,19m <sup>2</sup> | -                        | 85,05 m <sup>2</sup>                       | 308,04<br>m <sup>2</sup> |
| 03 | Grands<br>thermes                      | 189,57 m <sup>2</sup>     | 27,74+27,74m <sup>2</sup> | 82,50 m <sup>2</sup>     | 137,98 m²                                  | 327,57<br>m <sup>2</sup> |

|    | Sud de<br>Djemila                |                      |                           |          |                       |                          |
|----|----------------------------------|----------------------|---------------------------|----------|-----------------------|--------------------------|
| 04 | Grands<br>thermes de<br>Cherchel | 302,5 m <sup>2</sup> | 58,54+58,54m <sup>2</sup> | 250,53m² | 367,61 m <sup>2</sup> | 670,11<br>m <sup>2</sup> |

Tableau. 2 Surfaces des frigidaria et des piscines froides

La surface du frigidarium des grands thermes de Cherchel est la plus élevée, égale à 670 m². Cette surface est réduite pour des grands thermes qui occupent une surface de 8050 m² de la capitale de la Maurétanie, 633 m² un peu moins pour le frigidarium des grands thermes Nord de Timgad, cette surface est très grande pour des thermes de 4000 m² se situant dans une colonie de la Numidie méridionale. Les surfaces sont presque les même pour les *frigidaria* des grands thermes de Lambèse et des grands thermes Sud de Djemila, la grande salle de Djemila est plus petite, mais se rattrape avec l'espace de la *natatio*, qui est absente des grands thermes de Lambèse.

Les thermes ont évolués avec le temps, les espaces se sont multipliés, et se sont spécialisés. Ainsi le bain froid avait pris de l'importance. Le *frigidarim* était de plan carré, cruciforme ou rectangulaire, garni de bassins d'eau froide.

Les surfaces des salles froides avaient augmentées, plus particulièrement le *frigidarim*; de même que les hauteurs des murs de ces espaces avaient augmentées. Comme les espaces grandissaient en trois dimensions, le volume du *frigidarium* prenait une autre échelle qui dépassait les autres espaces, jusqu'à dominait tout l'édifice.

Cette évolution des espaces peut être mise en relation avec les réflexions médicales qui voient, malgré des différences, dans le contraste rapide entre les bains chauds et froids, un effet salutaire à la santé et à l'équilibre du corps. Les exercices, les massages et les onctions font partie de ce processus favorisant un bon équilibre du corps et un bien être.

#### 6. Mode de construction

Grace aux matériaux de construction, avec l'invention du béton antique et les divers opus, la fabrication de la brique cuite, les moellons, la pierre de taille et aux systèmes constructifs, comme l'arc et de la voûte, les anciens ont pu construire et surtout couvrir de gigantesques monuments. Selon le définition de Dessales:

« L'opus caementicium est utilisé comme noyau interne d'un mur parementé ou seul, moulé dans un coffrage de bois ou coulé dans une tranchée. Cette technique, qui s'est développée vers la fin du IIIe siècle av. J.-C. dans le Latium et en Campanie, constitue un tournant fondamental pour l'architecture romaine ; elle a permis, par exemple, d'obtenir des couvertures voûtées de proportions bien supérieures à celles possibles avec la pierre ». (Dessales, H. 2003: 3)

L'épaisseur des murs atteste que la majorité des salles étaient voûtées, comme dans plupart des salles des grands thermes encore conservés. Les espaces étaient couverts par des terrasses de l'extérieur et de l'intérieur, ils étaient voutés.

#### 7. Restitutions

Nos connaissances sur les thermes des sites de la Numidie sont dépassées, des études architecturales nouvelles sont nécessaires pour mieux comprendre l'histoire de l'architecture balnéaire, l'histoire de l'évolution des villes antiques de notre pays. (Bahloul Guerbabi, F.-Z. 2012: 2425, note, 120).

A partir des études sur le terrain, et d'une relecture des plans des thermes et de la remise de certains éléments dans leur contexte, parallèlement l'étude des monuments de forme, de fonction et d'époque analogues qui nous offrent d'intéressants points de comparaison, (Broise, H., Jolivet, V. 2004) et (Delaine, J. 1997) nous avons pu interpréter simplement l'architecture des bains et proposer des restitutions des volumes qui sont toujours des hypothèses.

#### 8. Fonctionnement

Les thermes sont de gros consommateurs de chauffage et d'eau, les anciens utilisaient le bois des forêts avoisinantes, de même pour l'eau des sources les plus proches.

Les thermes et les aqueducs ont joué un rôle important dans la vie économique des cités antiques, leurs constructions et leurs entretiens ont nécessité des travaux considérables, ils se sont multipliés, se sont développés suivant la croissance et la prospérité et l'enrichissement des villes antiques et de leurs habitants. Généralement les thermes et les aqueducs ou impluvium sont étroitement liés, comme les réservoirs construits en même temps que les Grands thermes de Djemila dans le quartier extérieur du sud sous Commode, où était emmagasinée une grande partie de l'eau amenée de la montagne. Le cas de Tiddis, des grands travaux d'urbanisme et la construction d'un réservoir d'eau de pluie collé à la citerne des thermes pour la santé publique ont été entrepris par le curateur et les habitants. De la même manière que les autres sites, Timgad et de Lambèse ont aussi bénéficié de nouvelles constructions et des agrandissements de thermes, des installations de latrines et de fontaines grâce à l'approvisionnement des deux cités des eaux de source acheminées par des aqueducs.

Les restes de ces édifices, les inscriptions et les ouvrages hydrauliques retrouvés, nous apportent des preuves d'ingéniosité employée à l'époque romaine pour assurer l'hygiène, le bien être des habitants, aussi assurer le ravitaillement en eau de ces cités de Numidie en plein développement où les sources sont rarissimes. Les anciens passaient une partie de leur journée dans les thermes, après le bain, il y le sport, le massage, la relaxation, la discussion. Les thermes, lieu d'hygiène et de divertissement. Le *frigidarium* devenait l'espace le plus grand, le mieux éclairé par de grandes ouvertures, le centre ou se réunissaient le plus grand nombre des baigneurs, le frigidarium s'est convertit en nouvelle place de rendez vous, ouverte de tous les côtés mais fermée indirectement par d'autres espaces tout autour. C'est une place couverte, protégée des intempéries et des chaleurs, l'espace le mieux décoré de mosaïques et de statues, l'espace douillet et agréable, le frigidarium remplaçait le Forum. Cette approche a été formulée mais pour les thermes impériaux en entier par De laine « les thermes impériaux...nouveau centre urbain capable de rivaliser, voire surpasser, les Forums Impériaux. » par (Delaine, J. 2009: 252).

La plupart de ces bains ont été fouillés il y a presque un siècle, malgré leur mauvais état de conservation, des pans de murs sont tombés, d'autres sont très arasés, la majorité des espaces sont découverts, mais leurs fondations sont bien ancrées au sol et résistent encore au temps. Il faudrait penser à les réétudier d'une manière scientifique, et à les conserver pour les générations futures.

Bibliographie

- -Bahloul Guerbabi, F.-Z. (2012). «Restitutions de deux grands thermes du type impérial: les grands thermes de Lambèse et les grands thermes du Nord de Timgad », in l'Africa Romana XIX Convegno Internazionale di Studi, Sassari, 2010, p. 2381-2428.
- -Ballu, A. (1903). Les ruines de Timgad, Paris : Nouvelles découvertes.
- -Bayet, J. (1914). «Les statues d'Hercule des Grands Thermes de Lambèse », R.S.A.C., 48, p.1-35.

- -Bayet, J. (1974). Idéologie et plastique, Rome : École Française de Rome.
- -Berthier, A. (1951). Tiddis, antique Castellum Tidditanorum, Alger: Imprimerie Officielle.
- -Boeswillwald, E., Cagnat, R., Ballu, A. (1891-1905). Timgad une cité africaine sous l'Empire romain, Paris: Ernest Leroux.
- -Bouet, A., Saragoza, F. (2007). « Amœnitas urbium et évergétisme de l'eau: La fontaine monumentale des thermes de Cluny à Lutèce », Revue Archéologique, 1, n° 43, p. 3-64.
- -Broise, H., Thébert, Y. (1993). Les thermes memmiens : étude architecturale et histoire urbaine, Recherches archéologiques franco-tunisiennes à Bulla-Regia. II., Les architectures, Rome : École Française de Rome.
- -Broise, H., Jolivet, V. (2004). Musarna 2. Les bains hellénistiques, Rome : École Française de Rome.
- -Bouet, A. (2003). Les thermes privés et publics en Gaule Narbonnaise, Rome : École Française de Rome.
- -Delaine, J. (1997). "The baths of Caracalla", A Study in the design, construction, and economics of large scale building projects in imperial Roma, JAT, suppl.25, Portsmouth, Rhode Island.
- -Delaine, J. (2009). 'Terme imperiali', Storia dell'architettura italiana. Dagli Etruschi a Costantino. 1. Architettura romana. I grandi monumenti di Roma, H. von Hesberg, P. Zanker, éd Mondadori Electa.
- -Dessales, H. (2003). Le petit catalogue des techniques de la construction romaine, Paris : Ecole Normal Supérieur.
- -Gros, P. (1996). L'architecture romaine, du début du III<sup>e</sup> siècle avant .J.- C. à la fin du Haut -Empire, Les monuments publics, Paris: Picard.
- -Janon, M., Gassend, J.-M. (2005). Lambèse Capitale militaire de l'Afrique romaine, Ollioules: La Nerthe.
- -Krencker, D., Krüger, E. (1929). Die Trierer Kaiserthermen. Abteillung I: Ausgrabungsbericht und grunsätzliche Untersuchungen römischer Thermen, Augsburg: Benno Filser Verlag.
- -Leveau, Ph. (1982). «Les maisons nobles de Caesarea de Maurétanie », Antiquités Africaines, 18, p. 109-165.
- -Leschi, L. (1953). Djemila antique Cuicul, 3<sup>e</sup> éd., Alger: Imprimerie Officielle.
- -Thébert, Y. (2003). Thermes romains d'Afrique du Nord et leur contexte méditerranéen, études d'histoire et d'archéologie, Rome : École Française de Rome.



# **Bains publics** 1- Petits thermes du Nord

- 2- Petits thermes Nord Est
- 7- Grands thermes Est
- 10- Petits thermes Est
- 11- Petits thermes du centre
- 13- Grands thermes Nord
- 14- Thermes de Filadelfes
- 17- Thermes Nord Ouest
- 20- Thermes du marché de Sertius
- 21- Thermes Ouest
- 22- Thermes du capitole
- 23- Thermes de la
- « cathédrale donatiste »
- 27- Grands thermes Sud
- 28- Petits thermes Sud

#### Bains privés

- 2- Maison de l'insula 17
- 4- Maisons de l'insula 22
- 5- Maison de L. Iulius Ianuarius
- 6- Maison du triomphe de Vénus
- 8- Maison de la piscina
- 9- Maison de l'insula 69
- 12- Maison de l'insula 38
- 15- Maison à l'ouest des thermes de Filadelfes
- 16- Maison du sud de la porte de Lambèse
- 18- Maison prés du marché aux Vêtements
- 19- Maison au nord du capitole
- 24« Bainsdel'usinedecéramique »
- 25- Maison de Sertius
- 26- Maison de l'Hermaphrodite
- 29- Maison de l'insula 64

Fig.1. Situation des thermes de Timgad

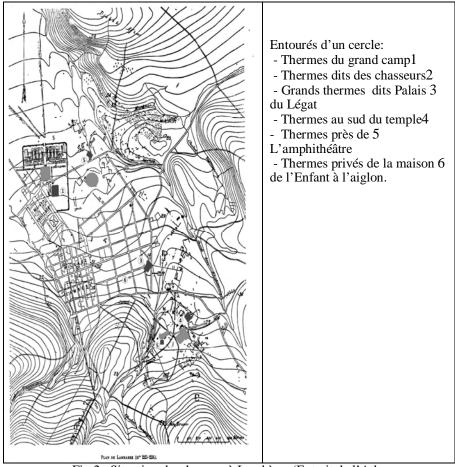


Fig.2. Situation des thermes à Lambèse. (Extrait de l'Atlas archéologique de l'Algérie, f. 27, p. 17)



Fig.3. Situation des thermes de Djemila

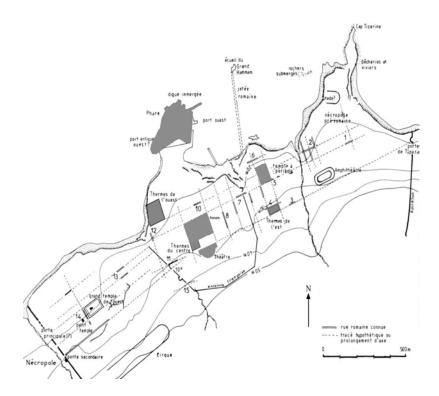


Fig. 4. Situation des thermes de Cherchel

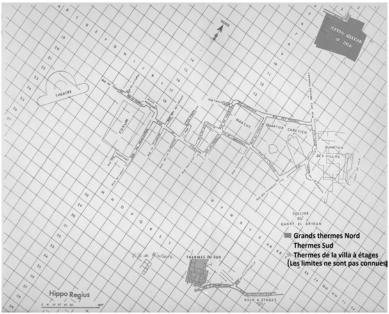


Fig. 5. Situation des thermes d'Hippone

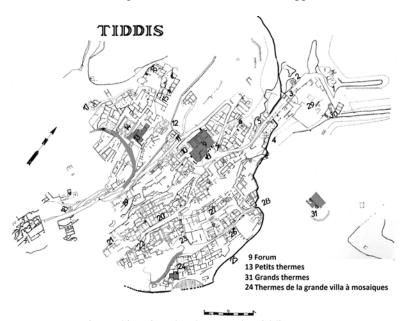


Fig. 6. Situation des thermes de Tiddis

Un baigneur est représenté à l'intérieur de trois *frigidari*. La taille du baigneur parait insignifiante devant le volume écrasant.



Fig. 7. Restitution du *frigidarium* des grands thermes Nord de Timgad.

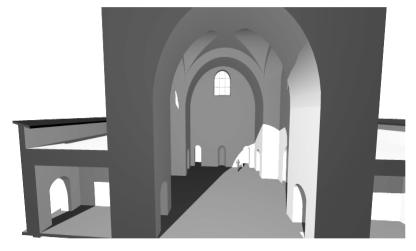


Fig. 8. Restitution du frigidarium des grands thermes de Lambèse



Fig. 9. Restitution du frigidarium des grands thermes Sud de Djemila.

#### La poliorcétique en Numidie au temps de l'indépendance

Dr. Ouiza Ait Amara Université Alger 2

La poliorcétique, ou l'art de prendre et de défendre des places fortes, entraina dans l'Antiquité, une avancée décisive des techniques militaires. Dès les temps anciens, chez les Numides, comme chez les autres peuples de l'époque, la mise en place d'un plan urbain tenait compte de la nécessité de se défendre voire de riposter. Pour résister aux attaques et aux invasions, les Numides, bien équipés, édifiaient des fortifications conçues pour la défense, la contre-attaque, le contrôle et le recueil d'informations stratégiques. Les réalisations défensives se traduisaient par l'adaptation de l'architecture civile à des fins militaires : les murs des habitations, surtout sur le pourtour des villes, étaient renforcés et jouaient le rôle de murailles.

Les Numides fortifiaient leurs agglomérations et édifiaient, le cas échéant, des fortins. Ce système de protection, en dépit de son apparente simplicité, était d'une efficacité certaine. Le peuple voyait également sa protection assurée par l'implantation d'une garnison (Le Bohec, Y. 2001 : 117-121).

Fortifier les villes faisait partie des préparatifs guerriers numides. L'auteur du *Bellum Iugurthinum* donne plusieurs exemples de villes fortifiées. Nous ne possédons, malheureusement, que de rares indices les concernant. L'histoire archéologique de la Numidie pâtit regrettablement du fait que les niveaux d'habitat romains recouvrent les niveaux numides, ce qui n'en facilite pas l'étude. Les historiens modernes, eux, peu préoccupés par la période numide, ne lui accordent que peu d'intérêt.

Le siège, comme tout autre type d'affrontement, contribua à valoriser, à l'inverse du combat ouvert (Le Bohec, Y. 2001: 117-121), l'usage de la surprise, de la ruse et de la trahison. Le feu était le moyen le plus utilisée dans la guerre de siège, le bois, un matériau essentiel à l'architecture civile possédait le défaut d'être aussi un « bon » combustible. Les assaillants se contentaient d'édifier d'immenses bûchers, déterminant avec soin l'orientation du vent. Les assiégés, eux, tendaient devant leurs ouvrages des abris de peaux fraîches et déversaient sur les foyers, eau, terre et vinaigre (Le Bohec, Y. 2001:122). Pendant ce temps frondeurs, archers et lanceurs de pierres livraient bataille sous les murs de la ville (Garlan, A. 1999: 117).

L'art du siège fut développé primitivement par les souverains grecs. Les Numides, d'après St. Gsell, avaient su profiter des leçons données par les Macédoniens (Gsell, S. 1927: V, 143-144, Le Bohec, Y. 2004: 445-456). Ils avaient fortifié leurs agglomérations, construit des fortins (Pseudo-César, XLI, XLII, 1) appelés « castella » et « praesidia » (Le Bohec, Y. 2004). La tactique du siège (Fariselli, A. C. 2002: 124) était donc bien connue des Africains (Polybe, I, 73, 6; 75-77).

La poliorcétique a été utilisée par les rois numides notamment Massinissa, à l'occasion de ses batailles contre Carthage. Les Numides, pendant le siège d'une ville, cernaient ses murailles d'un fossé et d'une clôture. Ils élevaient des tours garnies de corps de garde armés. Ils essayaient ensuite de gagner les défenseurs à leur cause par la terreur ou par la ruse (Salluste, XXI, 3 ; XXIII, 1).

Pendant la bataille qui l'opposa à Hasdrubal, Massinissa mit en œuvre plusieurs tactiques, dont le siège : il entoura d'un retranchement la colline occupée par l'ennemi et veilla à ce qu'aucun ravitaillement n'y fût introduit. La faim usa Hasdrubal et les Carthaginois. Ils sacrifièrent d'abord leurs bêtes de somme, puis leurs chevaux ; puis, faisant bouillir le cuir des harnais, ils le mangèrent. La majeure partie de l'armée carthaginoise périt. Voyant qu'il ne leur restait plus aucun espoir, ils prirent l'engagement de livrer les transfuges à Massinissa, de lui verser cinq mille talents d'argent en cinquante ans, de rappeler les exilés, enfin de sortir du camp (Appien, VIII, LXXII, 330; LXXIII, 332, 334-5; LXXIV, 338).

Le siège fut également l'une des tactiques employées par Jugurtha. Elle était choisie par nécessité, selon le but et les étapes du combat. Jugurtha voyait son intérêt dans une guerre urbaine ouverte contre Adherbal et l'avait forcé à réagir, comme le précise Salluste dans ce passage : «Se voyant réduit à quitter son royaume ou à le défendre par les armes, Adherbal cède à la nécessité; il lève des troupes et marche à la rencontre du Jugurtha. Les deux armées firent halte, près de Cirta ; comme c'était la fin du jour, la bataille ne s'engagea point. Mais, à la fin de la nuit, les soldats du Jugurtha, au signal donné, fondent sur le camp des ennemis, les bousculent et les mettent en déroute. Adherbal, suivi de quelques cavaliers s'enfuit à Cirta et, sans la présence d'un grand nombre de citoyens italiens qui interdirent à leurs poursuivants l'entrée de la ville, la guerre entre les deux rois aurait pris fin le jour même. Jugurtha investit donc la place, et mit en œuvre des tours et des machines de toute espèce pour la prendre d'assaut avant le retour de l'ambassade qu'il savait qu'Adherbal avait envoyée à Rome avant le combat » (Salluste, XXI, 1-3).

Jugurtha après avoir vaincu Adherbal, assiégea la ville de Cirta. Il sut apaiser les ambassadeurs romains qui s'étaient rendus en Afrique. Mais, dès qu'il les crut hors du territoire il tenta de prendre la place de force (Salluste, XXIII, 1-2). Il disposa son armée tout autour de Cirta. Il lança toutes ses forces à l'assaut de la place, espérant bien, obligeant ses adversaires à diviser leurs troupes, qu'il trouverait, par force ou par ruse, une occasion de s'assurer la victoire (Salluste, XXV, 9). Adherbal est assiégé par les armées de Jugurtha pendant cinq mois durant, avant l'intervention romaine (Salluste, XXIV, 1-7).

L'auteur du *Bellum Africum* mentionne, lui aussi, l'usage du siège par Juba Ier pour s'emparer de la ville de Vaga; cette ville était favorable à César: il avait promis diverses fournitures utiles à la campagne. Juba arriva avec ses troupes, cerna la ville de ses nombreuses forces. Puis, s'en étant emparé, passa par les armes tous ses habitants et la livra à ses soldats pour la piller et la détruire (Pseudo-César, LXXIV, 1-2).

Pour résister aux attaques et aux invasions, les Numides, bien équipés, édifiaient des fortifications conçues pour la défense et la contreattaque. En effet, ces peuples savaient fortifier (Garlan, Y. 1999: 133) et assurer la protection de leurs agglomérations par des remparts ou des garnisons ou par les deux à la fois en cas de besoin. Des murailles dotées de tours entouraient les villes (Fantar, M. H. 1993: 113). Les forteresses

se trouvaient à l'intérieur des terres et dans les zones frontalières (Fantar, M. H. 1993: 116). Les Numides procédaient à la construction de villes, particulièrement les plus importantes, en choisissant d'abord l'endroit le mieux protégé par la nature, que compléteraient ensuite les futures fortifications. La construction de ces ouvrages était souvent dirigée par le roi. Les villes, seules, n'avaient pas les moyens de se doter de murailles.

Les sources littéraires mentionnent les murs et les portes de différentes villes numides : Vaga, Sicca, Cirta, Zama, Thala et Capsa. Ces villes furent bâties souvent avec plus de précaution que les villages appelés *castella*. Elles étaient flanquées de tours (Salluste, LXIX, 2) et de citadelles (Gsell, S. 1927: 257). Salluste, dans « La Guerre de Jugurtha », donne plusieurs exemples de ces villes fortifiées (Salluste, LXIX, 2) :

Cirta

La ville de Cirta est mentionnée plusieurs fois pour des événements qui s'y sont déroulés à la fin du IIIe siècle avant J.-C. (Tite-Live, XXIX, 32; Gsell, S. 1997: f. 17, n° 126). Elle était alors la capitale du roi Syphax (Tite-Live, XXX, 12; Gsell, S. 1997: f. 17, n° 126). Elle a ensuite appartenu à Massinissa qui en fit, lui aussi, sa capitale (Strabon, XVII, 3, 13; Gsell, S. 1997: f. 17, n° 126). Ses successeurs y résidèrent à leur tour (Gsell, S. 1997: f. 17, n° 126). Elle est citée lors de la première guerre punique (264-241 avant J.-C.), et également lors de la seconde (218-201 avant J.-C.). Sous le règne de Massinissa, la ville s'agrandit; S. Gsell estime le nombre de ses habitants à cent cinquante ou cent quatre-vingt mille (Kitouni-Daho, K. 2003: 95).

Cirta était pourvue d'une forteresse royale (Salluste, XXIII, 1; Gsell, S. 1997: f. 17, n° 126). Des remparts l'entouraient (Tite-Live, XXX, 12). Sous le règne de Micipsa, elle pouvait mettre en ligne dix mille cavaliers et vingt mille fantassins (Strabon, XVII, 3, 13; Gsell, S. 1997: f. 17, n° 126, 10), ce qui suppose que l'étendue de son territoire était immense (Gsell, S. 1997: f. 17, n° 126, 10). Elle était présentée par Salluste comme une place naturellement forte et susceptible d'être ceinte d'ouvrages d'art militaires habituels à l'époque (Salluste, XCII, 5, 7; Berthier, A., Juillet, J. et Charlier, R. 1949: 33).

Concernant la ville de Cirta, on sait qu'au moment où Adherbal s'y réfugia, accompagné de quelques cavaliers, Jugurtha l'investit, faisant agir mantelets, tours mobiles et machines de toute espèce (Salluste, XXI, 3; Berthier, A., Juillet, J. et Charlier, R. 1949: 32). Il essaya de l'emporter d'assaut. Les assiégeants poussaient leurs engins lentement vers la muraille, s'approchant du pied du mur pour le saper. Les tours mobiles étaient de grandes machines, redoutables pour les assiégés, dont leur hauteur devait excéder celle du mur d'enceinte de la ville. La charpente de la machine était garnie de cuir ; elle était posée sur des roues, et on la faisait avancer à force de bras. Elle était divisée en trois étages : dans le bas, le bélier pour abattre la muraille ; au milieu, une sorte de pont-levis qu'on abattait sur le mur du rempart : c'était par-là que les soldats envahissaient la ville; le haut était une plateforme garnie d'archers et de gens armés de longues lances, dont le rôle d'écarter les défenseurs de la muraille (Salluste, XXIII, 9; Berthier, A., Juillet, J. et Charlier, R. 1949: 32).

Les historiens mentionnent l'existence d'une haute montagne non loin de Cirta (Gsell, S. 1997: 90). Elle était d'un accès difficile et dangereux, mais lorsqu'on était parvenu à son sommet on y découvrait des plateaux fertiles, de nombreuses sources, des arbres productifs et des champs de blé. Les habitants négligèrent d'y construire des forteresses, celles-ci ne leur paraissant pas nécessaires (Corippus, II, 145).

Suthul

L'auteur *Bellum Iugurthinum* fait de Suthul (Gsell, S. 1928: VII, 172) une place forte; ses murailles étaient dressées sur le bord d'un roc escarpé. Son emplacement, choisi pour abriter des trésors, se comprend d'autant mieux, qu'outre sa position fortifiée naturellement, elle était placée en arrière du groupe de villes du *regnum Numidiae*. Selon A. Berthier., Elle était située près de la frontière, et elle aurait pu être l'enjeu des premiers combats livrés par un ennemi venu de l'Est (Berthier, A, Juillet, J. et Charlier, R. 1949: 27).

Les Romains gagnèrent difficilement et à grandes étapes la place de Suthul où se trouvaient les trésors du roi. L'avantage de la position ne permettait pas de la prendre d'assaut, ni d'en faire le siège : tout autour de ses murailles s'élevant sur le bord d'un mont escarpé s'étendait une plaine boueuse transformée en marécage par les pluies (Salluste, XXXVII, 3 et 4 ; Berthier, A., Juillet, J. et Charlier, R. 1949: 38). Ces conditions tenaient tant éloigné Aulus de cette ville qu'il n'espérait plus la prendre (Gsell, S. 1927: 171).

Vaga

Vaga représentait d'abord le marché le plus important et le plus fréquenté du royaume Numide. Des Italiens s'y étaient établis en grand nombre. C'était une ville naturellement fortifiée. Elle fut néanmoins prise d'assaut : « Les habitants de Vaga, à l'aspect d'une armée qui s'avançait vers eux, crurent d'abord, non sans raison, que c'était Metellus et ils fermèrent les portes de la ville. Les fantassins s'élancent, les uns massacrent la foule répandue hors de la ville, les autres courent aux portes, d'autres s'emparent des tours» (Salluste, LXIX, 1-2).

Zama

Au second siècle avant notre ère, Zama, ancienne résidence des rois numides (Polybe, XV, 5, Salluste, LVI, 1, Pseudo-César, XCI, 1), était une grande ville, citadelle de la partie du royaume où elle s'élevait (Polybe, XV, 5, 3; Tite-Live, XXX, 29, 1; Salluste, LVI, 1; Pseudo-César, XCI, 1). Salluste a affirmé que Zama était située en plaine et mieux défendue par l'art que par la nature (Salluste, LVII, 1), ce qui ne convenait pas aux escarpements de Jama. Les modernes parlent de l'existence d'une troisième Zama située dans une plaine de la Tunisie centrale, non loin de Sicca (le Kef), de Mactaris (Mactar) et de Zama (Gsell, S. 1913: I, 257). Cette ville, entourée de remparts (Salluste, LVI, 1-2; LVII, 1-6), citadelle du royaume de la région, ne manquait ni d'hommes, ni d'armes, ni de ressources, et abritaient peut-être même des fabricants d'armes (Salluste, LVI, 1; LVII). Elle a subi le siège de Metellus.

L'auteur de *Bellum Iugurthinum* raconte la longue guerre menée contre Jugurtha et le siège de Zama; pendant des années cette dernière resta protégée par sa position fortifiée. Au moment où Metellus tenta un assaut, il fut fermement repoussé par les assiégés: «Des grosses pierres,

des pieux garnis d'étoupe enflammée, de poix brûlante mêlée de soufre, pleuvent sur ceux qui cherchent à saper les murs ou qui montent aux échelles; des traits, lancés à la main ou par des machines, vont atteindre ceux qui se tiennent plus loin (Salluste, LVII, 2-6; Gsell, S. 1928: VII, 198). Jugurtha arrive avec des forces importantes. Il peut pénétrer dans le camp de Metellus. Pris de panique, beaucoup de soldats sont tués ou blessés, d'autres se rendent (Gsell, S. 1927: V, 257-268; 1928: VII, 199). Le combat s'engage sur le signal donné par les lieutenants de Metellus. Les Romains essaient sans succès de se glisser au pied du rempart. Les assiégés se défendent (Salluste, LVII, 2-6). En même temps, le roi, accompagné d'une forte troupe fond à l'improviste sur le camp de l'ennemi. Les uns s'enfuient, beaucoup sont blessés ou tués » (Salluste, LVIII, 2-6).

Juba Ier, lui aussi, fortifia la ville de Zama. Il ne s'était pas contenté de l'orner de luxueux édifices, palais et temples, il en avait fait une place forte, entourée d'un triple rempart et capable de lui assurer un abri imprenable en cas de revers (Gsell, S. 1927: VII, 293).

Thala

La ville de Thala, près de laquelle eut lieu une bataille, est difficile à localiser. Les données dont nous disposons ne suffisent pas à en déterminer la position exacte (Gsell, S. 1928: VII, 208-209). D'après G. Camps (Camps, G. 1960:155), elle ne semblait pas être située en Gétulie, puisque Salluste dit qu'après la prise de cette ville Metellus poursuivit Jugurtha au-delà, à travers la Gétulie; ce n'est qu'après la prise de Thala que Jugurtha a enrôlé des Gétules dans son armée. Salluste, lui, ne parle guère d'auxiliaires gétules avant la fin de la campagne de 108 avant J.-C.

La ville de Thala était grande et riche, protégée par les difficultés d'accès d'un terrain, qui n'était peut-être pas escarpé, mais défendue par de solides murailles. Des sources permettaient à une population nombreuse d'y vivre. A l'entour, s'étendaient des déserts (sur environ 74 km) (Gsell, S. 1928 : VII, 208). Elle était à un tel point fortifiée que Metellus eût du mal à l'affronter (Salluste, LXXVI, 1; LXXVI, 2-6). En 108, il y eut une bataille puis un siège. Thala (Courtois, Ch. 1955-1956 : LXIX, 60) a été mentionnée par le Bellum Iugurthinum : «Jugurtha parvint à Thala, place grande et riche où se trouvaient la plupart de ses trésors. Quand Metellus en fut informé malgré la présence d'un grand désert qui s'étendait, lui avait-on dit, sur un espace de cinquante milles entre Thala et le fleuve le plus proche» (Salluste, LXXV, 1 et 2). Metellus, aidé par des Numides, partit alors pour Thala. Les habitants étaient résolus à se défendre, la place étant protégée par ses remparts comme par sa situation. Pendant le siège de Metellus, ils activerent leurs préparatifs de défense; bref, de part et d'autre on ne négligea rien. Finalement, après quarante jours de travaux et de combats, les Romains purent s'emparer de la place (Salluste, LXXVI, 2-5).

Capsa

Capsa était une ville protégée par ses soldats, ses remparts et son armement. Elle l'était surtout par la nature du terrain, sauf dans ses environs immédiats (Gsell, S. 1928 : VII, 231). Ça n'était qu'un désert inculte, sec, infesté de serpents dont l'agressivité était connue même des bêtes sauvages. Ses habitants étaient forts attachés à Jugurtha qui les

avaient exemptés d'impôts (Gsell, S. 1928: VII, 235-236). Et c'était là que le roi gardait ses trésors. Metellus s'empara de Capsa par une chance extraordinaire (Silius Italicus, I, XXXVI).

Castellum de la Mulucha

L'auteur *Bellum Iugurthinum* parle d'un fortin numide qui n'était pas facile à découvrir en raison de sa protection naturelle : «Non loin du fleuve Mulucha, qui séparait les deux royaumes de Bocchus et de Jugurtha, il y avait une montagne rocheuse d'une hauteur immense, assez étendue pour porter un fortin auquel on n'accédait que par un sentier très étroit ; tout le reste était taillé à pic par la nature, comme si la volonté de l'homme y avait travaillé. Cette place renfermait les trésors du roi. Le fortin avait des hommes et des armes en suffisance, une grande provision de blé, une source d'eau vive, des tours et d'autres engins de guerre. Le chemin qui menait au château était fort étroit, et bordé de précipices» (Salluste, XCII, 5-9). Ce fortin était maintenu, de jour et de nuit, sous la garde des Numides (Berthier, A., Juillet, J. et Charlier, R. 1949: 72). Les propositions de localisations formulées par A. Berthier ont été contestées.

Ces conditions de terrain ont stupéfié Marius, l'inquiétant au point qu'il s'est demandé s'il n'était pas de son intérêt d'abandonner le projet dont il était déjà presque sûr de l'échec. Par le plus grand des hasards, un Ligure, un soldat auxiliaire, sorti du camp pour la corvée d'eau, aperçut sur le flanc du fortin opposé à celui de l'attaque des escargots qui rampaient entre les pierres. Il en ramassa un puis deux, puis d'autres et insensiblement, dans son ardeur à ramasser, il arriva presque au sommet de la montagne. Là, il vit que tout était désert : les Numides n'avaient d'attention que pour la bataille qu'ils allaient livrer. Après avoir exploré les lieux, il redescendit par le même chemin, non plus au hasard comme à la montée mais en évaluant le terrain autour de lui. Il alla trouver Marius. Celui-ci envoya les plus agiles de ses soldat tenter l'escalade, leur ordonnant d'obéir au Ligure (Salluste, XCIII, 1-8). Enfin, après une longue et pénible ascension, ils atteignirent le fortin. Apprenant le succès du Ligure, Marius adressa un appel à ses soldats pour attaquer le pied du rempart (Salluste, XCIV, 1-3; Silius Italicus, I, I, 36).

Castellum anonyme de Juba Ier

La poliorcétique numide était plus « radicale » encore sous Juba Ier. Ce qu'explique, sans doute, ce passage de l'auteur anonyme du *Bellum africum* qui parle de la prise d'un *castellum* de Juba par P. Sittius : «Pendant ce temps, P. Sittius, qui avait envahi avec des troupes la Numidie, enleva d'assaut un fort situé sur un point d'une hauteur, bien défendu et dans lequel Juba Ier avait stocké, pour sa campagne, du blé et tout un matériel de guerre » (Pseudo-César, XXXVI, 4).

Il s'agit bien d'un fort situé sur une hauteur dans une région montagneuse. F. Bertrandy ne croit pas que ce *castellum* était d'une grande importance. Pour lui, il s'agissait d'un simple fortin où Juba Ier conservait du blé et du matériel de guerre. La garnison du *castellum* défendait et gérait ces réserves, mais protégeait aussi les agriculteurs chargés de l'approvisionner. Rien n'interdit, donc, à son avis, de penser à l'existence d'un centre urbain à proximité immédiate du *castellum*, donnant à cette position défensive une importance qui aurait attiré les soldats de P. Sittius (Bertrandy, F. 1977-1978: 90).

Ce passage du *Bellum Africum* est le seul texte qui mentionne cet événement, la localisation est donc imprécise. F. Bertrandy propose d'identifier le *castellum* de Juba Ier à l'acropole de Thibilis (Bertrandy, F. 1977-1978: 88) en raison de son importance stratégique. C'est la raison pour laquelle P. Sittius y aurait installé, dès la prise du *castellum*, des hommes de troupe, Africains pour la plupart (Bertrandy, F. 1977-1978: 106).

Les Numides, comme d'autres peuples de cette époque, avaient appris à protéger leurs agglomérations par des remparts ou à y implanter des garnisons ou les deux à la fois. Ils s'astreignaient également une certaine rigueur militaire.

Ils bâtissaient leurs villes en choisissant d'abord un lieu naturellement protégé de par sa situation géographique, puis en le « sécurisant » par des fortifications : construction de murs et d'avant-murs, de tours, creusement de fossés, restriction d'accès.

La réalisation d'un tel projet exigeait un « budget » considérable, tant financièrement qu'en main d'œuvre et en temps. On est amené à penser que les Numides ne recourait à ces chantiers titanesques qu'exceptionnellement, leur préférant la guerre « classique ».

Dans l'état actuel de nos connaissances sur la poliorcétique numide, il ne nous est pas possible de répondre à toutes les interrogations qui subsistent.

Nous ignorons, par exemple, les données techniques de l'architecture des ouvrages de défense en Numidie : conception des murs (nombre de rangs pour chaque enceinte, hauteur, épaisseur), constituants de l'appareil des murs (blocs de pierre, terre sèche...), espacements et dimensions des tours, chronologie de réalisation de l'ensemble. Le nom des architectes et l'origine de leur formation nous sont inconnus.

Les forteresses, elles aussi, exigent des investigations quant à leur mode de construction, leurs dimensions, leur résistance aux impacts et leurs dispositifs défensifs annexes.

Le système défensif n'a suscité, chez les historiens et des archéologues, que peu d'intérêt, contrairement à d'autres édifices comme les temples et les sanctuaires. La poliorcétique représente pour l'historien une problématique intéressante. Il devra revoir son approche du sujet. Son travail ne pourra être couronné de succès qu'avec l'aide de l'archéologie. Seules des fouilles rigoureuses et précises permettront d'apporter des réponses adéquates aux questions en suspens.

#### **Bibliographie**

#### Sources

- -Appien, (2001). L'Afrique, VIII, trad. Goukowsky P., Paris : Les Belles Lettres.
- -Corippe, (2007). La Johannide, trad. Didderen, J.-C., Paris : Errance.
- -Polybe, (1969). Histoire, trad. Pédech, P., Paris : Les Belles Lettres.
- -Pseudo-César, (1949). La Guerre d'Afrique, trad. Bouvet, A., Paris : Les Belles Lettres.
- -Salluste, (1999). La Guerre de Jugurtha, trad. A. Ernout, 13<sup>e</sup> tirage revu par Hellegouarc'h, J., Paris : Les Belles Lettres.
- -Silius Italicus, (1979). La Guerre Punique, I-IV, trad. Miniconi, P., Devallet, G., Paris: Les Belles Lettres.
- -Strabon, (1969). Géographie, trad. Aujac, G., Lasserre, F., et alii, Paris : Les Belles Lettres.

-Tite-Live, (1940). Histoire Romaine, trad. Bayet, J., Baillet, G., Paris : Les Belles Lettres.

#### **Ouvrages**

- -Berthier, A. (1949). Le "Bellum Jugurthinum" et le problème de Cirta, Constantine: Attali.
- -Bertrandy, F. (1977-1978). « Thibilis (Announa) ». Karthago, 19, p. 87-106.
- -Camps, G. (1960). « Aux origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire ». Libyca, VIII, p. 1-320.
- -Courtois, Ch. (1955-1956). « La Thala de Salluste ». R.S.A.C., LXIX, p. 55-69.
- -Fantar, M.-H. (1993). Carthage, approche d'une civilisation, Tunis : Les Editions de la Méditerrannée.
- -Fariselli, A.-C. (2002). I mercenari di Cartagine, La Spezia : Agora Edizioni.
- -Garlan, Y. (1999). La guerre dans l'antiquité, Paris : Nathan.
- -Gsell, S. (1913-1931). Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Paris : Hachette.
- -Gsell, S. (1997). Atlas Archéologique de l'Algérie, 2<sup>ème</sup> éd., Alger: Agence Nationale d'Archéologie et de Protection des Sites et Monuments Historiques.
- -Kitouni-Daho, K. (2003). « Cirta et le royaume Numide », l'Algérie aux temps des royaumes Numides : Coédition Musée départemental des Antiquités, Rouen/Somogy éditions d'Art.
- -Le Bohec, Y. (2004). « L'armée de Juba Ier », Carthage et les autochtones de son empire du temps de Zama, colloque international organisé à Siliana et Tunis du 10 au 13 mars 2004 par l'Institut National du Patrimoine et l'Association de Sauvegarde du site de Zama, et en Hommage à Mhamed Hassine Fantar, coordination Ahmed Ferjaoui, Tunis, 2010, p. 445-456.
- -Le Bohec, Y. (2001). César, chef de guerre, Paris-Monaco : Du Rocher.

# التوسع العمراني للرومان في شمال إفريقيا " تأملات في مدي تأثير التنظيم الحضري في رومنة الجزائر القديمة المفوظ خالد محفوظ جامعة فرحات عباس – سطيف

اختلفت الكتابات التاريخية الغربية المجدة للحضارة الرومانية فيما بينها في تفسير و تعليل إخفاق هذه الأخيرة في شمال إفريقيا و تجلي ذلك من خلال نظريات النجاح الكلي، الإخفاق الكلي إلي النجاح النسبي، إلا أنها تتفق فيما بينها على أن الحضارة الرومانية كان لها تأثير عميق في منطقة شمال إفريقيا و من أهم المظاهر التي استندوا إليها، ظاهرة التوسع العمراني من خلال الانتشار الكثيف للآثار الرومانية في شمال إفريقيا خاصة المدن بنوعيها العسكرية والمدنية كونها تمثل الوعاء العام للتنظيم الحضري إلا أن الكثير من المعطيات التاريخية والأثرية وفي مقدمتها حقيقة اختفاء الحضارة الرومانية من الجزائر القديمة مباشرة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الخامس تجعلنا نعتقد أن التنظيم الحضري الذي العتمده الرومان في الجزائر القديمة قد ساهم بطرق غير مباشرة في الحفاظ علي الموروث الثقافي المحلي أكثر من رومنة المنطقة، هذا الاعتقاد يدفعنا إلى البحث في طبيعة وجوهر هذا التنظيم الحضري من خلال التطرق إلى أهدافه و وسائله و ذلك من أجل التأكد من مدي صحة فكرة أن التوسع الحضري الروماني في الجزائر القديمة قابله توسعا حضاريا.

اعتقد الكثير من الرومان القدامى أن الشرف الإنساني كان مرتبط بالحياة الحضرية حيث يقول في هذا المقام الخطيب الروماني أيليوس أرستيد Aelius Aristide \* الذي يصف عظمة روما المدينة :

"... المتأمل فيها – روما- لا يتعجب في أنها تتحكم في العالم و لمعرفة هذا العالم ينبغي إما زيارة كل الأقطار الواحدة تلوى الأخرى أو ببساطة زيارة المدينة التي تمثلهم جميعا ..." (بشاري، م.- ل. 2007 :147) وهنا يقصد المدينة الرومانية Romana ذات المعايير الحضارية (الإدارية، الاجتماعية، الاقتصادية والعمرانية). هذا الوصف الذي يدفعنا إلى البحث في

مدى تطابق مدينة روما بالمدن التي أسسها الرومان في مقاطعات شمال إفريقيا.

الواقع أن أي محاولة لدراسة المدينة الرومانية في الجزائر القديمة يستوجب الوقوف أمام واقع التقاطع الذي يحويه هذا الموضوع بين جانبيه الأثري والتاريخي، حيث يهتم الأول بالتنظيم الحضري وحلته الصرحية أما الثاني فيهتم بالجانب الاجتماعي الذي يعكس الجانب الحضاري في شطره المعنوى والمتمثل في التنظيمات السياسية والإدارية والثقافية.

# ملاحظات حول معايير تشيد و توزيع المراكز الحضرية و المدن الرومانية في الجزائر القديمة :

لقد أدى استقراء أثار المدن المنتشرة في الجزائر القديمة والتي تعود إلى العصر الروماني إلى إظهار ازدواجية وتعارض لازماها خلال تطوراتها من حيث معايير وأهداف بنائها وتمركزها بالإضافة إلي طبيعتها من مدن مدنية إلى عسكرية ومن حيث مكوناتها البشرية التي أخضعت لنظم إدارية وقانونية.

### المعايير العسكرية- الأمنية:

ارتبط انتشار المراكز الحضرية الرومانية في نوميديا بمجموعة من المعايير أبرزها الأهمية العسكرية، حيث نجد أن أولي المراكز التي أسسها الرومان في نوميديا كانت عبارة عن مستوطنات ضمت الجنود الذين كانوا مكلفين بفتح المقاطعة (Reddé, M. 2003: 164). الذين وصل عددهم في عهد أغسطس حوالي ثلاثة مائة ألف في المقاطعات الإفريقية (بشاري، م. ل. 2007: 145: 2007) انطلاقا من البروقنصلية باتجاه الغرب و من الشمال نحو الجنوب، فالكثير من هذه المراكز الرومانية كانت في بدايتها معسكرات و حصون لتتحول لاحقا إلى مدن هامة بمصاف مستعمرات و بلديات فظهرت الساحلية التجارية مثل عنابة (Hippone)، سكيكدة (Rusicada)، بجاية (Thuburisicu ومداوروش (Madour)) والداخلية العسكرية مثل لمبيز تيمقاد (Madour) وجميلة (الريفية مثل عافة المناطق الداخلية كانت بؤرة المقاومة ضد التغلغل الروماني (بوشناقي، م. 1982: 23) و عليه أسس الرومان مراكز إستراتيجية واقعة في منافذ طبيعية بين سلاسل جبلية لمراقبة

تحركات السكان المحليون كما كان الحال مع مدينة تيمقاد التي تحدثت عنها المصادر المادية علي أنه في عام 100 م أمر الإمبراطور ترايانوس ببناء مدينة جديدة بالقرب من مركز روماني للمراقبة (بوشناقي، م. 1982: 42) حيث تكون هذه المدينة ذات طابع عسكري وتجاري، هذا المركز الذي كان على منفذ مسلكين طبيعيين المتمثلين في واد عبدي وواد الأبيض في الجزء الشمالي لجبال الأوراس.

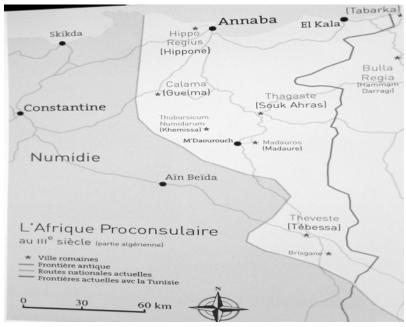
هذه المدن العسكرية و أخرى التي كانت في معظمها مستوطنات و أقدمها تلك التي تأسست في عهد يوليوس قيصر وأوكتافيوس بالإضافة إلى التي تأسست خلال حكم الأسرة الفلافية (89م- 96م) التي اهتمت برومنة نوميديا. خلال حكم الأسرة الأنطونينية (96م- 193م) أنشأت مستوطنات جديدة كلفت بمهمات إستراتيجي(196 1992: 1994) المني من خلال فرض حصار شديد علي حيث ركزت جهودها على الجانب الأمني من خلال فرض حصار شديد علي قبائل جبال الأوراس لمراقبة تحركاتها وإخضاعها. (بشاري، م.- ل. 2007)

نظرا لمحدودية اختصاص هذه المراكز التي كلفت بالمهمة العسكرية أدي ذلك إلي عجزها في تلبية حاجياته العامة، الشيء الذي أدي بالإدارة الرومانية إلي إيجاد أنظمة اقتصادية واجتماعية في مؤسسات داخل هذه المدن التي هيكلت على الطابع المدني وأطلق عليها تسمية البلديات من municipium. فتعددت أنماط هذه البلديات من رومانية إلي لاتينية حسب موقعها وتركيبتها الاجتماعية، وعليه لا يمكن استبعاد فكرة أن سبب لجوء الإدارة الرومانية لرومنة نوميديا عن طريق التنظيم الحضري هو غلاء تكاليف نفقات الآلة العسكرية التي كان بإمكانها إخضاع المقاطعة بالقوة، كما يمكن في هذا المقام إدراج فكرة رغبة الإدارة الرومانية في تأمين حدود الأقاليم التي احتلها الجيش وبعدها تعمل على استتباب الأمن الداخلي.

إذا ما حاولنا تفسير ظاهرة التوزيع الغير متجانس للمراكز الحضرية والمدن الرومانية في نوميديا فان ذلك يعود إلى عدة أسباب:

- طبيعة سطح أرض نوميديا حدد وأثر في انتشار هذه المراكز وامتدادها نحو الغرب والجنوب.

- العامل الأمني الذي تمثل في الانتشار الكثيف للمناهضين للاحتلال الروماني، فالمتأمل لخريطة توزيع المراكز والمدن الرومانية في نوميديا يلاحظ التوزيع الغير متجانس بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب حيث نلاحظ في الحدود الشرقية أن المدن كثيرة في حين تقل كلما اتجهنا إلى الغرب ونفس الملاحظة نلمسها في اتجاه الشمال نحو الجنوب حيث تقل



كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب

خريطة تمثل المدن التي استقر فيها الرومان في مقاطعة البروقنصلية (Sintès Cl., Rebahi, Y 2003: 59)

الدراسات الأثرية والتاريخية أثبتت أن أغلب المدن الرومانية التي انتشرت في نوميديا كانت في الأصل نوميدية أخضعت للأنظمة الرومانية حيث تصرفت فيها من خلال وضع مجموعة من مراكز حضرية بصيغ قانونية وإدارية متباينة استنادا إلى اعتبارات عسكرية أمنية واقتصادية اجتماعية (بشاري، م. ل. 2007 :147) حيث تظهر في بعض جوانب هذه المدن مظاهر الامتزاج الحضاري النوميدي الروماني ( Decret , أو أنها شيدت على مراكز ومدن محلية قد تكون تعرضت

للتدمير والتخريب (194: 1999: 194)خاصة وأن المصادر تتحدث عن حوالي خمسون مدينة كانت تحت إدارة الملك ماسينيسا، كما أن ورود كلمة (oppida) الذي يعني المدينة المحلية المحصنة التي كانت تحتل مرتبة قانونية معتبرة لكن ليست بمرتبة المستوطنة. كما يلاحظ انتشار بعض المراكز الحضرية والمدن الرومانية التي شيدت على مواقع غير منبسطة وهو ما ليس معتادا في التقاليد العمرانية للرومان و نذكر منها تيديس Castelum ما ليس معتادا في التقاليد العمرانية للرومان و نذكر منها تيديس (Tidditanorum) وهذا الواقع يدل على طبيعتها ودورها العسكري- الأمني والاقتصادي.



خريطة مواقع المدن التي استقر فيها الرومان في مقاطعة نوميديا (Sintès, Cl., Rebahi, Y 2003: 59)

حسب الدراسات الأثرية والتاريخية فانه خلال حكم الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس كثر الحديث عن المدن العسكرية (les villes) وarnisons) الحديثة النشأة كما عرفت ارتفاع وتيرة اعتماد مرافق عامة على شاكلة المدن المدنية فعثر داخل هذه المدن العسكرية على حمامات وكنائس ومحلات هذه العناصر التي كانت غائبة في معسكرات وحصون أخرى. أما عن سر هذا التطور فكان سببه الرئيسي هو طول مدة الخدمة

العسكرية ولتفادي إحساس الجنود بانفصالهم عن الحياة المدنية بالإضافة إلى تهيئتها لتصبح بلدية أو مستعمرة .

كما يمكن إثارة ملاحظة مفادها أن هذه المراكز الحضرية قد تمركزت في مواقع إستراتيجية لغرض أمنى وفي نفس الوقت لعبت دورا ثانويا والذي تمثل في جلب التجمعات السكانية حولها الذي أدي إلى ظهور قرى بالقرب من معسكرات الفرق النظامية وأطلق عليها تسمية (canabae) وبالقرب من معسكرات الفرق المساعدة ظهرت مراكز تحت تسمية uicii (Piso, I. 2003: 287) أما عن هذا التميز فهو مرتبط بطبيعة منشآت هذه المراكز وانتماءات قاطنيها والأكيد هو أن هذه المراكز المحلية كانت تحت أنظار الرومان وهو الهدف الذي سطره الرومان حيث تطورت هذه المراكز إلى قرى (pagi) لتحصن عمرانيا وإداريا وهذا ما يدخل في خانة سياسة المحتشدات من أجل السيطرة على تحركات ونشاطات النوميد كما أننا قد لا نخطأ إذا افترضنا أن تشييد الحصون حول المراكز الرومانية كان من باب الانفلات الأمنى الذي كانت تعيشه مقاطعة نوميديا أين كانت المراكز الحضرية عرضة لهجمات الثائرين الذين ظلوا يتصدون للتوسع الروماني حتى القرن الخامس ميلادي، ومنه نفهم أن غالبية العناصر التي كانت تسكن هذه المراكز ليسوا من السكان المحليين (شنيتي، م.- ب. 1984: 219.) خاصة إذا علمنا أنه في ضل فترة السلام الروماني شهدت المراكز الحضرية في نوميديا تشييد الأسوار والحصون (بوشناقي، م. 1982: 54)أما عن التحاق الفئة المحلية بهذه المراكز فكان من باب توفر الأمن و كذا التحفيزات الاجتماعية (حارش، م.- ه. 1995: 213).

# المعايير الاقتصادية:

الكثير من الدراسات التاريخية تتفق بأن البلديات الرومانية وجدت لأغراض اقتصادية بحتة والمتمثلة في توسيع الخريطة الزراعية في إفريقيا الرومانية (شنيتي م. - ب. 1984: 85)لتأتي بعدها الأغراض الاجتماعية كما سبق ذكره، وهو ما تؤكده التسمية التي كانت تنعت به هذه البلديات على أنها مراكز حضرية ثانوية كانت تابعة إلى مدن إقليمية. فمثل تبسة (Theveste) التي كانت بدورها تابعة إلى مدينة رئيسية وهي عنابة (Leschi, L. 1932: 09) (Hippone)

الشبه العسكرية والمدنية وازدواجية طابعها القانوني والإداري وترقياتها كل هذا كان من باب الاحتفاظ على التوازن الاقتصادي بالدرجة الأولى. فكانت هذه المدن الجديدة – البلديات – أسواقا للمناطق الريفية وحلقة وصل بين الإدارة الرومانية والريفيون وهذا ما ذهبت إليه المراجع التاريخية التي أشارت إلى إن أغلبية سكان المراكز الحضرية في نوميديا خلال الاحتلال الروماني كانوا من التجار والوسطاء الاقتصاديين الذين كانوا يضمنون الوساطة بين الإدارة الرومانية والمقاطعة. كما أن طبيعة تمركز بعض المراكز وطبيعة نشاطها الرئيسي كان اقتصاديا بالدرجة الأولى ومثال على ذلك جميلة التي كانت مخزن للمواد الزراعية وكذا مدينة خميسه (غانم م. - ص. 1988؛ كما المتمركزة بالقرب من منطقة جبلية وبعيدة عن السهول الشيء الذي يدفعنا إلى القول أن أهميتها مرتبط بطبيعة الأرض الغنية بالثروة المنجمية يدفعنا إلى القول أن أهميتها مرتبط بطبيعة الأرض الغنية بالثروة المنجمية وهذا ما ذهب إليه محمد الهادي حارش .(حارش، م. - ه. 1995: 208)

هذه المؤشرات تدفعنا إلى محاولة التأكيد على الفكرة من خلال إقامة مقارنة في ظاهرة فلة المراكز الحضرية والمدن الرومانية في بلاد الغال وكثرتها في المقاطعات الإفريقية بصفة عامة، حيث أحصى أيام انحطاط الإمبراطورية حوالي خمسة وستون مدينة في بلا الغال مقابل خمسة مائة في شمال إفريقيا. فبغض النظر عن التباين الجغرافي إلا أن التركيز على المقاطعات الإفريقية كان من باب الاستغلال الاقتصادي وذلك نظرا للمقومات الاقتصادية المنطقة، فخلال القرن الثالث عرفت المقاطعات الرومانية في إفريقيا تطورا اقتصاديا لم تشهده المنطقة من قبل وخاصة خلال حكم الأسرة السيفيرية (193م-235م) التي كانت تنعت بالأسرة الإفريقية التي كانت في خدمة السيطرة الرومانية (Benseddik, N. 1979: 143) الأمر الذي أدى إلى وفرت الثروة المالية فانعكس ذلك بالإيجاب على تطور المدن هندسيا وفنيا، فتسابقت البرجوازية البلدية من المحليين المرومنين إلى المساهمة في تطوير المدن (Leschi, L. 1932: 09) من خلال تمويل بعض المشاريع التي كانت حسبهم تمثل الشرف البلدي فاختلفت أهدافه من باب الرفق والعمل الخيري إلى الرغبة في الشهرة والارتقاء الإداري (شنيتي، م.- ب. 224: 1984: فاختلفت نوعية المشاريع من بناء أسواق ومكتبات ( Lancel, S. ) 05: 2003 إلى بناء المسارح والحمامات، بالإضافة إلى بعض المرافق الدينية (Leschi, L. 1932:05; Lancel, S. 2003: 98) إلا أن التطور الكبير الذي عرفته المدن الرومانية في الجزائر القديمة خلال القرن الثالث كان في جانبها الفني الذي ظهر في النحت بكل أنواعه والفسيفساء التي زينت أرضيات وجدران المنازل والمعابد والمبانى العمومية .(Baedet, G. 1975: 09)

من هنا يتضع أن السلطة الرومانية خلال العصر الإمبراطوري الثاني لم تساهم بطريقة مباشرة في تطوير التنظيم الحضري و إنما الأثرياء المرومنين هم من تكفلوا بتطويرها للأغراض السالفة الذكر.

لقد أثرت القرارات السياسية التي فرضت الترقيات القانونية والإدارية على المدن في الحياة الاقتصادية داخل مقاطعة نوميديا أين ظهر خلال القرن الثالث تحولا اقتصاديا تمثل في نهاية سيطرة المدن الكبرى على النشاط الاقتصادي وظهور نشاط ريفي حول المدن الريفية وما انجر من ذلك من انعكاسات.

## المسايير الاجتماعية:

أدى اختلاف النظام الاجتماعي الروماني عن النظام الاجتماعي للإمبراطورية الذي كان يحتوي على مجموعة من الشعوب الغير متجانسة في التطور الحضاري من جهة ومن جهة أخرى اعتماد نظام المدينة الرومانية (urbs) في جانبها السياسي المتعلق بالأسرة الرومانية كخلية أولية وأساسية في تسيير المدينة وعليه كان من المستحيل رؤية نظام ديمقراطي في مراكز ومدن الجزائر القديمة عكس المدينة الإغريقية التي كانت تأخذ بعين الاعتبار الفروق الإثنية والاجتماعية ( .M Reddé, M ) النظام الإداري في المدينة.

كان لزاما على السلطة الرومانية من أجل أن تفرض سيطرتها في نوميديا أن تتقاسم حياتها من خلال القوانين التي فرضتها، إلا أنها اهتدت إلي إستراتيجية براجماتية من خلال تفكيك المدينة الرومانية وجعلتها أجزاء وأطرافا في شكل مراكز حضرية وبلديات (municipa). كما أن نظام التسيير في هذه البلديات وكذا ترقياتها كانت تخضع لقرارات سياسية بالدرجة الأولى ليأتي المعيار الحضاري في الدرجة الثانية :(200 الشيء الذي أثر علي الحياة الاجتماعية، كما أن اختلاف الرومنة القانونية بين الأشخاص والمدن اثر كذلك على التنظيم الاجتماعي وتطوره.

# علاقة السلام الروماني بالتنظيم الحضري:

يفهم من بعض المصادر والمراجع أن الكثير من المراكز الحضرية النوميدية التى تعرضت للاحتلال الروماني قد تفادي الرومان إخضاعها

بالقوة مباشرة بل طبق عليها السلام الشامل بقبول سكانها لشروط المحتل في التبعية مثلما كان الحال مع مدينة قالما (Calama) التي بقيت بدستور غير روماني إلى غاية عهد ترايانوس(Carcopino, J. 1915: 04) مثل هذه المراكز تنقل إليها الحضارة الرومانية بمعاييرها الكاملة وتجعلها صورة مصغرة لروما. أما في حالات وجود المقاومة كانت السلطات الرومانية تستعين بالعائلات الأرستقراطية المحلية لضمان الاستقرار مع وضع مجموعة من قوانين رومانية.

في عام 212م جاء دستور كركلا (Caracalla) الذي منح حق المواطنة لكل أحرار الإمبراطورية إلا أنه استثنى الرعايا (deditcii) \*\* هذه الفئة المعتبرة التي كانت تمثل أغلبية سكان مقاطعة نوميديا. (بشاري، م.- ل. 2007) أن مرسوم كركلا كالمراسيم التي سبقته فخلال حكم كل من يوليوس قيصر وأوكتافيوس استهدفوا من سياسة الرومنة كسب أنصار في الأراضى حديثة العهد بالاحتلال (غانم، م.- ص. 1988: 34)أما الأسرة الأنطونينية استهدفت استيعاب مدني إلي أقصي الحدود مقابل استيعاب سياسي جد محدود وتجلى ذلك في النظام البلدي، كما أنه كان مرتبط بالجانب الاقتصادي حيث أدي إلي نجاح ورقي اقتصادي، إلا أن هذا الرقى خص الرومان والايطاليين من التجار والوسطاء السماسرة في حين كان السكان المحليون محرومين من هذا الرقى حيث اصطدم هذا المرسوم مع عائق الرتب الإدارية التي أقصى منها غالبية العنصر المحلى أما من منحت له الحقوق اللاتينية والرومانية فكان من باب مكانته الاجتماعية (Leschi, L.1932: 08-09) والمالية (Carcopino, J. 1914: 06) حيث جعلتهم السلطة الرومانية يدافعون عن مكتسباتهم المادية في حين الحرفي والمزارع أقصيا من هذه الترقيات والحقوق.

الملاحظ أن السلام الروماني الذي رفعت شعاره السلطة الرومانية خلال القرن الثالث كان يحمل في طياته بذور فناء الإمبراطورية في المنطقة في مداه البعيد فكان وراء تدهور أوضاع المراكز الحضرية والمدن أين أصبح حق المواطنة يمنح اعتباطيا إلى أن وصل درجة تشبيهه بالطلاء حيث أن المرومنين إداريا (مدنيا) يمنح لهم المقام القانوني دون الالتزام بمدى جاهزيته لتحمل مسؤولية هذا المقام، فكان ذلك لعدة اعتبارات كرفع مداخيل الضرائب بالإضافة إلى رغبة العائلة السيفيرية انتزاع السلطة من أيدي الأرستقراطية السياسية. كما أدي توسيع المدن الرومانية إلى فقدانها

الحيوية وفقدان السيطرة عليها (Dondin-Payre, M. 1981: 90) كما أن لعامل البعد عن المقاطعة الرئيسية – البروقنصلية – دورا في ضعف وتيرة الرومنة بالإضافة إلي الظروف الجغرافية والطبيعية، ويضاف إليها الانتشار الواسع لحركات التمرد والثورات من طرف السكان المحليين.

ومن خلال ما ذكرناه يتبين أن الرومنة الجدية كانت قبل منتصف القرن الثاني ميلادي وذلك نظرا للانتشار الكثيف للمستوطنات والبلديات وكذا الأعداد الكثيرة للأشخاص اللذين منحت لهم الجنسية الرومانية (بشاري، م.- ل. 2007 :149)، أما ما أتي بعدها كان عبارة عن طلاء لا أكثر.

## II / ملاحظات حول علاقة التنظيم الحضري بالرومنة الثقافية:

لقد جعلت السلطة الرومانية من السلام الروماني عقيدة، لها ألهتها ومعابدها وطقوسها، فقدست روما المدينة الأم التي اعتبرت رمز الوطن الروماني وقدس الإمبراطور الذي مثل النظام الفردي فكان إلي جانب بعض الآلهة يمثلون حماة السلام الروماني (بوشناقي، م. 1982: 63)حيث وجدت في بعض المراكز الحضرية نقوش ونصب تنسب لبعض الأهالي المرومنين يشهدون فيها بولائهم وتقديسهم للآلهة الرومانية والإمبراطور. (شنيتي، م.- بع. 1988: 222)

أما فيما يخص الحياة الفكرية فإن المقاطعات الرومانية في إفريقيا احتلت المرتبة الأولى من باقي المقاطعات الرومانية في مجال النشاط الفكري (Serge, L. 1982: 207) فلم يهمل الرومان المجال التعليمي في مقاطعة من المقاطعات الإفريقية حيث اعتمدوا سياسة تعليمية خاصة، فظهرت المدارس في بعض القرى التي كانت تقتصر على تعليم اللغة والحساب والنحو (حارش، م. - ه. 1995: 221) أما التخصص فقد ارتكز في المراكز الحضرية الكبرى والمدن مثل: تبسه - حيدرة - سرتا - مداورش التي كانت مراكز إشعاع فكري واستقبلت الكثير من المفكرين الأفارقة القدامى . فكان هدفها التعليم والتكوين ونشر الثقافة اللاتينية بالإضافة المحتبات في كل مدينة . (Decret, F.1999: 207)

فهذا تاكيتوس (Tacite) يتحدث عن الإجراءات الرومانية التي كانت متصلة بالتعيينات والتوظيف اعتمادا علي السير الذاتية والعلمية . (Benabou, M. على السير الذاتية والعلمية وحسن (331) 1976- إشارة إلى تحفيز الإدارة الرومانية على عامل التعليم وحسن السيرة وكذا التشجيع على تعلم اللغة والثقافة اللاتينية إلا أن الملاحظة التي

يستوجب ذكرها هو أن السكان المحليين كانوا يخضعون لتضييق إقصاء مثلما حدث خلال الاستعمار الفرنسي.

يتضح من خلال دراسة التاريخ الاجتماعي والثقافي لنوميديا خلال الاحتلال الروماني أن السكان المحليين، بالإضافة إلى المقاومة العسكرية أظهروا مقاومة ثقافية ضد الاحتلال الروماني (حارش، م.-ه. 1995: 222)هذه الأخيرة لم تقتصر على الريف والتخوم الصحراوية التي كانت معاقل الثوار الرافضين للاحتلال الروماني، بل كانت حاضرة في عقر دار الرومان ونقصد هنا المراكز الحضرية والمدن وإن كانت محتشمة إلا أنها كانت حاضرة في عدة مظاهر فمن المادية التي تمثلت في بعض العادات والمعتقدات التي كان يجسدها النوميد المرومنين في آلهة رومانية وكذا بقاء تداول والمغتقدات التي كان يجسدها النوميد المرومنين في آلهة رومانية وكذا بقاء تداول اللغة الليبية والبونيقية إلى جانب اللغة الرسمية (اللاتينية) بالإضافة إلى بعض العادات العمرانية المحلية التي كانت حاضرة في المراكز الحضرية الرومانية خاصة المتعلقة ببناء المنازل (Decret, F.1999: 208).

أما المظهر الغير مادي في المقاومة الثقافية تمثل في الأفراد حيث ظهرت في المراكز الحضرية الرومانية أفكار ومواقف بعض المفكرين النوميد المرومنين أمثال فرنتون(Fronton) ا100 م - 175م] ابن سرتا (أبوعمران، ش. 1995: 14)الذي كان يقدم نفسه بالليبي وكان يعتز بذلك، أبوليوس(Apulée) ا125م م 180م البن مدينة مداوروش (أبوعمران، ش. 1995: 15)صاحب رائعة الحمار الذهبي وما فيها من اعتزاز صاحبها لكونه جيتولي، أرنوب(Arnobe) 1 255 م؟ - 257م البن مدينة سيكا (أبوعمران، ش. 1995: 15) وصاحب الآراء المعارضة للسلطة الرومانية، بعض هؤلاء أداروا كبرى المدارس في عصرهم. (208 : 2000: 208)كما كانت اللغة الليبية لغة التحاور بين السكان المحلين حتى اندثار الإمبراطورية الرومانية بالإضافة إلى استعمال الأسماء الليبية النيميدية.

يتضح من النظام الاجتماعي الذي فرضته الإدارة الرومانية في نوميديا والقائم على الترهيب والترغيب وكذا الامتياز أدى ببعض المرومنين ومن باب العمق الوطني والوعي الحضاري إلى تعليم أبنائهم لبلوغ مراتب عليا من أجل الدفاع عن وطنهم وخدمته.

في النهاية يمكن استخلاص مجموعة من استنتاجات التي توضح أن التوسع العمراني للرومان في الجزائر لم يكن هدفا لتمدين المنطقة الإفريقية بل كان وسيلة لاستغلالها وأهمها:

غياب إستعمال كلمة (urbus) عند الحديث عن المدن في المقاطعات الإفريقية بل كانت تذكر بتسمية المدن المحصنة (oppida) وما فيه من اختلاف بين الصيغة الأولى والثانية في الجانب الحضاري كما أن التنظيم الحضري الذي اعتمده الرومان في الجزائر القديمة عرف تطورات حسب الأهداف والظروف الذي يمكن أن نقسمه كما يلى:

المرحلة الأولى:(27 ق.م إلى غاية 100 م) كان الهدف هو تثبيت الاستيطان حيث ظهر الاهتمام والحرص على التطبيق الصارم للتنظيمات القانونية المسيرة لهذه المراكز الحضرية التي تكون قواعد خلفية للتوسع لاحقا.

المرحلة الثانية: (100 م - 235 م ) كان التركيز على استغلال خيرات المقاطعة ولو على حساب الاستقرار الاجتماعي للمنطقة.

التنظيم الحضري الذي اتبعه الرومان في الجزائر القديمة كان مجرد وسيلة لإخضاع المنطقة وجعلها تابعة، في خدمة المصالح الرومانية وأهداف الإمبراطورية الاستعمارية كما أن الشعار الحضاري الذي رفعته خلال توسعاتها، بأن الهدف كان حضاريا فانه وهم وقد اتضح ذلك في عدة حقائق التي يمكن أن نحصرها فيما يلي : أغلب دوافع احتلال شمال إفريقيا كانت ذات طابع اقتصادي متصل بأوضاع ايطاليا (تراجع الزراعة، النمو الديموغرافي، توسيع النشاط التجاري) كما أن كثرة المدن العسكرية والتجارية قابلها غياب مدن صناعية دليل على تركيز الرومان على الاستغلال الزراعى بالإضافة إلى معايير اختيار مواقع إنشاء المراكز الحضرية والمدن الأولى والتي تمثلت في المستوطنات حيث أن تشيدها كان مرتكزا بالدرجة الأولى على المعطيات العسكرية والأمنية طريقة ترقية المراكز الحضرية وتدرجها الإداري من بلديات لاتينية إلى رومانية ثم مستعمرات والذي كان مرتبطا بالتطورات الأمنية والاقتصادية بالإضافة إلى الاجتماعية بالإضافة إلى الوضعيات الإدارية والقانونية المختلفة للمراكز الحضرية والمدن الرومانية في نوميديا كانت ناتجة عن قوانينها القابلة للتغيير حسب درجة الأنظمة الرومانية ضف إلى ذلك منح حق المواطنة كان سلاح ذو حدين، فكان ذا طابع اقتصادي وسياسى استهدف توسيع نطاق تحصيل الضرائب وإضعاف شوكة الأرستقراطية السياسية المعارضة للإمبراطور.

لقد كانت انعكاسات الإجراءات الرومانية كارثية على السكان المحليين في مداها القريب وعلى الإمبراطورية في مداها البعيد فبالنسبة للسكان المحليين فقد أدت هذه الإجراءات إلى استغلال المنطقة إلي أقصى الحدود في جانبيها البشري والاقتصادي. حيث يتضح لدارس التاريخ الاقتصادي للجزائر القديمة خلال الاحتلال الروماني أن الريف كان منتج في حين المدينة كانت مستهلكة، فازدهار المدن قابلها شقاء الريف كما أدى ذلك إلى شق خندق بين المجتمع الريفي والحضري اللذان كانا متكاملان عشية الاحتلال الروماني والذي كان قائم على نظام اقتصادي نظم العلاقة بين المدينة والريف.

المحاولات الفاشلة للتنظيم الحضري الروماني في رومنة نوميديا من خلال نشر اللغة اللاتينية والثقافة الرومانية حيث ظهرت مقاومة ثقافية تعدت الريف والتخوم الصحراوية بل كانت حاضرة في المراكز الحضرية الرومانية الشيء الذي يدل علي العمق الحضاري للمنطقة والوعي الوطني الذي كان راسخ في نفوس النوميد.

نختم بحثنا بالقول أنه بالعودة إلى دراسة نقدية لأثار المدن الرومانية وكذا المراسيم والقوانين التي سايرت تطور تنظيم المدن الرومانية يتبين أن التنظيم الحضري الذي اعتمده الرومان في شمال إفريقيا فشل في رومنة الجزائر القديمة لعدة أسباب يمكن تلخيصها في فكرة أن الرومان ركزوا على العناصر المادية للمدينة على حساب العناصر المعنوية "السوسيولوجية" المتمثلة في السلوكيات والعادات والتقاليد والمواقف، هذه العناصر التي كانت وثيقة الارتباط بطبيعة وتاريخ المنطقة (الجزائر القديمة).

#### هوامش إضافية:

- ♦كاتب إغريقي عاش بين 117 م 180م من عائلة أرستقراطية اكتسب المواطنة الرومانية زار مصر، ايطاليا، وأسيا الصغرى.
  - \* وأسري الرعايا من المهزومين و أسري الحرب.
    - ببليوغرافيا:
  - أبو عمران، ش. (1995). معجم مشاهير المغاربة، الجزائر: جامعة الجزائر.
- بشاري، م.- ل. (2007). "سياسة الرومنة عن طريق الجيش وإقامة السلام"، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، الجزائر منشورات المركز الوطني للمنشورات في الحركة الوطنية.
  - بوشناقي، م. (1982). المدن الجزائرية القديمة، ط.2، الجزائر: وزارة الإعلام.

- حارش، م.- ه (1995).التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، الجزائر: المؤسسة
- شنيتي، م. ب. (1984). التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
  - غانم، م. ص. (1988). مواقع ومدن أثرية، الجزائر: منشورات وزارة الثقافة.
- -Bradet, G. (1975). L'urbanisme, Collection Que sais-je (187), Paris: P.U.F.
- -Benabou, M. (1976). La résistance africaine à la romanisation, Paris: Maspero.
- -Benssedik, N. (1979). Les troupes auxiliaires de L'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le Haut Empire, Alger: S.N.E.D.
- -Carcopino, J. (1914-1915). « Du droit de cité accordé par les Romains aux peuples conquis, de ses effets, Annales Universitaires d'Algérie, 3, 227-233.
- -Decret, F., Fantar, M.-H. (1999). L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, des origines au Vème siècle, Paris: Payot.
- -Dondon-Payer, M. (1981). «Recherches sur un aspect de la romanisation de l'Afrique du Nord: l'expansion de la citoyenneté jusqu'à Hadrien », Antiquités Africaines, 17, p. 83-132.
- -Lancel, S. (2003). L'Algérie Antique. De Massinissa à Saint Augustin, Paris: Mengès.
- -Leschi, L. (1932). «Une famille thévestine au IIe siècle de notre ère », Cinquantenaire de la Faculté des Lettres Alger, 1931, p. 295-306.
- Piso, I. (2003). « L'urbanisation des provinces danubiennes », Reddé, M., Dubois L., Briquel D., Lavagne H., Queyrel F. (dir.), La naissance de la ville dans l'Antiquité, Paris: De Boccard, p. 285-295.

  Reddé, M. (2003). « De la ville indigène à la ville romaine », Reddé, M., Dubois L., Briquel D., Lavagne H., Queyrel F. (dir.), La naissance de la ville dans
- l'Antiquité, Paris: De Boccard, p. 155-156.
- -Sintès, Cl., Rebahi, Y (2003). Algérie Antique, Paris : Musée de l'Arles et de la provence antiques.

# الوسط الطبيعي وتقنيات القلع وأثرهما على تصنيف المدافن النوميدية المبكّرة

د. مراد زرارقة حامعة قالمة

لم تعد فكرة بناء نوع من أنواع أو نمط من أنماط المعالم الجنائزية الميغاليثية أو شبه الميغاليثية إلى مجتمع أو قبيلة ما أو حتى لمعتقد جنائزي أو ديني معيّن. أين اتضح جليا من خلال العديد من المعاينات والملاحظات الميدانية التي قمنا بها على عدد معتبر من المواقع المنتشرة بالشرق الجزائري والقطر التونسي أنّ تصنيفها مرتبط بنوعيّة التضاريس والبنية الجيولوجية المتواجدة عليها.

قد يتعاكس الأمر في شمال إفريقيا بما هو متواجد في أروبًا، أين نجد بهذه الأخيرة انتشار العديد من المدافن على مناطق منخفضة وسهلية أو فوق هضبات ذات تكوينات جيولوجية لا تتوفّر على كتل حجرية تسمح ببناء معالم جنائزية أو أنصاب حجرية عمودية، والتي جلبت في الكثير من الأحيان من مواطن بعيدة تصل أحيانا إلى مسافات تقارب العشرين كيلومتر (الصورة 1).



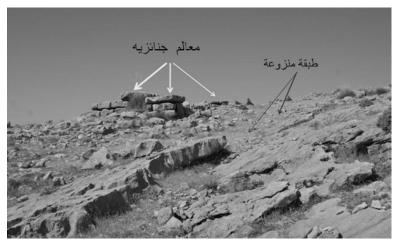
الصورة 1: معلم ميغاليثي بأوربًا في سهل يخلو سطحه من الطبقات الحجرية.

أمّا المنتشرة بالشرق الجزائري، فاستعمل في انجاز معالمها مواد بناء استخرجت من المكان عينه الذي تتوفّر تضاريسه وبنيته الجيولوجية على طبقات وبروزات جيرية أو ورملية مترامية الأطراف تعلو سطح الأرض في جل الحالات، وهذا ما يفسر أيضا انتشار هذه المعالم الجنائزية على المرتفعات والجبال والهضاب الموفّرة لمثل هذه المادة.

وعلى سبيل ذكر مدى تأثير التضاريس والبنية التكوينية للقشرة السطحية محليا، والتي أملت على المجتمعات القديمة انتهاج بناء نمط معين دون غيره من المعالم الجنائزية، فنجد تواجد التلال الجنائزية في أماكن تكاد تخلو من بروز الطبقات الجلمودية الجيرية أو الرملية بكيفية تسمح بقلعها على شكل بلاطات أو كتل كبيرة، فلم نجد أثرا لإستعمال مقالع حقيقية لتشييد هذا النوع من المعالم باستغلال بعض النتوءات المعزولة والبارزة على السطح.

أمّا باقي الحالات الأخرى ونظرا لطبيعتها شبه الميغاليثية فقد شيّدت بواسطة الصخور وشضايا الحجارة والتربة المتوفرة فوق سطح الأرض والمستخرجة من نفس المكان أو على جلاميد طبقية صخرية توفّر صخور مهشّمة ومتفتتة كما هو الحال في مقبرة التلال الجنائزية ببوتومي قرب عين الفكرون.

أمّا البازينات والمصاطب فقد أختير لتشييدها أماكن تتوفّر وتبرز فيها الطبقات الجيرية والرملية على مختلف بيئتها المباشرة خاصة منها المنحدرات والمنحدرات الشديدة أو أماكن مسطّحة صخرية بارزة فوق الأرض (الصورة 2).



الصورة 2: طبقات جيرية أنتزعت لبناء سلسلة من البازينات

هناك العديد من البقايا والشواهد توضّح كيفيات قلع وتكسير وتشذيب الصّخور والكتل الحجرية الضخمة، فقد استعملت بالعديد من مقابر الشرق الجزائري التي زرناها، طريقتين لاقتناء الصخور والحجارة لغرض استعمالها في بناء المعالم الجنائزية حيث أثّرت هذه التقنيّات بشكل كبير على استخراج أحجام متفاوتة من مواد البناء وبالتالي على نوعية ونمط المدافن وهي :

1- القلع الطبيعي: هناك العديد من الصخور التي تنكسر وتنزع من أماكنها الجلمودية الأصلية بصورة طبيعية نتيجة تواجد تصدّعات قديمة ناتجة عن الإلتواءات، تحتوي بداخلها على طبقة من الكالسيت Calcite. تنفلق الصخور طبيعيا على مستوى تواجد هذه التصدّعات بحكم الظواهر الطبيعية مثل التمدد والانكماش الناتج عن التغيرات المناخية، وتستغل هذه الحجارة التي يتحصّل عليها على ثلاثة أنواع في تشييد مختلف أجزاء وعناصر المعالم الجنائزية والتحصينات الدفاعية ومختلف تركيبات التهيئات السكنية الصلبة.

والنوع الأول وهو انكسار عمودي يغلب عليه الطابع التكعيبي المتقارب الأبعاد والأحجام الذي يصلح ويتناسب مع الكتل الحجرية الموضوعة في الحلقات والسياجات الحجرية المحيطة بالغرف الجنائزية (الصورة 3)، وبعض العمادات الأفقية التي توضع عليها البلاطات والموائد الأفقية للقبور.



الصورة 3: تصدعات طبيعية عمودية.

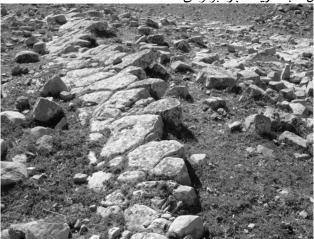
أما النوع الثاني فهو انكسار أفقي طبيعي لمختلف الطبقات الجلمودية، يسمح بالحصول على بلاطات كبيرة يكون مقدار طولها وعرضها أكبر بكثير إذ ما قورن بسمكها المتراوح عموما بين 0.25م و5.75م. وتستعمل بعد تعديل حوافها، في العمادات الأحادية وموائد الغرف



الصورة 4: طبقات طبيعية أفقية في أعلى الصورة.

أمّا النوع الثالث فهو انكسار يجمع بين الإنكسارين الطبيعيين السالفي الذكر، تنفلق فيه الصخور على شكل حراشف Ecailles (الصورة5) سهلة النزع والرفع بحكم حجمها المتوسط والصغير، أين تستغلّ حجارتها في بناء التلال الجنائزية وخاصة في الفضاءات الفاصلة بين الغرف

الجنائزية والحلقات والسياجات الدائرة والمربّعة، وقد مورست هذه الطريقة في بناء التلال الجنائزية لمقبرة بوتومى.



الصورة 5: انفلاق الصخور طبيعيا على شكل حراشف.

2- القلع الإرادي: ويتم بفضل يد الإنسان، يستعمل فيه وسائل وعتاد فولاذي متنوع ويد عاملة مختصة في العديد من الحالات، ويتم بواسطة ثلاثة طرق، وهي:

أ - تقنية استحداث القنوات المحفورة في الصخر: وهي تقنية لاحظناها على كل من مقابر ماجبة بالمنحدرات الشمالية لجبل تماقولت بالأوراس وراس العين بومرزوق وسيلا وسيقوس بالبرمة وجبل الفرطاس ولوساليت قرب عين الفكرون بأم البواقي أين تبرز على السطح العديد من النتؤات والطبقات الجيرية المتوسطة السمك، كانت تنفلق بواسطة استحداث قناة على إحدى جهاتها المرئية، عرضها يتراوح ما بين 06 سم و 12 سم، وعمقها ما بين 06 سم و 13 سم، أما طولها فيمتد من 0.70 م إلى 1.80 م (الصورة 6). أين تدرج قضبان حديدية في الجهة المقابلة لها على مستوى الفصل بين الطبقتين، وبفعل قوة الضغط اليدوية بواسطة عوارض فولاذية، تتكسر الطبقة الجيرية في المكان المراد قصده على مستوى القناة المحفورة. يستعمل هذا النوع من القلع في إمكانية الحصول على مختلف أجزاء عناصر العلم الجنائزي وخاصة الأنصاب الحجرية العمودية.



الصورة 6:قنات محفورة في الصخر.

كما أنّ هناك العديد من هذه الأنصاب لم يكتمل استغلالها وبقيت في مقالعها التي سمحت لنا معرفة كيفية الحصول عليها، وكانت تستغل في غالب الأحيان بعض الحواف الطبيعية للجلمود الجيري لإستقطاب عمال المقالع. فنستنتج من خلال هذه العملية، بأن بنائي هذه المعالم الجنائزية كانت بحوزتهم مختلف الأدوات والوسائل الحديدية الفولاذية اللازمة للحصول على هذا النوع من العناصر الهندسية بهذه الكيفية والمتمثلة أساسا في آداة النقار Pic قد يكون على هيئة فأس ذو رأسين مدببين يمسك باليدين.

ب - تقنية استعمال المخارز : وهي طريقة أخرى للقلع المقصود وتكون إمّا على صخور معزولة أو في محاجر حقيقية وتكمن تقنيتها في استحداث ثقب متتالية غائرة بشكل شبه منحرف تدعى بالمخارز (الصورة 7) على واجهتي الجلمود المراد تكسيره بواسطة نقّار الحفر الذي يمسك بيد واحدة أو بالنقار الذي يمسك باليدين، ونفس النتيجة يمكن الحصول عليها بواسطة المطرقة ذات الكتلة الصغيرة Massette باستعمال الإزميل Burin.

أما عن طريقة انفلاق الصخور المراد قلعها بهذه الطريقة، فقد سلّمنا بها سابقا رغم استحالتها تطبيقيا. ويرى قزال في هذا الموضوع بأنه "في بعض

الأماكن نميّز بقايا محاجر، أين يحفر العمّال سلسلة من الثقب الصغيرة غير متباعدة فيما بينها بواسطة عتاد معدني، ثم تدرج بداخلها قطع خشبية التي تبلل بكيفية تفلق الصخرة " (Gsell, S. 1901: 1, 27) ويقصد قزال بالتأكيد ظاهرة انتفاخ الخشب وزيادة حجمه بعد عملية الامتصاص، الذي يضغط على جوانب الثقب.

وذهب كل من كالفي وبايلي دي هيرمون المذهب نفسه عندما عثرا بموقع مشرع الصفا بتيارت على بقايا خطية لثقب محفورة بكيفية متوازية ومائلة، تقدر أبعادها بـ 06 سم طولا و02 سم عرضا و03 سم عمقا و يتجلى بأن هذه الثقب، ما هي إلا علامات لتقنية قلع الصخور عن طريق الانفلاق بواسطة قضيب خشبي شديد الجفاف، يدرج بداخل الثقب ثم يبلّل وبالتالي يفلّق الصخرة. (De Bayle des Hermens R., Calvet R. 1966: 367)

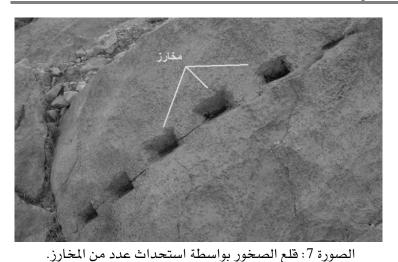
لم نهضم نجاعة هذه الفكرة لأسباب تقنية، جعلتنا نقوم بتجربتها على إحدى الصخور الجيرية بالطريقة والكيفية التي تحدث عليها الباحثان وبواسطة خشب الأشجار المنتشرة محليا كالزيتون والصنوبر والبطوم، وقد انتظرنا لمدة سنتين ولم تنفلق الصخرة بعد، وأكيد بأنها سوف لا تنفلق على مثل هذه التكوينات الصلبة كالحجر الجيري والرملي اللذان يطغيان على بناء المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه ميغاليثية للأسباب التالية:

يكاد يكون حجم المخارز بأبعادها منعدمة الأهمية مقارنة بصلابة ونوعية وحجم الصخرة المراد قلعها، ففي العديد من الأحيان دنت أبعاد المخارز إلى 09 سم طولا و02 سم عرضا و07 سم عمقا، وهو حجم بسيط ولا معنى له مقارنة بحجم الكتلة وصلابتها.

لا يسمح شكل المخارز بتاتا بضغط الخشب على جوانب الكتلة الحجرية، نظرا لبنيتها المستطيلة أحيانا وشبه المنحرفة في أغلب الحالات، هذا الشكل الأخير ذو زوايا منفرجة نحو السطح الخارجي للكتلة الحجرية أو الجلمود الصخري، يجعل من انتفاخ الخشب يفيض وينزلق نحو الجهة التي تتعدم بها المقاومة والمتمثلة في الضلع المكشوف، المطل على الهواء الطلق. ويكون الضغط من الناحية الفيزيائية أقوى بكثير على جبهة عمودية مقارنة بذلك الممارس على جبهة مائلة نحو الأعلى، التي تكسر الضغط وتجعله يتوازى مع مسار الضلع المائل وبالتالى ينزلق نحو الخارج العديم المقاومة.

ولهذه الأسباب الموضوعية والمنطقية، بالإضافة للتجربة التي قمنا بها على المنوال الذي ذكره قزال، نرى بأنّها طريقة غير مجدية بل مستحيلة على الصخور الجيرية الصلبة. فالعملية المثلى التي كانت منتهجة، بقيت سائدة إلى وقت ليس ببعيد، وتكمن في ادراج أزاميل المخارز Coins الفولاذية داخل سلسلة من الثقب المتتالية غير المطابقة من حيث الشكل مع تلك المتواجدة عندنا فهي ذات أبعاد تتساوى وحجم الإزميل. حيث كانت العملية تتم بعد حفر المخارز وتثبيت الأزاميل بداخلها، ثم القيام بطرق هذه الأخيرة الواحدة تلو الأخرى بواسطة مطرقة ذات الكتلة Masse إلى أن ينفلق الصخر في المكان المرجو تقريبا. ونرى بأن الطريقة نفسها كانت منتهجة ومستعملة في قلع صخور المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية بالشرق الجزائري باستعمال مخارز ذات أبعاد متفاوتة في المقادير، حيث يصل عرضها أحيانا 11 سم وهو عرض يكبر عن سمك الأزاميل بكثير، ما يستدعى وضع دعامات الحصر Cales التي نعتقد بأنها من مادة الخشب توضع موازية لخدّي الأزاميل وهذا لسببين، ويتمثل السبب الأول في شد الأزاميل، وانتصابها داخل المخارز التي نجدها متعددة الوضعيات، فمنها المتواجدة على سطح أفقى وأخرى محفورة على جبهات عمودية فعلى هذه الأخيرة، تكون الأزاميل قي وضعية أفقية وبالتالي لا يمكنها الثبات في موضعها دون حصرها جيدا بدعامات الحصر. أما السبب الثاني فهو أساسي يساهم في انفلاق الصخر، فبعد تثبيت الأزاميل في مخارزها بالكيفية المذكورة تتم عملية الطرق عليها بالتناوب الواحدة بعد الأخرى إلى أن تحصر وتضغط أخاديد الأزاميل على القطع الخشبية، وبالتالي على جوانب المخارز إلى غاية حدوث الانفلاق. فيلعب قاطع الأزميل الممدود دورا في فتح الطريق وسط دعامات الحصر الخشبية بالإضافة طبعا إلى خلق نقاط ضعف عند طرقه بقاع المخراز.

أما بخصوص المخارز ذات المقادير الضيقة التي يتراوح عرضها ما بين 02 و04 سم، فكانت تدرج بداخلها الأزاميل مباشرة وبدون أية دعامة.



ج – تقنية حفر المخارز بداخل القنوات: تتحصر هذه التقنية التي عثرنا على مخلفاتها إلى غاية اليوم على مقبرة سيقوس فقط، وتبين مدى حرفية عمّال القلع الذين فهموا مبدأ مقاومة المادة الجيرية الصلبة والتعامل مع خاصيتها. فبغياب الشقوق ونقاط الضعف الطبيعية على الطبقات والكتل الصخرية السميكة المراد قلعها، كان القدامي يمزجون بين استعمال الطريقتين المقصودتين سالفتي الذكر في آن واحد، حيث تحدث قنوات طويلة تحفر على عمق متباين حسب هيئة سطح الجلمود والتي تتراوح بين المولاية تحفر على عمق متباين حسب هيئة سطح الجلمود والتي تتراوح بين القدامي و80 سم، فيحصل بالتالي على متوسط عمق إجمالي داخل الكتلة يصل إلى غاية 28 سم، قصد الحصول على قطع صخرية ذات سمك كبير تفاديا للأخطاء وتبذير الجهد، وكانت تتم عملية القلع على المنوال المقصود

المذكور في الطريقة "ب".(الصورة 8)



لصورة 8: تقنية حفر مخارز داخل قنات.

من خلال ما بينته المخلفات الأثرية، فقد اتضح في العديد من الحالات أن عمّال القلع وضفوا تجربتهم الحرفية في التعامل مع التكوينات الجيولوجية للصخور بفهم تكويناتها مهما كانت هيئة الصخرة المراد استغلالها من حيث وضعيتها في الطبيعة. فكان القلع مريحا على الطبقات الجيرية الأفقية والمائلة والواضحة التكوين. أما تلك الجلاميد والصخور المتدحرجة من أماكن عالية فتستقر في المكان بوضعيات مختلفة قد تتعاكس طبقيّاتها الأفقية غير المرئية مع الوضعية المريحة للعامل، فكانت تحفر بها مخارز مائلة تتماشى وتتوازى مع فراش ترسبها والتكوين في الستراتيغرافي للكتلة. وكانت هذه الأخيرة ينقص عددها وتبتعد المسافة فيما بينها لما تكون متوازية وفراش الترسب الذي يسهل تفليقها في المكان والكيفية المرجوة نظرا لوجود مسار ضعف طبقي يسهل العملية. وتقترب المخارز فيما بينها ويكثر عددها لما تكون متعامدة ومعاكسة لفراشها الترسيب، ينطبق نفس هذا المثال على كيفية تقسيم حبة حلوى مورقة التي الترسيب، ينطبق نفس هذا المثال على كيفية تقسيم حبة حلوى مورقة التي

يسهل فتحها بالتساوي وتقسيمها أفقيا على مستوى الفصل بين الوريقات وتتعقد العملية في الاتجاء المعاكس.

ناذرا ما استعملت الكتل الصخرية المقتلعة باستعمال المخارز مباشرة في بناء المعالم الجنائزية، لما تحتويه على نتوءات قد لا تتماشى والشكل الدائرى للحلقة الحجرية المحيطة بالقبر ومختلف أجزاء الغرفة الجنائزية التي غالبا ما نجد عناصرها مستوية وذات زوايا وأضلاع قائمة نوعا ما خاصة منها تلك المبنية بواسطة الجدران المرصوصة. فقد تتطلب من البنائين وعمال القلع، تشذيب حوافها غير المنتظمة، فاستعملت حسب اعتقادنا وبفضل تجربتنا البسيطة في ميدان تشذيب الحجارة، مطرقة ذات الكتلة الصغيرة، وضربها على حافة النتوء الزائد المراد نزعه بكيفية مائلة أين تتم عملية الضرب بزاوية مائلة نحو الخارج فاسحة المجال للحافة الجانبية للمطرقة الفضل في القيام بهذه العملية، ما ينتج عنه نزع الشضية على مستوى النتوء وبارتفاع بسيط. أما إذا كانت الكتلة المراد تشذيبها كبيرة وذات شكل حدبة واسعة فنعتقد بأنه كان يستعمل مطرقة ذات الكتلة بها رأسين متوازيين يقعان على حافتي المطرقة Marteau tetu، فهي الوسيلة والأداة الوحيدة التي يمكن أن نتحصل بواسطتها على نزع شظايا عميقة وطويلة، وتختلف مقاسات هذا النوع من المطارق حسب حجم الكتل الحجرية المراد تشذيبها، فمنها الصغيرة التي تقبض بيد واحدة والكبيرة التي تستعمل بكلتا اليدين.

كما اتضح على بعض عناصر المعالم الجنائزية الميغاليثية المتمثّلة في المصاطب بكل من مقابر الركنية، وشنيور وراس العين بومرزوق، استعمال الإزميل المدبب Broche لتسوية الكتل أكثر بعد عملية التشذيب، وتعدّ هذه الطريقة بمثابة طرق غير مباشر، حيث تتطلب استعمال مطرقة ذات الكتلة الصغيرة.

بحكم النوعية المتباينة في جودة الصخور المقلوعة والمشدّبة، المتحصّل عليها بواسطة انتهاج الطرق والتقنيات المذكورة. نستنتج منه بأنّ العمّال المكلفون بمهام قلع الحجارة في مقابر الشرق الجزائري، يمكن تصنيفهم إلى فئتين، فئة عديمة الخبرة قامت بتقليد الحرفيين للقيام بمبادرات لبناء مقابر ذويهم بنفس الوسائل والعتاد، إلا أنها ارتكبت أخطاء نجم عنها ضياع

العديد من الصخور والكتل الحجرية التي بقيت مهملة في أماكن القلع والمحاجر، وإعادة الكرّة ثانية إلى غاية تحقيق أهدافهم العقائدية المقدّسة والمتمثلة في دفن موتاهمم وتشييد قبورهم. أمّا الثانية فهي فئة محترفة لديها معرفة وخبرة كبيرة في التحكّم بوسائل القلع والتشذيب والدراية الكاملة للتركيبات الجيولوجية للجلاميد من خلال تجربتهم الطويلة في حرفة المحاجر، وهذا ما بينته المخلفات الأثرية التي عثرت عليها بخصوص طرق القلع والتشذيب المذكورة والمتمثلة في حسن استعمال أزاميل المخارز وطرقها بكيفية سليمة متعامدة مع الكتلة، مهما كانت وضعيات الطرق التي تمليه هيئة الجلمود المراد قلعه، والتي يتحصّل بها على نوعية قلع جيدة.

## البيبليوغرافيا:

- -De Bayle des Hermens R., Calvet R. (1966). « Le site de Mécherasfa sur la Haute Mina, éperon barré et nécropoles », Libyca Anthropologie-Préhistoire, Ethographie, 14, p. 355-377.
- -Gsell, S. )1901(. Les monuments antiques de l'Algérie, Paris: Albert Fontemoing.

# محاولة رصد جوانب من تاريخ وواقع مدن قديمة بالغرب الجزائري ( ريجيايي - Siga ) سيغا - Quiza )

د. محمد بن عبد المؤمن جامعة وهران

من بين الأسباب الرئيسية التي دفعتني لاختيار دراسة هذه المدن هو الإهمال الذي طالها، وتقريبا يمكن القول ان لا وجود لها باستثناء بعض البقايا الأثرية، فاستصغروا فيها حتى اللافتات التي تشير إلى مواقعها الأثرية، وعند زياراتي المتكررة لها منذ 2004م إلى غاية نهاية 2013م لمحت تدهور وسوء حالة هذه المواقع الأثرية، كما لاحظت أن هذه المدن التي اخترتها ضمن فعاليات ملتقى (الريف المدينة والريف في الجزائر القديمة ما بين 06 – 70نوفمبر 2013 بجامعة معسكر) كان لها دور تاريخي وحضاري بالمنطقة، فهي التي تشرف على سهول خصبة موّنت روما بالمنتوجات الإقتصادية الضرورية كالقمح، والزيت، والخمر، لذلك أنشأت على ضفاف وديانها موانئ باسثناء مدينة (ريجييايي) الداخلية، ومن بينها من عرفت تعاقب الحضارات القديمة كالبونية، والنوميدية، والرومانية، وحتى عرفت تعاقب الحضارات القديمة كالبونية، والنوميدية، والرومانية،

عند دراستي لهذه المواقع حاولت إعطاء نبذة تاريخية مختصرة، وركّزت على واقع آثارها اليوم متفاديا تكرار ما كتب من طرف الاجانب خاصة، أما بالنسبة لوضعية (ريجيايي- Regiae )التي لم يبق من آثارها وموقعها إلا الاسم، حاولت الربط بين ما كتب و ذكر عنها، ومقارنته بما هو موجود ميدانيا، كما عملت على رصد ما تبقى من آثار، وعرض حالة هذه المواقع اليوم كالضريح الملكي لـ:( سيفاقس Syphax) الذي أصبح عرضة للتخريب نتيجة الظروف الطبيعية، وتدخل الإنسان بأعماله التخريبية بحثا عن الكنوز مثلما هو شائع بين البعض، فلم تجلب غالبية المواقع الأثرية للقسم الغربي من مقاطعة موريطانيا القيصرية اهتمام الباحثين بالرغم من الساع هذا الجزء من المقاطعة باستثناء البعض منها.

إن قلة الاهتمام بهذه المواقع حتى أثناء الاحتلال الفرنسي مقارنة مع مواقع أثرية أخرى بالقسم الشرقي من نفس المقاطعة، أو بمقاطعات أخرى مثل نوميديا كان له الأثر الواضح على الباحثين في الفترة الحالية الذين

اتبعوا نهج القدماء في ابتعادهم عن دراسة هذه المواقع بحجة اندثار آثارها، أو لقلة المادة التاريخية عنها، أو نجد تكرار ما كتب دون عناء الوقوف على هذه المواقع، أو كتابة الجديد عنها، ورصد حالتها اليوم.

يجب الإشارة الى ان هذا القسم الجغرافي من الجزائر لم يعرف سوى بعض الأعمال التنقيبية النادرة التي تبقى غير كافية بالرغم من أن مجموعة كبيرة من المواقع الأثرية التي تقع بالغرب الجزائري ورد اسمها ضمن النقوش، والنصوص الأدبية القديمة، ولا يزال البعض منها يحتوي على معالم وبقايا أثرية قديمة يجب الحفاظ عليها، والتنقيب بأخرى.

# (أد ريجيايى - Ad Regiae) أغبال:

تواجد مركز عمراني أثناء العصور القديمة بالموقع المعروف اليوم بأغبال جنوب غرب وهران على بعد 31 كلم، تقع عند سفح سلسلة جبال تسالة، وتشرف على سهل ملاتة الواسع المستغل اليوم في انتاج الحبوب والزيتون، ويحدد الموقع الاثري اليوم بمزرعة (كمالونغا- Camallonga) لان بناء المزرعة في الاصل كان على الموقع الاثري، وبالحجارة والمخلفات الاثرية لهذا الموقع، والتي لا تزال بقاياها قائمة حتى الوقت الحاضر.

يرجع تاريخ استيطان السكان بالمنطقة التي ينتمي إليها هذا الموقع إلى عصور ما قبل التاريخ، وبالأخص العصر النيوليتي ; 31: (Gsell, S. 1900 :81) وذكر اسم المدينة على النقوش اللاتينية ، فهي تبعد عن موقع (تساكورا Tassacura) سيق – التابعة إداريا لولاية معسكر- (Gsell, S. 1911: f. 20,n° 33)، بنحو 30 ميلا، ما يعادله 45 كلم حسب دليل رحلة أنطونينوس ( Itinerarium Antonini, Augusti :15)، ويشكّل موقعها مفتاحا لمجموعة من الطرقات التي تمر عبرها ( 82) (Abadie, L. 2002).

تربع موقعها الأثري على مساحة تقارب 25 هكتارا، كانت محاطة بسور مثلما تشير إليه بقايا حجارة اساسه التي تبدو في شكل متواصل (Demaeght, L. 1894:245)، وزودت بأبراج مراقبة عسكرية لحمايتها، كما تواجدت بموقعها الأثري بقايا لأسس مباني عديدة يبدو أنها كانت مهمة، إلى جانب بقايا أعمدة، وتماثيل وصخور منحوتة، وبقايا مبنى الكنيسة، إلى جانب قناة نقل المياه، مما يدل على ازدهار المدينة (Cat, 209: 1891.

يحتمل (إدوار كات- E. Cat التي كانت أملاحها تستغلال ملح سبخة وهران القريبة منها من جهة الشمال، التي كانت أملاحها تستغلام منذ القديم من طرف الملوك (Cat, E.1891:210)، وانطلاقا من فرضيته ان المدينة كانت موجودة قبل التواجد الروماني، وباحتلالهم لموقعها قاموا بترجمة اسمها إلى اللاتينية، لكن الاكيد أنها كانت مزدهرة مع القرن الثاني والثالث الميلاديين، خاصة وان النقوش التي عثر عليها بموقعها الأثري مؤرخة لنفس الفترة، لكنها استطاعت ان تحافظ على مكانتها أثناء فترة انحطاط الإمبراطورية مثلما تشير إليه البقايا الأثرية التي تعود للفترة المسيحية مابين القرنين الرابع ونهاية الخامس الميلاديين: (Lepelley, Cl. 1979: 2,542, note 1)

والملاحظ أن غالبية النقوش التي اكتشفت بالموقع الأثرى( لريجيايي- Regiae)هي مؤرخة للقرن الثاني والثالث والتي تعود إلى عصر الأباطرة الأنطونيين، وتزامنت مع ليمس القرن الأول الميلادي ( Demaeght, ) 246: L.1921 من بينها النقيشة التي وجدت على ما يبدو على قوس نصر، أهديت للإمبراطور (سبتيموس سيفيروس)، ونقيشة أخرى أهداها أحد أعضاء مجلس المدينة المدعو (بيبليوس فاليريوس لونغوس – Publius Valerius (Cagnat R, Schmidt J., Desseau, H.1904)(Longus الذي تقدم بها للإمبراطور (سبتيموس سيفيروس)، إضافة لنقيشة 57: Demaeght, L. 1882 ( ورد ضمن محتواها اسم (أولوس - Aulus) الذي شغل وظيفة كاهن للمعبود (جوبيتر- Jupiter)، زيادة لنقيشتين Wilmanns G., Mommsen) ( Th.,1891 جنائزيتين تكشفان عن مقتل شخصين من سكان المدينة على يد قبائل( البوار- Bavares) الذين تواجدوا بالقسم الغربي من مقاطعة موريطانيا القيصرية (بن عبد المومن، م. 213:65) ، الأمر الذي دفع بالرومان إلى تحصين مدنهم وتعزيزها بأسوار لحمايتها، وذلك ما استخلصناه من بقايا حجارة في شكل متواصل شكلت اساس سور المدينة(1921 245 : .Demaeght, L)، ومخلفات نقيشة أحد الجنود التابعين لفرقة (خيالة أوغسطوس البارثيين الأول- Ala I Augusta Parthorum التي عيّنت لمواجهة ثورات السكان المحليين، وعسكرت بالعديد من المدن القريبة جدا من (ریجیایی) مثل (ألبولای – Albulae) عین تیموشنت، و(بورتوس ماغنوس-(Benseddik, N. 1979: 39,40)(Portus Magnus

تقدم سكان المدينه بالإهداءات للآلهة (مان) المقدسة مثلما يشير إليه نص نقيشة تعود لتاريخ 272م تقدم به كل من ( أنتونيوس فيكتور – (Antonius Victor) وزوجته (ميزا – (Mesa ) وبناء قبر لابنهما المتوفى (أنتونيوس فليكس – (Antonius Felix)، و بعد عشر سنوات من موت ابنه، يلحق به والده عن عمر 70سنة، وتتكفل زوجته بدفنه إلى جانب ابنه (Poinsot J., Demaeght, L. :56)، والشأن نفسه بالنسبة للزوجة ( رومانا كوايسيليا – (Romana Coecilia) التي تقدمت بإهداء للآلهة (مان المقدسة) لحماية زوجها المتوفي سنة 326م عن عمر 47 سنة (CIL,VIII, 21636)، كما عرف سكانها معبودات وثنية مثلما يشير إلى ذلك محتوى نص نقيشة يكشف عن اسم كاهن المعبود (جوبتر – (Jupiter)) المدعو (أولوس – يكشف عن اسم كاهن المعبود (جوبتر – (Poinsot J., Demaeght L. 1882 :57)

بانتشار المسيحية ببلاد المغرب القديم لم يتأخر سكانها عن اعتناق هذا الدين الجديد مثلما تبينه لنا مجموعة من البقايا الأثرية، مثل بقايا بناية الكنيسة، ومجموعة من النقوش المسيحية، التي يعود تاريخها لمنتصف القرن الرابع والخامس الميلاديين :P. 1996 القرن الرابع والخامس الميلاديين :Déjardins, V. 1946 ومن خلال بقايا (246)، ولعدد من اسماء الشهداء (77: 1944 بعود تاريخه للقرن الخامس أثرية أخرى متمثلة في قالب لصناعة المصابيح يعود تاريخه للقرن الخامس الميلادي (Demaeght, L. 1895: 350)، أما الحدث التاريخي المهم الذي يعود للفترة المسيحية بـ: (ريجيايي) يمكن حصره في دعوة الأسقف (فكتور—المين علما الوندال (هنريك — 484) من طرف ملك الوندال (هنريك — 484) سنة 484 م لحضور اجتماع قرطاجة، هذا الاخير الذي بنفيه مع باقي الأساقفة، مما يدل عل أن أسقف وأسقفية مدينة (ريجيايي) كان لهما دورا فعالا بمقاطعة موريطانيا القيصرية (Benguenale, M. 2012: 216) أثناء تلك الفترة.

ارتبطت المدينة بمجموعة من المدن المجاورة لها بواسطة طرقات، حيث يشير دليل رحلة (أنطونينوس) أنها كانت غير بعيدة عن مدينة (تاسكورا- Tassacura) ، حوالي 30 ميلا (Gsell, S.1911: f. 20) ، ما يقابله حوالي 45كلم، ولا يزال معلم هذا الطريق محفوظا بالقاعة الرومانية للمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران(203:1939-1939)، وطريق آخر باتجاه (آد دراكونناس- Ad Dracones حمام بوحجر الذي يستمر نحو مدينة (ألبولاي- Albulae) عين تيموشنت، كما اتصلت بطريق نحو مدينة (بورتوس ماغنوس) الساحلية (C.I.L.,VIII, 10457)

لا نملك المعلومات عن التواجد الوندالي بالمدينة، باستثناء استدعاء الملك الوندالي لأسقف (ريجيايي) لحضور اجتماع قرطاجة، وبالتالي يستخلص أن هذه المدينة كانت ضمن ممتلكات الوندال أثناء فترة حكمهم، خاصة وأنهم عبروا على مدينة (ألتافا - Altava) أولاد ميمون، التي تقع جنوب غرب (ريجيايي)، في حين تغيب المعلومات عن فترة حكم البيزنطيين بالمدينة والمنطقة المجاورة لها، باستثناء الإشارات التي وردت عن بقايا أساس بناية الكنيسة وسور المدينة، وذكرت (فانسان - -. Wincent M.) جملة من الإشارات عن البقايا الأثرية للمدينة، من بينها قاعدتين لعمودين متقابلين رجحتهما بأن يكونا لإحدى المداخل التي تؤدي إلى ساحة المدينة (Vincent, M.-M. 1936: 221)

إن المخلفات الأثرية لمدينة (ريجيايي) اليوم يمكن تصنيفها إلى قسمان، قسم محفوظ بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران، تم التحصل عليه عن طريق الإهداء الذي تقدم به مجوعة من المعمرين لمحافظ المتحف آنذاك، نذكر من بين أهمها المعمر الفرنسي(كمالونغا) صاحب مزرعة أغبال الذي بناها على ارضية الموقع الأثري وبحجارته الأثرية، و(أغسطين-أغبال الذي بناها على ارضية الموقع الأثرية، من بين أهمها النقيشة التي الذي أهدى للمتحف مجموعة من القطع الأثرية، من بين أهمها النقيشة التي كانت موجودة عند مدخل كنيسة (سان مور) أثناء الاحتلال الفرنسي، التي تضمن محتواها اسم كاهن المدينة، ومعبودها (جوبيتر)، إلى جانب الهداء (لابي بولاسي- Abbé Pollacci) المتمثل في جرة صغيرة، أما غالبية الإهداءات كانت عبارة عن مجموعة من القطع الأثرية المتوعة، منها الخزفية، والقطع النقدية، وقواعد للتماثيل، ومجموعة من النقوش(186 :1838-1838) محفوظة لحد الساعة بالمتحف النقوش(186 :1838-1830) محفوظة لحد الساعة بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران.

بينما القسم الثاني، يحتمل ان جزءا منه مندرسا في الأرض، وجزئه الثاني موزع بين البنايات التي تعود للفترة الاستعمارية كمزرعة (كمالونغا) التي لا تزال بقاياها موجودة حتى يومنا هذا، وأخرى موزعة ومبعثرة على مساحة الموقع الأثري، او يحتفظ بها السكان المقيمين بأغبال كالنصب الجنائزي الذي تظهر من خلاله صورة امرأة منحوتة، أو مجموعة من بقايا الاعمدة والتيجان التي تزين إحدى المؤسسات التربوية، والحجارة الأثرية التي بنى بها الفرنسيون نفورة بمدينة (سان مور- Saint Maur) (تمزوغة)، ونجد

الحجارة الأثرية مبعثرة ومستعملة كأماكن للجلوس بموقع انتظار الحافلات عند مفترق الطريق الرابط بين تامزوغة وأغبال ، وبالتالي تبقى مسألة الإهتمام بمثل هذه المدن القديمة بحثا وتنقيبا من الأولويات للحفاظ على جزء من تراث حضارى لمنطقة عانت كثيرا من الإهمال.

# (كويزا – Quiza) سيدي بلعطار:

يقع موقعها الأثري27 كلم شمال شرق مستغانم، بالمنطقة المعروفة بدوار أولاد الصافي التابعة إداريا لبلدية (سيدي بلعطار — Sidi Belattar)، كانت تسمى أثناء الإحتلال الفرنسي بـ :(Pont du Chélif) لأن وادي الشلف ومصبه قريبين منها، الذي كان صالحا للملاحة في وقت مضى (Vincent, M.-M.1937) ، مما أدى إلى تهيئة ميناء المدينة على إحدى ضفتيه، مثلما هو الشأن لميناء (سيغا — Siga). ويتربع موقعها الأثري على مساحة 90هكتارا، فوق هضبة ترتفع عن السهول المجاورة بنحو 130 لى مترا.

باستثناء بعض المقالات التي أنجزت أثناء فترة الاستعمار، لم ينل هذا الموقع الأثري حظّه بحثا وتنقيبا في فترة ما بعد الاستقلال، باستثناء بعض المحاولات آخرها العملية التنقيبية من فرقة تابعة لمعهد الآثار بالجزائر، أو الدراسة التي أفردها الباحث (إبراهيم بوسعدية) بعنوان (Boussadia, I. 2004: 68-72).(dans le bassin du Chlef

يتجلى لمتصفح المصادر أن هذه المدينة كانت معروفة لدى بعض الكتاب والجغرافيين القدماء، إذ يشير (بومبونيوس ميلا) (Mela. 1988: I,5,29)، ورحلة (أنطونينوس) .(Mela. 1988: I,5,29)، ورحلة (أنطونينوس) .(Guiza بهعد (345: 1845: السم (غويزا ميلا عن (Guiza وصفها الأول بالمدينة الساحلية التي تبعد 40 ميلا عن (أرسيناريا وصفها الأول بالمدينة الساحلية التي تبعد ماغنوس)شرقا، وذكرها (بطليموس)، ويلاحظ أنه غالبا ما كان يضع ماغنوس)شرقا، وذكرها (بطليموس)، ويلاحظ أنه غالبا ما كان يضع المدن القريبة من مصب الأنهار والوديان في خرائطه على الساحل مباشرة مثلما هو الشأن بالنسبة لموقع مدينة (سيغا)(178: 178) (178: 2003 مع العلم أن الموقع الأثري يبعد عن الساحل بنحو 7 كلم، أما (بلين الكبير) مع العلم أن الموقع الأثري يبعد عن الساحل بنحو 7 كلم، أما (بلين الكبير) (Prigrinorum oppidum).

عثر بموقعها الاثري مجموعة من النقوش اللاتينية المدونة بسجل النقوش اللاتينية ضمن المجلد الخامس، ويحتفظ المتحف الوطني أحمد زبانة بوهران بمجموعة منها(C.I.L., VIII, suppl. III, n° 21515)، من بنها نقيشة لاتينية تعود لسنة 128م (Wilmanns, G., Mommsen, Th. 1988: n° 9697) تكشف لنا عن الوضعية القانونية للمدينة على أنها بلدية رومانية.

أشارت نقوش هذه المدينة لأسماء أساقفة كاثوليك منهم (بيسكوس- Piscus) الذي حضر اجتماع قرطاج سنة 411م، ولعب دورا فعالا، حيث كان الوحيد من مقاطعة موريطانيا القيصرية الذي اختير ضمن الأساقفة السبعة المستشارين(Consiliarii)، وفاعليته تجلت أيضا في علاقته مع الدوناتيين بـ: (كويزا) (S.Lancel, 1984:48, 59) وورد اسم الأسقف الثاني للمدينة (تيبريانوس- Tiberianus)، ضمن قائمة أساقفة كنيسة إفريقيا الذين حضروا اجتماع قرطاجة سنة 484م(1388-1308).

#### المعالم الاثرية:

يتربع الموقع الأثري لـ:(كويزا)على مساحة 90هكتارا، وجدت بها مجموعة من الآثار وصفها لنا (ديمات- (50-488: 49:49-50)) وبقايا قنوات والأب(ليتولو)( Lithileux, J.-P. 1982) نذكر منها خزانات ماء، وبقايا قنوات الصرف وأعمدة، وأساسات منازل بعتباتها التي لا تزال قائمة حتى الوقت الحاضر، إلى جانب الشظايا الفخارية المنتشرة على مساحة واسعة من الموقع الأثري، وبقايا جدران يحتمل أنها من مخلفات سور المدينة الذي كان يحميها أثناء الفترة الرومانية، خاصة وأن (بومبونيوس ميلا) وصفها بالمركز العسكري(Castellum)، كما تم اكتشاف قوس يذكر بشأنه (غزال)) العسكري(Ssell, S. 1901: 408,413)، بنفس الموقع على غطاءات قبور مزينة بالفسيفساء يحتمل أنها تخص قبر كاهن دفن داخل الكنيسة.

ويستخلص من المسكوكات التي عثر عليها بأن هذا الموقع الأثري أنه يكون قد عرف مختلف التطورات والمراحل التاريخية التي سادت بلاد المغرب من مراحل حكم الملوك المحليين، والبونيين مثلما تبينه القطع النقدية للملك (يوبا الثاني- Juba II) و(بطليموس- Ptolemée)، والفترة البونية(Gsell, S. 1911 :f. 11; Salama, P. 1979: 109-146) إلى جانب بقايا أخرى متنوعة من الادوات خزفية(Cagnat, R. 1926: 247) مثل

المصابيح (39-47) وأخرى عاجية، وعظمية، محفوظة (Demaeght, L.1921:130, 134,167) وأخرى عاجية، وعظمية، محفوظة اليوم بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران (134,167) تدل المعطيات الاثرية على وجود حركة تجارية عرفتها مدينة وميناء (كويزا)، من خلال العثور على قطع من الخزف السيجيلي الغالي، والإسباني مختومة بأسماء ورشات تصنيعها، مما يدل على نشاط مينائها الذي كان من دون شك يستقبل هذه المنتجات، ومن جملة الورشات التي انتشر منتوجها بالمدينة نذكر ورشة (سيلفانوس- Silvanus) من (غروفصانك- (غروفصانك- (Graufesenque)) الذي انتشر منتوجها بد: (بورتوس ماغنوس)، وورشة (كوبيوس فوستوس- (Cubius Faustus)) من (أريزو- (Arezo (Cadenat, P. 1954: 243-248; Guery, R.1971:121,124; Id., (Zoter

تبقى المعلومات ناقصة عن التاريخ العسكري للمدينة باستثناء بقايا جدار السور، وإشارة واحدة تتمثل في نقيشة (C.I.L., VIII, suppl, 21516) لفرقة مساعدة تدعى ب: (خيالة الجيتول الأولى — Alae Getula I) المكونة من المحليين، ورد عليها اسم (أوريليوس مسفيلوس— Aurelius Masfelus) ذو الأصول المحلية، وزين هذا النصب بصورة فارس يحمل بيده ترسا دائريا صغيرا، ورمحين، ويعود تاريخ النقيشة للقرن الأول والنصف الثاني من القرن الثاني ميلادي، لكنة لا يمكن الجزم أن تكون هذه الفرقة قد استقرت، أو مرّت بالمدينة.

كان للطرقات دورا هاما في تسهيل حركة الأشخاص والبضائع، بالإضافة لمينائها الذي شيّد على ضفة وادي الشلف، امتلكت شبكة من الطرقات في اتجاهات مختلفة، فكانت تربطها طرقات بكل من (بورتوس ماغنوس) مثلما تدل عليه المعالم الميلية (الثاني والثالث والرابع)(بن عبد المؤمن، 2013: 86)، وطريق ساحلي يتفرع منه طريق داخلي باتجاه (كرتناي—Gadum) تنس، وطريق آخر باتجاه (قدوم كاسترا— Gadum) يتفرع منه طريق باتجاه (مينا— Mina) غيليزان، وآخر باتجاه (بالان برايزيديوم— Ballene Praesidium)، مما يدل على استراتيجية موقعها، وتسهيل حركة التجارة، ونقل منتوجات المناطق الداخلية التي كانت تشحن من منائها.

تبقى بعض الجوانب من تاريخها غير معروفة كالحياة الإجتماعية، والعائلات التي سكنتها، وأهم التطورات السياسية التي مرّت بها، فالإشارات، والآثار المذكورة تبقى ناقصة، ويحتاج الموقع لإعادة النظر، وتشجيع التنقيبات به، وتصنيفه كمعلم تاريخي، خاصة وان الغابة المطلة على دوار اولاد الصافح غطت جزءا كبيرا منه.

### سيفا (Siga) تاكمبريت

لا يمكن دراسة موقع (سيغا) دون التطرق لها أثناء حكم ملكها (سيفاقس- Syphax)، ولميناء المدينة، وضريحها الملكي، وجزيرة (رشقون) ( ينظر الخرائط)، لان هده العناصر تشكل تاريخ (سيغا) القديم ضمن مراحل تاريخية قديمة. يمثل موقع (سيغا) الاستثناء بالغرب الجزائري، إذ يعود تاريخه لما قبل الفترة النوميدية، وحسب التنقيبات الأولية، فإن موقعها تمّ تعميره بداية مع القرن الخامس قبل الميلاد، حيث اكتشفت طبقة تعود الأولى للفترة القرطاجية، وأخرى أسفل منها ترجع للفترة الفينيقية أو اللوبية، وفي القرن الثالث قبل الميلاد أصبحت عاصمة الملك (سيفاقس) ملك الماسيسيل أين يوجد الضريح الملكي الذي غالبا ما ينسب إليه ( Vuillemot, )

## تاريخ التنقيبات:

نتيجة اكتشاف بقايا أثرية أثناء الأعمال الفلاحية التي أقيمت بمزرعة المعمّر الفرنسي (بارت- Barret)، كلّف (غريمال- P. Grimal) من طرف المدرسة الفرنسية سنة 1936م (Grimal, P. 1937: 108-141) من طرف المدرسة الفرنسية بروما (Ecole Française de Rome) بمهمة التنقيب بنفس المكان الذي عثر به على هذه القطع الأثرية، والتي تركزت حول مزرعة (بارت) التي أصبحت تسمى بمزرعة (أورسيرو- Orsero) أي وسط موقع (سيغا)، ثم قام (فييمو) بعمل تنقيبي صيف سنة 1961م وأتبعه بآخر سنة 1962م، ليليه من نفس السنة عمل تنقيبي قادته مجموعة من الباحثين من تلمسان بالقرب من مزرعة (بارت) القديمة، وقام (فرنسوا دوكري- F. Decret) بنشر نتائج أعمالهم التنقيبية، وعرض إكتشافات أثرية أخرى تعود لشهر أفريل من سنة 1969م بالمرتفع الغربي المسمى(بلاد سيغا — Siga) تضمن أربعة عشر نصبا بالمرتفع الغربي المعبود (ساتورن- Saturne)، أفردها بتقرير قدّمه لجامعة وهران، ليضاف إليهم نصبا آخر تمّ اكتشافه سنة 1971م، ويبقى مكان اكتشاف هذه النصب غير محدد، هل هو معبد أم مقبرة ( :1986 ، ويبقى مكان

273-284)، وآخر عهد بتنقيبات (سيغا) تعود لسنة 1977م قادته فرقة ألمانية جزائرية (Lancel, S. 2008: 43)

## البقايا الأثرية الحالية:

كشفت التقارير التنقيبية والدراسات عن مجموعة من البقايا الأثرية يمكن الرجوع إليها(ينظر القائمة الببليوغرافية)، وبقايا اخرى محفوظة بالمتحف الوطنى أحمد زبانة بوهران(L. Demaeght,1921)، بينما التي لا تزال صامدة حتى اليوم، وعايناها بالموقع الاثرى آخر مرة بيوم قبل انعقاد الملتقى بتاريخ 05نوفمبر 2013م، يمكن حصرها في ما يلى: بقايا الخزان المائي بجدرانه التي افتقدت لأجزاء من الطبقة التي كانت تحميها وتمنع من نفاد الماء، والقناة الناقلة للماء التي لم يبق منها سوى بعض الأمتار، كما صادفنا عمودا ملقيا على الأرض، وحجر عقد، وحجارة رخامية عليها مجموعة من الفجوات الصغيرة الغير متشابهة، وحزّة، يحتمل أنها عتبة لباب كانت تغرز بداخلها أقفاله، و لايزال الموقع الذي شهد العمل التنقيبي للفرقة المشتركة الجزائرية الألمانية موجودا ومحاطا بنباتات شوكية تمنع الوصول إليه، فهو لا يتجاوز بعض الامتار في شكل مستطيل، وعند الجرف الشمالي للموقع الاثرى المقابل لوادى التافنة لا تزال بقايا بعض الصخور المكونة لصور المدينة قائمة، كما يجب التنويه للتخريب الذي شهده الموقع الاثرى أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، وخير دليل على ذلك مزرعة ( بارت) التي بنيت داخل مساحة الموقع الاثرى، والحجارة الاثرية التي بنيت بها هياكلها.

## المصادر التي ذكرت المدينة:

دكر اسم مدينة (سيغا) من طرف (بطليموس) ( Ptolemaei. 1901: IV, 2, (بطليموس) ( النطونينوس) ( 3)، ودليل رحلة (أنطونينوس) ( Strabon, Geographie

3,9 13,1 الأخير الذي (سترابون) هذا الأخير الذي (سترابون) هذا الأخير الذي قال عنها: "...كانت عاصمة الملك (سيفاقس) وهي اليوم آثارا...."، وأشار (بلين الكبير)(Pline l'Ancien. 1980: V, 19) أنها تقابل مدينة (ملاقا – (بلين الكبير)(Malaga) الإسبانية، ومقر إقامة ملكية له: (سيفاقس)، وذكر (تيت ليف) أنه بعد طرد (هصدر بعل Hasdrubal) من إسبانيا دخل بلاد المغرب القديم عبر ميناء (سيغا)16(1, XXVIII, 12- ; XXVIII) ، بينما (بنبونيوس ميلا) لم لاسمها، ولاتساع مينائها (Pomponius Mela: I, 5, 29 1988).

كشفت الاعمال التنقيبية التي أنجزت على مساحة المقبرة البونية القديمة عن مؤشرات أثرية سمحت بتحديد فترة التواجد الروماني بالمدينة، إذ لم يعثر على بقايا أثرية توحي عن تواجد سكاني بها أثناء القرن الأول الميلادي، فيحتمل أن سكانها هجروها مما يؤكد قول (سترابون)(: 1886 الميلادي، فيحتمل أن سكانها هجروها مها يؤكد قول (سترابون)(: 1886 استقرار سكاني بها الذي أمكن تحديده من أواخر فترة حكم الفلافييين – Flaviens) إلى غاية حكم (ألكسندر – Alexandre)، زيادة لبقايا الخزف السيجيلي المكتشفة بموقعها الأثري، مما يؤكد أن الإستقرار السكاني، وبروز مدينة (سيغا) يكون قد استمر إلى غاية القرن الثالث الميلادي مثلما يبينه محتوى النقيشتين اللاتينيتين(218م عليه عليه المتورد).

تم تحديد النسيج العمراني للمدينة على هضبة (راس الشعر- Chaar)، تواجد هذا المركز العمراني داخل اسوار المدينة (Chaar)، عثر بداخلها على حمامات مما يدل على حياة الرفاهية التي كان يتمتع بها سكانها، ووجودها على ضفاف وادي تافنة سمح لها بأن تكون ملتقى الطرقات التي سلكها التجار من أجل تصريف بضاعتهم، خاصة وأنه كان صالحا للملاحة، والعثور على بقايا خزان مائي، وقناة لنقل الماء من المصدر(عين النبية-Bemaeght, L.) (ديمات) (Le Nebia)، الذي ذكرهما (ديمات) (Le Siga municipium)، القانونية للمدينة في النصوص القديمة كبلدية رومانية (Siga municipium)، مما يستلزم وجود مباني إدارية ودينية بها، لكن لك لا يكفي في غياب المؤشرات الأثرية، والأدبية.

يتأكد من يوم لآخر أن طابعها كان تجاريا ، ولم يبخل البحر هو الاخر عن كشف المزيد من المعطيات الأثرية التي تؤكد ذلك، وغالبا ما حملت شباك الصيادين بشاطئ رشقون أعدادا من الأمفورات القديمة، مما يؤكد على وجود نشاط تجاري بينها وبين موانئ العالم الروماني بالضفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسط مثلما أشر إلى ذلك (بلين الكبير) ( Pline ) الأخرى للبحر الأبيض المتوسط مثلما أشر إلى ذلك (بلين الكبير) ( 'Ancien, 1880: V, 19 لبقايا من الخزف السيجيلي الغالي والإسباني المستورد.

عرفت المدينة عدة أنشطة اقتصادية كالزراعة والرعي، إذ كشفت التنقيبات عن جرس(Cloche) يوحى عن وجود نشاط رعوى بالمنطقة، خاصة

وأن صورة الكبش زيّنت النصب الجنائزية المهداة للمعبود (ساتورنوس) (Decret, F. 1986:273-284).

#### ميناء سيغا:

حسب رحلة (أنطونينوس)( ,12: 1845 .12) وميناء (Siga municipium ) وميناء (Siga municipium ) وربليغا) البلدية، ( Siga municipium ) وميناء (Portus Sigensis) (سيغا) (Portus Sigensis) وربلين الكبير) (Pine l'Ancien. V, 19) الي يذكر أن تسمية الميناء نسبة للمدينة، يحتمل أن دوره كان فعالا أثناء الحرب البونية الثانية، وفي إشارة من ( تيت ليف) ( Tite Live ) يشير من خلالها لكرم الضيافة الذي لقيه (سكيبيون – Scipion) من طرف الملك (سيفاقس) عند نزوله بميناء (سيغا) لحضور لقاء رتب من أجل السلام بين روما وقرطاجة سنة 2006 قبل الميلاد(بن عبد المومن، م. 2012: 282)

ضریح بنی غانم (بنی رنان - Beni Rhenane)

يعرف الضريح الملكي عند الباحثين الأجانب باسم ضريح (بني رنان (Beni Rhenane)، الذي يقع على قمة جبل سخونة على ارتفاع 221 م (ينظر الصورة)، فهو يشرف على سهل وادي التافنة، وخليج رشقون، وموقع مدينة سيغا، ويعتبر موقعه منظرة ينسرح منها النظر إلى مسافات بعيدة، فهو يبعد عن مدينة بني صاف الساحلية بنحو 12كلم، وللوصول إليه يضطر الزائر أن يسلك طريق ترابي انطلاقا من قرية (بني غانم) مسافة تقارب الكيلومتر أو أكثر بقليل، وسمي من طرف سكان المنطقة بـ: (كركور العرايس) لأن عادة سكان المنطقة في وقت مضى ألزمت الأزواج الجدد بالدوران حوله، من أجل ضمان السعادة والإخلاص بين الزوجين(Vuillemot, G. 1964:71).

يتكون الضريح من هيكل خارجي يظهر عليه آثار التخريب والإهمال نتيجة الظروف الطبيعية وتدخل الإنسان، فهو يحتاج لأكثر من أي وقت مضى للترميم والعناية به، فهو ينتمي إلى نوع الأضرحة البرجية ذات التأثير الهيلينستي – الفينيقي، لكن شكله الذي لا يختلف عن باقي الأضرحة البرجية المسدسة الزوايا التي شاع انتشارها بكل من (صبراتة) و (هنشير بورغو) خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، إلى جانب ازدهار وقوة مملكة الماسيسيل يجعل من تشيده أثناء فترة حكم الملك (سيفاقس) امرا واردا، وبتشجيع من ( لاسيس – M. Lassus) مدير الآثار القديمة بالجزائر قام ( فييلمو – G. Vuillemot) بالتنقيب داخل الضريح الملكي ، واستمرت التنقيبات بهذا المعلم ما بين سنتي 1960 و1961م في ظروف صعبة

قادها (فييمو) مع مجموعة مصغرة كانت تقطع يوميا 15 كلم انطلاقا من مدينة بني صاف ، واستلزم الأمر فتح معبر ترابي نحو هذا المعلم للتمكين من الإقتراب منه، ولتوصيل المؤن.

بني هذا المعلم بمواد بناء محلية، تتكون من حجر كلسي منحوت، استخرج من محجرة مجاورة لهذا المعلم، وبملاط من الجير تم استخراجه من محجرة (حجرة القط)، والبوزولان، والرماد البركاني المستخرج من مرتفعات تقع شرق الضريح، الذي يظهر في شكل مثلث بستة واجهات، منها المستقيمة، والمقعرة، ويلاحظ أن شكله الخارجي حسب الدراسات يتكون من ثلاثة أقسام يكون قد بلغ ارتفاعه 30م، قسمه القاعدي محاط بمصطبة ترتكز على قاعدة مكونة من ثلاثة مدرجات لا تزال قائمة حتى الموقت الحاضر، تراوح سمكها ما بين 0.40م و0.42م، في حين بلغ عرض المدرج الأول 0.30م، بينما الثاني والثالث بلغ عرضهما 0.40م، أما طابقه الثني تضمن أبوابا وهمية محاطة بأعمدة وتيجان، وانتهى طابقه الأخير بشكل هرمي. (Vuillemot, G. 1964: 71-79)

يتكون قسمه الداخلي من غرف دفن تتوزع على ثلاثة مجموعات، تنتشر حسب شكل الضريح، يتضمن القسم الأول خمسة غرف، والثاني أربعة، أما القسم الثالث يتكون من غرفة واحدة، في الأصل كل قسم كان منفصلا عن الآخر بجدار سميك، وبمدخل خاص، لكن التخريب طال غرف هذا المعلم الأثرى، ولاحظت أثناء زيارتي لهذا الضريح، ودخولي غرفه ، أن الجدران الفاصلة بين الأقسام الثلاثة قد أحدثت عليها فتحات عشوائية أحدثت على هذه الجدران الفاصلة أثناء العصور الوسطى على حد قول (فييمو))، فأصبح بالإمكان الوصول لكل غرف الضريح دون الرجوع للمداخل الخاصة بكل مجموعة، إلى جانب ذلك لاحظت ان ثقبا قد احدثت على الجدران السميكة على ارتفاع متر من الأرضية ، وحفرة حديثة الحفر بإحدى الغرف حديثة النشأة في شكل بئر تراوح عمقها 5م، كل هذا التخريب من أجل البحث عن الكنز الدفين في اعتقاد لصوص الآثار، ويلاحظ على غرف الدفن أن بعضها مستطيلة أو مربعة، سقوفها مقببة، ومقاساتها مختلفة، توزعت على طول 45 مترا داخل المدفن، مقاساتها تراوحت بين 2م و5.60م طولا، 1.95م و 2م، في حين لم يتجاوز ارتفاعها 2م (Vuillemot, G. 1964: 80)

من خلال ما أصاب هذا الضريح من الخارج والداخل من تخريب وسرقة البقايا الأثرية ، يصعب تحديد وتفسير الشعائر الجنائزية التي من المفروض أنها موجهة لأموات، يصعب تحديد أصحابها، لكن الشيء المؤكد أنه لم يدفن بداخله الملك (سيفاقس) الذي مات وهو في الأسر ب:(تيفولي) قرب بروما(42 :Lancel, S. 2008) لكن مواصلة حفيده (فرمينا191- 201 ق.م) الحكم على رأس مملكة أبيه، يمكن احتمال أن هذا المعلم كان مرقدا أبديا له، فغالبا ما ينسب انجازه لفترة حكمه. (Blas على مرقدا أبديا له، فغالبا ما ينسب انجازه لفترة حكمه. (ط Robles J.-M., Sintès, Cl. 2003: 20) حمايته، وترميمه، وإلا سنكون آخر شهود على وجوده، ونحرم الأجيال القادمة منه.

جزيرة رشقون (Acra)

تبعد عن شاطئ رشقون (مقابل مصب وادي التافنة) مسافة 1800م، تتكون من صخور بركانية، وأراضيها غير صالحة للزراعة، ترتفع عن سطح البحر بنحو50م، محاطة بجروف تجعل منها جزيرة محصنة من كل الجوانب، وتتربع على مساحة قدرها 15هكتارا، تم حفر حوض بقسم من جرفها الشرقي أثناء الفترة القديمة، طوله 20م وعرضه 15م، وعمقه جرفها الشرقي أثناء الفترة القديمة، طوله 20م وعرضه 15م، وعمقه العواصف البحرية، واعتبر بمثابة ميناء من طرف بعض الآثاريين، الأمر الذي رفضه البعض الآخر(511 Carayons, N. 2008)، و توجد بشمالها منارة حديثة بلغ ارتفاعها 64م، بنيت فوق مساحة المقبرة البونية.

تحصل (فييمو) سنة 1952م على الإذن التنقيب بها، واكتشف مقبرة بونية قديمة تربعت على 3 هكتارات، زيادة على بقايا خزفية، أسلحة، وأخرى من الذهب، ويذكر أن التواجد البشري بهذه الجزيرة بعود للقرن السابع قبل الميلاد، ويضيف أنها تعرضت للإخلاء، معتملا أن سبب ذلك يعود لانعدام توفر أسباب الراحة بها ،كالماء، والخشب، متجهبن للإستقرار بعدينة (سيغا) (89-39 (Vuillemot, G.1971)، وحرر نتائج عمله التنقيبي الخاص بجزيرة (رشقون- Rachgoun) ضمن رسالة الدكتوراه الدرجة الثالثة التي نوقشت بجامعة الجزائر سنة 1962 (-1964:71) (Vuillemot, G.1964:71)

تشكل هذه المدن، وباقي المدن الأثرية الأخرى موروثا حضاريا يجب إعادة الاعتبار له، والتعريف بهذا التراث، والتحسيس بأهمية الحفاظ عليه.

#### الببليوغرافيا:

- -Itinerarium Antonini Augusti. (1845). Paris: De Fortia.
- -Pomponius Mela. (1988). Chorographie, éd. Silberman A., Paris: Les Belles Lettres.
- -Pline L'Ancien. (1980). Histoire Naturelle, V, éd. crit. Desanges. J., Paris: Les Belles Lettres.
- -Ptolemaei. (1988). Geographie, éd. Silberman A., Paris: Les Belles Lettres.
- -Strabon. (1886). Geographie, éd. Tardieu A., Paris: Hachette.
- -Tite Live. (1949). Histoire Romaine, Paris: Garnier Frères.

المراجع -بن عبد المؤمن، م.(2013) . مدينة بورتوس ماغنوس Portus Magnus - بطيوة – دراسة في تاريخها القديم، جامعة وهران: منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم.

- -Abadie, L. (2002). Oran et Mers el Kebir: Vestiges du passée espagnol, Nice: J. Gandin.
- -Benguenale, M. (2012). Les Evêques de Maurétanie dans l'antiquité (III<sup>e</sup>, IV<sup>e</sup>, V<sup>e</sup> siècles), thèse de doctorat en Littérature et Civilisations Antiques, Université de Jean Moulin, Lyon 3.
- -Benseddik, N. (1979). Les Troupes Auxiliaires de L'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le Haut Empire, Alger : SNED.
- -De Roblès, J.-M., Sintès, Cl. (2003). Sites et monuments antiques de l'Algérie, Aix-en-Provence: Edisud.
- -Boussadia, I. (2004). «L'Antique Quiza dans le bassin du Chélif», Archéologia, p. 410.
- -Cadenat, P. (1954). « Quiza et Mina: Tessons de vases sigillés », Libyca Archéologie-Épigraphie, 2, p. 243-248.
- -Cagnat, R. (1912). L'Armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de
- l'Afrique sous les Empereurs, Paris.
  -Cagnat, R., Schmidt, J., Desseau, H. (1904). Inscriptionum, Mauretaniae Latinarum Supplementum(CIL Suppl VIII), Berlin.
  -Cagnat, R. (1926). «L'Annone de l'Afrique », M.A.T., 5, 1926, p. 44-46.
- -Carayons, N. (2008). Les Ports phéniciens et puniques, géomorphologie et infrastructures, Thèse de Doctorat, Université Strasbourg II.
- -CAT, E. (1891). Essai sur la province romaine de Maurétanie Césarienne, Paris : Ernest Leroux.
- -Decret, F. (1977-1978). « Contribution à la recherche archéologique à Siga », B.S.G.A.O., p. 36-54..
- -Decret, F. (1986). « Aspect de la vie rurale dans la basse Tafna : III-V<sup>e</sup> siècles », B.C.T.H.S., p 273-287.
- -Déjardins, V. (1944). « Note sur les martyrs de Regiae », B.S.G.A.O., 65, p. 77.
- -Demaeght, L. (1888). Géographie comparée de la partie occidentale de la Maurétanie Césarienne, Oran P. Perrier.
- -Demaeght, L. (1894). Catalogue raisonné des objets contenus dans le musée d'Oran, Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran (B.S.G.A.O), 14.
- -Demaeght, L. (1921). Catalogue raisonné des objets archéologique du musée de la ville d'Oran, Paris I, 2 édition, revue par F. Doumergue, Oran.
- -Geslin. (1945-1946). « Fragments de lampes trouvées à Quiza et sidi Mohammed Morcely », B.S.G.A.O., 66-67, p. 38-47.
- -Grimal, P. (1937). « Les Fouilles de Siga », M.E.F.R., 54, p. 41-108.
- -Guery, R. (1971). « Note sur trois vases de terra sigillata hispanique trouvées en Algérie », Antiquités Africaines, 5, p. 121-124.
- -Guery, R. (1979). « Les Marques de potiers sur terra sigillata découvertes en Algérie, I, sigillées provinciales (hispanique et gallo-romain), Antiquités Africaines, 13, p. 23-97.
- -Goetz, Ch. (1964). « Quelques foyers néolithiques à poterie unie des environs d'Oran », Bulletin de la Société Préhistorique Française, 61, p. 512-539.
- -Gsell, S. (1901). Monuments antiques de l'Algérie, Paris: Albert Fontemoing.

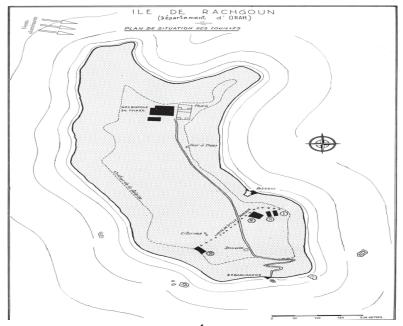
- -Gsell, S. (1997). Atlas Archéologique de l'Algérie, 2<sup>ème</sup> éd., Alger: Agence Nationale d'Archéologie et de Protection des Sites et Monuments Historiques.
- -Gui, I., Duval, N., Caillet. (1996). Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord (Inventaire et typologie), Revue Belge de Philologie et d'Histoire, 74, 1, p. 246-247.
- -Lethileux, J. (1982). Les Sites romaines de l'Oranie, manuscrit inédit.
- -Poinsot, J., Demaeght, L. (1882). « Inscriptions de la Maurétanie Césarienne, Antiquités Africaines », 1, p. 31-62.
- -Lancel, S. (1984). « Saint Augustin et la Maurétanie Césarienne : les années 418-419 à la lumière des nouvelles lettres récemment publiées », Revue des Etudes Augustiniennes, 30, p. 4-59.
- -Lancel, S. (2008). L'Algérie antique, De Massinissa à Saint Augustin, Paris: Place des victoires.
- -Lepelley, C. (1979). Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, Paris : Etudes Augustiniennes.
- -La Porte, J.-P. (2003), « Ptolémée et la Maurétanie Césarienne », C.R.A.I., 17, 1, p. 171-195.
- -Salama, P. (1979). Huit siècles de circulations monétaires sur les sites côtiers de Maurétanie centrale et orientale (III siècle av. J.C-Ve siècle ap. J.C), Essai de synthèse, symposium numismatique de Barcelona, Barcelone.
- -Tinthoin, R. (1947). Colonisation et évolution des genres de vie dans la région ouest d'Oran de 1830-1885, études de géographie et d'histoire coloniales, Paris: L. Fouquet.
- -Vincent M.-M. (1936). «Une Nouvelle Inscription latine de Regiae (Arbal) », B.S.G.A.O., 57, p. 21-27.
- -Vincent M.-M. (1937). « Les Ruines romaines du Cap Ivi en relation avec celles de Quiza », B.S.G.A.O., 58, p. 1-18.
- -Vuillemot, G. (1953). « Notes sur un lot d'objets découverts à Siga », B.S.G.A.O., 81, p. 232.
- -Vuillemot, G. (1964). « Fouilles du mausolée de Beni Rhenane », C.R.A.I., 108, p. 71-95.
- -Vuillemot, G. (1965), Reconnaissances aux Echelles puniques d'Oranie, Paris: Autin.
- -Vuillemot, G. (1971), « Siga et son port fluvial », Antiquités Africaines, 5, p. 39-86.
- -Wilmanns, G., Mommsen, Th. (1881). Corpus Inscriptionum Latinarum, (VIII), Berlin.



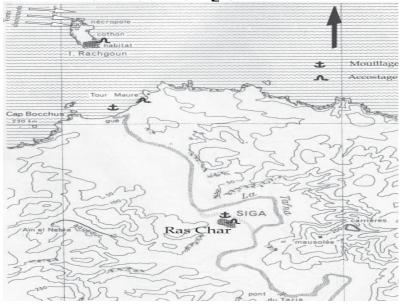
الضريح الملكي بـ ( سيغا) 05 نوفمبر 2013



إحدى غرف الضريح الملكي مع الثقب الذي أحدث بها ( صورة 05 نوفمبر 2013)



مخطط المواقع الأثرية بجزيرة (رشقون)



خريطة الموقع (سيغا) تاكمبريت

# التظاهرات الأولى للعصر الحجرى الحديث في الجزائر: معطيات وإشكاليات

د. عزیز طارق ساحد، جامعة الجزائر2

يعرف العصر الحجرى الحديث بالنيوليتي néolithique وهو مصطلح يتكون من كلمتين: néo وتعنى حديث وlithos وتعنى حجرى، واتسع مفهوم هذا المصطلح ليدل على تحول حضاري كان الأهم من نوعه في تاريخ البشرية، تجسد من حياة التنقل والصيد والالتقاط إلى الاستقرار وممارسة الزراعة وتدجين الحيوانات، مما قاد إلى نشوء القرى الزراعية الأولى التي ميزت مجتمعات العصر الحجرى الحديث، والتي أنتجت طعامها بنفسها بعد أن كان أسلافها مستهلكين لخيرات الطبيعة البرية، مما شكل انعطافا جذريا في التاريخ الإنساني، أطلق عليه الباحثون اسم الثورة الزراعية أو الثورة النيوليتية (Révolution néolithique).

يقصد بالتعبير «ثورة العصر الحجري الحديث أو النيوليتي» الانقلاب المفاجئ والسريع الذي أطاح بنمط اقتصادي - اجتماعي قديم، ليأتي بنمط جديد. تجسد في الزراعة من خلال إبداعات جديدة في مختلف الميادين، دلت عليها القرى الزراعية الأولى التي بنيت وفق مخططات محددة، تتكون من مساكن ومدافن بالإضافة إلى أنماط الأبنية الفردية والجماعية التي تدل على تبلور نظام اجتماعي جديد في الحياة الاجتماعية لإنسان ما قبل التاريخ.

لم تحدث ابتكارات العصر الحجرى الحديث في الجزائر في نفس الوقت في جميع المناطق، وإنما أخذت مظاهر مختلفة في أزمنة مختلفة. وقد رافق هذا التحول الاقتصادي تحول اجتماعي عميق آخر دلت عليه الفنون والمعتقدات التي تجسدت في الرسومات الصخرية وصناعة الحلى والأدوات والتماثيل الإنسانية والحيوانية التي عكست ممارسات عقائد جديدة مثل عقيدة «تقديس الأجداد» وعبادة «الثور» وعبادة «الكبش»، كما حصل تطور تقنى دلت عليه الأسلحة، ولاسيما رؤوس السهام (التهذيب الدقيق)، والتحكم في تقنية الصقل والأدوات الزراعية كالمناجل والفؤوس والرحى والمدقات، كما عرف هذا العصر ابتكار الفخار الذي يعد من أهم إنجازات المجتمعات الزراعية في العصر الحجرى الحديث، وأصبح من أهم الخصائص التي تميز

الشعوب والحضارات على امتداد العصور اللاحقة، إضافة إلى نشوء التجارة وقيام علاقات تبادل بين مختلف المناطق.

يختلف الباحثون حول حقيقة الأسباب التي أدت إلى نشوء القرى الزراعية التي جسدت الحضارة الإنسانية بمعناها الشامل والمركب، فمنهم من يربطها بالجفاف البيئي الذي تبناه عدة باحثين أمثال G. Camps و G. C. Roubet وغيرهم، بينما يرى آخرون أن الزيادة السكانية كانت الدافع الأهم للزراعة، وحسب الباحث R. Braidwood أنه يعتقد بعض الباحثين أن ابتكار الزراعة يعود إلى التقدم التقنى لإنسان العصر الحجري الحديث الذي عاش في بيئة غنية بالخيرات الطبيعية التي أحسن استغلالها (Braidwood, R. 1998)، وهناك من يقول مثل الباحث J. Cauvin أن الزراعة كانت نتيجة دوافع اجتماعية – فكرية (Cauvin, J. 1988)، ولكن يتفق الجميع على أن للبيئة الغنية بالنباتات والحيوانات البرية، وللمستوى التقني والاجتماعي المتطور لمجتمعات لهذا العصر، الدور الحاسم في ظهور المجتمعات الزراعية الأولى منذ الألفيتين العاشرة والتاسعة ق.م، ثم انتقلت الزراعة من المشرق القديم إلى شمال إفريقيا (الجزائر) في الألف التاسعة ق.م، وانتقلت إلى جنوب ووسط ثم شمال أوربا على امتداد الألف السادسة والخامسة والرابعة قبل الميلاد. عرفت مناطق أخرى من العالم الزراعة بشكل مستقل، نتيجة تطور محلى أصيل، فقد زرع الأرز في الصين منذ الألف الثامنة قبل الميلاد، بينما لم تعرف بعض المجتمعات في آسيا وإفريقيا الزراعة حتى العصور الميلادية، مما أوجد تباينا زمنيا وحضاريا شديدا في مفهوم العصر الحجرى الحديث على امتداد المعمورة.

يض نهاية الألف السادسة قبل الميلاد، بدأ الإنسان باستعمال النحاس، وبذلك ينتهي عصر الحجري الحديث أو النيوليتي ويبدأ عصر الكالكوليتي \* (chalcolithique) أي العصر الحجري النحاسي الذي يمثل المرحلة الأخيرة في عصور ما قبل التاريخ التي تنتهي نحو الألف الرابعة قبل الميلاد.

تبقى نهاية العصر الحجري الحديث مجهولة لاعتبارات حضارية، كعدم تحديد ظهور الكتابة، فرغم الدراسات والمعطيات الدقيقة والجيدة التي قامت بها C. Roubet الخاصة بالعصر الحجري الحديث خاصة التيار ذي التقاليد القفصية بموقع خنقة سي محمد الطاهر²\* بمنطقة الأوراس والتي قدمت من خلالها نتائج هامة في تفسير نمط عيش إنسان ما قبل التاريخ بالأوراس الذي تم تأريخه في مستويين مختلفين 5950 ± 250 سنة و4900 طي (Roubet, C. 1979 : 234)، إلا أنه يصعب الاعتماد على

موقع واحد فقط، فلابد من تعميم مثل هذه الدراسات للوصول إلى نتيجة موحدة.

لقد أثبت واتفق الباحثون أن نهاية فترة ما قبل التاريخ تختلف من قارة لأخرى ومن بلد لآخر وحتى من منطقة لأخرى، وأهم المعلومات التي أثبتت هذا الاختلاف الحاد وأهم ما بحوزتنا، ومما يمكن استخلاصه من خلال المراجع أن عصور ما قبل التاريخ في مصر تنتهي نحو 3000 سنة قبل الميلاد، و تنتهي في أوروبا في حدود 2000 سنة قبل الميلاد (6: Millotte, J.-P. 1970)، بينما تبقى نهاية ما قبل التاريخ أي بداية فجر التاريخ ببلاد المغرب غير واضحة وغير محددة، ويقول G. Camps في هذا الشأن أنه نتاج ظاهرتين هامتين، الأولى مناخية ويقصد بها جفاف الصحراء، والثانية ظهور الملاحة، كما يوضح نفس الباحث بأن العصر الحجري الحديث دام آلاف السنين، فيما لا تتعدى فترة فجر التاريخ القرون العشرة الأخيرة قبل الميلاد وأن هذه الفترة عرفت مخلفات فجر التاريخ القرون العشرة الأخيرة قبل الميلاد وأن هذه الفترة عرفت مخلفات كثيرة ومختلفة (Camps, G. 1961: 29).

#### أولا: تاريخ الأبحاث

تعود أولى الأبحاث الخاصة بالعصر الحجرى الحديث في الجزائر إلى حفرية موقع Pointe Pescade بالقرب من مدينة الجزائر سنة 1868، وقد عرفت هذه الفترة أعمال عديدة من أهمها أبحاث Cartailhac التى تعود إلى سنة 1902، ويعتبر أول باحث اهتم بدراسة الفخار ذو الزخارف Wavy line فنس Wavy والتى تعد هامة في دراسة الفخار، علما أنه تم اكتشاف نفس الزخارف في السودان. وفي سنة 1938، اقترح الباحث Chasseloup Laubat والتى اعتبرها تأثير آخر من خلال اكتشافه لرسومات موقع مرتوتك الآهقار والتى اعتبرها كشاهد لتأثيرات الحضارات المصرية (Chasseloup Laubat, De F. 1938).

عرفت المناطق القسنطينية حيث تطور الشعوب القفصية، ظهور العصر الحجري ذو التأثير القفصي في حدود الألفية السادسة قبل الميلاد

ومن أهم المواقع، موقع خنقة سى محمد الطاهر المعروف بمغارة Capélitté بالأوراس، وموقع الداموس الأحمر بمنطقة تبسة، التى تم تنقيبهما من طرف الباحثة C. Roubet بداية السنوات السبعينات (ما بين سنة 1968 و1971)، أفرزت الباحثة من خلال حفريات منتظمة العديد من المعطيات الصناعية والعظمية وأثبتت انتماء هذا الموقع إلى العصر الحجرى الحديث ذو التقاليد القفصية، كما اهتمت الباحثة G. Aumassip بالعصر الحجرى الحديث الصحراوى في مناطق الصحراء السفلى سنة 1986 حيث تعرفت على عدة أوجه محلية للعصر الحجرى الحديث، إضافة إلى أبحاث وتنقيبات هامة ومثيرة لموقع تين هناكتن بالطاسيلى نازجر.

## ثانيا: تأريخ العصر الحجرى الحديث

ظهر العصر الحجرى الحديث في الجزائر بثقافات متعددة ومعقدة، وظهور عدة أوجه ثقافية جغرافية وكرونولوجية، تم التعرف عليها أثناء التحريات والتنقيبات الأثرية. ظهرت أولى سمات العصر الحجرى الحديث في الصحراء أو في الجنوب الجزائرى خلال الألفية السابعة قبل الميلاد مع الوجه الصحراوى، أما في الشمال الجزائرى فلم تظهر إلا في الألفية السادسة قبل الميلاد ولم تكتمل سمات العصر الحجري الحديث أي النولتة إلا خلال الألفية الرابعة قبل الميلاد.

يتميز تأريخ العصر الحجرى في الجزائر بتأريخات مختلفة من أهمها مواقع الشمال الغربي الجزائري الخاصة بالعصر الحجري الحديث المتوسطي وهي كما يلى:

(Gif 463) موقع ڪريستال (Kristel) موقع ڪريستال (Alg سنة قبل الحاضر  $\pm$  7760 : Cimentière des escargots موقع 40)

موقع قلدمان (Adrar Gueldamen): 6003 سنة تاريخ معياري قبل الحاضر (Gif 1256) سنة تاريخ معيارى قبل الحاضر (Gif 1256).

أما العصر الحجرى الحديث الصحراوي فهناك تأريخ مختلفة منها:

موقع Launay:  $\pm 9210$  : Launay موقع (UW 97 et 96) سنة قبل لحاضر (UW 97 et 96)

موقع أمكنى (Amekni):  $80 \pm 8050$  سنة قبل الحاضر

موقع تميدوين (Timidouin):  $8100 \pm 8100$  سنة قبل الحاضر.

وفيما يخص العصر الحجرى الحديث في الأطلس الصحراوي:

برج ملالة (الصحراء): عرف هذا الموقع أبحاث هامة وتم تأريخه من خلال البقايا الأثرية بالألفية الخامسة.

موقع منيت (الآهقار)  $\pm 5400 \pm 300$  سنة قبل الحاضر.

موقع تين هناكتن (الطاسيلي نازجر):(Gif 5419) 140 ± 140 سنة فيل الحاضر 140 (Gif 5419).

موقع صافية بورنان:  $6910 \pm 170$  سنة قبل الحاضر.

موقع البوطمة (سى معمر):  $6880 \pm 100$  سنة قبل الحاضر.

نية قبل 250  $\pm$  6530 :(Grotte de Capélitté) سنة قبل خنقة سي محمد الطاهر الحاضر.

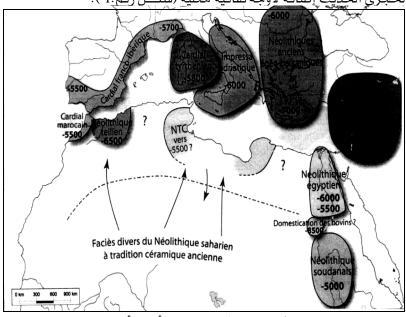
الداموس الأحمر (النمامشة): 5720±195 سنة قبل الحاضر ,Roubet) (C. 1979).

عين القطارة : 5940 ± 100 سنة قبل الحاضر

حاسى المويلح: يتميز بمستوى هام للعصر الحجرى الحديث والذي تم تأريخه بالألفية الرابعة حسب الباحثة(Aumassip, G. 1987).

ثالثا: تيارات العصر الحجرى الحديث

تعرّف الباحثون في الجزائر على ثلاثة تيارات أساسية لحضارة العصر الحجري الحديث إضافة لأوجه ثقافية محلية (شكل رقم: 1):



شكل رقم: 1 - خريطة توضيحية لأهم الأوجه الثقافية للعصر الحجرى الحديث

(Guilaine, J. 2007)

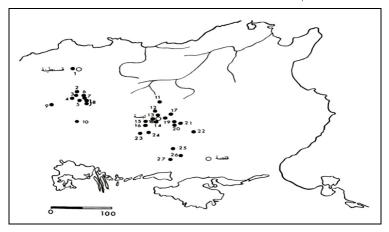
العصر الحجري المتوسطي أو التلي

تم التعرف على هذا التيار لأول مرة من طرف الباحث G. Camps سنة 1974، ويتفق الباحثون على أن هذا الوجه الثقافي ذو أصول الحضارة الإبيرية المغربية، لكن كيفية انتقاله لا زال البحث غامضا في الكثير من جوانبه الأثرية، كما يتميز بوجوده على الشريط الساحلي الغربي للمنطقة الوهرانية خاصة في إقليم وهران، ومن أهم المواقع يمكن ذكر موقع مغارة بوليغون (Polygone) ومغارة طروغلوديت (Troglodytes) والمرتفعات الساحلية للمرجاجو، وموقع قلدمان بمنطقة بجاية الذي عرف خلال السنوات الأخيرة حفريات هامة أسفرت العثور على بقايا أثرية هامة متنوعة على الحسني) الحسني) (Cadenat, P. 1948).

تتشكل كل هذه المواقع الأساسية بعناصر أثرية هامة مميزة في الأدوات الحجرية الدقيقة القزمية وهندسية الشكل، أما رؤوس السهام فتكاد تتعدم، يضاف إليها أدوات أخرى كالمكاشط والقطع المحززة وغيرها، كما يعرف هذا الوجه بوجود بقايا فخارية كثيرة تعرف بنوع الكرديال (Camps Fabrer, H. 1966).

## العصر الحجرى ذو التأثير القفصى

يعرف هذا الوجه الثقافي بكثرة في الشرق الجزائري و شمال الصحراء الجزائرية، وهو ذو أصول قفصية، من أهم مواقعه يمكن ذكر موقع خنقة محمد الطاهر في الأوراس وموقع الداموس الأحمر وموقع بوزباوين بجبل الفرطاس وغيرها، ويعود الفضل في تعريف هذه المواقع إلى الباحثة C. Roubet شكل رقم:2).



شكل رقم:2 – خريطة توزيع مواقع العصر الحجري الحديث ذو التقاليد القفصية في الجزائر الشرقية وفي تونس الغربية (Roubet, C. 1968)

يتميز هذا الوجه الثقافي بأدوات حجرية مختلفة ومتنوعة، امتدت من الحضارة القفصية إضافة إلى أدوات حجرية مصقولة، وأدوات عظمية مصقولة متنوعة خاصة في موقعي خنقة محمد الطاهر وبوزباوين التي تتوفر على مخارز مختلفة الأحجام والأشكال وسكاكين وغيرها (صورة رقم:1).

يعرف هذا التيار بفخار مميّز ومتنّوع، أهمها أواني فخارية مخروطية الشكل ذات فتحة واسعة، تحتوي حوافها على زخارف مركزة. كما يميّز هذا الوجه الثقافي كذلك بميزة أساسية وهي استغلال بيض النعام واستعمالها كأواني لحاجيات إنسان ما قبل التاريخ اليومية، التي تم التعرف عليها في كثير من المواقع خاصة موقع الداموس الأحمر (Roubet, C. 1968)، واستعملت قشور بيض النعام في صناعة الحلي التي اشتهرت بها الحضارة القفصية في صناعة العقود والأساور وغيرها من الحلي، ويتميز هذا الوجه بوجود عدد هام لأدوات الطحن مثل المدقات والمهارس والرحى التي تثبت من دون شك على



صورة رقم: 1- سكين من الصوان بقابض خشبي لموقع الداموس الأحمر (متحف باردو الجزائر العاصمة)

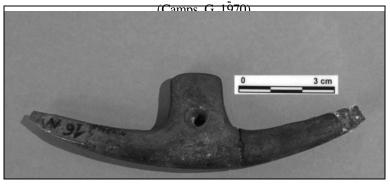
# العصر الحجري الحديث الصحراوي

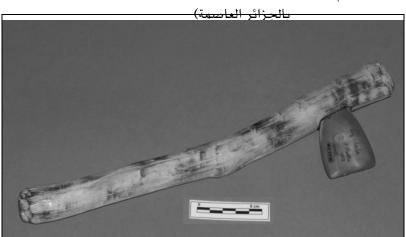
توجد بقايا هذا الوجه الثقافي الصحراوي بكثرة في الصحراء الوسطى (منطقتي الآهقار والطاسيلي) ومن أهم مواقعها يمكن ذكر موقع أمكني الذي يوجد شمال غرب مدينة تمنراست المؤرخ من طرف G. Camps بتقدير 7600 سنة قبل الميلاد، ومن أهم أدواته المحكات والنصال والمخارز ورؤوس

السهام، كما عرف هذا الموقع وجود عدد هام لأدوات الطحن كالمدقات والمهارس والرحى المستعملة لسحق الحبوب، بالإضافة إلى أدوات حجرية مصقولة (شكل رقم:3) وحجارة محززة التي كانت تستعمل في صقل الأدوات العظمية وصناعة الحلي (Camps, G. 1969) ، برز هذا الوجه كذلك في موقع منيت بجبال المويدر بالأهقار حيث تم العثور على صنارة وقطعة خطاف صيد من مادة العظم تؤكد ممارسة إنسان ما قبل التاريخ للصيد (صور رقم:2 و3). فيما يخص بقايا الفخار فهي كثيرة ومتنوعة، تتميز بقاعدة نصف دائرية مقعرة والمنجزة بطريقة الحماميات (Pamps, G. 1974). وهناك موقع تين هناكتن الموجود بالطاسلي نازجر والذي يعد من أهم مواقع العصر الحجري الحديث من حيث الطباقية والبقايا الأثرية، حيث عرف عدة عمليات الحفر

(Aumassip, G. et al. 1976)

شكل رقم: 3- حلقات مصنوعة من مواد حجرية مختلفة لموقع أمكنى بالآهقار





صورة رقم: 2- صنارة للصيد من الحجر المصقول (متحف باردو

صورة رقم: 3- فأس مصقول بقابض خشبي (متحف باردو الجزائر العاصمة)

## خامسا: التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث

عرف العصر الحجري الحديث في الجزائر ظهور أحداث هامة وجديدة أهمها الفن الصخري بنوعيه (النقوش والرسومات)، وأدوات جديدة كرؤس السهام والفؤوس المصقولة وظهور الزارعة وأدوات الطحن (مدقات ومهارس ورحى) وغيرها من الأدوات المرتبطة بالزراعة، كما يتميز العصر بظهور تقنيتي الصقل والتهذيب على الوجهين اللذان يعدان عاملين هامين في صناعة الأدوات الحجرية.

# -1 الأدوات الحجرية وظاهرة تقنيتي التهذيب والصقل

تعتبر ظاهرة تقنية التهذيب ابتكار جديد في صناعة بعض الأدوات الحجرية في هذا العصر، حيث كانت تتم في وجهي الأدوات الحجرية في جميع جوانبها، تعطي لها دقة وإتقانا، خاصة رؤوس السهام ذات الاستعمال اليومي، أما الصقل فيمثل تقنية جديدة تعتمد على طريقة الضغط عوض الطرق، والتي سمحت بالحصول على أدوات هامة مثل الفؤوس المصقولة، ومن خلال هاتين التقنيتين سجلت صناعة الأدوات الحجرية والعظمية تطورا كبيرا في العصر الحجري الحديث. ويسيطر فوج المسننات والحزات 3/4 من الأدوات المهذبة من الجهتين، كما تمثل رؤوس السهام نسبة كبيرة ومعتبرة في بعض المواقع، بينما الأدوات الهندسية تبقى قليلة جدا.

## 2- تربية واستئناس الحيوان

تبقى مشكلة أصول استئناس الحيوانات في الجزائر مرتبطة من دون شك بتطور الصناعات الحجرية والفخار، مما يؤهلنا الحديث عن العصر الحجري الحديث، فقد تحدث الباحثون عن وضع إشكالية أصول الاستئناس في الجزائر، وربطوا تطور الفخار بالزراعة، وأكدوا استئناس الحيوانات بطريقة غير مباشرة قبل العصر الحجري الحديث أي في العصر الحجري القديم المتأخر خلال الحضارة الابيرومغربية ويتعلق الأمر بحيوان الطري (Le mouflon à manchettes)، وتميز الحضارة القفصية بحيوان الظبي الوحشي (Antilope bubale- Alcelaphus buselaphus).

تتجلى تربية الأبقار وسط الصحراء في العصر الحجري الحديث بإسهاب من قبل المشاهد الصخرية والنقوش، والتي تظهر حياة الرعوية متطورة في شمال الصحراء والأطلس الصحراوي. لم يتم توثيق الثروة الحيوانية في العصر الحجري الحديث المتوسطي بشكل جيد لعدم وجود الفن الصخري في الساحل، وتبقى عظام الأغنام والماعز والخنازير شائعة في أقرب ودائع مواقع العصر الحجري الحديث. فقد تم إحصاء ما يقارب ستين مشهد نقش في الأطلس الصحراوي (غياب الرسومات) والممثلة تقريبا بحيوان واحد ألا وهو الكبش في وضعيات مختلفة الذي تنمي إلى نوع Ovis longipes، علما أنه لم يسجل مشاهد لقطيع الأغنام والماعز والأبقار في الفن الصخري بالأطلس الصحراوي، ولا مشهدا للحياة الرعوية للعصر الحجري الحديث التي لها علاقة مباشرة بين الحيوان المستأنس والإنسان.

ورغم تواجد الحصان في الفن الصخري في بلاد المغرب والصحراء بعدد كبير من التمثيل، إلا أن المختصين ما زالوا يختلفون حول أصله. واختلفت الآراء حول ظهور الحصان المستأنس في بلاد المغرب، ويرجّح G. Camps, G. تاريخ دخول الحصان إلى بلاد المغرب نحو الألفية الثانية قبل الميلاد . (Camps, G. 1981: 547-560)

لقد عكف العديد من الباحثين على دراسة مسألة أصل هذا الحصان ذي الفصيلة المحلية والدخيلة، واقترابه بالحصان البربري الحالي؟ بقي الحصان في هذا الصدد مجهولا في بلاد المغرب خلال فترات ما قبل التاريخ، وقد طرحت عدة فرضيات حول أصله، وهناك من يؤيد فكرة إدخال هذا الحيوان إلى مصر من طرف الهكسوس \* رغم غياب ما يثبت وجوده في بلاد المغرب. وقد استنتج H. Lhote أن الحصان ادخل إلى شمال إفريقيا عبر طريق الشرق الأوسط عند غزو الهكسوس لمصر في حوالي 1500 سنة قبل الميلاد (Lhote, H. 1984: 45). وقد بيّنت الاكتشافات في الجزائر على عثور نوع جديد من الأحصنة، عرف تحت تسمية الحصان الجزائري (Equus Algericus)

(Hadjouis, D.-J. 1982-83: 165-186) Bagtache et وهو فصيلة الحصان الحقيقي بإفريقيا الشمالية، لذا فان فرضية إدماج الحصان في غضون فترة فجر التاريخ ينبغى إعادة النظر فيها.

أما فيما يخص الجمل وحيد السنام (Camelus Dromadarius) فيعتبر من بين أشكال الفن الصخري المعبّرة للمراحل الأخيرة، فقد وجد ممثلا منفردا أو في قافلة مصحوبا بالحصان في غالب الأحيان. يرتبط الحديث عن الجمل بالصحراء الكبرى وقوافل الرحالة، وهو حيوان يعيش أكثر في المناطق الحارة حيث استعان به الإنسان في تنقلاته عبر الصحراء. وتجدر الإشارة أنه تم العثور على أقدم بقايا الإبل في شمال إفريقيا في موقع تغنيف (معسكر)، ويعد الباحث Pomel أول من تعرف عليه وأكد عليه فيما بعد .C (معسكر)، وعد الباحث الأخير فإن الجمل انقرض كليا لمدة طويلة في شمال إفريقيا خلال فترة فجر التاريخ. ويقول H. Lhote أن دخول فصيلة الإبل إلى إفريقيا الشمالية يعود إلى نحو القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ,H. Lhote وأدخل الجمل إلى مصر مع حملات الأشوريين 40 والفارسيين 50 والفارسيين 1987: 42)

#### 3-الزراعة

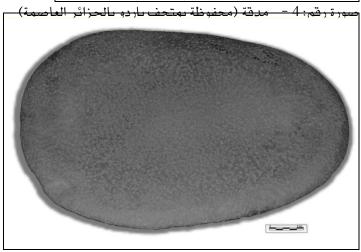
ظهرت المجتمعات الزراعية منذ حوالي 8000 سنة قبل الميلاد، بعد أن بدأ الإنسان في استئناس الحيوانات والنباتات البرية، وأدت هذه الأنشطة الزراعية إلى زيادة كمية الغذاء المنتفع بها بدرجة كبيرة في منطقة. وبدأت القرى الدائمة في الظهور، فتكونت قرى كبيرة فيما بعد، ودعم الإمداد الغذائي الكبير والمعتمد عليه الزيادة المطردة في عدد السكان.

يعتبر وجود الزراعة المعيار الحقيق في الاستدلال على العصر الحجري الحديث، فكثيرا ما أطلق على العصر الحجرى الحديث باسم الثورة أو الثورة الإنتاجية، وتعتبر البستنة وزراعة القمح والشعير أولى ممارسات الزراعة في المناطق المجاورة للمسكن على هامش الصيد والجمع، كما عرف الإنسان في هذه الفترة تدجين الحيوانات حيث قام بتربية ورعي الأبقار والماعز، واستفاد من لحمها وحليبها وجلودها.

تبقى إشكالية الزراعة مطروحة في الجزائر إلى يومنا هذا في غياب المعطيات الأساسية المتعلقة خاصة بالمزروعات، وقد أشار الباحثان .(Pennisetum glaucum) Mil على وجود زراعة حبوب P. Guinet Planque (Camps, على بالصحراء الوسطى والمؤرخة 74928225- قبل الميلاد ,G. 1968: 186-188) في المساحل الصحراء الباحثة S. Amblard على زراعة حبوب Mil في منطقة الساحل الصحراوية في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد Pernes, J. 1989; Fuller, D. et al. 2007)

كما تحدث الكثير من الباحثين على وجود هام لأدوات الطحن على سطح الأرض تتمثل في المساحق والمهاريس والمدقات (صور رقم: 4 و 5) إضافة إلى وجود آنيات فخارية كبيرة لها علاقة من دون شك بالزراعة (Schulz, E. غارية فخارية كبيرة لها علاقة من دون شك بالزراعة الحبوب ما عدا ما (1994، أما في شمال إفريقيا فلا نعرف الكثير عن زراعة الحبوب ما عدا ما تم العثور عليه في المغرب الأقصى بموقعى كاف تحت الغار والمؤرخة بواسطة تم العثور عليه في المغرب الأقصى بموقعى كاف تحت الغار والمؤرخة بواسطة (1986 قبل الميلاد هذا ما يؤكد زراعة حبوب القمح في نهاية الألفية السادسة قبل الميلاد (Ballouche, A. 1986)





صورة رقم: 5 – رحى أو مسحق (محفوظة بمتحف باردو بالجزائر العاصمة)

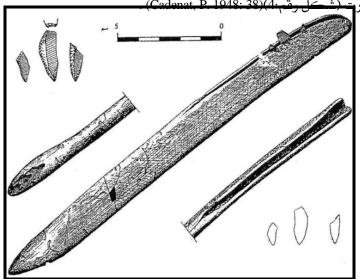
تبقى إشكالية الزراعة خلال فترة ما قبل التاريخ بدون إجابة في غياب تحاليل حبوب اللقاح التي لا نعرف عنها إلا القليل في بلاد المغرب، عكس أوروبا التي عرفت نتائج عديدة أكدت ممارسة الزراعة خلال العصر الحجري الحديث، وقد قدم L. Balout أدلة حول غياب التحاليل التي يرجعها إلى ظروف الحفظ غير المناسبة للطبقات العليا للمواقع أو للمغارات التي غالبا ما تكون مخربة، أما مواقع الهواء الطلق فهي فقيرة من حيث اللقاح ولا يمكن التعرف عليها إلا من خلال الأدوات الحجرية و شقف الفخار .Balout, L.

أكدت المخلفات الأثرية خلال فترات ما قبل التاريخ أن الشعوب القفصية كانت تمارس قطف النباتات، وبدأت الزراعة تتطور ابتداء من العصر الحجري الحديث. وقد أثبتت الحفريات الأثرية على ذلك خاصة في موقعي خنقة سي محمد الطاهر الموجود في الأوراس وموقع الداموس الأحمر بمنطقة تبسة والذي نقبت فيهما C. Roubet، حيث قدم الموقعان مؤشرات أثرية هامة تدل على ممارسة الزراعة وتتمثل في العثور على حبوب النباتات (البلوط وغيرها)، وممارسة الرعي من خلال بقايا عظمية لأغنام وماعز (ovinés et)، وبقايا فخارية تدل على ظهور أولى بوادر الطهي عن طريق الغلي (Roubet, C. 1979: 89).

من بين المخلفات التي أكدت ممارسة القطف هي الكرات الحجرية الدائرية المثقوبة والصغيرة الحجم التي تستعمل كثقالة للعصا الحفارة. G. Camps ويذكر G. Camps أن هذه الأداة مشهورة جدا بإفريقيا وخصوصا عند شعوب البوشمن<sup>6</sup> ومعروفة أيضا في إثيوبيا، وهي تستعمل لغرض تهيئة الأرض وتسويتها لدى الشعوب الذين يزاولون زراعة فقيرة(61 :610) (Camps, G. 1960: 61) وقد تم الكشف على هذه الأداة في كل من مواقع مغارة الأروي (Debruge, A. 1909: 814-822) ، ومغارة وادي الكرمة (Debruge, A. 1909: 814-822) ، ومغارة وادي الكرمة (Grotte d'El Arouia) ومغارة العروية (Grotte d'El Arouia).

كما عثر على أداة أخرى هامة تثبت وجود الزراعة في العصر الحجري الحديث، وتتمثل في المنجل الذي يعد دليلا أثريا قاطعا، تم التعرف عليه في الحثير من المواقع الأوروبية، أما في الجزائر فقد تم اكتشافه لأول مرة في مغارة بوليغون « Polygone » بالقرب من وهران ضمن مستوى العصر الحجري الحديث في سنة 1927، وهو مصنوع من عظام ضلع حيوان مطعم بأدوات حجرية قزمية الشكل (248 :1927 , 1927) ، كما تم الكشف عن منجل آخر مماثل له في كل من موقع مشتى العربي (Debruge, باكشف عن منجل آخر مماثل له في كل من موقع مشتى العربي (Debruge, بالكشف عن منجل آخر مماثل له المنافقة العربي (Debruge عن منجل العربي المنافقة العربي والمنافقة العربي المنافقة العربي (Debruge عن منجل المنافقة العربي المنافقة العربي المنافقة العربي والمنافقة المنافقة ال

(A. 1930-31: 239) موقع كلومناطة، المعروف حاليا بسيدي الحسني بالقرب



شكل رقم:4- منجل يعود للعصر الحجري الحديث لموقع كلومناطة بمنطقة تيارت.

(Cadenat, P.1955: 267)

تحدث G. Camps عن نوع من أدوات حجرية أخرى تم العثور عليها بأعداد كبيرة في المواقع الأثرية تدل على ممارسة الزراعة خلال العصر الحجري الحديث، كالمطحنة الحجرية والفأس المصقول والمعاول .(Camps, G. 1960: 65-66) محل نقاش حاد ما بين الباحثين الذين لم يتجاوزوا مرحلة الوصف رغم أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالزراعة، بينما لا يوجد أثر لأداة المنجل من البرونز أو النحاس في بلاد المغرب خلال فترة فجر التاريخ، في حين كثرت هذه الأداة في أوروبا ابتداء من عصر المعادن ,(Camps) (G. 1960: 62).

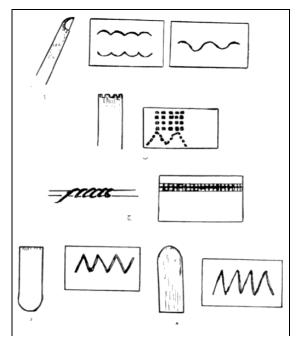
# 4. الفخار وأهميته في الحياة اليومية

يمكن اعتبار الفخار السمة البارزة في العصر الحجرى الحديث التى طغت على الصناعات الأخرى مع استمرارية صناعة الأدوات العظمية والحجرية وغيرها من الأدوات التي لا غنى عنها، إذ يشكل الفخار عنصرا هاما في دراسة البقايا الأثرية، وتمت صناعة الفخار حسب المختصين بثلاث طرق أثناء العصر الحجري الحديث، الأولى هي طريقة أو تقنية الحماميات، حيث كان إنسان ما قبل التاريخ يحضر اسطوانة رقيقة من الطين ثم يملطها ويعطي لها شكلا حلزونيا لتشكل جسم، فأغلبية الأواني الفخارية لها شكل مخروطي

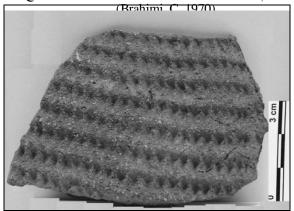
وعريض وتحمل مقابض المسك، أما الزخارف فهي مختلفة ومتنوعة أهمها أشكال نقاط وفواصل ومعينات، وأهم الأشكال عبارة عن خطوط متموجة المسماة Wavy line. والطريقة الثانية هي القولبة التي تتمثل في استعمال تغطية قالب بالطين كحبة قلع أو بيض النعام فيشكل القالب بذلك الإناء. والطريقة الأخيرة تتطلب استعمال حصاة كمطرقة حيث تطرق الطين حتى تعطي لها الشكل المرغوب(شكل رقم:5). وتأتي بعد ذلك عملية الزخرفة قبل أن يشوى نهائيا و ذلك باستعمال أدوات طبيعية مثل القصب ومشط الأسنان وأخشاب على شكل مسواط (شكل رقم:6) وغيرها (Camps Fabrer, H. 1966) (صورة رقم:6).

\$ 10

شكل رقم: - 5- أشكال فخار موقع الداموس الأحمر (Roubet, C. 1968)



شكل رقم: 6- نماذج من زخارف الفخار وأدوات الطبع المستعملة



صورة رقم: 6- شقفة فخار ذات زخارف على شكل نقاط (متحف باردو الجزائر العاصمة)

# 4- الفن الصخري والفن المنقول

لقد ترجم إنسان ما قبل التاريخ اهتماماته الفنية منذ العصر الحجري القديم المتأخر في أعمال كثيرة ومتنوعة من النقش والنحت، وتشكل الصحراء بذلك متحفا مفتوحا على الهواء الطلق بحيث عثر على الآلاف من المواقع التي تحتوي على العشرات بل على مئات الآلاف من النقوش والرسومات الصخرية في مناطق الأطلس الصحراوي (خاصة جبال أولاد نايل وجبال عمور وجبال القصور) ومناطق الصحراء الوسطى (الآهقار والطاسيلي أزجر).

يستند علماء الآثار في بعض الحالات على الحيوانات الممثلة في الفن الصخري للحكم على أقدم الوحدات، نظرا لكون كل الأنواع لم تعش في نفس الحقبة الزمنية الكبيرة. كالجاموس الضخم الذي يعتبر نوع قديم جدا اندثر، ولا يعرف إلا من خلال البقايا العظمية، ولكن ألا يمكن أن تكون تلك الحيوانات قد نقشت أو رسمت للتذكير بعصر سالف؟

كما أعتمد علماء الآثار في تصنيف اكتشافات فن ما قبل التاريخ أي المراحل الكبرى للفن الصخري على أساس الحيوانات، حيث اعتبر الحيوان بمثابة قرينة نوعية له ومن ثم ميزت أربع مراحل زمنية كبرى على التوالي: الجاموس والبقر والحصان والجمل.

يعتبر الفن الصخري في الجزائر غني وثري، يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ، وتعود أولى الاكتشافات إلى سنة 1847 في الجنوب الغربي الوهراني بمنطقة التيوت بالقرب من عين الصفراء، في حين لم يعرف مجال ما قبل التاريخ في تلك الفترة، وأولى هذه النقوش كانت تمثل الأبقار والفيلة والماعز والنعامة بالإضافة إلى حيوانات أخرى، وقد أسندت هذه الأعمال إلى الفترة البربرية القديمة.

في سنة 1849، جاء باحث ألماني Barth قام بعدة دراسات في المنطقة ووصف عدة رسومات حيث ميز الأبقار والإنسان برؤوس مزدوجة (zoomorphe)، وعثر بعد ذلك على نقوش ورسومات في عين الصفراء، تمثلت في فيلة متسلسلة، وتأكد وجود نوع من الحيرم القديم Bubale antique بمنطقة الجلفة، ومن هنا بدأت تسمية فن ما قبل التاريخ. كما عرفت الجهة الشرقية القسنطنية اكتشافات عديدة للفن الصخري في تلك الفترة لاسيما في موقع خنقة الحجار.

قام الباحث G.-B.-M. Flamand بانجاز سنة 1925 كتاب الحجارة المكتوبة وخصصه لدراسة تحليلية لهذه المناطق واقترح قاعدة ترتيبات لهذه المظاهر الفنية وأخذ بعين الاعتبار الزنجرة وتقنية الانجاز بالإضافة إلى الجانب الحيواني فكان أول تقسيم قدمه الباحث كالآتي:

- الفوج الأول: يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ
- الفوج الثاني: يعود الفترة الليبية البربرية Libyco-berbère
- الفوج الثالث: والأخير فهو مزدوج، يحتوي على الفن الصخري الصحراوي وليس له علاقة بالفوجين السابقين.

وبعد ذلك تم العثور على اكتشافات عديدة في مناطق الآهقار والطاسيلي، تم مراجعة التقسيم الذي وضعه الباحث Flamand من طرف الباحث Monod سنة 1932 اعتمادا على اكتشافات مناطق الآهقار، واستتتج من خلال دراسته أن الرسومات ذات الطابع الطبيعي ينسبها إلى الحيوانات المفترسة التي كانت العلامة المهيزة.

قام الباحث الألماني Frobenius بعدة جولات استكشافية بقمم الآهقار والطاسيلي واكتشف عدة رسومات ونقوش ممثلة خاصة في العربات الحربية (Chars guerriers)، فقام بإحصائيات يفوق عددها 4000 رسم ونقش بمناطق الآهقار، وقام بترتيب جديد لما عرفه إنسان ما قبل التاريخ للفن الصخري كما يلي:

- مرحلة الجاموس أو الحيرم (Bubale)
- مرحلة رعاة البقر (Pasteurs, Bovidés)
  - مرحلة الحصان (Equidés)
  - مرحلة الجمال (Camélidés)

كان هذا التقسيم الرباعي قائما على الحيوانات ويصلح محليا فقط، وفي الأخير جاءت مرحلة العربات الحربية التي تجر بواسطة الأحصنة والبقاريات واعتبرها النمط الجديد بالنسبة لاستقرار الشعوب، ثم ظهرت الكتابة الليبية، وبدأت الأبقار تنقرض من حيث النسبة والذي له علاقة مع الظروف المناخية.

يصعب إعطاء كرونولوجية لهذا الفن وذلك لاختلاف وتنوع الطراز بالإضافة إلى تطابق الرسومات والنقوس الصخرية. يرجع الفضل إلى الباحث H. Lhote هذه التقسيمات باعتباره مختصا في العصر الحجري الحديث الصحراوي حيث قدم عدة معطيات حول أهم مراحل تطور الفترات الكبيرة للفن الصخرى.

تتوزع مواقع الفن في مناطق مختلفة من الجزائر ويمكن تقسيمها إلى ما يلى:

- الجنوب الغربي الجزائري: تيوت، موغرار، الريشة، المردوفة، تازينة روسفت الحمراء، قارة الطالب وغيرها.
- منطقتا الأغواط والجلفة: الغيشة، صفية بورنان، عين الناقة، الحصباية، وادى الرمايلية، خنق الهلال وغيرها.
- الشرق القسنطيني: خنقة الحجار، كاف المصور، عين رقادة وغيرها.

- التاسلي أزجر: صفار، جبارن، تمریت، تین زمیاتین، ضواحي جانتن وادي جرات وغیرها.
- منطقة الآهقار: تيت، أقنار، يوفغلال، يوفهاكت، تين ترابين وغيرها.

# أ- المواضيع الممثلة في الفن الصخرى

مر إنسان ما قبل التاريخ بعدة خطوات خلال معيشته، كان يبحث عن أسلوب مرتبط بالمحيط الذي يعيش فيه له علاقة مع تطور التفكير (العقلي) والتطور الحضارى، تتمثل المواضيع فيما يلى:

- - أشكال بشرية رسما أو نحتا.
  - أشكال زخرفية (منتظمة أو غير منتظمة).
    - أشكال ميتولوجية (خرافية) وغيرها.

قام باحثون من بلدان مختلفة بأعمال ميدانية وأبحاث هامة أبرزهم:

الباحثان H. Lhote بالاضافة الى باحثين جزائريين أهمهم مليكة حشيد، وقد تمت هذه الابحاث على أسس علمية مختلفة تم وضع سلم زمنى تقربى للفن الصخري الموجود أدناه:

## ب- أقسام الفن الصخري

مرحلة الجاموس العتيق أو الحيرم: تميزت بنقوش حيوانات مختلفة ذات أسلوب واقعي وطبيعي، وعلى رأسها الحيرم ثم الفيل والزرافة ووحيد القرن وغيرها من الحيوانات. عرفها الباحثون بالحيوانات المتوحشة ذات المقاسات الكبيرة كالثور القديم (Bubalus antiquius)

يتكون الفن الصخري في هذه المرحلة أساسا من نقوش ذي طراز جيد، حيث وجود حيوانات مختلفة ومتوحشة ذات مقاسات هامة ومعتبرة، تتميز بواقعية جيدة وممتازة. ومن الحيوانات الأكثر تمثيلا الفيل، ثم الزرافة وفرس النهر والأيليات والبقريات (الثور)، أما التقنية المنجزة في هذه الأشكال فتتمثل في خط غائر مصقول ذو لون داكن على شكل الحرفين اللاتينيين «U» و«V»، أما الحيوانات الكبيرة الممثلة فنجدها أيضا في الرسومات خاصة في الصحراء الوسطى بالطاسيلي أزجر والآهقار.

رغم تنوع الطراز والمواضيع الممثلة في الرسومات، إلا أن الميزة الأساسية تتمثل في تمثيل أشخاص في بعض الأحيان بتفاصيل مدققة ومن أهم الأمثلة، التي يدرجها بعض الباحثين في مرحلة الرؤوس المستديرة (نهاية مرحلة الجاموس العتيق)، مثلت بدون وجه وذلك بمقاسات ووضعيات مختلفة.

مرحلة رعاة البقر: ظهرت هذه المرحلة في حدود 8000 سنة قبل الحاضر لتنتهي في حدود 4500 سنة قبل الحاضر، وتنقسم بدورها إلى ثلاثة مراحل: مرحلة قديمة والتي تؤرخ حوالي 8000 سنة قبل الحاضر وهي معروفة بمرحلة رطوبة، ثم تلي المرحلة المتوسطة والمؤرخة حوالي 6500 سنة قبل الحاضر ومعروفة بمرحلة جافة، وأخيرا المرحلة الحديثة والمؤرخة حوالي 4500 و4500 سنة قبل الحاضر.

عرفت هذه المرحلة نقوش ورسومات لمشاهد يومية خاصة بالرعي (البقر والأغنام والماعز وغيرها) والصيد والحياة اليومية (المخيمات) دات أسلوب جميل ورائع، خاصة في رسومات منطقتي الطاسيلي أزجر والآهقار (صورة رقم:7)، دامت هذه الفترة حوالي 4000 سنة، حيث بدأت الفترة القديمة حوالي الألف الثامنة قبل الحاضر وذلك بواسطة تأريخ موقع المالات 3438 ± 226 سنة قبل الحاضر، ثم تلى الفترة الوسطى في حدود 4000 سنة قبل الحاضر وذلك بواسطة تأريخ المستوى السابع VII موقع المالات أما الفترة الحديثة فتم التعرف عليها في حدود 5400 و5000 سنة قبل الحاضر بواسطة تأريخ موقع Uan Muhuggian للمستوى الأحدث: 5405 سنة قبل الحاضر بواسطة تأريخ موقع Uan Muhuggian للمستوى الأحدث: 5405 سنة قبل الحاضر.

أما التقنيات المستعملة في انجاز هذه النقوش فيغلب عليها الخطان الغائران على شكل الحرفين اللاتينيين « U » و« V » إضافة إلى الخط المحزوز والمنقور، وتقنية صقل المساحات الداخلية سواء جزئيا أو كليا، أما الزنجرة فتختلف حسب طبيعة الانجاز منها الرمادية والبنية، وفيما يخص الرسومات، فألوانها مختلفة كالأحمر والأصفر والرمادي وغيرها من الألوان.

الفترة ما بعد العصر الحجري الحديث: تبدأ هذه المرحلة مع ظهور الحصان والعربة ثم المحارب، لتنتهي مع الجمل، تؤرخ حوالي 2000 سنة قبل الميلاد أي مع جفاف الصحراء.

مرحلة الأحصنة: تتميز هذه المرحلة بنقوش ورسومات لمشاهد حربية تمثل عربات تجرها أحصنة تظهر بأناقة كبيرة وخفة إضافة إلى حيوانات أخرى مثل النعامات والكلاب والزرافات وغيرها. وفيما يخص تقنية انجاز النقوش فيغلب عليها تنفيذ الخط المنقط والمحزز والمصقول، أما الرسومات فغالبا ما تتجز باللون الأحمر.

مرحلة الجمال: تتمثل أساسا في موضوع الجمال التي نجدها في الرسومات والنقوش، إضافة إلى أشكال آدمية وحيوانية (مثل الأحصنة والبقريات والنعامات) المنفذة بجانبها، كما عرفت هذه المرحلة وجود كتابات

ليبية بربرية قديمة وحديثة. تميزت النقوش في هذه المرحلة بتقنية انجاز نقوش تخطيطية تميل إلى الأسلوب الهندسي، أما تقنية الرسومات فأستعمل فيها اللون الأحمر على شكل خطوط غبر مدققة.



صورة رقم: 7- مجموعة من البقر لموقع اهيرير الطاسيلي أزجر-

# ج- بعض مواقع الفن الصخري

وادي جرات (الطاسيلي نازجر): يقع هذا الموقع في شمال منطقة الطاسيلي نازجر، يضم وادي جرات أكثر من 2600 نقش جداري موزع على 75 محطة على امتداد 35 كلم. اكتشف هذا الموقع من طرف العسكري Brenans سنة 1932، وتم جرده ودراسته من طرف H. Lhote سنة 28 حيوان حيث نسب إلى مرحلة الجاموس العتيق.

يوفهاكت (الآهقار) يقع بمنطقة الآهقار يضم 28 محطة، منها محطتان للرسومات الصخرية، نسبت أغلبيتها إلى مرحلة البقريات.

الحصباية (الاغواط): يقع هذا الموقع على بعد 30 كلم شمال مدينة الأغواط، في السفح الجبلي الشمالي للأطلس الصحراوي بالقرب من وادي

الحصباية، يضم ثلاث محطات لنقوش صغرية، تم دراستها من طرف عدة باحثين أمثال H. Lhote وG. Aumassip.

الغيشة (الأغواط): يقع هذا الموقع في منطقة أفلوا بالأطلس Capitaine de la Gradette De من طرف 1897 من اكتشافه سنة 799 من طرف A. Joly Favier و A. Joly و تمثل عدة حيوانات خاصة منها الضأنيات والبقريات وغيرها.

عين سفيسيفة (الأغواط): تم اكتشاف هذا الموقع في سنة 1898 من طرف Capitaine Maumené على بعد 2 كلم من قرية الغيشة على حوالي 20 كلم من مدينة أفلوا، من أهم المواضيع المنقوشة نذكر المشهد المشهور للفيل وهو يحمي ابنه من النمر، إضافة إلى النعام والثور وغيرها من النقوش التخطيطية.

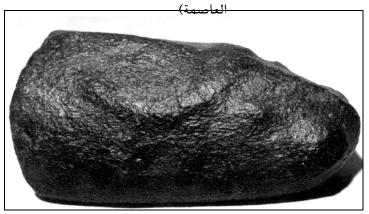
F. عين الصفراء): اكتشف هذا الموقع سنة 1847 من طرف Jacquot ، يقع عل بعد 10 كلم شرق مدينة عين الصفراء، يتميز بالنقوش المتطابقة ومن أهم الحيوانات نذكر البقريات والفيلة والأشكال الآدمية.

#### د- الفن المنقول

لم تقتصر انشغالات إنسان ما قبل التاريخ في الجزائر على صناعة الأدوات الحجرية والنقش والرسم على الصخور الجدارية، بل ترجم اهتماماته في الميدان الفني منذ العصر الحجري القديم المتأخر والتي تتمثل في استغلال بيض النعام، فكان إنسان ما قبل التاريخ يستهلك محتوياتها ويقوم بانجاز بعضها كقارورة وهذا بوضع ثقب دون انكسار البيضة، وفي حالة انكسارها يستغل قشور بيض النعام في الزخرفة والنحت، كما يقوم بالنقش على الحجارة، بلغ إنسان ما قبل التاريخ في العصر الحجري الحديث درجة كبيرة في إتقان وانجاز منحوتات والتحكم فيها سواء من الناحيتين الفنية أو التقنية ، تتمثل في أشكال حيوانية وقدمية، لا يختلف دورها عن دور الأدوات الحجرية والفخار والرسومات والنقوش الصخرية في الحياة الاجتماعية لإنسان ما قبل التاريخ (صور رقم: 8 و 9)



صورة رقم: 8- رأس كبش لموقع تمنطيط (متحف باردو- الجزائر



صورة رقم: 9- رأس بقري لموقع تسنار (متحف باردو- الجزائر العاصمة)

تتميز الجزائر باختلاف وتنوع آثار ما قبل التاريخ ابتداء من شواطئ البحر المتوسط مرورا بالأطلس الصحراوي إلى غاية أعماق الصحراء الجزائرية الكبرى منذ أكثر من مليونين سنة قبل الميلاد إلى غاية حوالي الألفيتين الثالثة والثانية قبل الميلاد.

من خلال التفاصيل المذكورة آنفا حول حضارات ما قبل التاريخ في الجزائر، لا ريب أن الجزائر كان لديها تعمير بشري هام خلال هذه العصور، فكانت آهلة بالسكان منذ العصر الحجري القديم الأسفل وهذا ما يفسره وجود بقايا أثرية في مواقع كثيرة والتي تمثلت في الحصى المهيأة وذات الوجهين، فأعتبر موقع عين الحنش من أهم المواقع في العالم بأسره والتي تعد

بقاياه الأثرية من أهم البقايا في الجزائر، وبرهنت حفريات موقع تغنيف أهمية علمية عالمية إثر العثور على بقايا عظمية لإنسان الأطلس Atlanthropus) (mauritanicus بجوار أدوات ذات الوجهين.

في العصر الحجرى القديم الأوسط، عرفت الجزائر حضارتين متميزتين وهما الموستيرية والعاتيرية، فبالنسبة للموستيرية رغم العدد الضئيل للمواقع فمن دون شك أن إنسان ما قبل التاريخ عرف تطور هام في الصناعة الحجرية وذلك من خلال ابتكار تقنيات جديدة مثل التقنية اللوفلوازية التي تسمح بصناعة أدوات ذات دقة متناهية في الاستعمال والاستغلال لحاجياته اليومية، أما الحضارة العاتيرية فهي جد منتشرة ابتداء من شواطئ البحر المتوسط إلى غاية أعماق الصحراء الجزائرية، كما هي معروفة على أنها أصيلة للجزائر (نسبة إلى موقع بئر العاتر) وفريدة من نوعها في العالم حيث تتميز بابتكار إنسان ما قبل التاريخ للعنق في الجزء السفلي للأدوات الحجرية.

عرفت الجزائر خلال العصر الحجرى القديم المتأخر ظهور حضارتين هامتين وهما الإبيرية المغربية والقفصية مع ابتكار جديد لأدوات جديدة ودقيقة خاصة منها القزمية والنصال والنصيلات، ولأول مرة عرف إنسان ابتكارات جديدة تمثلت أساسا في ظهور الفن لأول مرة، ومن أهم الانجازات نذكر النحت على الحجارة والنقش على قشور بيض النعام، كما عرف الإنسان في هذا العصر ولأول مرة دفن موتاه وممارسة معتقدات دينية وسحرية لم تكن معروفة من قبل حيث غيرت حياته اليومية.

كما يجب الإشارة إلى المجهود الذي قام بها إنسان ما قبل التاريخ في العصر الحجرى الحديث من ابتكارات حديثة كتقنية الصقل مع ظهور أدوات جديدة ومتقنة مثل رؤوس السهام المستعملة في الصيد وغيرها، كما ابتكر الإنسان ولأول مرة صناعة الفخار التي غير نمط معيشته (الطهي) إضافة إلى ابتكار الزراعة وتربية الحيوانات المختلفة والمتنوعة (الرعى والاستئناس) التي سمحت بتطوير نمط العيش وازدهار حياته اليومية.

لقد مر إنسان ما قبل التاريخ بتغيرات وتطورات كبيرة عبر الزمن غيرت نمط حياته، حيث عرف صناعة حجرية وعظمية في تطور مستمر من حضارة لأخرى، وعرف الفن تطورا مدهشا ورائعا من جمال وإبداع ابتداء من العصر الحجري القديم المتأخر إلى غاية العصر الحجري الحديث، كما عرف إنسان ما قبل التاريخ تحول كبير في حياته خاصة بعدما كان يعيش على الصيد البرى والبحرى وقطف ثمار النباتات في العصر الحجرى القديم أصبح في العصر الحجري الحديث يسيطر على إنتاج غذائه وذلك من خلال ابتكاره لأدوات حجرية وعظمية جديدة ومعرفته للزراعة والرعى وتحكمه في غرس النباتات وتربية الحيوانات.

ترك إنسان ما قبل التاريخ إرثا حضاريا كبيرا عبر كل أقطار الجزائر، تم تفسير بعضها وفهم البيئة والمحيط والحياة السائدة آنذاك، ويتعلق الأمر بالنقوش والرسومات التي تعتبر بمثابة كتاب أو سجل أثرى يعبر على مختلف مراحل أو أطوار حياة إنسان ما قبل التاريخ، ترجم فيها المشاهد الاجتماعية والاقتصادية والطقوسية من حروب وصيد وغيرها، وتبقى بعض الحالات مبهمة و صعبة الاستقراء في حاجة إلى مزيد من البحث والاهتمام.

#### هوامش إضافية

"تختلف تعريفات مصطلح "الكالكوليتي" من باحث لآخر لكنه تم اختيار التعريف الأوضح الذي ورد في قاموس ما قبل التاريخ، أصل الكلمة إغريقي الأصل متكوّنة من Khalkos وتعني النحاس وLithos وتعني الحجارة، وتمثّل فترة زمنية حضارية عرفت صناعة أدوات من الحجارة بإتقان وحكمة مثل الفؤيسات المصقولة والفؤوس الحجرية المصقولة إضافة إلى أدوات أخرى.

2° يقع موقع حنقة سي محمد الطاهر على بعد 30 كلم جنوب باتنة بالقرب من الطريق الرابط ما بين باتنة – آري*س* وعلى علو 15ً40 متر.

3 المحسوس: هكا سوس أي "الملوك الرعاة" شعب سامي بدوي غزا أرض شمال مصر في القرن الثامن عشر. قبل الميلاد وحكمها لأكثر من 250 سنة.

4 الأشوريون: أو الآثوريون هم قوم ساميون، استوطنوا القسم الشمالي من العراق منذ الألف الثالث ق.م.

5 الفارسيون: هم شعوب تقطن منطقة فارس في الهضبة الإيرانية. أسس الفرس العديد من الدول والإمبراطوريات على مر التاريخ مثل الأخمينيين والدولة الساسانية في حقبة قبل الإسلام وإضافة إلى سلالات حكمت في حقبة بعد الإسلام مثل البويهيين والسامانيين وغيرهم، يدين غالبية الفُرس بالإسلام.

6 البوشمن: هم أقدم سكان إفريقيا الجنوبية ويطلق عليهم كمجموعة، البوشمن أو السان أو البساروا كما ئسمون في يوتسوانا.

#### ببليوغر افيا

-Alimen, H. (1955). Préhistoire de l'Afrique, Paris: N. Boubée et Cie. -Alimen, H. (1958). « Le Sahara préhistorique. Rivières et forêts », Cahier, 9-10, p.

-Amblard, S. et Pernes, J. (1989). «The identification of cultivated pearl millet (Pennisetum) amongst plant impressions of pottery from Oued Chebbi (Dhar Oualata, Mauritania) ». African archaeological Review, v. 7, p. 117-126.

-Aumassin G. Couvert M. Jacob J.-P. (1976). « Présentation générale du gisement préhistorique de Tin Hanakaten au Tassili-n-Ajjers », 9 session du Congrès

U.I.S.P.P., Nice.

-Bagtache, B. et Hadjouis, D.-J. (1982-1983). « Deux nouvelles espèces d'Equus (Mammalia, Périssodactyla) dans le gisement atérien des phacochères (Alger) », Libyca Anthropologie Archéologie et Préhistoire, t. XXX-XXXI, p. 165-186.

-Ballouche, A. (1986). Paléo-environnements de l'homme fossile holocène au Maroc. Apport de la palynologie, thèse (Préhistoire), Université de Bordeaux.
- Braidwood, R. (1998). Letters From The Field, 1950-1951 - Excavations At Jarmo,

The Oriental Institute News and Notes, 156. -Cadenat, P. (1948). « La station préhistorique de Columnata », B.S.G.A.O., t. LXX, p. 3-66.

-Cadenat, P. (1955). « Nouvelles fouilles à Columnata. Campagne de 1954-55 »,

Libyca Anthropologie Archéologie et Préhistoire, t. III, p. 263-285. -Camps, G. (1960). Aux origines de la Berbérie. Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca. Archéologie-Épigraphie, t. VIII, (320 pages).

- -Camps, G. (1969). Amekni, Néolithique ancien du Hoggar, Paris: Mémoires du CRAPE (10).
- -Camps, G. (1974). Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, Paris: Doin.
- -Camps, G. (Dir.) (1980-2013). «Encyclopédie Berbère », LAPMO, Aix-en-Provence: Edisud (34 volumes).
- -Camps, G. (1981). « Origine de la domestication en Afrique du Nord et du Sahara », Le sol, la parole et l'écrit, Mélanges offerts à R. Mauney, 2000 ans d'histoire africaine, société française d'outre-mer, Paris, p. 547-560.
- -Camps, G. (1984). « À propos des chars sahariens », Bulletin de la Société de Préhistoire Française, t. LXXXI, p. 44-48.
- -Camps-Fabrer, H. (1966). Matière et art mobilier dans la Préhistoire africaine et saharienne. Paris: Arts et Métiers Graphiques.
- -Camps, G. et Gast, M., (Dirs). (1982). Les chars préhistoriques du Sahara. Archéologie et techniques d'attelage, Actes du Colloque de Sénanque, 21-22 mars 1981. LAPMO. Université de Provence. Aix-en-Provence.
- -Cauvin, J. (1998). Naissance des divinités, naissance de l'agriculture, Paris: Flammarion.
- -Chamla, M.-C. (1968). Les populations anciennes du Sahara et des régions limitrophes. Etude des restes osseux néolithiques et protohistoriques, Paris: Arts et Métiers Granhiques (=Mémoires du CRAPE. n° 9. 249 n.. Alger).
- -De Chasseloup Laubat, F. (1938). Art rupestre au Hoggar (Haut Martoutk), Paris: Plon.
- -Debruge, A. (1909). « Fouilles de la grotte du mouflon (Constantine) », Actes du 38<sup>e</sup> Congrès de l'A.F.A.S., Lille, p. 814-822.
- -Debruge, A. (1916). «La grotte de Bou Zabaouine, reprise de fouilles », R.M.S.A.C., t. L. p. 123-138.
- -Debruge, A. (1930-1931). « Atlas préhistorique ou essai de chronologie sur les diverses industries préhistoriques recueillies dans mes recherches et fouilles en Algérie », R.N.M.S.A.C., t. L.X, p. 219-251.

  -Doumergue, F. (1927). «La grotte de Polygone », Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, t. XLVII, pp. 205-254.

  -Dutour, O., Vernet, R., Aumassip, G. (1994). Le peuplement préhistorique du
- Sahara, Milieux, hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, Paris: L'Harmattan.
- -Hachid, M. (2000). Le Tassili des Ajjer. Aux sources de l'Afrique. 50 siècles avant
- les Pyramides, París : Méditerranée ; Álger : Edif. -Hachid, M. (2000-2001). Les premiers Berbères entre Méditerranée, Tassili, et Nil, Alger: Ina-Yas; Aix-en-Provence: Edisud.
- -Hugot, J. (1963). Recherches préhistoriques de l'Ahaggar Nord-Ouest, Paris : Arts et
- Métiers Graphiques ; Alger: Mémoires de CRAPE.
  -Guilaine, J. (1994). La mer partagée. La Méditerranée avant l'écriture, 7000 2000 avant I. C. Paris: Hashette avant J.-C., Paris: Hachette.
- -Kherbouche, F. et al. (2011). « Nouvelles recherches préhistoriques dans l'Adrar Gueldaman (Akbou, Algérie) », 6° rencontre pour l'étude du quaternaire marocain, 17, 18 et 19 novembre 2011, Tanger.
- -Lhote, H. (1958). A la découverte des fresques du Tassili, Paris: Arthaud.
- -Lhote, H. (1972). Les gravures du Nord-Ouest de l'Aïr, Paris: Arts et Métiers Graphiques.
- -Lhôte, H. (1987). Chameau et dromadaire en Afrique du Nord et du Sahara. Alger: O.N.A.P.S.A.
- -Maitre, J.-P. (1971). Contribution à la Préhistoire de l'Ahaggar- I: Tefedeste centrale, Paris: Arts et Métiers Graphiques (Mémoires du CRAPE, 17, Alger).
- -Mauny, R. (1954). «Gravures, peintures et inscriptions rupestres de l'Ouest africain », IFAN, Dakar, Initiation Africaine, n° 11, 93, p. 12, fig. 7 c. -Mauny, R. (1956). «Préhistoire et Géologie : la grande faune éthiopienne du Nord-
- Ouest africain du Paléolithique à nos jours», Bulletin I.F.A.N., p. 246-279.
- -Mauny, R. (1970). Les siècles obscurs de l'Afrique noire. Histoire et Archéologie, Paris : Fayard.
- -Millotte, J.-P. (1970). Précis de protohistoire Européenne, Paris: Armand Colin.
- -Muzzolini, A. (1986). L'art rupestre préhistorique des massifs centraux sahariens, Oxford : BAR (318).

- -Muzzolini, A. (1989). «La néolithisation au nord de l'Afrique et ses causes », Aurenche O. et Cauvin J., éds, Néolithisation, BAR International, séries 516, Oxford, p. 415-416.
- -Petit-Maire, N. (1979). Le Sahara atlantique à l'Holocène. Peuplement et écologie, Alger: Mémoires du CRAPE.
- -Petit-Maire, N., Riser J. (1983). Sahara ou Sahel? Quaternaire récent du bassin de Taoudenni, Marseille: CNRS.
- -Roubet, C. (1968). Le gisement du Damous el Ahmar et sa place dans le néolithique de tradition capsienne, Paris : AMG.
- -Roubet, C. (1979). Economie pastorale préagricole en Algérie orientale : Le néolithique de tradition capsienne. Exemple de l'Aurès, Paris: CNRS (Etude d'Antiquité Africaines).
- -Roubet, C. (2006). « Pastoralisme et ruralité néolithiques dans l'Aurès, avec la grotte Capéletti, entre 7500 cal BP et 5400 cal BP ». Aoures, n°3, p. 19-35.
- -Schulz, E. (1994). « Indicateurs de l'influence anthropique sur la végétation actuelle et passée. Régions méditerranéennes, subtropicales et tropicales ». Presses Universitaires de Bordeaux, Espaces Tropicaux, n°13, p. 129-142.
- -Vaufrey, R. (1939). L'Art rupestre Nord-Africain, Paris: Masson (archives de
- l'Institution de Paléontologie Humaine, t. XX).
  -Vernet, R. (1998). Le Sahara et le Sahel. Paléo-environnements et occupation humaine à la fin du Pléistocène et à l'Holocène. Inventaire des datations 14C jusqu'à 1997, 2<sup>eme</sup> éd., Nouakchott: Département d'Histoire de l'Université, Centre de Recherches Interafricain en Archéologie.

# العصر الحجري الحديث في الصحراء الوسط بين المحلية والتأثير الخارجي

أد. أم الخير العقون جامعة وهران

قضى الإنسانُ القسمَ الأعظمَ من حياته في العصور الحجرية في أطوار همجية، حيث كان يعتمد في حياته على جمع القوت و التقاطه دون إنتاجه، ثم حقق أعظم انقلاب بدّلَ حياته تبديلا جوهريا، وذلك بمجرد انتقاله إلى إنتاج القوت بالزراعة و تدجين الحيوانات.

لقد شهدت الأدبيات العلمية بأن هذه القفزة النوعية في حياة البشرية، إنما حدثت في مكان ما بالشرق الأدنى القديم ثم انتشرت العناصر الثقافية للعصر الحجري الحديث (النيوليتي) في أزمان وفترات متفاوتة إلى جهات أخرى، منها أقطار البحر المتوسط وشمال إفريقيا فأوربا.

يُمثل العصر الحجري الحديث الحقبة الثالثة من حقِبَ العصور الحجرية، وقد شهد هذا العصر تحوّلات جذرية و هائلة كان لها آثار مباشرة و أخرى بعيدة المدى على مسيرة الحضارة البشرية، فقد شهد هذا العصر ثلاثة مستجدات منها: استئناس الحيوان، ممارسة الزراعة وصناعة الفخار.

يشير تاريخ البحث الأثري في مواقع ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا إلى أن العمل قد بدأ هناك مع بداية الحقبة الاستعمارية ، ومن الطبيعي أن تكون مسيرة العمل الأثري خلال تلك الفترة رهينة المدارس الفكرية السائدة في تلك الدول و تأثيراتها ، فكانت هنالك قناعة لدى دارسيها بأن ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا إنما هو إنتاج خضع لتأثيرات أجنبية أو هو أصلا إنتاج أقوام غازية حلّت بالمنطقة . ويعتقد الباحث المختص في النيوليتي الصحراوي" ج. ماتر" أن هذا الرأي يعبّر عن فكر مدرسة عسكرية استعمارية أكثر منه بحث علمى ( (Maitre, J.-P. 1972: 125)

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الأبحاث ما قبل التاريخية و إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين ، إنما كانت تحت تأثير نظرية "جوردن تشايلد" التي تقول بالأصل الواحد في ظهور الاختراعات الثقافية "النيوليتية" في مكان ما بالشرق الأدنى القديم.

وعلى ضوء هذه الدراسات ساد شبه إجماع لدى المختصين بأن العصر الحجري الحديث في المصحراء الوسطى غير أصيل ومحلي في المنطقة ، وقد وقعت عليه تأثيرات من الشرق أغلبها قادم من السودان .

# مناخ الصحراء أثناء العصر النيوليتي

بادئ ذي بدء ، يجب تحديد الإطار الجغرافي لمنطقة الصحراء الوسطى، فهي تقريبا وبدون تحديد دوائر العرض و خطوط الطول ، لأن هذه الأخيرة لا تنطبق بدقة مع بداية ونهاية هذا الفضاء الجغرافي، فالمنطقة تتعرج وتتداخل و تتسع و تضيق حسب امتداد الكثبان الرملية .

وعلى أساس ذلك يتم تعريفها تبسيطا، بأنها تشمل الصحراء الجزائرية والجنوب التونسي وجنوب غرب ليبيا ومرتفعات الأدرار إيفوراس بمالي ومرتفعات إير بالنيجر، وهي كلها صحراء قاحلة ذات كثافة سكانية ضئيلة.

وإذا ما تساءلنا، هل كانت أحوال هذه الصحراء الشاسعة في عصور ما قبل التاريخ مثل حالها اليوم ؟ فالإجابة عند الكلاسيكيين تُجمع بأنها كانت على هذه الحال، على الأقل منذ الألف الأولى قبل الميلاد، غير أن هناك أدلة جيولوجية وأثرية قوية تدفع إلى الاستنتاج بأن أحوال الصحراء كانت مختلفة قبل ذلك التاريخ.

### من الناحية النظرية :

- 1- ثبت أن العصور الجليدية في أوروبا قد قابلتها في الأجزاء الجنوبية عصور غزيرة الأمطار. وعلى ضوء ذلك نستطيع تفسير وتعليل بقايا مجاري الأنهار والأودية الصحراوية الجافة التي تصل أحيانا إلى مائتي كيلومتر مثل وادى الساورة ووادى إيغرغر.
- 2 تم العثور في كثير من أنحاء الصحراء على بقايا حيوانات من الأنواع الاستوائية التي يتطلب عيشها وفرة في الماء و الكلأ.
- 5- مع نهاية هذه العصور المطيرة في منطقة الصحاري قبل نحو خمسة عشر ألف سنة حيث بدأ الجفاف يزحف تدريجيا ، عرفت المنطقة خلال ذلك، عصور ممطرة ثانوية أثناء العصر الحجري الحديث ، و استقبلت مرتفعات الأهقار فوق 2300 مترو 3000 متر في التبستي، أمطارا منتظمة على مدار السنة (44 :Cornevin, M. 1982)، هذا مما سمح باستقرار الأقوام حوالي المرتفعات التي كانت غنية بغطاء نباتي متنوع تشهد عليه المخلفات العظمية والنباتية وبقايا المحار والقواقع والدراسات المورفولوجية وكذلك طبيعة الاستبطان.

وهو ما يفسر تلك الظاهرة العجيبة المتمثلة في غزارة وتنوع الرسوم الصخرية الصحراوية. هذه الرسومات التي تمثل مصدر توثيق موضوعي إلى حد كبير، فهي بمثابة كتاب مفتوح، يمدنا بأخبار مهمة عن المناخ والنبات والإثنيات المختلفة التي استقرت في المنطقة : نشاطاتهم الاقتصادية المختلفة وجوانب من حياتهم الاجتماعية ومعتقداتهم ..

#### العصر الحجري الحديث في الصحراء

خلال منتصف القرن الماضي (القرن20)، استخدم الأثريون المهتمون بالعصر الحجري الحديث في العصر الحجري الحديث ذي التقاليد السودانية - بالإضافة إلى العصر الحجري الحديث ذي التقاليد القفصية، وهو محلي النشأة فقير من حيث مميزات النيوليتي باستثناء التطور الكبير الذي عرفه في صنع الأدوات الحجرية وصقلها،

تَعْتبر كل من "أليمان "و "فوفري" أن هذا العصر قد تطور عن الحضارة القفصية (باليوليتي أعلى) في مرحلتها العليا الحديث AlimenH. (1955: 197- 198; Maitre, J. -P. 1972: 125) العصر النيوليتي ذو التقاليد السودانية هو نمط حضاري ساد منطقة شاسعة بين هضبة إثيوبيا شرقا وإلى غاية الساحل الغربي لإفريقيا بما في ذلك الصحراء الوسطى، ولقد امتد هذا العصر على فترة زمنية طويلة تغطي خمسة آلاف سنة أي من 8000- 3000 ق.م.

وعلى الرغم من التباين الحضاري الجزئي على الامتداد الكبير في المساحة و طول المدة الزمنية، إلا أن الباحثين اعتبروا بان منطقة الصحراء عرفت وحدة حضارية أثناء العصر الحجري الحديث و أن مهدها إنما هو هضبة السودان.

ويُنسب العصر الحجري الحديث ذو التقاليد السودانية إلى موقع "شهيناب"بالقرب من السودان، وهي حضارة أنتجتها أقوام زنجية صعدت من الجنوب الشرقي للصحراء الكبرى إلى شمالها الغربي، فغطت بذلك منطقة شاسعة منها الهقار والتاسيلي بالجزائر.

و في هذه المداخلة سوف نعرض ثلاثة مظاهر أو سمات ميزت لعصر الحجري الحديث و هي الزراعة استئناس الحيوان، والفخار، لعلها تلقي بعض الضوء على خصوصية هذا العصر في الصحراء الوسطى وهل هو نتاج تأثير خارجي من ناحية الشرق أم هو محلي ؟

وما يهمنا حول موضوع الصحراء الوسطى هنا هو البحث عن هذه المستجدات في المواقع التي تمثل هذا النمط الحضاري، الذي تركّز في جهة

الجنوب الشرقي من الجزائر ، وعلى الخصوص في موقعي "أمكين" و"المنية "

## <u>أ- استئناس الحيوان:</u>

شهد العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب القديم عموما وفي الصحراء على وجه الخصوص اتساع مجال استئناس الحيوان إلى الحدّ الذي أصبح يشكّل فيه نمطا معيشيا لأقوام المنطقة، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى المبالغة في القول بأن طبيعة المنطقة الجغرافية لم تسعف الأقوام الصحراوية لتصبح مجتمعات زراعية فكانت مجتمعات رعوية.

ويتجه علماء ما قبل التاريخ إلى أن أولى الحيوانات المستأنسة هي الأبقار، الماعز، الأغنام والخنازير، وأن هذه العملية انتشرت من إيران أولا فالعراق باتجاه مناطق أخرى منها شمال إفريقيا.

ويبدو أن هذه النظرية القديمة قد بقيت مهيمنة على الأذهان، فهذا "ريموند موني " Raymond Mauney و يشاركه جمع كبيرٌ من الباحثين- يقترح طريقين لمرور الحيوانات المستأنسة من الشرق الأدنى إلى شمال إفريقيا عن طريق مصر.

- الطريق الأول ويمتد على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط ليصل المغرب القديم ثم يعبُر مرتفعات الأطلس الصحراوي لوصول الحيوانات المدجّنة إلى التاسيلي والمقار.
- الطريق الثاني، ويبدأ مباشرة من جنوب مصر إلى الصحراء الوسطى على مستوى خط عرض 20 درجة. (37 : 1953 : Wilcox, A.-R. الوسطى على مستوى خط عرض 20

غير أن هناك صعوبات في تقبّل هذا الطرح ، لأنه ببساطة لا توجد آثار استئناس للحيوان بجنوب مصر أقدم من وجودها في الصحراء الوسطى، إذ يؤرَّخ لعملية الاستئناس في الصحراء في أبعد الأحوال بحوالي 5500سنة ق.م، وهو تاريخ سابق لمصر ب1000 أو 1500 سنة على الأقل.

أما جنوب مصر، أي السودان فيمكن الإشارة إلى أبحاث " آركل " مكتشف موقع "شهيناب " الذي جعل منه علماء ما قبل التاريخ مصدر النيوليتي ذي التقاليد السودانية في الصحراء الوسطى- حيث أقرّت مساعدته المختصة في علم الحيوان "بات Bate " التي درست بقايا حيوانات مستأنسة في الموقع، فتوصلت إلى أن الماعز لم يُستأنس محليا وأن كهف "دوارف" بالصحراء الجزائرية احتوى عظام ماعز مستأنس أقدم من بقايا موقع شهيناب، و بالتالي فالطريق الصحيح قد يكون من الصحراء الجزائرية إلى "شهيناب" وليس العكس.(16-15: 1953)

لكن عدم وجود آثار الاستئناس والرعي في جنوب مصر والسودان، ربما يشير إلى أن العملية انتقلت عبر الطريق الأول، أي من الشرق الأدنى نحو الصحراء الوسطى عبر السواحل الشمالية، إلا أن انعدام وجود آثار هذا الاستئناس في الدلتا المصرية والفيوم قد برّره بعض الباحثين بحُجة أن فيضانات النيل تكون قد أتلفتها.

لكن من الأهمية بمكان الإشارة إلى نتائج التنقيبات الأثرية، التي توصلت إلى أنه بالإضافة إلى عدم وجود آثار الاستئناس في الدلتا المصرية، فان منطقة فلسطين و شبه جزيرة سيناء تفصل منطقة الشرق الأدنى عن منطقة شمال إفريقيا، وهذه المنطقة بقيت في مرحلة الصيد والالتقاط ولم تعرف استئناس الحيوانات لغاية أواخر الألف الخامسة وبداية الرابعة ق.م، أي في وقت متأخر بكثير عن المواقع الصحراوية (218-217: 1991) الكن الاحتمال الآخر الذي لم يرد في ذهن بعض المختصين هو إمكانية استئناس الحيوان في الصحراء محليا ودون أي تأثير.

ولدراسة ظاهرة استثناس الحيوان، يمكن الاعتماد على نوعين من الوثائق، هي الرسوم الصخرية و بقايا هياكل الحيوانات.

فهذه الرسوم الصخرية تملأ المرتفعات الصحراوية وقد أنجزت بدقة متناهية و بتفاصيل كثيرة، لا تترك مجالا للشك بأن عملية الاستئناس، قد ظهرت مبكرا في الصحراء الوسطى عموما وفي الركن الجنوبي الشرقي من الجزائر على وجه الخصوص، و منها منطقة التاسيلي والمقار، وكذلك جنوب غرب ليبيا .

ومع التطور الذي عرفه استخدام النظائر المشعة في العشريات الأخيرة من القرن العشرين، فإن استخدام الكربون 14 على بقايا خشب متفحم بجوار الكهوف المغشاة بالرسومات سواء في التاسيلي أو الهقار أو الأكاكوز (ليبيا)، فإنها أعطت تواريخ موغلة في القدم، يرجع تاريخ بعضها إلى7500 سنة ق.م، وهذا قد يصنفها في فترة متزامنة مع أقدم موقع، يُعتقد أنه عرف استئناس الماعز والأغنام في مرتفعات زاجروس وطوروس المحاذبة لايران (Muzzolini; A. 1991: 217)

وعلى ضوء هذه النتائج تكوّنت لدى المختصين قناعة بأن الصحراء الوسطى وخاصة في ركنها الجنوبي الشرقي، كانت تمثل مهدا معليا و مبكرا لاستئناس الحيوان وفي أولها البقريات وقد زودتنا الرسوم الصخرية المتوفرة بكثرة في مرتفعات التاسيلي والهقار وكذلك في الأطلس الصحراوي في جنوب وهران و الجلفة، بأن النوع المستأنس في الصحراء كان كبير الحجم؛ بالإضافة إلى نوع آخر بأحجام أصغر يُعرف

بالأيبيري وهذا ما توثقه الرسومات، فالنوعان متوفران في حالتهما البرية في رسومات تعود إلى أواخر العصر الحجري القديم (الباليوليتي Africanus) بقرون طويلة (Iberiusbosbrachyceros) بقرون قصيرة و لذلك فلا مجال للبحث عن مصدر و طريق المرور الذي اتخذته الحيوانات المستأنسة لتصل إلى الصحراء

ونخلص في الأخير بأن الدراسات المتخصصة قد حسمت الأمر في العشريات الأخيرة لصالح مهد استئناس محلي في الصحراء بعيدا عن كل تأثير، وأعطته سبقا تاريخيا جعل منه المصدر لعملية استئناس الأبقار والماعز من الصحراء إلى السودان.

لكن تبقى صعوبة أخرى في الموضوع وهي التواريخ المختلفة والمتفاوتة التي أعطتها المخابر وفي اعتقادي، إن السبب قد يكمن في صعوبة التأريخ للرسومات الصخرية بعيدا عن الوسائل الكلاسيكية من أسلوب و طبيعة الموضوع أو اتخاذ طبقة ولون الرسم (الزنجرة) وكلها وسائل تقريبية أما الوسيلة الوحيدة والتي يمكن أن تقدم تواريخ تكاد تكون مطلقة، فهي المواد العضوية من بقايا عظام أو مأكولات وهذه نادرا ما يحالف الحظ الأثريين للعثورعليها في مواقع الرسم التي ليست بالضرورة أماكن عيش الرسام

و نخلص في موضوع الاستئناس في الصحراء الوسطى، بأن بداية الألف السادسة ق.م، قد نالت إجماع علماء ما قبل التاريخ لعملية استئناس متطورة للبقريات وتأخرت قرونا قليلة بعد ذلك بالنسبة للماعز، وهي سابقة لمثيلتها في الفيوم بألف سنة و كذلك بألف وخمس مئة سنة لموقع مرمدة بني سلامة أيضا في مصر، بل وسبقت الاستئناس في شهيناب (السودان) الذي وُجدت به مخلفات عظمية للبقر والماعز والأبقار تعود فقط إلى منتصف الألف الرابعة ق.م. ( 53: 1974 - 245 ; Maitre, J.-P. 1974 : 245

### <u>- الزراعة.</u>

لقد كان تدجين النباتات البرية والتحكم في زراعتها وإنتاج الطعام بمثابة الثورة التي غيرت نمط و طريقة العيش، حيث أسفرت تحولات وتغييرات شملت جميع الأسس وانعكست على مختلف ميادين الحياة.

وهناك موقعان في مرتفعات الهقار ينتميان إلى العصر الحجري الحديث ذي التقاليد السودانية، يعتقد مكتشفاهما بأنها عرفت الزراعة مبكرا وخاصة زراعة البشنة أو الذرة.(الذخن) Mil.

- 1 - موقع المنية: عثر عليه الباحث "هوجو" سنة 1963، ويعتقد بأن السكان الذين استقروا به من سلالة زنجية و إن أصوله الحضارية

ترجع إلى حضارة شهيناب السودانية. وقد تحركت هذه الأقوام من أماكنها الأولى متجهة نحو الشمال الغربي حتى وصلت الصحراء الجزائرية حيث أقامت بها عدة مراكز، منها موقع المنية،الذي وجد به "هوجو" Hugo حبات طلع من نبات الذرة المستأنسة، وقد أرّخ لها الكريون المشع 14 بحوالي 5500 سنة قبل الميلاد أي في الألف السادسة ويعتقد مكتشف هذه النباتات اعتقادا جازما بأنها غير برية، وأنه قد تم التحكم في تدجينها ثم زراعتها. وحجته في ذلك أن الطلع الذي عُثر عليه يبلغ طوله 40 ميكرون (حدة قياس)، وهو أطول من طلع النباتات البرية. (155-157: 1963: 1963, Hugot, H. 1963: 157-189)

ولكن ما يجب الإشارة إليه هو أن أقدم طبقات موقع شهيناب الذي يعتبره هوقو هو الأصل لموقع المنية، إنما أُرِّخ له الكربون14بحوالي 3495 سنة ق.م(127-127: 127-1974)

### 2<u>- موقع أمكني:</u>

وهو أكثر شهرة من الموقع الأول يقع أربعين كيلومترا جنوب غرب مدينة تمنراست (جنوب شرق الجزائر)، وقد عثر عليه الأثري "ج.كامبس" و أعطى الكربون14 عمرا بين 8000- 6800 سنة قبل الميلاد، لأقوام استقرت بالموقع في أسفل طبقاته، غير أنها لم تترك أثرا لصناعتها. وقرونا بعد ذلك، استقرت سلالة زنجية نعمت بمناخ أقل جفافا مما هو عليه الآن، و قد كان أكثر رطوبة فيما بين 6000- 3500 سنة ق,م. وأن بقايا العظام التي وُجدت بالموقع تعود لحيوانات برية أما الاستئناس في الموقع فلم يظهر إلا في الطبقة التي تليها ويؤرخ لها ب6100 سنة ق,م.(226: 1987: 1987) ويعتقد كامبس بأن العثور على طلع نبات البوط ((Typha) في الموقع يشير إلى أن واد" أمكين "كان يجرى بانتظام آنذاك .

وفي هذا الموقع الشهير وَجَد "كامبس" على عمق 1.40 م حبات لطلع نبات الذرة، وللباحث قناعة كاملة بأن القوم قد عرفوا زراعة الذرة (Mil) في الطبقة السفلى من الموقع أي حوالي6000سنة ق.م وما يزيد في قناعته وفرة في الرحى النائمة و أحواض الطحن في الصخور (12: 1974. Gamps, G. 1974).

وعكس" هوقو" فإن "كامبس"مقتنع بأسبقية موقع "أمكين" على موقع شهيناب النموذجي لأن الكربون 14 أعطى لبقايا العظام البشرية التي عُثر عليها بأمكين عمرا يرجع إلى نهاية الألف السابعة(6100 ق,م) عثر (Camps, G. 1974: 232)وبالتالي فإن هذه السنابل التي وُجدت بـ"أمكنين"، تعود للألف السابعة وقد تكون أقدم سنابل وُجدت بإفريقيا، وأنها ظهرت مبكرا حيث سبقت تلك التي ظهرت على ضفاف نهر النيل مثلا.

غير أن هناك من يشكك في وجود زراعه مبكرة في الصحراء بما فيها زراعة الذرة، بحجة أن عدد حبات الطلع التي تمّ العثور عليها غير كافية، وإننا لا نستطيع تعميم الصورة على كامل المنطقة، كما أننا لا نستطيع أن نعتبر المطاحن دليل على طحن حبوب مزروعة فقط، ويعتقد البعض بأن هذه الدلائل ضعيفة.

لكننا نعتقد بأن وجود زراعة منتظمة للذرة فيما بعد، أي حوالي 3600 ق.م في كل من الصحراء الغربية وموريتانيا (Cornevin, M. 1982: 45) و هو الأمر الذي يؤكد فرضية زراعة الذرة مبكرا في الصحراء الوسطى، كما أن الرسوم الصخرية في كثير من المواقع الصحراوية توثق لمشاهد زرع وحصاد. فهل هذه المشاهد من خيال الرسام أم عايشها في الواقع ؟.

### ج- الفخار

يعتبر الفخار من أهم الأدلة التي تثبت توصل الإنسان إلى الاستقرار والزراعة والإنتاج و تخزين الفائض منه، كما يشير إلى التنوع الغذائي للقوم. وأول ما يجب الإشارة له هو عدم وجود آنية كاملة في الصحراء لذلك يصعب التكهن بأشكالها، وقد وجدت بعض القطع يتجاوز قطرها 60 سنتيمتر وهي بسيطة الصنع، تمّ العثور على بعضها في الأكاكوز (بليبيا الحالية). كما عثر "جماتر"على بعض منها في الهقار في موقع المنية ويعطيها الكربون 14 عمرا يرجع للألف الخامسة (4850+- 150)سنة ق.م أما في موقع أمكنين فإن شظايا الفخار، وُجدت في أسفل طبقة به وتعود اللألف السابعة قبل الميلاد، وهي غزيرة العدد ومتنوعة الأشكال والزخرفة وكذلك وُجدت قطع فخارية في "الأندي" جنوب ليبيا مزينة بالخطوط المتموجة wavy-line وهي زخرفة سودانية، لكن "ج. ماتر" يؤكد على أقدمية هذه المعثورات التي تعود إلى أواخر الألف السادسة أي 5250 سنة ق.م، في حين أن موقع شهيناب بالسودان يعود تاريخه فقط إلى حوالي Maitre, J.-P. 1972: 127; Id., 1974: 56; Camps, G. 1974: 226)

وفي كل هذه المواقع تقريبا كانت قطع الفخار تتبع أنماط زخرفة متنوعة منها الحفر الغائر- مسحة المشط - مسحة الحبل -حسكة السمكة، بالإضافة إلى أهم زخرفة جديدة تميز بها فخار الصحراء وهي اتخاذ السلال كقالب لزخرفة سطح الإناء، أما الزخرفة بالخطوط المتموجة فهذه ينسبها المختصون لتقليد سوداني.

ونخلص من هذا كله إلى أن فخار وادي النيل (مصر) يفتقر إلى أنواع الزخرفة التي تُميّز فخار شمال إفريقيا، في حين يقترب الشبه أكثر بزخرفة الخرطوم، لكن يبقى أن التنوع متوفر بكثرة في فخار شمال إفريقيا و هذا ما يدل على غناه. (العقون،1988: 97- 102)

ونختم هذا العنصر بالتأكيد على الظهور المبكر لصناعة الفخار في مواقع عديدة من ربوع الصحراء الوسطى ، فهناك من يقدر بأن فخار الصحراء الوسطى وخاصة جنوب شرق الجزائر، قد يكون أقدم بألف سنة عن فخار السودان في مرحلة الخرطوم المبكر Cornevin, M. 1982: 442)

وإن وَجد بعض المختصين، بأن تاريخ الألف الثامنة ق.م، الذي قدمته الباحثة "كورنفان" مبالغ فيه بعض الشيء، وأن هذه الآنية الفخارية كانت لتخزين حبوب برية ولا علاقة لها بالزراعة لكن هذا لا يمنعنا من القول بأن التنوع في الزخرفة والأشكال بالإضافة إلى التقديرات المبكرة التي أسفر عنها استخدام النظائر المشعة، إنما يشير في مجموعه إلى معرفة مبكرة لهذه الصناعة كما يشير في تناياه إلى نمو ديموغرافي في عدد سكان الصحراء الوسطى، وأيضا إلى إمكانية اعتماد القوم في طعامهم على أنواع جديدة من المأكولات قد تكون من الحبوب المزروعة التي يتطلب تناولها طهيها أولا في قدور من الطين.

في ختام هذا الطرح نصل إلى الاستنتاجات التالية :

1- اقترح "كامبس" في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين ضرورة مراجعة التسمية التي أطلقت على مميزات العصر الحجري الحديث التي سادت نطاقا جغرافيا واسعا من الشرق إلى الغرب على مستوى دائرة عرض 20 درجة، واقترح اسم نيوليتي سوداني صحراوي عوض نيوليتي ذي تقليد سوداني، إلا أن تطور استخدام النظائر المشعة في العشريات الأخيرة من القرن العشرين قد حسم الأمر، وربما مالت كفة الميزان لصالح سبق صحراوي عوض السوداني.

2- تبدو حقيقة وجود مراكز مستقلة عن أي تأثيرات من الشرق الأدنى لصناعة الفخار واستئناس الحيوان في جنوب ليبيا وجنوب شرق الجزائر أمرا أكثر احتمالا من غيره، فشواهده واضحة بجلاء في الرسومات الصخرية (مرحلة الرعاة).

3- يعتقد البعض بأن مسألة الزراعة في الصحراء تبقى فرضية أكثر منها حقيقة ويشككون في الأدلة التي تم العثور عليها إلا أننا نشير إلى أن طبيعة الأرض الحمضية في الصحراء لم تسمح بالحفاظ الجيد على القرائن التي تثبت عملية الزراعة.

وإنه من غير المستبعد أن تكون تلك الأقوام النيوليتية المتميزة، التي استقرت في المنطقة وأعطت إنتاجا نيوليتيا متنوعا وتمتعت بمناخ مطير، عاجزة عن سواها من الأقوام النيوليتية الأخرى التي توصلت إلى الزراعة، فهناك دلائل تشير إلى بدايات زرع القمح والذرة، وقد عثر كل من "هوقو" و" كامبس" على حبيبات الطلع، إلا أن حلول الجفاف التدريجي بعد ذلك لم بكتب لهذه العملية أن تتطور في نفس المكان.

#### الببليوغرافيا

-العقون. أم الخير (1988)، العلاقات الحضارية بين مصر و شمال إفريقيا "منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثانية قم" . رسالة ماجستير في التاريخ القديم. قسم التاريخ والآثار، جامعة الاسكندرية.

-Alimen, H. (1955). Préhistoire de l'Afrique, Paris : N. Boubee.

-Arkell, A.-J. (1953). Shaheinab, London: Oxford University Press.

- Camps, G. (1974). Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, Paris : Doin Éditeurs.

-Camps, G. (1987). « Amekni», Encyclopédie Bèrbère, Alger. -Cornevin, M. (1982). « Les néolithiques du Sahara central et l'histoire de l'Afrique », Bulletin de la Société Préhistorique Française, 79, p. 439-450.

-Hugot, H. (1963). « Recherches préhistoriques dans l'Ahaggar-nord occidental 1950-1957», Mémoires du C.R.A.P.E.L.

-Muzzolini, A. (1991). «Les débuts de la domestication au Sahara et les gravures rupestres les plus anciennes », Bulletin de la Société Préhistorique de l'Ariège, XLVI, p. 211-225.
-Maitre, J.-P. (1972). «Notes sur deux conceptions traditionnelles du Néolithique

saharien», Libyca, XX, p. 125-136. -MAITRE, J.-P. (1974). Contribution à la préhistoire de l'Ahaggar : Tefedest

centrale, Paris: Arts et Métiers Graphiques.

-Vaufrey, R. (1955). Préhistoire de l'Afrique, Archives de l'Institut de Paléontologie Humaine.

-Wilcox, A.-R. (1984). Rock art of Africa, New York: Holmes and Meier.

# الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري الحديث بين النفى والتأكيد

أمحمد وابــل جامعة وهران

لقد كان لنشأة الزراعة أثر كبير في الإقتصاد الإنساني خلال فترة العصر الحجري الحديث، وتعتبر في حد ذاتها من أهم المصادر الغذائية عند تلك المجتمعات إلى جانب مصادر أخرى مثل الرعي والصيد والزراعة كانت من الأسباب المباشر في إستقرار الشعوب وإنتقالها من ثقافة الإلتقاط والجمع للفاكهة إلى ثقافة الإنتاج، وبما أن فترة العصر الحجري الحديث تتمي زمنيا إلى مرحلة ما قبل التاريخ وعدم توصل الإنسان للكتابة بعد، لجأ الباحثون إلى الإعتماد بشكل كبير على مصدريين مهمين هما: البحث الأثري والفن الصخري من أجل كشف وإعادة البناء للحياة اليومية في تلك العصور الغابرة.

وفي ظل التحسن المناخي الذي ساد منطقة الطاسيلي ناجر والهقار، خلال تلك الفترة بمثابة نقطة تحول حضاري وهمزة وصل بين مختلف المناطق، ومركز إستقبال للشعوب القديمة الآتية من الشمال الإفريقي وجنوب مصر والشرق الأدنى القديم، التي بدأت مع بداية الألف الثامنة قبل الميلاد (Vernet, R. 2001: 181)

ومن خلال الإرث الحضاري المتميز الذي خلفه الإنسان النيوليتي في منطقة الصحراء الوسطى الذي تمثل في الكم الهائل من عدد النقوش والرسوم، بالإضافة إلى مخلفاته الأثرية المتنوعة في أماكن الإقامة وبفضل القوة الذهنية التي تتمتع بها من خلال ترويضه للحيوانات البرية وجعلها مستأنسة، وفي هذا الإطار وبناءا على المجهودات الفكرية في خلق الركائز الأساسية للإقتصاد النيوليتي، يمكن أن نطرح إشكالية في هذا الشأن ونقول هل هذه المجتمعات إستطاعت أن تثبت براعتها في تدجين الزراعة بعدما كانت رائدة في مجال الرعي والصيد بأنواعه ؟ وهل الظروف المناخية كانت سببا مباشرا في التوصل إلى فكرة الزراعة ؟ وهل الفن الصخري أظهر هذا النشاط بعدما بين لنا مختلف جوانب الحياة اليومية خلال فترة العصر الحجري الحديث ؟

#### 1: الحالة المناخبة:

يعتبر المناخ العامل الرئيسي في ظهور الحضارات القديمة وتقدمها وتطورها وبما أن هذا العنصر له دور مهم فلا بد من إظهار الواقع المناخي في منطقة الصحراء الوسطى خلال فترة معنية، وللكشف عن المناخ القديم لدينا تقرير مهم لـ (كيزال) الذي قام بجمع عينات من بقايا النباتات المتحجرة من أربعة وعشرون موقعا تنتمى جغرافيا لمنطقة نفسها، وبعد إختباراته لهذه العينات استنتج أن الفترة الممتدة من 10000 ق.م إلى غاية 6000 ق.م شهد ت مناخا معتدلا و رطبا جداً أدى إلى ظهور غابات متنوعة تشمل أشجار الأرز والبلوط والمغث والزيزفون، أما في المرتفعات نجد أشجار الصنوبر الحلبي، والتربة متشبعة ببقايا الطحالب والرخويات وترسبات طبقية تشير إلى وجود مستنقعات، أما الفترة الممتدة من 6000 ق.م إلى غاية 2800 ق.م فتغير المناخ نوعا ما، حيث تميز برطوبة أقل مقارنة بالفترة السابقة وكانت الأمطار تتساقط بكثافة وأدى هذا الواقع إلى ظهور أشجار الصنوبر الحلبى والزيتون والعرعار والسرو وأشجار الميس، أما على المرتفعات فنجد أشجار الأرز وأنواع من أشجار البلوط والجوز والخلنج والمسكا، وفي حدود 2800 ق.م بدأ المناخ يميل إلى الجفاف والتصحر التدريجي، وبينت معظم الحفريات وجود طبقة رملية سميكة خالية من بقايا الأشجار السابقة، كما شوهد إنتشار النباتات الشوكية .Quezel, P. 1958/1959: 215)

ولم تكن الصحراء في تلك الفترة مجرد غابات ومستنقعات، بل أكدت الأبحاث إلى وجود أنواع عديدة من الحيوانات البرية والمدجنة ، وتعتبر حفرية تن هناكاتن بالطاسيلي ناجر دليلا واضحا حيث تشير ستراتيغرافيتها أن المناخ كان رطب ومعتدل ولوحظ ان هذه الطبقات غنية بالنباتات المتحجرة، وكذلك بقايا العظام للحيوانات المدجنة والبرية وحتى المائية منها السمك من نوع السيلور والسلاحف، وكانت أثار مواقد الطهي والصناعات الحجرية والفخارية، تبين أن الإنسان إستقر بهذه المنطقة مع بداية الألف السابعة قبل الميلاد واستمر وجوده حتى أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد، وبعد هذا التاريخ بدأ الجفاف يلوح في الأفق مما أجبره على إنهاء إقامته بشكل نهائي وهجرته نحو مناطق أكثر إعتدالا، بعدما عمر بهذه المغارة لأكثر من سبعة ألاف سنة(Hachi, S. 1983: 116)، وتبين الخريطة رقم: 01 أن منطقة الصحراء الوسطى شهدت مناخا أكثر رطوبة أدى إلى تنوع نباتي وحيواني يساعد كثيرا في التطور الحضاري وفي الوقت نفسه أصبحت مكانا مناسبا لمختلف الحيوانات البرية، كما أعطت لنا معظم الحفريات بالهقار والطاسيلي ناجر من بينها موقع أمكني (تمنراست)، وحفرية تن هناكاتن (الطاسيلي ناجر) وحفرية تا تارتي وإن اتنان (الطاسيلي ناجر) وعين قزام (جنوب الهقار) وحفرية منيات (شمال تمنراست) على وجود بقايا عظام لحيوانات تعيش في الوسط المناخي الرطب، كما أثبت الفن الصخري، ألاف النقوش والرسوم المبينة للحيوانات الكبيرة والضخمة نذكر من بينها: الفيل والزرافة والجاموس والكركدن وفرس النهر ...إلخ، وتوافق تاريخها مع ما وجد في المواقع الأثرية مثل بقايا عظام متحجرة تعود لللخنازير البرية، والجواميس، والحيرم، والكركدن، ووحيد القرن والتماسيح، وهذه الثديات وسطها الطبيعي مناخا معتدلا :Camps, G. 1969) (172)، وتحتاج إلى كميات معتبرة من المياه العذبة والأمطار كذلك توصل (فارني) إلى إحصاء أكثر من سبعين نوعا من الحيوانات الضحمة التي تواجدت في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجرى الحديث، وتمت العملية الإحصائية بالإعتماد على الفن الصخرى والبحث الأثرى .Vernet, R 102: 1995، وحدد الجغرافيون فترة تاريخ التحسن المناخى بالمجال الزمنى الممتد من 5500 ق.م إلى غاية 2500 ق.م وسمى إصطلاحا بمرحلة المناخ الأمثل (العقون، أ. 1988: 63)، وإستنادا إلى الأبحاث المذكورة أعلاه، نرى أن العامل المناخي والبشري موجودان فعليا في منطقة الصحراء الوسطى في الألف السادسة قبل الميلاد، وأعتقد أن الظروف مواتية لظهور الزراعة بهذا التاريخ، لأن هذا النشاط ينسب ظهوره قديما بجوار وعلى أطراف الغابات المدارية والمناطق ذات المناخ المعتدل، كذلك المجتمعات التي توصلت إلى فكرة تدجين النبات وممارسة الزراعة كانت قد مارست في وقت سابق إستئناس الحيوانات والصيد المائي والبري (غلاب، م 1997: 258) إن الواقع المناخي المناسب والمهارة الفكرية للمجتمعات الصحراوية تشيران أن فكرة الزراعة إحتمال وجودها وارد إلى حد الآن، لكن هذه الفرضية تبقى مجرد تخمين في ظل عدم الإرتكاز عن الدليل العلمي، وبالتالي نحن بحاجة إلى نتائج المتعلقة بالدراسة البالينولوجية (علم حبوب اللقاح)

2:الدراسة البالينولوجية

يتكون هذا المصطلح من كلمتيين أولهما الباليو بمعنى اللقاح أو الطلع، وثانيا لوجيا بمعنى العلم ومنه البالينولوجية هي علم اللقاح أو ما يعرف بعلم حبوب الطلع، ويختص بدراسة بقايا النباتات منذ ملايين السنين، يعتمد عليه كثيرا في تحديد المناخ القديم والنشاط البشري قديما.(عمراني، س. 2002) وإستنادا إلى هذا المنهج العلمي ومن خلال التنقيبات التي اجريت بموقع أمكني (تمنراست)، وجد ضمن البقايا الحيوانية والنباتية المتحجرة على إثنان من حبوب الطلع لبذور البينيستوم" يكون حجمها بالتقريب 64 مكرو متر على عمق 1.40 م ويؤرخ لهما بالتقريب 6000 ق.م، و يعتقد أن هذه البذور تشير إلى نشاط جديدة عند تلك المجتمعات ولربما في طريقهم إلى تدجين البذور أو نوع من الزراعة المبكرة والتحكم في الوسط النباتي، بل ويذهب على أبعد الحدود ويعتقد في سنة 6700 ق.م بدأت عملية إعادة بذر أو غرس البذور التي تم جلبها من البرية، ومما زاد في شكوكه حول هذه الفرضية هو ملاحظته للأعداد الهائلة من الرحى والمهارس المختلفة بالإضافة إلى الأواني الفخارية المتميزة والتي ربما أتستعملت لتخزين البذور المحصل عليها (Camps, G. 1974: 226)، وتسانده الرأي (عمراني) وتؤكد أن موقع هذا المكان يعتبر جيدا لممارسة الزراعة ويعكسه التنوع في صناعة الأواني الفخارية والأدوات الحجرية المخصصة لسحق البذور، وفي ظل هذه التاكيدات تم إيجاد بقايا بذور النجيلات من نوع البينستوم ضمن قاع إناء فخارى، وتعتقد أيضا أن هذه الشواهد ربما تجعلنا نرى أن الزراعة ظهرت بالمنطقة إبتداء من 6100 ق.م إلى غاية 3350 ق.م (عمراني، س. 2002: 241) ، كذلك إذا قمنا بإعادة بناء للمظاهر الحياتية على ضفاف واد امكني نرى فعلا كانت منطقة آهلة بالسكان حوالي 6000 ق.م تمارس في محيطه ثقافات متنوعة منها الصيد المائي والبرى، إضافة إلى ممارسة الزراعة أو على الأقل نشاط يبين نوع من الفلاحة المبكرة أو قطف للفواكه (اللوحة رقم .(05)

أما (أمبلارد) فعثر في موقع منيات (شمال تمنراست) على غبار اللقاح لبذرتيين تبدوان متطورتين وغير بريتين قياسها حوالي 40.5 ميكرومتر، أما الثانية فتبلغ 36 ميكرو متر،ونظرا لتشابهما مع بذور موقع أمكني تبين له وجود بوادر نشاط زراعي على الأقل سنة 6100ق.م :Amblard, S. 1994) (163) كذلك تبدو مؤشرات الزراعة قوية من خلال ملاحظة بعض البذور من نوع (سلتيس أو ستراليس) في الطبقة السفلي على عمق 100 سم، والطبقة المتوسطة على عمق 75 سم، ويؤرخ لهذا الموقع بالتقريب في حدود 3450 ق.م إضافة إلى وجود بذور أخرى تعود لنباتات غابية (أشجار، حشائش) التي تعيش في المناخ الرطب، وبذور بعض أشجار الفواكه حلوة المذاق وغذاء مهم للمجتمع، وفي وسط هذه الفرضيات المتزايدة على وجود نشاط زراعي تم العثور على جرة مملوءة بهذه الحبوب في منطقة التينيري (النيجر) أقصى جنوب منطقة الطاسيلي ناجر(Hugot, H.-J. 1963: 58)، وهذا الموقع من الحالة المناخية مناسب جدا للزراعة حيث تشير التقارير الأثرية إلى وجود بقايا غابات متحجرة تنتشر على نطاق واسع بتاريخ 5410+- 300 ق. وبين التقرير وجود غابات كثيفة تتكون من : أشجار الأرز وأشجار الصنوبر الحلبى وأشجار العرعار وأشجار البلوط الأخضر وأشجار الزيتون وأشجار الميس وأشجار العناب.(Delibrias, G. 1957: 268)، أما في مرتفعات الطاسيلي ناجر فتعكس النشاط الزراعي من خلال ماعثر عليه من بقايا بذور من الميس الملتصقة على سطح قطعة من كيس منسوج بمغارة تن هناكاتن يؤرخ لها في حدود 6800 ق. م(Aumassip, G. 1997: 58)، لكن بالرغم من هذه الأدلة العلمية والحالة المناخية الملائمة، يبقى (هيجو) حذر جدا بخصوص وجود نشاط يبين الزراعة، ويعتبر ما وجد في مختلف مواقع من الصحراء ماهي إلا بقايا من العنبيات أو النشم الذي إستعمل كغذاء، وما وجد في موقع منيات ماهو إلا بطيخا مائيا أو بذور القرعيات، وهذه النباتات في مجملها تقطف ولا تزرع، وبالتالي قد ينتسبان إلى بداية الفلاحة وليس الفلاحة في حد ذاتها، ويجب تحرى الدقة في تحديد هذا النشاط لأنه يحتاج إلى قواعد دقيقة لا فرضيات واهية (هوجوج، ه. 1979: 610)، على حد قول هذا الأخير فإن الدليل المناخى والبقايا المتحجرة غير كافية، وهناك من عارض بشدة فكرة الجهل التام لسكان صحراء للزراعة، ويعتقد بمجرد إنتقاء النباتات وأشجار دون غيرها وتحسن الظروف المواتية لنموها، ومراقبتها ومعرفة أوقات نضج ثمارها بغية جنيها وهذا العمل على الأقل يدخل ضمن الطور الأول لبداية الزراعة أو شكل أولى للزراعة ويعتقد أن ما عثر في موقع منيات دليل واضح على بوادر الزراعة من خلال إعتماد المجتمع على أنواع من الثمار مثل النشم والعناب والتي يعود تاريخها إلى سنة 3450 ق.م (جراية، م. 2008: 72)، لكن بالرغم من نفى الرأى الأول وتأكيد الثاني، نجد من توسط الرأيين أن ملامح الزراعة ممكن أن تكون من خلال سحق الحبوب البرية، وترى أن المجتمعات الصحراوية ركزت بشكل أساسي على الرعى وغير متأكدة بصفة قطعية من مزاولة النشاط الزراعي (العقون، أ. 2004: 42).

إن التحاليل المخبرية يعتقد أنها أكدت دلائل على وجود الزراعة في ظل التحسن المناخي، كما أن الغطاء النباتي قد يشير إلى إنتشار ثقافة القطف والإنتقاء.

## 3: مشاهد الزراعة

إن المجتمعات والشعوب التي عاشت في منطقة الصحراء خلال العصر الحجرى الحديث، قامت بالتأريخ لنفسها ومجمل أعمالها بواسطة الفن الصخرى الذي يعود تاريخه إلى 5000 ق.م، فلقد صور نفسه وهو يصطاد الحيوانات المفترسة، كما رسم نفسه وهو يرعى مختلف الحيوانات التي قام بتدجينها، كما أنه رسم أدق الأشياء في حياته الإجتماعية، فهل هذا الإنسان صور لنا مشاهد أو رسومات تدل على ممارسته للزراعة أو أي أعمال متعلقة بها ؟

إن الرسومات التي ظهرت في مناطق متعددة من منطقة الطاسيلي ناجر، والتي بينت أناسا منحنين على الأرض ويستعملون أدوات مقوسة زيادة على مشاهد الحصاد بالمناجل يستنتج في أغلب التفسيرات أن هذه المشاهد ماهى إلا رسومات نساء ذاريات للحبوب أو جامعات للسنابل تبين وجود الزراعة في هذه المنطقة خلال فترة العصر الحجرى الحديث، وما يثبت واقعية المشاهد كثرة الرحى والمهارس (كي زيربو 1979: 686)

إنطلاقا من هذه الفكرة أو الفرضية لدينا في منطقة الصحراء الوسطى الكثير من الرسوم الصخرية تثبت هذا الكلام ويفسر لنا (هوارد) مشهد وجد في موقع جباران (الطاسيلي ناجر) أنه يوضح عملية درس للحبوب أو حركة ضرب على السنابل القمح بقضبان من الخشب وتخرج البذور من جراء هذا العمل ثم توضع في أواني فخارية للتخزين، ويصف لنا كذلك رسم آخر في موقع تين بوجاج (الطاسيلي ناجر)، ويؤكد ان هذا الرسم يبين إمرأة جالسة على ركبتيها وماسكة بمدق أو مسحاق بيدها اليسرى من أجل التدوير أداة الطحن (الرحى) وشكل هذه الأداة الحجرية دائريا على الأرجح (Huard, P. 1970 : 545)، كذلك لدينا ثلاثة مشاهد تبين دور المرأة في الجانب الزراعي في موقع صفار (الطاسيلي ناجر)، وتحمل هذه المواقع ارقام متعددة، نجد المشهد رقم 12 يظهر أواني فخارية مملوءة بالبذور والمشهد رقم 22 يبين إمرأة تقوم بجمع السنابل وتذرية،أما المشهد رقم 02 يبين مجموعة من النساء منهمكات في أعمال متعلقة بالزراعة، وتوزع نشاطهن بين نثر الحبوب وتذرية السنابل، مع إحتمال وجود أداة تشبه المنجل وأداة لسحق الحبوب (سفروان، .ح. 2008: 261)

كل هذه المشاهد تتوافق مع الوسط الطبيعي في منطقة صفار التي أثبتت الدراسات الأثرية على وجود بقايا أشجار الصنوبر الحلبى وأشجار السرو بالإضافة إلى أشجار البلوط وأرخت بالتقريب 5030 +- 300 ق ح ما يعادل3500 ق.م (Delibrias, G. 1957: 268)

وفي منطقة جاباران أمزر بالطاسيلي ناجر هناك رسم يبين الزراعة من خلال وجود أربع نساء تقمن بتذرية الحبوب ووضعها في إناء فخارى محمول شكله هلالي وتحملن العصى ربما كملاحق متعلقة بالعملية، وفي يسار المشهد نرى أواني فخارية مملوءة بكمية من الحبوب أو البذور ذات لون أصفر(Breuil, H. 1952: 190)، كذلك لدينا مشهد في موقع أونرحات الذي سمى برسم السيدة البيضاء ويفسر هو كذلك انه رمز للزراعة من خلال تطاير البذور على جانبي رأس مع وجود رسم يبين السنابل أو الحقول (Ferrah, A. 2002: 215)، كذلك فسر لنا (فارنى) ثلاثة رسومات وجدت بثلاث مواقع هي: موقع جباران وصفار وإتينان (الطاسيلي أجر) وهذه المشاهد تؤرخ في معظمها إلى الفترة الرعوية وتبيت الحصاد أو الزراعة بوضوح وربما تؤرخ سنة 4500ق.م(4500 Vernet, R. 2001: 185) وفي ظل صعوبة التآريخ لهذه المشاهد وضبطها نرى (أوماسيب) تعتقد أن بوادر ظهور الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى كانت في حدود 8000 ق.م وربما إستمرت حتى 3000 ق.م، وتستند إلى هذه الفرضية من خلال تحليلها لمشهد وجد بموقع تن تيفيريست بمنطقة الطاسيلي ناجر، وتعتبر هذا الرسم من بين الرسومات النادرة التي بينت النباتات التي يعتقد أنها تزرع :Aumassip, G. 1997) (57) هذا المشهد كانت قد علقت عليه مؤخرا الباحثة نفسها بعد دراسة معمقة، على أنها عملية نقل نبات من مكان إلى مكان آخر ويخص مجتمع الرؤوس المستديرة، وهذا المشهد عتقد أنه الأقدم تاريخيا، وتؤكد إحتمالية الزراعة بعد إستنتاجاتها على وجود ثقافة إستصلاح للأرض لتلك الشعوب خلال تلك الفترة (Aumassip, G. 2004: 71)

نعتقد أن عملية تهيئة الأراضى وجعلها مناسبة لهذا النشاط بينه مشهد وجد في موقع تراس أليس (الطاسيلي ناجر)، وبين عملية البذر والحرث والتذرية والتضرع إلى القمر وهذا من أجل هطول الأمطار، وينتمى هذا المشهد إلى المرحلة الرعوية ويبين هذا الرسم نوع من التكافل الإجتماعي والوعي الديني (Ferrah, A. 2002: 216)، وبما أن لكل عمل نتائج، فأعتقد أن خدمة الأرض أتت أكلها وهاهى المجتمعات الليبية ونقصد بها معظم الشعوب التي أستقرت غرب النيل مع فترة العصر الحجري الحديث، وتشير بعض الآثار المصرية التي يعود تاريخها فترة الأسرة الأولى في عهد الملك الخامس بتاريخ 3100 ق.م أن الليبيين القدامي كانوا يزودون المصريين بمادة زيت الزيتون (عيساوي،م. 2010: 88)، ومن خلال هذا المصدر المصرى يمكن أن نقول لولا الدراية التامة بالأمور الزراعية لما تمكنت هذه الشعوب بتصدير الزيت في هذا الوقت المبكر تاريخيا، وهذا يشير إلى أن سكان الصحراء قد تحكموا جيدا في عملية الزراعة، لأن إنتاج الزيتون يحتاج إلى خبرة مكتسبة عبر الأزمنة وتتمثل في المتابعة اليومية للأشجار من خلال السقى والزبر والجنى والتحضير.

نعتقد أن تحليل المشاهد كان في جو واقعى وموضوعي وتخلوا منه الذاتية، وما يبرر هذا الإستنتاج أن أغلبها وجدت في منطقة الطاسيلي ناجر متشابهة إلى أبعد الحدود مع معظم الرسومات التي ظهرت على جدران المقابر المصرية القديمة والتي كتب في أسفلها نشاط زراعي بالكتابة الهيروغليفية القديمة (جيمز،ت. 1997: 105)

وفي الأخير يمكن القول أن الفن الصخري كان له دور كبير في إظهار جانب إقتصادي مهم عند المجتمعات خلال العصر الحجري في منطقة الطاسيلي ناجر، ومن خلال هذه الرسومات يعتقد أن الزراعة في بدايتها أمتهنها الرعاة وبما أن هذه المجتمعات برزت بشكل لافت في الحجارة، يمكن أن نطرح إشكال الآتي، هل وجدت في أماكن إقامتهم ادوات حجرية خصصت لسحق هذه البذور ؟

#### 4:المطاحن الحجرية

يؤكد علماء الآثار أنه إذا عثر في أي موقع أثرى يعود تاريخه إلى فترة العصر الحجرى الحديث، وخصص للإقامة البشرية، وتم إيجاد أدوات حجرية قياساتها مابين 20 سم و 55 سم و وزنها بين 2 إلى 25 كلغ وتجاوزت نسبتها 45 بالمئة من مجموع الأدوات المحصل عليها، يمكن إستنتاج أن في هذا المكان قد تمت فيه عملية سحق البذور (Cordier, G. 1991: 60)

ومن خلال هذه المعطيات تم إيجاد أعداد ونماذج كثيرة من هذه الحجارة، فعلى سبيل المثال وجد في مخبأ إن إنتان (الطاسيلي أجر) والذي يعتبر نموذجا واضحا للحياة اليومية للإنسان النيوليتي في تلك المنطقة على رحى شكلها بيضوى يبلغ طولها 94سـم، وعرضها 45سم، وسمكها 18 سم وتزن حوالي 84 كلغ، وأستعملت بدون شك لسحق البذور أو الحبوب إضافة إن الموقع أعطى من خلال التحليل الكربوني وجود غبار اللقاح لبعض أشجار الفاكهة وبقايا بذور التي يعتقد أنها من الحبوب التي يمكن زراعتها مع العلم أن هذا المسكن أو المخبأ شهد إستقرار بشري في حدود 4600 ق.م (Alimene, H. 1968: 434)

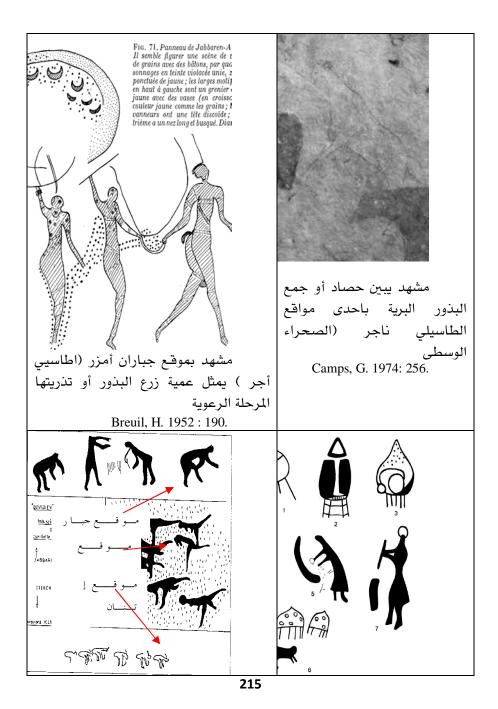
أما في موقع أمكني وبفضل الدراسات الإحصائية تبين أنها في تزايد مستمر في أعدادها فبعدما عثر على عشرة رحى في الطبقة الستراتيغرافية التي يؤرخ لها بـ6100 ق.م، إرتفع الرقم على ثمانية عشر أداة لسحق البذور في حدود 4850 ق.م، أما في 3550 ق.م فكانت أعدادها ضعف الرقم الأول حسب إعتقادنا ربما يرجع هذا التزايد المستمر في النمو السكاني وإتساع المساحة المزروعة (Camps, G. 1974: 231)

وما يلاحظ على منطقة الطاسيلي ناجر تبدو وكانها ورشة مختصة لصناعة الرحى في الفترة النيوليتية حيث عثر على العشرات من هذه الأدوات ذات مقاسات مختلفة يصل بعضها إلى 94 سم طولا ووزنها يزيد عن 80 كلغ (Huard, P. 1968: 641)، وخلال طول الفترة الزمنية السابقة لفترة العصر الحجري الحديث لم تكن هذه الأدوات موجودة بهذه الضخامة أو الصفة، وبالتالي يطرح كثيرا ماهية أسبابها في ذا العصر، ولم يكتفي هذا الإنسان بصنع رحى من هذا النوع، بل إستخدم الأحواض المحفورة في الصخر كأداة لسحق الحبوب البرية وتزداد فرضية هذا العمل خاصة إذا وجدت بالقرب من أماكن الاقامة (العقون،أ. 2004: 42)، وتتحت هذه الحفر الدائرية بالصخور وتكون برفقة مدقات المصنوعة من حجر القرانيت، كما أن وجودها ربما يكون دليل على سحق الحبوب المدجنة أو البرية، وقد عثر على نماذج منها في مواقع أثرية عديدة في منطقة الصحراء :Gast, M. 2003 (29، كما لا يمكن أن نعتبر أن هذا الإنسان الذي عاش في الصحراء محدود المعرفة والذكاء فقد إستخدم أدوات حجرية كثيرة ذات دلالة زراعية، وتوصل إلى صناعة الكويرات الحجرية المثقوبة ومطارق الحفر والمناجل البدائية وألات الحصاد منها الشفرات والمعاول، كما أستعملت الفأس الحجرية وتم الإستعانة بها كثيرا في الفترة النيوليتية لتهيئة الأرض ونبشها وجعلها صالحة للزراعة (Roseville, G. 1912: 88)، كذلك عثر في أقصى جنوب منطقة الطاسيلي ناجر على دليل مهم يبين عملية الزراعة وهي أداة هلالية الشكل مصنوعة من الخشب ومثبت عليها مجموعة صغيرة من الحجارة المسننة المتراصفة على طول حافتها الداخلية، وهي تشبه المنجل إلى حد بعيد مما يرجح أن هذه الأداة كانت تستعمل في الحصاد أو قطع السنابل البرية، وكانت هذه الآداة ضمن مجموعة من أدوات السحق والرحى الحجرية (Hachid, M. 2000: 136)

لكن لا نجزم أن وجود الأدوات الحجرية المختلفة والمتمثلة في المجارف والمطاحن والمهارس وعصى الحفر والمناقير أنها تشير إلى الزراعة، ومن الممكن أن تكون هذه الأدوات قد أستعملت لإستخراج الطين لصنع الفخار، والرحى لطحن مواد التلوين وتكسير عظام المصطادة، مع العلم أننا كلنا نعلم أن هذه الشعوب كانت من الصياديين والقطافين (هوجوج، ٥٠. (610:1979

إن زراعة القمح في الصحراء مرت بعدة مراحل، وقد وفدت من مصر خلال العصر الحجرى الحديث، وتضيف أن وجود الحبوب البرية في وسط مناخي رطب مع توفر أدوات للسحق أو الطحن، بالإضافة إلى تواجد العنصر الزنجي تعتبر من المؤشرات قوية على ممارسة الزراعة :Aumassip, G. 1972 (250، وتعتقد (العقون) أن الزراعة في الصحراء قد كانت سباقة من منطقة الشمال الإفريقي عن طريق تيارت حضارية قادمة من الشرق (العقون، أ. 1988: 65)، وفي الأخير نقول أن الأدلة المحصل عليها من خلال الإعتدال المناخى المناسب لنمو النباتات، واستقرار المجتمعات على ضفاف الأودية والأماكن الخصبة والمتمتعة بثقافة الرعى والصيد، وإبتكارها للأدوات الحجرية التي أستعملت للسحق والطحن، وإختراع الفخار وصناعة الأواني التي تستعمل لحفظ الحبوب، ووجود البقايا المتحجرة من غبار اللقاح للبذور البرية والمدجنة، وتنوع الرسومات الصخرية المبينة لمختلف الأعمال المتعلقة بالنشاط الزراعي، تجعلنا نقول أن إثبات الزراعة أو الفلاحة في منطقة الصحراء الوسطى خلال بداية العصر الحجرى الحديث أصبحت تبتعد عن فكرة التخمين وتقترب أكثر من فكرة التأكيد.

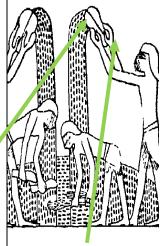
# اللوحة رقم 01: بعض المشاهد من الصحراء الوسطى التي تبين عمليات لها علاقة بالزراعة



ثلاثة مشاهد تبين احتمال عملية الزراعة ( الحصاد) في منطقة الطاسيلي ناجر الفترة الرعوية (5000 ق.م - 2500ق.م) .Vernet, R. 2001:185

مشاهد من مواقع مختلفة في الصحراء الوسطى، لها علاقة بالزراعة (السحق والجمع والتخزين) حوالي 4000 ق.م Huard, P. 1970: 558.

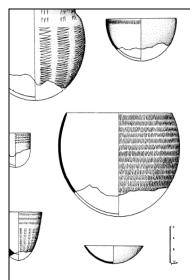




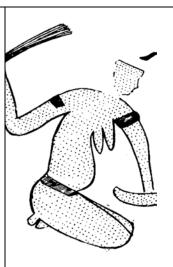
رسم يوضح سنابل المسلور الطاسيلي الموقع إونحارات (الطاسيلي أجر ) يمثل السيدة البيضاء فترة الرؤوس المستديرة5500 ق.م .212 Ferrah, A. 2002:

مشهد من إحدى المقابر الفرعونية تبين عملية تذرية الحبوب 1997 جيمز، ت.- ج.

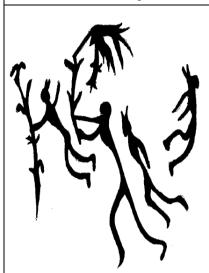
.105:



أواني فخارية من موقع أمكني يؤرخ لها في الألف السادسة قبل الميلاد ربما استعملت في حفظ الحبوب 277.Camps, G. 1974:



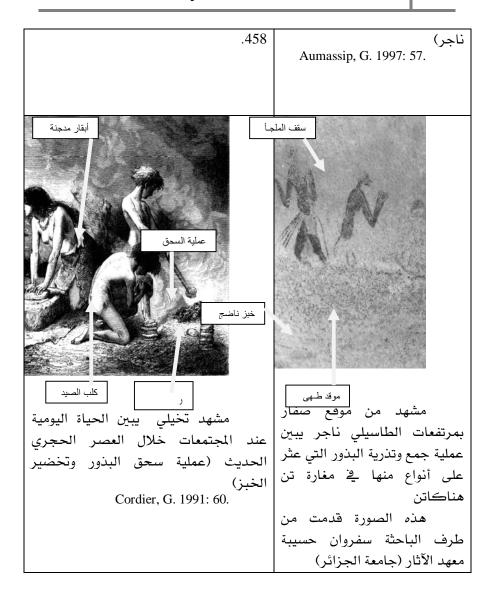
مشهد بموقع تین بوجاج ( الطاسيلي ناجر) يمثل عملية سحق الحبوب مرحلة الراعاة : 190 1952Breuil, H.



نقوش صخرية بمنطقة التيبستي تبين ممارسة الزراعة في منطقة أشخاص يحملون أغصان نباتية ربما لإعادة الصحراء الوسطى (وجد الرسم غرسها في مناطق اخرى (مرحلة الصياديين) Huard, P., Leclant, J. 1980: .1



مشهد نادر يبين أولى بوادر بموقع تن تيفيريست (الطاسيلي



لوحة رقم : 03تبين النبات الذي ظهر في الفن الصخري إضافة إلى رسم تخيلي يبن عملية السحق البذور وتخضير الخبز خلال العصر الحجري



أداة حجرية تستعمل لسحق الحبوب البرية خلال العصر الحجرى الحديث منطقة الطاسيلي ناجر (الصحراء الوسطى)

Hachid, M. 2000: 137. . . 1



رحى نيوليتية محفورة في الصخر تستعمل لسحق الحبوب

أمكني 6000 ق.م

Camps, G. 1969: 86.

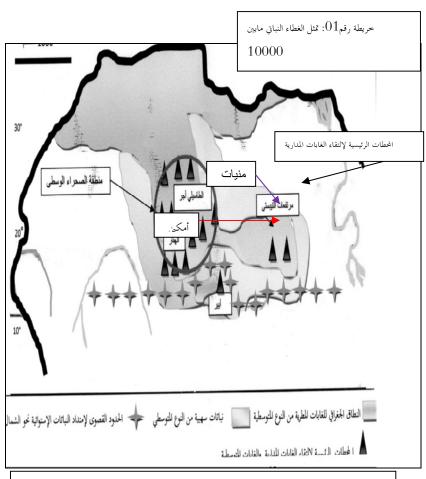


فأس حجرية يرجح أنها كانت صورة تبين رحى محفورة في الستعمل في نبش الأرض وتهيئتها لللزراعة خلال العصرالحجري الحديث في الصحراء Ville, G. 1912: 88. Rose

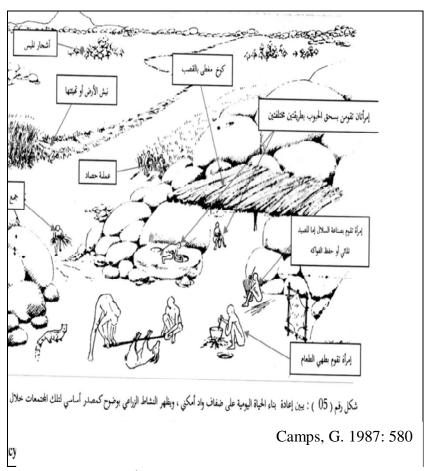


الصخر بمنطقة تامريت الطاسيلي ناجر الصحراء الوسطى) Gast, M. 2003: 28.

لوحة رقم: 04 تبين الأدوات الحجرية التي إستعملت لسحق البذور وتهيئة التربة



Quezel, P., Martinez, C. 1958-1959: 215



لوحة رقم: 05 تبين إعادة بناء للحياة اليومية بموقع أمكني وفق معطيات أثرية الألف السادسة قبل الميلاد

#### هوامش إضافية

ألصحراء الوسطى: تقع في الجنوب الشرقي الجزائري بيت دائرتي عرض  $^{\circ}$ 21 و $^{\circ}$ 20 شمال خط الاستواء، وبين خطي طول  $^{\circ}$ 06 و $^{\circ}$ 21 شرق خط غرينتش وتضم منطقتيين مهمتين هما: الطاسيلي ناجر والهقار، تصل مساحتهما الإجمالية في حدود  $^{\circ}$ 400000كيم

\*\*البينيستوم: هي بذور تنتج من طرف النجيلات، أما السلتيس فهي بذور تعودللفواكه التي يتم قطفها، ومن خلال هذه العينات، ربما المجتمعات كانت تعتمد على النباتات المزروعة وأشجار الفواكه، أي تنوع زراعي بين البذر والقطف.

#### بيبليوغرافيا

- جراية، م.- ر. (2008/2007). الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص التاريخ القديم، قسم التاريخ والأثار ، جامعة منتوري (قسنطينة).
- جيمز، ت.- ج. (1997). الحياة أيام الفراعنة (مشاهد من الحياة في مصر القديمة)،ترجمة أحمد زهير أمين، مصر: الهيئة المصرية العامة للكناب.
- سفروان، ح. (2008- 2007). واقعية صورة الانثى في الرسم الصخري لمنطقة صفار وضواحيها (الطاسيل ناجر الصحراء الوسطى الجزائر)، مذكرة ماجستير غير منشورة، تخصص ماقبل التاريخ، معهد الاثار، جامعة الجزائر.
- العقون، أ. (1988). العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا (منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم غير منشورة، مصر: جامعة الإسكندرية.
- العقون، أ. (2004- 2003). الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة في التاريخ القديم، غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الاثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.
- عمراني، س. (2001- 2002). دراسة أركيوبالينولوجية لأوساط الهولوسان بمنطقة تين هناكتن (الطاسيلي أزجر. الصحراء الوسطى )، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الآثار. جامعة الجزائر.
- عيساوي، م. (2009- 2010). المجتمع اللوبي في بلاد المغلاب القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)،أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،جامعة منتوري (قسنطينة).
- غلاب، م.- س.، الجوهري، ي. (1997). الجغرافية التاريخية عصر ماقبل التاريخ وفجره، الاسكندرية: مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع.
- كي زيربو، ج. (1979). "الفن الإفريقي في ماقبل التاريخ"، ترجمة بنعيسي، ب.، كتاب تاريخ إفريقيا العام، المجلد الاول، المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في إفريقيا، الأسكندرية /اليونيسكو: الهيئة العامة لمكتبة، ص 665- 696.
- هوجو، م.- ج. (1979). "الصحراء في ما قبل التاريخ "، ترجمة بنعيسي، ب.، كتاب تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في إفريقيا، الأسكندرية /اليونيسكو: الهنه العامة لمكتبة، ص 591 614
- -Alimen Harie, H., Beucher, F., Lhote, H. (1968). « Les gisements néolithiques de Tan-Tartaït et D'i-N-Itinen, Tassili-N-Ajjer (Sahara Central) », Bulletin de La Société Préhistorique Française, 65, 1, p. 421-458.

-Amblard, S., Quechon, G. (1994). L'agriculture néolithique au Sahara Méridional faits, théories et contradictions, milieux hommes et techniques du Sahara préhistorique, Paris: Harmattan.

-Aumassip, G., Dagorne, A. (1972). «Aperçu sur l'évolution du paysage quaternaire et le peuplement de la région d'Ouargla », Libyca (CRAPE), 20, p. 206-250.

-Aumassip, G. (1997). «L'émergence précoce du Néolithique au Sahara, Institut de Paléontologie Humaine », p. 56-62.

Aumassip, G. (2004). « Premiers indices de manipulations des plantes et des animaux dans le Sahara Central », Climats, cultures et sociétés aux temps Préhistoriques, de L'apparition des Hominides jusqu'au Néolithique, Colloque International, Institut de France, Paris 13-16 septembre, p. 71-73.

-Breuil, H. (1952). «Les Roches Peintes Du Tassili-N-Ajjer », Actes du Congres

Panafricain de Préhistoire, II Session, Alger, p. 65-219.

-Camps. G. (1969). Amekni. Néolithique ancien du Hoggar, Paris: Arts et Métiers Graphiques, (Mémoire du CRAPE, 10)

-Camps, G. (1974). Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, Paris : Dion.

- Camps, G. (1987). « Ammon », Encyclopédie Berbère, IV, p. 577-580.

-Cordier, G (1991). « Matériel néolithique tourangeau de Mouture et de broyage », Revue Archéologique du Centre de la France, 30, p. 47-70.

-Delibrias, G., Hugot, H.-J., Quezel, P. (1957). «Trois datations de sédiments sahariens récents par le radio-carbone», Libyca (A.P.E), V, p. 267-270.

-Ferrah, A. (2002). L'Algérie civilisation anciennes du Sahara (Tadliss N' Sahara), Alger: ANEP.

-Gast, M. (2003). « Traces d'usure, frottis rituels et pseudo meules au Sahara », Cahiers de L'AARS, 8, p. 25-31.
-Hachid, M. (2000). Le Tassili des Ajjer : Aux sources de l'Afrique 50 siècles

avant les pyramides, Paris: Méditerranée, Edif.
-Huard, P., Massip, J.-M., Bruna, R. (1968). « Grands outils de pierre polie du Sahara Nigero Tchadien», Bulletin de la Société Préhistorique Française, 65, 2, p. 629-641.

-Huard, P. (1970). « Contribution à l'étude des premiers travaux agraires au Sahara Tchadienne », Bulletin de la Société Préhistorique Française, 67, 2, p. 539-558. -Huard, P., Leclant, J. (1980). La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, Alger : CRAPE (29.)

-Hugot, H.-J. (1963). Recherches préhistoriques dans l'Ahggar nord-occidental, Paris : Mémoire du CRAPE (1).

-Hachi, S. (1983). « Place du gisement de Ti –N- Hanakaten (Tassili –N-Ajjer) dans le contexte climatique saharien, paléoécologie des régions sahariennes, Actes du colloque international, Béni Abbes du 20 au 30 octobre, Centre National d'études Historiques, p.115-121

-Quezel, P., Martinez, C. (1958-1959). «Le dernier inter pluvial au Sahara Central », Libyca (A.P.E), VI-VIII-, p. 213-227.

-Roseville, G. (1912). «Note sur une forme spéciale de hache », Bulletin de la Société Préhistorique Française, 9, 1, p. 87-88.

-Vernet, R. (2001). Populations du Sahara méridional à l'holocène élément de réflexion L'homos parchébin et con purisonnement depuis 100000 ang Actes du

réflexion, L'homme maghrébin et eon environnement depuis 100000 ans, Actes du Colloque international Maghnia, 169-187.

# دور المرأة في المجتمعات الرعوية خلال فترة ما قبل التاريخ أ. بن بوزيد لخضر

جامعة محمد خيضر بسكرة

يعتقد الكثير من الناس اليوم أن المرأة حصلت في هذا الزمن على كل الحقوق التي يمكن أن تطالب بها حتى لقد أعتبر هذا الزمن العصر الذهبي للنساء، مقارنة بما كانت تعاني منه المرأة في وقت قريب وفي العديد من مراحل التاريخ، ومن هذا المنطلق قد يتبادر إلى ذهننا عدة تساؤلات حول حال المرأة في عصور ما قبل التاريخ خاصة في الفترة التي إنتشر فيها تدجين الحيوانات والزراعة ؟ فهل كانت تحتفظ بمكانتها التي لها اليوم ؟ وماهو الدور الذي كانت تقوم به ؟

# I مكانة المرأة في مجتمعات الصيادين وصيادو الاسماك وجامعي الفواكه :

لقد غلب نشاط الصيد والجمع والالتقاط على الانسان لمدة زمنية طويلة قد تصل إلى منّات الالالف من السنين، في ذلك الزمن كان الانسان يعيش في مجموعات من الرجال والنساء والاطفال، وكان الغرض من ذلك هو حماية الافراد من الاخطار التي تمثلها المجموعات الاخرى أو الحيوانات المتوحشة، وقد لاحظ العلماء من خلال دراسة عشرات المقابر أنه البقايا العظمية للنساء فيها قليلة مقارنة بالرجال، مما أثار التساؤلات حول الاسباب التي تقف وراء ذلك الامر.

لقد وجد العلماء ما يمكن أن يحل هذا اللغز، فقد لاحظت بعثة ألمانية في موقع تولهايم القريب من مدينة ميونخ في جنوب غربي ألمانيا وجود بقايا لإمرأة واحد مقابل34 هيكلا عظميا لرجال وأطفال، معظم تلك الهياكل تلقت ضربات بفؤوس على الرأس، بينما جمجمة المرأة سليمة، على الفور استنتج العلماء أن الأمر يتعلق بحرب من حروب ما قبل التاريخ فالمجموعات المتحاربة التي عاشت فيما بين 5700 و5000 قبل الميلاد، أبقت على حياة النساء في حين تم قتل جميع الرجال (284–259 :2006 على الجماعات فعلى ما يبدوا أن الناس كانوا يشنون الاغارات من أجل النساء، فالجماعات المتحاربة كانت تقتل الرجال وتبقي على حياة الاناث، فكيف نفسر ذلك ؟

لقد وجد الباحثون أعداد لا تحصى من التماثيل لنساء بدينات في انحاء متعددة من أوربا من أقصى الشرق في روسيا وبولونيا إلى أقصى الغرب في إسبانيا، كما وجدت في أقصى الشمال والجميع، ولم يقتصر على اوروبا، بل وجدت تماثل في مصر وفي سوريا وفي شمال إفريقيا، وتقريبا الاطار الزماني لهذه التماثيل يتراوح ين 40 ألف إلى 7 آلاف سنة مضت (Joussaume, R. 2010: 1-37).

فوجود تلك التماثيل تدل على القيمة الكبيرة التي كانت تحضى بها النساء في ذلك الزمن، ومن جهة ثانية فإن الحروب التي كانت تشنها الجموعات على بعضها البعض، قد لا تكون جميعها من اجل النساء، فقد تكون من أجل مناطق الصيد والغذاء، لكن ذك لا يمنع أن الناس كانوا يعانون من قلة المواليد والتعرض لمختلف الاخطار بما فيها الحروب، مما يجعل تكاثر أعداد المجموعة ضرورة ملحة، وهو ما ينعكس على مكانة النساء في تلك المجتمعات، لذلك فيمكن الجزم بأن تلك المجتمعات من الصيادين كانت مجمعات أموية.







على اليسار تمثال كتال حيوك الذي يمثل الالهة المرأة الام آلهة الارض وتعود إلى حوالي 7000 ق.م ، وفي الوسط سيدة ويندورف في النمسا وهي تعود إلى ما بين 24ألف و22 ألف سنة وعلى اليسار سيدة براسمبوي في فرنسا وتعود إلى 36 ألف سنة مضت .

#### II -مكانة المراة في مجتمعات الرعاة :

من الصعب تحديد الزمن الذي تحول فيه الانسان من الصيد إلى الرعى، وحتى الاماكن الاولى التي حدثت فها التدجين لأول مرة، فهناك مناطق عرفت التدجين في فترة مبكرة بينما ظلت شعوب أخرى تمارس الصيد إلى فترة قريبة جدا، ومن الحيوانات التي تم تدجينها أولا الذئاب قبل ما يقرب من 40 ألف سنة في شمال أوربا ، بينما ذكر بعضهم الكلاب التي حدد زمن تدجينها فيما بين 15000 و12000 قبل الحاضر( Stafford, K. 2006: محدد زمن تدجينها فيما بين 15000 4)، وفي الواقع فإن زمن تدجين الكلاب قد حدث حوله نقاش كبير بين الباحثين، فقد اعطى الباحث فرنسيس قاليبرت F. Galibert زمن أقدم يقدر ب35 ألف سنة ( Galibert, F. 2011: 190-196)، وفي منطقة الشرق الادنى فقد وجدت مقبرة بوادي الاردن بها كلب صغير مدفون بجانب إمرأة تعود إلى 12ألف سنة قبل الميلاد (Stafford, K. 2006: 4)، أما الابقار فقد دجنت في الشرق الادنى ما بين سوريا وتركيا في حوالى7800 قبل الميلاد ( Loftus, R. 27-59)، وفي جزيرة قبرص وجدت أبقار تعود إلى ما بين 8300 - 8300 ق.م ، وفي موقع آخر في سوريا يعود إلى نفس الفترة ( Le Quellec, J.-L. 2010: ) 225)، أما الاغنام فقد دجنت فيما بين 7000 و6000 قبل الميلاد فقد وجدت بقاياها في الصحراء الليبية في منطقة الاكاكوس وأرخت بين 6470 ق.م و 6060 ق.م(Hassan, F.-A. 2000: 1-15)، وقيل بأنها دجنت في جبال زاغروس بإيران منذ 9800 ق.م، أما الماعز فقد تم تدجينه لأول مرة في حوالى 7500 ق.م في إيران وفي سوريا وفلسطين(1-1: Vigne, J.-D. 1988) .

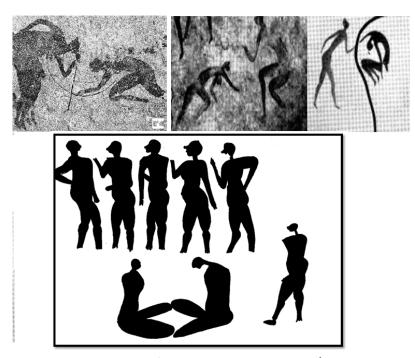
لقد أحدث تدجين الحيوانات والاستقرار تأثيرات كبيرة على الانسان في جميع المجالات حتى إعتبره الباحثين ثورة أولى قبيل ظهور الزراعة لما صاحبه من نشاطات ومن بينها صناعة الفخار وما نتج عنه من تطور فكري للإنسان وتطور الفنون.

وبالنسبة لمكانة المرأة لدى المجتمعات الرعوية لم يتغير الامر كثيرا فالرعاة أيضا كانت المرأة لديهم تحضى بالافضلية بحيث ظهرت الكثير من الشعوب الاموية في ذلك الوقت، وتم الربط بين المرأة تارة مع الشمس أوالقمر وتارة مع الحيوانات، فكثير من النساء أصبحن يمثلن بجسم إمرأة

ورأس حيوان، وإنتشرت التماثيل للنساء البدينات اللواتي يرمزن إلى الخصوبة، ولكن كان إلى جانبهن الحيوانات خاصة الابقار، وأحيانا مع حيوانات برية ترمز إلى القوة الكبيرة،وهذا ما نلاحظه في تمثال سيدة كتال حيويك في الاناضول التي تظهر واضعة يديها على أسد.

وفي مناطق الشرق الادنى والصحراء الوسطى في شمال إفريقيا خاصة مناطق الطاسيلي والهقار قد بدأ تدجين الحيوانات وإستقر الانسان ومارس الزراعة، وإرتبط بالارض فعبد آلهة ترمز للخصب، وكانت في غالبها آلهة أنثوية جسدها في مشاهد الفن الصخري\* التي أصبح لها مظهر ديني، أين أصبح للمرأة مكانة كبيرة حيث تكثر صورها في المشاهد خاصة في المرحلة الفنية المسماة "مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة" في مناطق الصحراء الوسطى، أما في النيوليتي فتظهر الفينوسات Vénus التي تسمى الربة الام التي أصبحت تظهر في وضعيات مختلفة، أحيانا قائمة وأحيانا جالسة أو انئمة وأحيانا في وضع الولادة، ويبدوا مكانة المرأة الكبيرة من خلال إهتمام الفنانين بإبراز جمالها أو إضهارها بمظهر مؤثر وقوي

ومن جهة ثانية كانت اعداد الافراد معدودة كما أن ضرورة البقاء ونماء الافراد أصبحت أكثر حدة في ضل المجتمعات القبلية لذلك كانت المجتمعات الرعوية في غالبها أمومية، فالعديد من الافراد كانوا مدفونين قرب بعضهم البعض مما يدل على الروابط العائلية التي كانت متينة وإرتباطها بالانتماء إلى القبيلة، وقد عثر العلماء على العشرات من المقابر للأطفال والنساء مدفونة بعناية ووفق طقوس مدفنية وفي شمال إفريقيا وجد الباحثون رفاة للأطفال والنساء في أنحاء مختلفة من المنطقة، منها ماهو مدفون في كهوف وإلى جانبها رسوم صخرية في منطقة تين هناكتن بالطاسيلي، مما يدل على الامومة التي كانت مسيطرة لدى المجتمعات الرعوية في ما قبل التاريخ.



مكانة المرأة الكبيرة بإعتبارها سيدة الاسرة، وفي القبيلة كانت أما أو جدة أوسيدة القوم.

خلال العصر الحجري الحديث (النيوليتي) فيما بين 10000 قبل الميلاد و 5500 قبل الميلاد، أصبحت عبادة الربات أكثر تنظيما في شكل دين شمل مجتمعات مختلفة، وقد بدأ الانسان يندمج مع الطبيعة وكل ما وهبته له الالهة، وحيث أن هذا العصر أصبحت فيه الحياة أسهل مما كانت عليه في العصر الحجري القديم (الباليوليتي) (16 :Perot, F. 2008)، فقد أصبح الانسان يربي الحيوانات وينتج الحليب واللحم ويزرع الارض لينتج الغذاء، وإرتباطه بالارض جعله يرتبط بالطبيعة أكثر فهو في حاجة إلى الامطار وفي حاجة إلى تكاثر حيواناته وأفراد عشيرته وحمايتهم من الاخطار، فإرتباطه بالطبيعة جعله يعبد ربات الخصوبة لذلك إرتبط المجتمع بالمرأة أكثر من السابق، فالارض أصبحت تعنى له الربة الام.

كان الانسان ينظر إلى المرأة على أنها تهب الحياة، فهي التي تمد العشيرة بالافراد الصالحين وتهتم بتنشئتهم ليكونوا أقوياء لحماية العشيرة والدفاع عنها، و مهما كانت عمل الرجال إذا ما كانوا صيادين أو رعاة أو

محاربين فإن دورهم يقتضى بالضرورة حماية النساء الذيم هم وحدهم يستطيعون رعاية الاولاد وتنشئتهم والحفاظ على إستمرار القبيلة ونمائها، فعلى الرغم من أن بعض مجتمعات الصيادين والرعاة قد شهدت هيمنة الرجل عليها، إلا أن ذلك لا يمنع كونهم مجبرين على حماية نسائهم وإحترامهم من أجل مصلحة القبيلة، فطالما أن المرأة كانت هي المسؤولة على تشئة الافراد فإن أغلب المجمعات كانت أمومية (Perot, F. 2008: 16).

فالمجتمعات البدائية قد ادرك ان الانثى بالطبيعة هي اصل الحياة بسبب قدرتها على ولادة الحياة الجديدة فاعتبروها اكثر قدرة من الذكر وبالتالي اعلى قيمة منه، ومن هنا سادت الفكرة في تلك العهود ان الالهة انثى وانها الهة الاخصاب والولادة والخضرة والوفرة والخير وكل شيء مفيد، ولكن معظم علماء التاريخ في العالم يجمعون على انه في المجتمعات الانسانية البدائية كانت للانثى قيمة انسانية واجتماعية وفلسفية اكثر من الذكر، وحتى ان الاله القديم كان (انثى) وانه قبل نشوء الاسرة الابوية كان المجتمع البدائي (أموميا) وكانت الام هي الاصل وهي العصب وهي التي ينسب اليها اطفالها.

إذا كان للمرأة أهمية كبيرة في حياة المجتمعات الرعوية فماهو الدور الذى قامت به ؟

## 1- الأم الكبيرة وربة الخصب:

لقد كان للمرأة دورا مهما منذ بداية ظهور البشرية فقد كان أقدم الهياكل العظمية البشرية هو هيكل لإمرأة من النوع المسمى القرد الجنوبي الافاري (Australopithecus Afarensis)، وقد أعطى لها إسم لوسي Lusy وهي كائن شبه إنساني من نوع القرد الجنوبي لكنها أكثر تطورا منه فهي تمثل مرحلة وسطى أو همزة الوصل بين اشباه الانسان من الرئيسيات (وهم من فصيلة القردة) والانسان، أكتشفت سنة 1974 في منطقة هدار Hadar في إثيوبيا وتعود إلى ما بين 4 و3.5 مليون سنة، وهي تمثل الجدة الاولى للأنسانية (Coppens, Y. 1999: 44-65)

ومع بداية حضارات ما قبل التاريخ خلال العصر الحجري القديم إستمرت المرأة تلعب دورا مهما في حياة الصيادين، ورغم أنه ليست لنا أدلة

كافية يمكن بواسطتها تحديد ذلك الدور، لكن تواجد عدد كبير من التماثيل لنساء بدينات في المواقع التي تعود إلى الباليوليتي الاعلى والنيوليتي يؤكد على إنتشار عبادة الالهة الام في أوربا وفي الشرق الادنى، فهناك العشرات وربما المئات من التماثيل التي تمثل نساء بدينات وجدت في أنحاء أوربا، منها ما يعود إلى ما بين 40 و 30 ألف سنة (أنظر اللوحة رقم 2) من أشهرها تمثال السيدة المقتعة بارليجيفوا في يوغسلافيا ( :3007) (White, R. 2006: 269).

من جهة ثانية يقول بعض الباحثين بوجود عنصر أمومة مسيطرا على حياة الإنسان و هو ما يعرف "بالأسرة الأمومية" فغالبا ما يرتبط بالنظام الأمومي بعبادة الرية العظيمة الممثلة للخصوبة (Cohen, Cl. 2007: 102) أو في صفة "الأم الكبيرة"، كما أن صورة المرأة التي تظهر في الرسوم أو في المنحوتات قد تدل على الأجداد الاسطورين وتكون الطقوس في هذه الحالة موجهة إلى الربة العظيمة (271: 2004, H. 2004)، وعند بعض الشعوب البدائية كالاستراليين وسكان الأمازون فإن المرأة خلقت قبل الرجل (E. 1999, 23)، والكثير من الشعوب الرعوية ترتبط بالنسبة لها ثنائية الرجل (Laming-Emperaire, A. 1962: 107).

وتقريبا لدى جميع الشعوب الزراعية المرأة ترمز للخصب، والارض تمثلها في العادة الالهة الانثى، أما السماء فهو مذكر، وفي معظم أساطير العالم تقريبا الشمس والقمر يمثلون في شكل إنساني ولهم جنس متعارض، فلدى قبائل الرعاة في مناطق السفانا الافريقية الشمس مذكر وهي عدوانية ومسيطرة تسيطر على النهار أما القمر فهو مؤنث ولطيف، كما توجد شعوب أخرى الشمس عندهم مؤنثة والقمر مذكر (28: 1999: Anati, E. 1999).

ومن جهة ثانية ترمز الابقار إلى الخصب وتمثل قرونها التي تهدى للمرأة مع القمر ثلاثيا مقدسا، وهو ما نجده لدى الكثير من الرعاة في إفريقيا، وهناك أدلة كثيرة على ذلك في الفن الصخري خاصة في الطاسيلي فهناك الكثير من صور النساء التي على رؤسهن قرون سواءا كن مقنعات بأقنعة حيوانية أولا، ومن بين هذه الصور المشهد الذي سماه هنري لوت السيدة البيضاء الموجود في منطقة أونرحات في الطاسيلي حيث تظهر في

المشهد إمرأة ذات قرون وهي بحجم هائل، نعتقد انها كانت تمثل ربة الخصب (Le Quellec, J.-L. 1993: 192-194)



الآلهة الانثوية في مناطق مختلفة من الطاسيلي

وقد لاحظنا من خلال دراسة الفن الصخرى في الطاسيلي ان هناك إرتباط واضح بين المرأة وخصوبة الطبيعة المتمثلة في الامطار فوجود المرأة ضروري في طقوس إستدرار المطرفي معضم الصور كما أنه لدى معظم الشعوب الافريقية المرأة تقوم بشكل رئيسى بالطقوس الاحتفالية التي يقوم بعا الرعاة طلبا للمطر ومن هؤلاء الرعاة الفولاني الذين يعيشون في غرب إفريقيا، ولدينا أمثلة عن ذلك في التاريخ القديم لبلاد المغرب، فقد ذكر  $^2$ هيرودوت أن النسوة في ليبيا يتجمعن في الأودية القريبة حول بحيرة تريتون $^2$ ويستحممن في الهواء الطلق في الصباح الباكر ثم يستعطفن الآلهة لاستدرار المطر وطلب الإخصاب (غانم، م.- ص. 2005: 16)، كما عرف عن المصريون أنهم يهبون النيل أجمل فتاة طلبا لفيضان النهر.

النساء يقمن بدور مهم فهن يحضين بالاحترام الكبير وقد يصل الأمر إلى عبادة المرأة في شكل آلهة أنثوية، والمرأة ترتبط أيضا بالقصص الأسطورية التي تركها الإنسان مرسومة على الجدران ففي غياب النصوص فإننا نستنطق هذه المشاهد لعلنا نستخرج منها أسطورة الخلق التي لاحظنا أن المرأة لعبت دورا رئيسيا فيها3\*، وقد لاحظنا أن مشاهد الفن الصخرى في الطاسيلي تقدم الكثير من الادلة على عبادة الالهة الانثوية، حيث نجد المرأة مقنعة بقناع يمثل حيوان من فصيلة الكلبيات الذي قد يكون ابن آوي فهي في هذه المشاهد تمثل آلهة للخصوبة، فقد لاحظنا وجود شعوب عديدة ترمز المرأة للأرض والرجل للسماء وقد تمثل خصوبة الأرض والسماء في شكل مشهد جنسى للمرأة والرجل، وهذا ما نجده في مشهد نادر للآلهة "نوت" آلهة السماء والإله "جب" اله الأرض في مصر (تشرني، ي. 1996 :51) ،كما تظهر المرأة في مشاهد معبرة على الأمومة، وفي التاريخ القديم كانت الربات تمثل في الصور أو في التماثيل دائما مع أطفالهن تقوم بإرضاعهم، وهذا ما نلاحظه في تمثال عشتار<sup>4</sup> \*وفي صور الربات في الحضارة المينوية في كريت، وفي صور تانيت التي كانت عبادتها تنتشر في بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني.

ومن بين المشاهد المعبرة على دور المرأة في المجتمعات الرعوية ، نجد في منطقة صفار القريبة من مدينة جانت ، مشهد يتضمن العديد من الأشخاص من المحاربين العائدين من المعركة ، يركعون أمام إمرأة طاعنة في السن تتوكأ على عصا وهي منحية الضهر (121-120 1963: 120-19) ، بقدر ما يمثل هذا المشهد من ذوق فني رفيع وتجسيدا للحياة والعواطف الإنسانية ، خاصة الأمومة ممثلة في الجدة التي يحترمها أولادها وأحفادها بشكل كبير بالقدر نفسه فإن هذا المشهد معبرا عن الخصوبة في هذه الأم الكبيرة وحولها أبناءها.

كما يوجد مشهد أخر في منطقة وان درباون Ouan Derbaouan في الطاسيلي (25 :1976 H. 1976: 87) ، يمثل امرأة طاعنة في السن تتجه لإيقاف الشجار الذي نشب بين ثلاثة أشخاص في القبيلة ، فتلك المشاهد تعبر بوضوح على دور المرأة في الحياة القبلية الذي يتخذ شكل "الأم الكبيرة" أو ربة

الخصوبة، وأحيانا أخرى تطلع بمهة إستدرار المطر للقوم بالطقوس التي تقوم بها.

وفيما يخص مشاهد الفن الصخري التي تمثل مصدرا هاما لمعرفة حياة مجتمعات ما قبل التاريخ، نلاحظ أن هناك صور كثيرة للنساء تمثل مشاهد جنسية منها مشاهد لنساء منفرجات الساقين في وضعية الولادة أو في وضعية جنسية، وتوجد إلى جانبها في المشاهد دائما حيوانات خاصة الابقار (كan Albada, A. et A.-M. 1996: 149)، فكل تلك المشاهد تعبر عن الخصوبة التي كان ينشدها الإنسان ويعبر عنها بواسطة الفن، وهذا إن دل على شيئ فإنه يدل على مكانة المرأة لدي مجموعات الرعاة، التي تقدس ثنائية المرأة والحيوان وتظهر المرأة دائما في المشاهد بحجم كبير مقارنة بالرجل مما يدل على دور المرأة في تلك المجتمعات، ويدخل في نفس المفهوم أيضا المشاهد الجميلة التي تظهر النساء بشكل واضح، فالفنانيين فيما قبل التاريخ لا يهتمون برسم موضوع معين بشكل مبالغ فيه، إلا إذا ما تعلق الامر بعلاقته بدوره الديني لديهم

### 2- المرأة المحاربة:

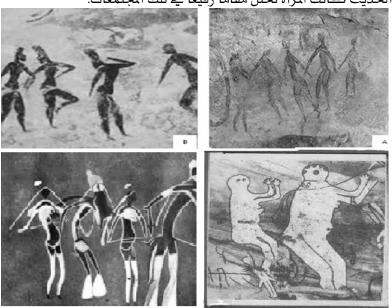
بالرغم من طبيعة المرأة اللطيفة إلا أنه في كثير من المصادر خاصة منها في التاريخ القديم جاء ذكر نساء محاربات، فقد ذكر ديودور الصقلي مجموعات عاشت في الصحراء وفي الغالب في منطقة الطاسيلي كانت تتحكم فيهم النساء عرفن بالامازونيات أو الغرغونات، ويذكر في هذا الإطار ديودور الصقلي أن النساء الأمازونيات ألامازونيات الحروب على كل فبينما يهتم الرجال بتربية الاولاد تشن الامازونيات الحروب على كل الشعوب المجاورة لهم ويوسعون مملكتهم (Diodore de Sicile. III, 53)، كما يذكر "الغرغونات" les Gorgones وهن نساء محاربات أيضا (Sicile. III, 55)، وفي زمن هيرودوت كان نساء قبيلة الزواكيس Zaueces).

ويحتمل أن بعض النساء كن يحاربن إلى جانب الرجال خاصة في المرحلة الليبية البربرية، وقد اكتشف هنري لوت H. Lhote صورا لبعض النساء المحاربات في مناطق الطاسيلي والهقار، وهو ما يؤكد ما ذكره

ذكره ديودور الصقلي عن الامازونيات، ففي موقع صفار القريب من مدينة جانت في الصحراء يوجد مشهد قتال يمكن تمييز بعض النساء في الصور من خلال أثدائهن (148 :Lhote, H. 1959)، وفي موقع تين أبوتاكا البعيدة نسبيا عن جانت في منطقة الطاسيلي نجد مشاهد للرماة يدل مظهرهم على أنهم من النساء (171 :Lajoux J.-D. 1963).

### 3- الاعمال التي كانت تقوم بها المرأة:

المعروف أنه خلال العصر الحجري الحديث عند إنتشار الزراعة وتدجين الحيوانات على نطاق واسع وتحسن ضروف الحياة للإنسان إزدادت رابطة القبيلة والعائلة أكثر مما كانت في مرحلة الصيد والجمع والالتقاط في العصر الحجري القديم، وكان للمرأة دورا كبير في هذا التحول حيث أن كانت مسؤولة عن إكتشاف الزراعة، وكان لها دورا في تربية الحيوانات، أما صناعة جرار الفخار فقد كان من إختصاصها حيث تدل على ذلك اللمسات الفنية في زخارف الفخار، وخلال العصر الحجري الحديث كانت المرأة تحتل مقاما رفيعا في تلك المجتمعات.



طقوس دينية وعبادة مختلفة تضطلع بها النساء في الطاسيلي.

وقد تم إكتشاف مشاهد في منطقة تيسوكاي Tissoukai واهيرن الموت وهيرن وقد تم إكتشاف مشاهد في منطقة تيسوكاي Tissoukai واهيرن المور نصب المحيام التي تقوم بها المرأة (Aïn Seba, N. 2002: 4)، واليوم لدى الطوارق المرأة هي من تصنع الخيمة وهي التي تستقبل الضيوف، كما أن الطفل يرث المجاه والثروة عن طريق الأم فعندما يموت الزعيم يخلفه ابن أخته و ليس ابنه (العربي، إ. 1983: 177).

ظلت المرأة تحضى بالمكانة الكبيرة لدى الرعاة ففي المشاهد الفنية التي تمثل مرحلة الحصان والتي تعرف أيضا بالمرحلة الليبية البربرية، نلاحظ أن المرأة تصحب الرجل في رحلاته و تبدوا في المشاهد اكبر حجما منه، وفي مشاهد الرعاة تشارك المرأة إلى جانب الرجل في العمل، كما أنها تتنقل معه حيث وجدنا مشهد في منطقة صفار يمثل امرأة تتبع رجلا ( .Hugot, H.-J. ) وعيث وجدنا مشهد في من كانت تقوم بنصب الخيام، وفي مشاهد منطقة إهرن المرأة هي من كانت تقوم بنصب الخيام، وفي مشاهد ويرتحلن مع القبيلة، وفي نفس المنطقة توجد عدة مشاهد لنسوة يقمن بنصب الخيام، كما توجد مشاهد مماثلة في منطقة تيسوكاي Tissoukai غير بعيد عن صفار لنساء يقن بنصب الخيام، بينما يقوم الرجال بحلب الابقار لمساعدة النساء التي يبدوا أن لهن القيادة في القبيلة، وذلك من خلال مظهرهن الارستقراطي ولباسهن الفضفاظ (£ Aïn Seba, N. 2002).

وفي هذا العصر لا يزال اليوم لدى الطوارق المرأة هي من تصنع الخيمة، وهي من تستقبل الضيوف وتهتم بشؤون البيت وتتصرف في الاموال، ولا يملك الرجل إلا أن يعمل أو يسافر في رحلات طويلة لجلب المؤن، ويعتبر الطوارق الزواج بمثابة بناء الخيمة، حيث المرأة ركيزتها الاساسية، والمعروف أنه إذا ما توفي شيخ القبيلة فإن الذي يرث مكانه هو إبن أخته وليس إبنه، وقد بقي الطوارق منذ أزمنة بعيدة محافضين على عاداتهم، وهم بمنئ عن المؤثرات الخارجية، حيث أنهم رغم كونهم يعيشون حياة قاسية في الصحراء إلا أنهم من الشعوب القليلة في العالم التي بقيت أمومية إلى هذا العصر





تقوم المرأة بأعمال كثيرة في مجتمعات الرعاة في الطاسيلي







على اليمين (مرأة تشارك في ذبح الحيوان مع الرجال في منطقة (هرن بالطاسيلي ، وعلى اليسار (مرأة تمسك بيكرة في منطقة تين شروما .Tin n-Sharuma في ليبييا تقوم المرأة أيضًا بجميع أعمال الرعاة وتصحبه الرجال في رحلاتهم وفي غزواتهم أيضًا

تقوم المرأة بجميع اعمال الرعاة وتصحب القبيلة في تنقلاتها وتقوم بنصب الخيام.

## 4- المرأة و السحر والكهانة:

يميل بعض الباحثين إلى القول بوجود دور ديني وسحري للمرأة في ما قبل التاريخ، وذلك لا يقتصر على ما قبل التاريخ ففي هذا العصر لا تزال المرأة تطلع بدور سحري وديني لدى السكان الأصليون في استراليا وفي مناطق من سيبيريا (Cohen, Cl. 2003: 100).

ولدى تلك المجتمعات عادة ما تكون زعامة القبيلة في يد الساحر، والذي يطلق عليه أيضا الشامان في سيبيريا الروسية، وعادة ما تكون إمرأة هي من تطلع بهذا الدور، حيث تقوم بمهمة الطبيب والمشعوذ في القبيلة، ولها الدراية في التحكم في القوي فوق الطبيعية، حيث تنتابها حالات ذهنية شاذة كعلامات على صلتها بالقوي الخارجة عن الكون تقوم بواسطتها بحل مختلف المشاكل في القبيلة وعادة ما تعتقد تلك الشعوب بدور كبير للأرواح في حياتهم (الميرا، إ.- ع. 1982:222 ).



لظاهر سحرية لنساء بزينات جسدية كبيرة في منطقة صفار بالطاسيلي



نساء يتجهن إئى الجبال لأداء طقوس سحريا

و إذا كان هذا الامر موجودا اليوم فإن الشامانية كانت من أهم مظاهر مجتمعات ما قبل التاريخ وفق رأى الباحث جون لوكلاك Le (Quellec, J.-L. 2006: 248) و يمكن بسهولة ملاحظة تلك المعتقدات الروحانية<sup>6</sup>\* التى تتميز بها الشامانية في مشاهد الفن الصخري في الطاسيلي خاصة في مرحلة ذوى الرؤوس المستديرة فالباحث فرانسو سولاهافوب . Soleilhavoup فسر مشاهد الشخصيات السابحة في منطقة جبارين القريبة من مدينة جانت بالطاسيلي على أنها تمثل شامان في رحلة بحث عن الأرواح، كما فسر بعض الرموز الدائرية على أنها تمثل طبل الشامان الذي يقوم بواسطته بالتحضير للإتصال بالارواح (Soleilhavoup, F. 1998: 239-241).

إلى جانب الدور الديني قد تمثل المرأة كساحرة أو كاهنة ففي مشهد أوان تماوتUan Tamaout في الاكاكوس الليبية تظهر امرأة في صورة ساحرة يأتى إليها رجلان بفتاة صغيرة كى تعلمها الأسرار الدينية والسحرية (Hugot, H.-J. 1974: 159) وعلى مر التاريخ لعبت المرأة دورا كبير في السحر فقد عرفت الكثير من الساحرات اليونانيون مثلا عرفوا العديد من الساحرت التي يطلق عليهن ايضا الكاهنات ومن اشهرن كاهنة دلفي

الشهيرة، وفي مشاهد الفن الصخري الصحراوي تظهر بوضوح المكانة الرفيعة للمرأة في هذا المجال، ففي مشهد في منطقة جبارين بالطاسيلي يوجد مجموعة من الاشخاص معظمهن من النساء وبعضهن حوامل، يصعدون إلى الجبل وعلى ما يبدو هم في طريقهم لإقامة طقوسهم في أماكن تعتبر بالنسبة لهم أماكن مقدسة، حيث تبدوا إمرأة تتقدم الموكب من الواضح أن تلك المرأة كانت تطلع بدور ديني أو سحري بالنسبة لهولاء الاقوام، وتلك الملاجئ الصخرية كانت أماكن مقدسة يتعبدون فيها مثلما يضهر في هذا المشهد (15-50 Lajoux, J.-D. 1963)، ويبدوا أن للنساء دورا كبيرا في هذا المجتمع فتلك السيدات البدينات مطلعات على الأسرار الدينية وهن يقدن الجميع نحو المكان الذي يتعبدون فيه.

و هناك إشارات على أتقان سكان بلاد المغرب القديم للسحر فقد ذكر هيرودوت أن النسامون وهم من القبائل الليبية كانوا يقومون بالنوم فوق القبور وكل ما يأتيهم من حلم أثناء نومهم يعتبرونه بمثابة الوحي ويعملون به، وهنا يذكر قزال Gsell أن نساء الطوارق يقومون بالنوم قرب القبور من أجل معرفة أخبار أزواجهم الغائبين (Gsell, S. 1916: 184).

### 5- المرأة والفن:

يسود الاعتقاد بين الباحثين أن المرأة لها علاقة بنسبة كبيرة من الرسوم الصخرية، فالمرأة قد تكون هي من نفذت أغلب الرسوم الصخرية، وربما يستدل على ذلك بكثرة مشاهد النساء الحوامل والحيوانات، كما أن معظم المشاهد لا تعبر عن العنف فمشاهد القتال قليلة جدا، و إن وجدت فهي لا تتضمن جرحى أو قتلى وذلك يتناسب مع طبيعة المرأة، وبما أن الفخار يعرف على أنه من صنع النساء وزخارفه تشبه إلى حد كبير الزينات الجسدية والوشم للنساء في الصور، فهذا يدل على أن المرأة هي التي نفذت الكثير من المشاهد.

والادلة التي تؤكد أن أغلب المشاهد من تنفيذ النساء، قد تأتينا من الكتابات البربرية في الصحراء ففي إحدى المشاهد، ففي إحدى الكتابات في البوقار يمكن أن نقرأ العبارة التالية «أنا نانا أقدم تحياتي إلى جميع الشباب»، بينما في كتابة أخرى «أنا هاووا اقدم تحياتي إلى أق رام ه»، وفي

الآخرى «أنا فاطيماتا اقدم تحياتي لسيدي موسى» هذا الآمر جعل الباحث هنري لوت يعتقد جازما أن الكتابات البربرية في معظمها تعود للنساء(155 :155 للفرة الله للفرة الطارقية هي الوحيدة التي تحسن الكتابة بحرف التيفناغ البربري بينما لا يحسن الرجال ذلك، وهي من تحافظ على الثقافة والتقاليد وتورثها للأجيال الجديدة.

ومن خلال تحليل الفنون في الكهوف الاوربية لاحظ الباحثون أن المرأة هي من نفذت أغلب الرسوم الصغرية التي تعود إلى العصر الحجري القديم، فالاسلوب الانثوي بارز بشكل كبير، وهو ما نلاحظه في النحت أيضا حيث أن معظم المنحوتات هي لنساء، وفي الفن الصحراوي تكثر مشاهد النساء والمظاهر الجمالية وتندر مشاهد العنف والحروب، ومشاهد الرعاة التي تتمثل في نصب الخيام والحلب والحياة اليومية، ومما يؤكد ما نذهب إليه هو وجود نسبة كبيرة من المشاهد تعبر عن الخصب وطلب الاولاد من خلال كثرة المشاهد الجنسية، وهذا يعكس رغبة النساء في الاولاد، وكذلك وجود العديد من الرموز التي تفسر على أنها من اجل الحماية السحرية للمرأة والاولاد.

فكل تلك الادلة تؤكد أن المرأة لعبت دورا كبيرا في العديد من الانجازات الفنية من نحت التماثيل إلى صناعة الفخار وإنجاز الفن الصخري (Power, C. 2004: 75-77)، وبواسطة هذه المنجزات حافظت المرأة على تراث تلك المجتمعات الموغلة في الزمن، وفي الوقت الذي كان الرجل فيه منشغل بتحصيل لقمة العيش فان المرأة كانت تضطلع بمهمة الحفاظ على الثقافة الانسانية من الاندثار.

## 6- سيدة القوم:

كان للكثير من النساء في التاريخ ولا يزال دورا سياسيا فقد اصبح بعضهن ملكات مثل ملكة سبأ في اليوم، والتي جاء ذكرها في سورة النمل، قال الله تعالى « ...فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، إني وجدت إمرأة تملكهم وأوتيت من كل شيئ ولما عرش عظيم» (سورة النمل، الاية 22- 23)، أما في عصور ما قبل

التاريخ فإن الكثير من القبائل كانت تحكمها النساء، التي كانت تجمعها بين السلطة السياسية والدينية، وهناك الكثير من المشاهد في الفن الصخري التي تحاط المرأة فيها بمظاهر التبجيل والاحترام الكبير، وبعضهن يظهرن في شكل قاضيات يشرفن على جلسة محاكمة، فالمشهد الذي إكتشفه هنري بروي وسماه الاتهام وهو متواجد في منطقة إيدوتيسوكاي في الطاسيلي، يتم عقد محاكمة تتزعمها إمرأة، ويدل هذا المشهد على سلطة المرأة التي تمثل سيدة القوم، حيث يطاطا الرجل المذنب رأسه في حضرتها.

تدل المشاهد المختلفة على أن العديد من الشعوب كانت تحتل فيها المرأة مكانة كبيرة تصل إلى حد التقديس، ولا نستغرب اليوم ما تحضى به المرأة لدى الطوارق من أهمية، حيث تحتل المرأة دائما مكانا مركزيا في المشاهد الصخرية، وسواء كانت إمرأة طاعنة في السن يحترمها أولادها، أو إمرأة جميلة يتودد إليها الرجال، أو سيدة متزوجة يعمل الرجل طاقته لإسعادها، والقليل من المشاهد تشذ على هذه القاعدة حيث نجد المرأة تخضع لسيطرة الرجل، وتزداد مكانة المرأة حتى عند الشعوب التي تخضع لسيطرة الرجل، فالمرأة عندما تلد مولود ذكرا فانها ستكون محل التبجيل من طرف المجتمع، وهذا ما يظهره مشهد في منطقة إهرن في الطاسيلي، حيث تتحلق مجموعة من النسوة والرجال حول إمرأة يبدو أنها رزقت بطفل بينما يحمل آخرون هدية لها (Hallier, U.-W et B.-C. 2009: 35)

تلك المكانة الكبيرة التي كانت تحضى بها المرأة لم تستمر في الفترة التاريخية إلا في بعض الحالات، حيث إزدادت سيطرة الرجل في العديد من المجتمعات، وقد لاحظ الباحثون أنه مع التغير في النشاط الاقتصادي للإنسان من الصيد ثم الرعي إلى الاستقرار والزراعة تغيرت مكانة المرأة، حيث فقدت المرأة مكانتها بشكل تدريجي، والسبب يعود بالدرجة الاولى تغير النشاط الاقتصادي، فالظروف الاقتصادية خاصة روح التملك، جعلت الرجل يتعلم الطمع وملكية الارض والعبيد والاطفال وبالتالي ملكية المرأة، ويمكن أن نضيف إلى ذلك التطور الفكري، حيث ظهرت الافكار الدينية، فقد أعتبرت الفلسفية التي تحتقر المرأة وكذلك بعض الافكار الدينية، فقد أعتبرت

المسيحية أن المرأة مسؤولة عن إخراج آدم من الجنة، وظهرت الكثير من الاحكام الدينية والمحرمات في الكثير من الديانات التي تحط من قيمة المرأة، إلى أن جاء الاسلام الذي أعاد للمرأة إنسانيتها وأعطاها مكانتها الصحيحة في الاسرة والمجتمع.





مشاهد من منطقة إهرن بالطاسيلي جنوب شرق الجزائر







مشهد في جبارين الطاسيلي

# تحتل المرأة مكاتة كبيرة في مجتمعات الرعاة تدل على ذلك مظهرهن في المشاهد هوامش إضافية :

\*قسم الباحثون في الفن الصغري الصحراوي هذا الفن إلى مراحل تبعا للحيوان الذي مثله الانسان بقوة أو تبعا للنشاط الذي مارسه الانسان وهذه المراحل هي :مرحلة الجاموس العتيق وتمثل الصيادين وهو في معظمها نقوش صغرية ، و مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة وهي تمثل الصيادين والرعاة وهي في معظمها رسوم صغرية ، و مرحلة البقريات وتمثل الرعاة وهي عبارة عن نقوش ورسوم ، و مرحلة الحصان وتسمى أيضا المرحلة اليبية البربرية وتمثل محاربين من الرعاة ومعضمها نقوش على الصغور وفي هذه المرحلة دخلت المنطقة في التاريخ ، و مرحلة الجمل وتمثل الرعاة البربر في الفترة التاريخية .

2\*تريتون Tritonis قال عنها قزال أنها منطقة السرت الصغير، وقد يمثل تريتون إله البحيرة نظرا لوجود طقوس يقوم بها الاوزيس Auses كل سنة حول هذه البحيرة.

\*ألعبت المرأة دورا رئيسيا في أساطير الخلق المصرية أيضا فالآلهة "نيت" آلهة منطقة سايس في غرب الدلتا التي تعتبر من أكثر المناطق المصرية اتصالا بالليبيين ، ورد ذكرها في ما قبل الأسرات ضمن فخار نقادة ، اعتبرت أم "رع" انبثقت من ذاتها ثم صارت بقرة ثم سمكة أضاءت البصر بعينها في الوقت التي كانت الأرض مليئة بالظلمات فخلقت النور ، ينظر :خزعل الماجدي (1999) 81:

\* عشتار أو عشتاروت ذكرتها التوراة ومما جاء ذكره أن معابدها كانت منتشرة في أنحاء الساحل الكنعاني .، كامت معبودة كل المدن الفينيقية ويقال بأن الفنيقين نقلوها إلى بلاد الاغريق حيث عرفت هناك بإسم أفروديت ، كما إنتقلت إلى قرطاجة وبلاد المغرب بإسم تانيت ، أنظر : جون مازيل، (1998) 33.

\*5 تعني هذه الكلمة المنزوعات الأثداء لأن هؤلاء النسوة يقومون بحرق أثداء البنات الصغار حتى يوقفن هذا العضو عن النمو فلما يكبرن يصبحن قادرات على الرمي بالنبال.

<sup>6</sup>\*الروحانية: هي الاعتقاد بوجود كائنات غير مفهومة وغير محسوسة وغير مادية قد تكون أرواح أو أشباحا وعفاريت تمثل السلف أو الحيوان أو النبات أو أى شيئا آخر مثل نهرا أو بحيرة.

#### البيبلوغرافيا:

#### المصادر:

-Diodore de Sicile. (1834). Bibliothèque Historique, trad. Hoefer F., Paris: Imprimerie Royale.

#### المراجع :

- الماجدي، خزعل.(1999) . الدين المصرى، الأردن: دار الشروق.
- إسماعيل، العربي. (1983). الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
  - الميرا، إسماعيل على. (1982). السلالات البشرية، بيروت: دار عزالدين للطباعة والنشر.
- جون، مازيل. (1998). الحضارة الفينيقية الكنعانية ، ترجمة ربا الخش اللاذقية، سوريا دار الحوار.
- ياروسلاف تشرني(1996) الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدري ، الأردن: دار الشروق.

- غانم محمد الصغير (2005) الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، الجزائر: دار الهدى.
- -Aïn Seba, N. (2003). «L'art des origines.», Algérie, deux millions d'années d'histoire. L'art des origines, Dijon: Musée de Préhistoire d'Île-de-France / Museum d'Histoire Naturelle de Dijon, p. 15-41.
- -Anati, E. (1999). La religion des origines, trad. Patrick M., 2<sup>eme</sup> édition, France: Bayard.
- -Cohen, Cl. (2003). La femme des origines. Images de la femme dans la préhistoire occidentale, Paris : Belin-Herscher.
- -Cohen, Cl. (2007). «L'art rupestre et les rôles de la femme au Paléolithique », Valcamonica Symposium, p. 99-106. (http://www.mbcommunication.net/download/press/4/TestiRelatori/cohen.pdf)
- -Coppens, Y. (1999). Le genou de Lucy, Paris : Odile Jacob.
- -Delporte, H., Clottes, J. (dir) (2004). La grotte de la vache (Ariège). Les occupations du Magdalénien, Paris: CTHS.
- -Galibert, F., Quignon, P., Hitte, Ch., André, C. (2011). «Toward understanding dog evolutionary and domestication history», C. R. Biologies, 334, p. 190–196.
- -Gimbutas, M. (2007). The Goddesses and Gods of Old Europe, 6500-3500 B.C.: Myths and Cult Images, California: University Of California Press.
- -Gsell, S. (1916). Hérodote textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, Alger: Adolphe Jourdan.
- -Gsell, S. (1913-1929). Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris: Hachette.
- -Hallier, U.-W. et B.-C. (2009). «The People of Iheren and Tahilahi», The World of Petroglyphs, 39, p. 1-73.
- -Hassan, F.-A. (2000). «Holocene environmental change and the origins and spread of food production in the Middle East», Adumatu, 1, 7-28.
- -Hugot, H.-J. (1974). Le Sahara avant le désert, Toulouse: Hespérides.
- -Joussaume, R. (2010). « Des « Vénus » aux « Déesses-mères ». Images de la femme dans la Préhistoire ». (http://www.gvep.fr/documentation/diaporamas/Femme\_Prehistoire.pdf).
- Lajoux, J.-D. (1963). The rock paintings of Tassili, London: Thames and Hudson.
   Laming-Emperaire, A. (1962). La signification de l'art rupestre paléolithique.
   Méthodes et applications, Paris: Picard.
- -Lhote, H. (1959). « Nouvelle contribution à l'étude des gravures et peintures rupestres du Sahara central : La station de Tit (Ahaggar) », Journal des Africanistes, v. 29, n° 2, p. 147-192.
- -Lhote, H. (1976). Vers d'autres Tassilis. Nouvelles découverts au Sahara, Paris: Arthaud.
- -Le Quellec, J.-L. (1993). Symbolisme et art rupestre au Sahara, Paris: L'Harmattan.
- -Le Quellec, J.-L. (2006). « Chamanes et martiens, même combat! Les lectures chamaniques des arts rupestres du Sahara », Lorblanchet M., Le Quellec J.-L., Bahn P.-.G. et al., Chamanismes et arts préhistoriques: Vision critique, Paris: Errance.
- -Le Ouellec, J.-L. (2010). « Traite et insufflation sur les images rupestres du Sahara contredisent l'hypothèse de la consommation du lait comme "révolution secondaire" en Afrique », Cahiers de l'AARS, n° 14, p. 205-246.
- -Loftus, R.-T., MacHugh, D.-E., Bradley, D.-G., Sharp, P.-M., Cunningham, P. (1994). «Evidence for two independent domestications of cattle», National Academy of Sciences, 91 (7), p. 2757-2761.
- -Perot, F. (2008). The Re-emergence of the divine feminine and its significance for spiritual, psychological and evolutionary growth, Florida: Boca Raton.

- -Power, C. (2004). «Women in Prehistoric Art», in New Perspectives on Prehistoric Art, London, p. 75-103.
- -Price, T.-D., Wahl, J., Bentley, R.-A. (2006). «Isotopic Evidence for Mobility and Group Organization Among Neolithic Farmers At Talheim, Germany, 5000 BC », European Journal of Archaeology, v. 9, p. 259-284.
- -Soleilhavoup, F. (1998). « Images chamaniques dans l'art rupestre du Sahara », L'Anthropologie, 36 (3), p. 201-224.
- -Stafford, K. (2006). «The domestication, behaviour and use of the dog, the welfare of dogs», Animal Welfare, v. 4, p. 1-29.
- -Van Albada, A. et A.-M. (1996). «La femme, le chat, l'aurochs et le rhinocéros dans Le Néolithique Saharien». Anthropologie, 33 (3), p. 145-170.
- -Vigne, J.-D. (1988). «Les grandes étapes de la comestication de la chèvre : Une proposition de son statut en Europe Occidentale», Ethnozootechnie, n° 41, p. 1-14. -White R. (2006). «The women of Brassempouy: A century of research and interpretation», Journal of Archaeological Method and Theory, v. 13, n°. 4, p. 251-304.

# موسوعة الفلاحة الأفريقية الهوية والأهمية

أد. العربي عقون جامعة قسنطينة 2

لا يزال تاريخ المنطقة الشمال أفريقية على العموم والقديم منه على وجه الخصوص كما شاء له مدونوه ومؤولوه أن يكون، منذ المؤرخين الأوائل من الإغريق والرومان؛ وهو أتّه تاريخ مكتوب بنزعات لا تخفى على القارئ الحصيف وكان يراد له أن يسلب هذه البلاد مجدها ونتاجها الفكرى والحضارى وخاصة الأعمال التي تمثل الريادة.

من أبرز الأعمال التي ساهم بها الشمال الأفريقي القديم في الحضارة الإنسانية موسوعة الفلاحة الأفريقية (القرن الثالث ق.م.) التي هي دون منازع وباعتراف الرومان أعظم عمل علمي في عصرها وستظل كذلك على امتداد قرون ، وهي التي أسست للعلوم الزراعية وعليها تتلمذ الإغريق والرومان ومع ذلك يراد لهذا العمل العلمي ألا يكون نتاجا علميا للشمال الأفريقي القديم وأنّه ليس إلا سلعة كباقي السلع التي روج لها البحارة الفينيقيون مع أنه ظل على امتداد قرون المرجع الأساسي في مجاله وتقول المصادر الرومانية أنه العمل "الوحيد"؟ الذي نقل من الشمال الأفريقي إلى روما وترجم إلى اللاتينية بأمر من مجلس شيوخها.

درج هواة الكتابة في التاريخ على تفكيك حلقات تاريخ الشمال الأفريقي لإدخال حلقات تلفيقية ضمن صيرورته التاريخية ولتحويل مسار تاريخ هذه البلاد في الاتجاه الذي يريدون، من ذلك أن هؤلاء وخاصة منهم كتاب الفترة الكولونيالية هم الذين أحدثوا قطيعة بين حضارة فجر التاريخي والفترة التاريخية لإدخال العنصر الفينيقي ضمن حلقات التسلسل التاريخي في الشمال الأفريقي القديم وهذا في نص تاريخي تسيطر عليه وتوجهه النزعة الاستعمارية التي لا ترى في الشمال الأفريقي سوى أريافا خالية من أي مظهر حضاري ولا ترى في الأفارقة (قدماء الأمازيغ) إلا جماعات بدائية تعيش على الصيد والقنص ومن هنا يتم إقحام البحارة الفينيقيين في المشهد التاريخي الشمال الأفريقي القديم بحيث "يؤسس" هؤلاء لحضارة فينيقية مشعة تلقي المسماة "مصارف فينيقية هشدة التركيب المسماة "مصارف فينيقية على النوابات المنبرك إلى حد كبير يسهل على هؤلاء القول بأن بحارة صور على المفبرك إلى حد كبير يسهل على هؤلاء القول بأن بحارة صور على

الخصوص هم من "علّموا" قدماء الأمازيغ الزراعة والكتابة والنظم السياسية والإدارية ...الخ!.

البحث في أصول وهوية هذا العمل العلمي وأهميته وعلاقته بالبيئة الزراعية التي ولد فيها هو الموضوع الذي سنتناوله في مداخلتنا الموجزة هذه للخروج ببعض الاستنتاجات والرؤى الجديدة التي يمكن أن تصحح التاريخ وأن تعيد لمنطقتنا ما سلب منها.

### أصول الزراعة الأفريقية وقدمها

لقد حمل إلينا التطوّر العلمي الحديث خاصة خلال القرن الـ XX أدوات ووسائل بحث جديدة لاسيما في مجال الأبحاث الأثرية ومع أنها هي الأخرى لم تسلم من سيطرة النزعة الأيديولوجية إلا أنّ زوال الاستعمار وتحرر الفضاء الأكاديمي تدريجيا يمكن أن يصحح الكثير من المغالطات التي تملأ الكتابات "الكولونيالية" إذا تصدى للعمل الأكاديمي فريق يمتلك آليات البحث متخذا إياها أداة طيّعة في خدمة رؤية وطنية تؤسس لنص تاريخي متحرر من إملاءات النزعات الأيديولوجية الكولونيالية، غير أنّ السير في هذا الاتجاه لا يزال في أوله لأن انحسار الأيديولوجيات الاستعمارية يمكن أن يفسح المجال لأيديولوجيات أخرى تعمل لصالح "إنية مركزية (Egocentrisme) أخرى.

لقد اهتم بالبحث في أصول الزراعة الأفريقية عدد من الباحثين الرواد مثل بالو الذي تمكن من جمع أدوات من موقع تاسبنت (Tazbent) يمكن اعتبارها "عتادا فلاحيا" يقيم الدليل على وجود زراعة في الشمال الأفريقي خلال العصر النيوليثي المتأخر على الأقلّ وهو حسب رأيه ما يدعم فرضية تقول أنّ صناعة هذا العتاد كانت في خدمة حضارة زراعية ( .1955 458 قد شد انتباههم شبكة من خطوط ترسم قطعا رباعية في الصورة الجوية الملتقطة لموقع تاسبنت، ومن خلال عديد الدراسات التي حظي بها المكان اتضح أنها الشكل الأول للتهيئة الزراعية وفي هذا السياق كتب شوفاليي : " ... هذا الشكل الأول للتهيئة الزراعية وفي هذا السياق كتب شوفاليي : " ... هذا أصل محلّي، لقد تولّدت الفكرة من طبيعة البلاد الأفريقية ذاتها" أصل محلّي، لقد تولّدت الفكرة من طبيعة البلاد الأفريقية ذاتها" (Chevalier, R. 1958: 149-159).

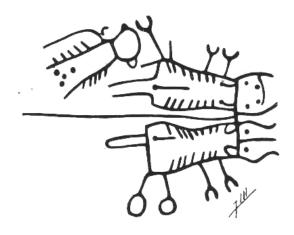
ومثله يعلق غابريال كامبس قائلا:

"... إذا ثبت أنّ المنشآت الهيدروليكية في تازبنت سابقة للرومان، فهل هي من عمل النوميد؟ وللدقة أكثر هل هي نتاج ملموس لسياسة ماسينيسا

الزراعية ؟ وعموما فإنّ لديّ أسبابا قوية تدلّ على أنّها سابقة للفترة الرومانية" (كامبس، غ. 2012 : 132).

هذا السؤال الوارد في الاقتباس - عن المنشآت الهيدروليكية في تاسبنت أهي سابقة للرومان، وهل هي من عمل النوميد - لم نجد له مثيلا عندما يتعلق الأمر بأوربا، كأن يتساءل المؤلف مثلا في حال جبل بيقو (Bégot) على الحدود الفرنسية الإيطالية ، الذي قارن به آثار النيوليثي في الشمال الأفريقي، بشيء يشبه تساؤله هنا، أي أن يشكّك مثلا في أن تلك البقايا من صنع شعوب أخرى، لكن النزعة التشكيكية في قدرات الأفارقة على الإبداع دائما حاضرة، ولعل المؤلف وهو ينجز بحثه في عز الثورة الجزائرية كان لا يزال تحت وطأة المركزية الأوربية وشعور الاستعلاء على شعوب العالم وخاصة الشعوب التي لا تزال آنذاك ترزح تحت وطأة الاحتلال.

في كهف الأروية بالشافية (ناحية القالة) وجدت جدارية صخرية تمثل مشهدا فلاحيا يضم حيوانات وأدوات زراعية أمّا رسومات الأطلس المراكشي فهي أوضح وأكثر دلالة وخاصّة مشهد الحرث الشهير في موقع اعزيب ن'ايكيس (Azib n'Ikkis) (بعد أن درس غابريال كامبس كل هذه الأدوات استخلص بأنّها "تنمّ عن وجود فلاحة بروتوتاريخية لا يعود الفضل فيها لقرطاج البتّة (كامبس،غ. 2012: 231).

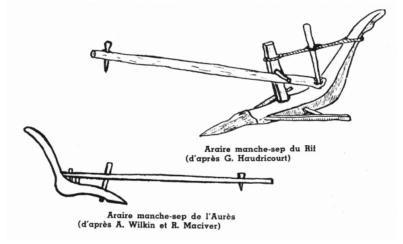


ش. 1 مشهد حرث، نقش صخري من اعزيب ن'ايكيس

يأتي المحراث الخشبي الشمال أفريقي على رأس العتاد الفلاحي القادم من أعماق تاريخ هذه البلاد ولا يزال الفلاحون في المناطق الجبلية يستنسخون منه محاريثهم جيلا بعد جيل وهو محراث متفرّد وأصيل اخترنا منه نموذجين هما محراث المنطقة الأوراسية (الجزائر) ومحراث منطقة الريف (المغرب) اش. 3 لولا ريب أنهما امتداد للشكل الأول الذي احتفظ به الرسم الصخري في موقع اعزيب ن'ايكيس اش. 11، (-849:848) كما جاءت الأنثروبولوجيا الثقافية لتؤكّد أصالة هذا العنصر الهام في العتاد الفلاحي الشمال أفريقي بحيث أنّ كل مفردات مكوّناته أمازيغية وتقابلها مفردات منحوتة من الدارجة تؤدّي ذات المعنى -1 :1918 لحدول أدناه :

| 9. B                         | BERBÈ                 | RE.                | ARABE.      |          |  |
|------------------------------|-----------------------|--------------------|-------------|----------|--|
|                              | DIALECTE<br>algeries. | DIALECTE marocain. | he file     |          |  |
| Charrue                      | måoun                 | uzrar              | el mouhráts | المحماث  |  |
| Age                          | aismoun               |                    | es seitem   | السعم    |  |
| Soc (de bois)                | tissilts              | 4                  | el ouzáda   | الوساءة  |  |
| Oreilles du soc              | imizzar               |                    | el ourdenin | الورونين |  |
| Soc (de fer)                 | tagorsa               | teguersa           | es sekku    | السكه    |  |
| Manche                       | tafeloust             | N                  | el owlu     | الوصلة   |  |
| Trous de l'age               | if lu                 |                    | el mkheroug | الخنموف  |  |
| Joug                         | azaglou               | W                  | el med'imed | المصمع   |  |
| Chevilles centrales du joug. | iskak                 | <b>W</b> SCC       | el mråidj   | المهامج  |  |
| Bande de cuir                | tazitma               |                    | el medjbed  | الخبيج   |  |
| Tiges latérales du joug      | tikhlal               | 4                  | el khraiat  | الخلايات |  |
| Coussinet                    | tidfassin             |                    | el fudia    | العنايه  |  |
| Aiguillon                    | anzel                 |                    | el micanes  | المصمن   |  |
|                              |                       |                    |             |          |  |

ش 2 أسماء مكوّنات المحراث البربري بالدارجة والأمازيفية



## ش 3 المحراث البربري

هذه الزراعة الأفريقية ظلت تتطور على يد الفلاحين من قدماء الأمازيغ ولنأخذ أحد شهود فترة حكم ماسينيسا وهو بوليب، الذي أشاد بالملك وبازدهار الزراعة النوميدية في عهده يقول في هذا الشأن:

""... إنّه العمل الكبير والرائع فقبله كانت نوميديا بطبيعتها غير مجدية،ولا تستطيع أنّ تقدّم إنتاجا زراعيا، إنّه الأول والأوحد الذي أظهر بأنّها يمكن أن تنتج كلّ الخيرات، مثلها مثل غيرها من الأقطار، لأنّه قام بتهيئة مساحات شاسعة تهيئة جيّدة"(Polybe. XXXVI, 16).

في هذا السياق جمع غابريال كامبس العناصر التي تدعم حقيقة قدم الزراعة الأفريقية، التي كانت بداياتها سابقة بقرون طويلة على وصول البحارة الفينيقيين إلى سواحل المنطقة، فبالإضافة إلى المعطيات الأثرية، هناك الدراسات العلمية التي أثبتت قدم الزراعة الشجرية والحقلية في المنطقة، وقد تتبع المؤلّف مراحل تدجين الأشجار المثمرة، وأثبت معرفة الأفارقة للتطعيم وتحويل الزيتون البري إلى زيتون بستاني قبل وصول الجالية الفينيقية، وفي ردّه على القائلين بالأصل الفينيقي للزراعة الأفريقية استنتج أنّ المعطيات الأثرية والألسنية تثبت الأصل الأفريقي وكما كتب جان ديبوا "... ليس ضروريا دائما لشرح التقنيات الزراعية في بلد ما، الرجوع إلى التأثيرات الخارجية" (49: 1956. J. 1956) ففي شجر الرمّان مثلا اعتمد الباحثون على التسمية اللاتينية له وهي Malum punicum للجزم بأنّها من المرقي وهذا سبب غير كافي لأنّ العبارة ذات مدلول جغرافي ولا ينبغي أن يفهم منها المعنى العرقي البتّة، خاصة وأنّ البونيين في واقع الحال ليسوا

سوى مروّجي محاصيل وسلع في حوض المتوسّط، ومع هذا لا ينبغي نفي فضائل الحضارة البونية - التي نعتبرها حضارة أفريقيّة - على المنطقة.

# الازدهار الزراعي في الريف الشمال أفريقي

هذا التطور الزراعي الذي عرفته أرياف الشمال الأفريقي هو نتاج قرون من النشاط ومن تراكم الخبرات الزراعية في بلد ثروته الأساسية من الفلاحة وهو ما جعل الرومان لا يخفون رغبتهم في احتلال الشمال الأفريقي للثرائه الزراعي ففي سنة 157 ق.م. كان كاتون الكبير قد سافر إلى قرطاج في مهمة دبلوماسية وعاد منها إلى روما مشدوها بما شاهده من ازدهار في أفريقيا وفي مجلس الشيوخ الروماني ألقى خطابا وفي يده حبات زيتون جلبها من أفريقيا يدعو فيه إلى احتلال قرطاج في قولته الشهيرة : (الدمار لقرطاج علم المعلولة الله المعلولة التي العبارة التي طل ينهي بها الخطابات التي يلقيها في ذلك المجلس تحت تأثير ما شاهده في الريف الأفريقي من ثراء. إنه الثراء الذي عبر عنه ديودور الصقلي في وصفه الإردهار المنطقة الواقعة ما بين ميغاليبوليس (Megalopolis) وتونس، بشيء من الاستفاضة في التفاصيل، وهو ازدهار محسوس في نصة الذي يروي فيه جشع جند أقاثوكليس (Agathocle) ، مقدّرا حصيلة الغنائم التي استولوا عليها بسهولة، يقول ديودور:

"... كانت البلاد التي عبرها (أقاثوكل) مقسمة إلى حدائق وبساتين مروية بمياه العديد من الينابيع والقنوات، وفيها منازل ريفية محاذية للطريق، ذات معمار جميل ومبنية بالآجر وكل شيء يدل على الثراء في تلك المساكن التي تتوفّر على كل أسباب الراحة، وذلك يعود إلى الأمن الذي عرفته البلاد فترة طويلة مما سمح للسكّان بحياة مترفة، وكانت الأراضي مغروسة بكروم العنب والزياتين وبعدد كبير من الأشجار المثمرة، وعلى جانبي السهل تعيش قطعان الأبقار والأغنام، وبجوارها مراعي غنية مخصصة للخيول (Diodore. XX, 8; Courtois, Ch. 1954: 182-202)).

كما أن ذلك الازدهار هو الذي عبّر عنه قيصر في تصريحه أثناء احتفاله بالنصر الذي حققه في أفريقيا سنة 46 ق.م. قائلا أنّه: " ... ضمّ إلى أملاك الشعب الروماني بلدا يستطيع أن يزوّد روما بما تحتاج إليه من القمح "وقد ثبت ذلك فعلا حيث أن الشمال الأفريقي منذ فترة حكم الإمبراطور نيرون سيساهم بثلثي احتياجات روما من القمح أي حوالي 1200 طنّ وهو رقم كبير جعل شارل بيكار يقول " ... إنّ بلاد البربر التي لا تكاد اليوم تطعم أهلها كانت أحد أهراء العالم القديم."(59 :90 Picard, G.-Ch.) هذا الازدهار الزراعي صنعه الفلاح الشمال أفريقي الذي ورث جيلا بعد جيل تلك

الخبرات التي دوّنها ماغون في كتابه الرائد وهو الازدهار الذي نقل بلين الكبير أبلغ صورة له في قوله وهو يصف الزراعة في واحات الجنوب: "... هناك تحت العشرات من شجر النخيل نجد عددا مماثلا من شجر الزيتون وتحتها ينمو شجر التين وتحت شجر التين ينمو شجر الرمان وتحت شجر الرمان تنمو كروم العنب وتحت شجر العنب يزرع القمح ثم الخضار أخيرا وكلها في نفس السنة ، تعيش كل شجرة وكل زرعة تحت ظل جارتها" (Pline l'ancien. XVIII, 188))

### موسوعة الفلاحة الأفريقية

هي عمل علمي رائد تحدثت عنه المصادر الرومانية وأشادت به، وتذكر أنه العمل العلمي الوحيد الذي اعتنى الرومان بترجمته إلى لغتهم اللاتينية بإشراف ديكيموس سيلانوس (Decimus Silanus) وبأمر من مجلس شيوخ روما لأهميته البالغة، فهو سيفيدهم في حسن استغلال الأرض الأفريقية التي كان ثراؤها الفلاحي من بين أهم الأسباب التي دفعتهم إلى غزوها واحتلالها بعد صراع طويل مع الأفارقة.

تتناول هذه الموسوعة مختلف الجوانب المتعلقة بالفلاحة من أنشطة حقلية وبذور واستزراع وبستنة وتربة ومناخ وحتى الاعتناء بالقطعان مما يجعلها تؤسس للبيطرة أيضا ولذلك ستظل مرجعا أساسيا للإغريق والرومان قرونا عديدة.

هذا العمل الموسوعي في الزراعة اعتنى بتأليفه ماغون القرطاجي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد،. ولم تصل إلينا نسخته الأصلية وحتى ترجماته الإغريقية واللاتينية لم تصل هي الأخرى وكل ما وصل إلينا هو إشارات هنا وهناك في المصادر اللاتينية مثل بلينوس في تاريخه الطبيعي وكولومال (Columelle) في المصادر اللاتينية مثل بلينوس في تاريخه الطبيعي وكولومال (Pe re rustica) في المجموعة الإغريقية بعنوان المعفرافيا البونية (Géopunica) وكان الإغريقي كاسيوس ديونيسوس المعفرافيا البونية (Cassius Dionysus) هو الذي روج لهذا العمل الموسوعي على نطاق واسع خلال القرن الثاني قبل الميلاد وديوفان البيثوني (Heurgon, J. 1976: 441-456).

والواقع أن ما عمله هذا المؤلف البارع ليس إلا تجميعا للخبرات الزراعية الأفريقية المتعلقة بالتربة والمزروعات وكذا المناخ ثمّ دوّن ذلك في عمل ضخم من 28 جزءا فهذا المؤلّف عاش في فترة تمت فيها أفرقة قرطاج وانقطعت فيها الصلة بينها وبين فينيقيا التي خضعت لإمبراطوريات الشرق منذ سيطرة الأشوريين عليها وعليه فإنّ ما يتضمنه هذا العمل العلمي هو في

واقع الحال نتاجا أفريقياً لأنه لا يحمل خبرات زراعية مشرقية بل هو صورة لما كانت عليه الفلاحة الأفريقية، ونرى ذلك في صدق المترجم الروماني الذي صاغ عنوانه بعبارة الفلاحة الأفريقية وليس الفلاحة البونية.

# إشارات من موسوعة الفلاحة الأفريقية

لقد وردت إشارات (passages) عديدة في مصادر إغريقية ورومانية في شكل اقتباس أو استشهاد من موسوعة الفلاحة الأفريقية ويمكن أن تكون هذه الإشارات موضوعا لبحث رائد على مستوى الماجستير والدكتوراه لو وجدت لفتة من ذوي الكفاءة والإرادة من طلبتنا الشباب وكمثال نقتطف واحدة من هذه الإشارات من بلين الكبير في كتابه الهام : التاريخ الطبيعي - وهو بدوره نقله عن ترجمة لاتينية للموسوعة المذكورة - ما يلى:

"... من بين الأشجار التي تنمو من بذورها يعالج ماغون وبدقة أشجارا من عائلة "الجوزيات Noix, Nucibus" يقول أنّ اللوز ينبغي أن يزرع في تربة طينية ناعمة مستقبلة جهة الجنوب وهو ما ينبغي أن يكون عليه الحال حتى لو كانت التربة جافة ولا ينبغي أن يكون ذلك في تربة رطبة ، ويوصي أن يكون استزراع اللوز من نوى تم جنيها من شجرة لوز "فتيّة" ثم تترك من يوم إلى ثلاثة أيام في ماء به سماد حيواني خفيف (Purin) قبل زرعها في مياه مضاف إليها العسل! وتكون مغروزة بطرفها الحاد نحو الأسفل وجانبها الصقيل في اتجاه شمال -شرق وينبغي زرعها في مجموعة من ثلاثة تبعد عن الاركتوروس (Arcturus) أي من منتصف ديسمبر إلى نهاية فصل الشتاء الاركتوروس (Arcturus) أي من منتصف ديسمبر إلى نهاية فصل الشتاء كما يجب أن تسقى كل عشرة أيام حتى تبدأ في النمو".

ولا ينبغي زرع جميع أنواع الأجاص في وقت واحد لأنها لا تزهر في ذات الوقت وأشار إلى أنّ الأشجار ذات الثمار المكورة أو الطويلة يجب أن تزرع ما بين غروب الثريا واليوم الأقصر أمّا الأشجار الأخرى فينبغي زراعتها في منتصف الشتاء بعد غروب القوس ولا بدّ أن تكون مستقبلة جهة الشرق أو الشمال

أمّا طريقة طحن الحبوب فإن ماغون يوصي بأن ينقع القمح مثلا في الماء حتى يبتلّ لتزول منه قشرته الرقيقة ثمّ يترك في الشمس حتى يجفّ قبل وضعه في جرن لطحنه وكذلك يتم العمل بالنسبة للشعير حيث يتمّ ترطيبه في الماء بإضافة كيلتين من الماء لكل عشرين كيلة من الشعير ... " Pline في الماء بإضافة كيلتين من الماء لكل عشرين كيلة من الشعير ... " ancien. XVII, 63-64,131)

خلاصة

لقد كانت الفلاحة أساس الثروة في أفريقيا الشمالية طيلة التاريخ القديم ولم ينافسها أي نشاط اقتصادي آخر ولا ننسى في هذا السياق الدور الذي لعبه ماسينيسا في تحقيق توازن بين الزراعة وتربية الحيوان بتشجيعه الرحّل على الاستقرار وخدمة الأرض، هذا النشاط الفلاحي ظل يغتني عبر القرون بالخبرات التي يكون ماغون قد وجدها دون عناء كبير في تجواله في الريف الأفريقي.

لقد كان القرطاجيون بحارة مهرة وعلى امتداد قرون طويلة كانت قرطاج تتزود بحاجياتها من الغذاء من الفلاحين الليبيين ولم يهتم هؤلاء بالفلاحة إلا في القرون المتأخرة عندما أخذ كبار أثرياء المدينة في شراء الأراضي وإقامة مستثمرات فلاحية فيها لكن العنصر الليبي هو الذي ظل يقوم بمختلف الأنشطة الفلاحية ويمكن القول أنه بقدر ما كانت التجارة قرطاجية بونية بمقدار ما كانت الفلاحة ليبية ماسيلية نوميدية بل بمكن اليوم أن نطرح السؤال: أليس لكتاب ماغون مصدر ليبي ؟ وإذا لم يكن له مصدر ليبي كتابي فلا ريب في أنّ مصدره شفوي يكون ماغون قد تلقاه مباشرة من الفلاحين اللبييين.

إذن لقد قدّم الشمال الأفريقي القديم مساهمة علمية رائدة للحضارة الإنسانية وحق له اليوم أن يقول أن علم النبات ولد هنا في الريف الشمال أفريقي وعليه تأسس التطور الزراعي الذي تحقق لاحقا عبر العصور.

# بيبليو غرافيا

### المصادر

-Diodore de Sicile. (1834). Bibliothèque Historique, trad. Hoefer F., Paris: Imprimerie Royale.

-Pline l'ancien. (1848-1850). Histoire Naturelle, XVII, XVIII, éd. Littré E., Paris:

-Plutarque. (1845). Vie des Hommes illustres, Caton l'Ancien, Paris: Charpentier.

- كامبس، غابريال. (2012). ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق العربي عقون، ط.2، الجزائر: نشر المجلس الأعلى للغة العربية.

<sup>-</sup>Camps, G. (1989). « Araire », Encyclopédie Berbère, 6, p. 844-848.
-Courtois, Ch. (1954). « Ruines romaines du Cap Bon », Karthago, V, p. 182-202.
-Despois, J. (1956). « La culture en terrasses en Afrique du Nord », Annales Economies, Sociétés, Civilisations, 11, n°1, p. 42-50.
-Gsell, S. (1913-1929). Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris: Hachette.
-Heurgon, J. (1976). « L'agronome carthaginois Magon et ses traducteurs en latin et en grec » C.R. A.L. 120, n° 3, p. 441-456.

<sup>-</sup>Laoust. E. (1918). «Le nom de la charrue et de ses accessoires chez les Berbères », Archives Berbères, p. 1-29.

-Malhomme, J. (1959). Corpus des gravures rupestres du Grand Atlas, 1ère partie, Rabat : Publications du service des Antiquités du Maroc.

-Picard, G.-Ch. (1990) La civilisation de l'Afrique Romaine, 2ème édition, Paris:

Études Augustiniennes.

# سياسة روما الزراعية في "الجزائر" القديمة (نوميديا وموريطانيا القيصرية)

د. محمد الحبيب بشاري قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2

# مكانة الزراعة في المجتمع الروماني

كان للزراعة و ملكية الأرض مكانة معتبرة في حياة المواطن الروماني، فقد بنت روما اقتصادها على الزراعة و تربية الماشية، وخاصة زراعة المواد الأساسية وعلى رأسها القمح و الزيتون و الكروم. وهذا ما سمح لها أن تكتفي ذاتيا في المجال الغذائي، وقد استمر ذلك حتى القرن الثالث قبل الميلاد. وفي هذا الإطار مثلت المزارع الصغيرة و المتوسطة العمود الفقري لهذا النشاط ، كما اعتبرت الأرض أغلى ما يمكن أن يملكه المواطن الروماني، واستغلالها أنبل نشاط يمكن أن يمارسه، عكس الصناعة التي اعتبرت من اختصاص العتقاء والتجارة من اختصاص الطبقات الدنيا.

لكن الأمور تغيرت بعد أن سيطرت روما على كل شبه جزيرة إيطاليا، وتوجهت بأنظارها نحو أراضي شمال إفريقيا، حيث كونت قرطاجة عقبة في وجه التوسعات الرومانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

بالإضافة إلى ذلك شكّل المزارع العمود الفقري للجيش الروماني، إذ لم يكن لروما جيشا نظاميا محترفا، فقد كانت تجند مواطنيها لما تكون في خطر، وكان المزارع يعتبر الدفاع عن وطنه واجبا مقدسا لا يمكن التهرب منه، خاصة أن الحروب كانت تجري في فصلي الربيع والصيف، وهذا ساعده على ممارسة نشاطه بشكل عادي، حيث كان يحرث أرضه ويزرعها في فصل الخريف، ولما تقرع طبول الحرب مع بداية الربيع ينظم إلى الجيش، ليعود في آخر الصيف عند انتهاء الحرب ليجنى محصوله.

لقد نجع الجيش الروماني في تحقيق انتصارات باهرة في الحروب التي خاضها ضد الدويلات الايطالية، انتهت بمصادرة روما أراضي كل من وقف في وجهها وإعلانها "ملكية عامة للشعب الروماني" ( Ager publicus populi )، أسست في جزء منها مستعمرات، ومنحت جزءا إلى الطبقة النبيلة

وزعماء القبائل الذين تحالفوا معها، أما الجزء المتبقى وهو الأقل خصوبة فكان يترك عادة للسكان المهزومين يستغلونه مقابل ضريبة الجزية (Stipendium).

كما أدى تكالب الطبقة النبيلة على امتلاك أوسع الأراضي الزراعية إلى إصدار روما سنة 367 ق.م. قانونا يحرم على المواطن الروماني امتلاك أكثر من 500 يوجرة (125 هكتار)، وأكثر من 100 رأس من الماشية الكبيرة و500 رأس من الماشية الصغيرة . (Rostovtzeff, M.-I 1988: 24)

# انعكاسات التوسعات الرومانية على الزراعية

تغيرت المعطيات العسكرية في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، إذ دخلت روما في حروب طويلة المدى بعيدا عن أراضيها، من أخطرها الحروب البونية، وقد كان لاستمرارها مدة زمنية طويلة أثرا سلبيا على زراعتها، إذ غيبت المزارعين الصغار والمتوسطين عن أراضيهم لسنوات عديدة، وهذا نتج عنه:

- 1 إهمال المزارع الصغيرة والمتوسطة الممون الأساسي للسوق الرومانية بالمواد الغذائية الأساسية، لغياب أصحابها.
- 2 . تحول مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة إلى بور بسبب عدم استغلالها لمدة زمنية طويلة، ولأن إعادة بعث الحياة فيها مكلف، فقد اختار أصحابها ؛ بعد عودتهم من جبهات الحرب ؛ التخلي عنها، والتوجه إلى مدينة روما .
- 3 ـ عدم قدرة المزارع الصغيرة و المتوسطة، التي نجح أصحابها في إحياءها من جديد منافسة إنتاج الضيعات الواسعة، لاعتماد هذه الأخيرة على يد عاملة من العبيد، مما أدى بها إلى الإفلاس والتحاق ملاكها بدورهم بالمدن وعلى رأسها مدينة روما.
- 4 ـ ساعد طول الحروب التي خاضتها روما الطبقة النبيلة على توسيع أملاكها، بالاستيلاء على أراضي المزارعين الصغار والمتوسطين الذين جندوا، مما سمح لهم بتكوين ضيعات واسعة جدا، تتجاوز آلاف الهكتارات، والتي لم تستغل دائما في إنتاج المحاصيل الأساسية للمجتمع الروماني، لأن الكثير منها استغل في الزراعات التجارية، مثل الزيتون والكروم، أو تربية الماشية، كما حول بعض النبلاء أراضيهم إلى منتزهات،

وهي التي قال بشأنها بلينوس الكبير" إن الضيعات الواسعة (Latifundia ) أضاعت إيطاليا "Pline l'Ancien. XVIII, 35)

كما أن هجرة المزارعين الصغار والمتوسطين إلى المدن للعيش في البطالة، لانعدام العمل الذي استحوذ عليه العبيد ؛ حمّل الدولة مسؤولية توفير الغذاء لهم، لتجنب ما قد يحدثونه من اضطرابات. كما استغل الساسة الرومان هذا الوضع لكسب شعبية لدى شريحة واسعة من العاطلين، بتوفيرهم لهم ما يحتاجونه من غذاء مجانا، خاصة أن هؤلاء الذين فقدوا كل شيء، احتفظوا بحقهم في الانتخاب(Homo, L. 1964: 142)

لقد أدرك العاطلون وزنهم السياسي، وقدرتهم في التأثير على مجريات الأحداث في روما ومؤسساتها السياسية وخاصة مجلس الشيوخ، فاستغلوه لابتزاز الطموحين من رجال السياسة، وتحقيق مكاسب مادية دون عمل، بانتخاب من يعدهم بتلبية مطالبهم، وإيصاله إلى أعلى المناصب، وهو الوضع الذي تأسف له عالم الزراعة فارون بقوله: "هاجر كل أرباب الأسر تقريبا إلى روما، أين اختاروا استعمال أيديهم للتصفيق في المسرح والسيرك بدل استعمالها في فلاحة الأرض " (Varron. II, 3)، وأضاف الشاعر جوفنال: "إن المواطن الروماني لم يعد يبحث إلا على الخبز و السيرك" -30 (Juvenal. X, 80)

إن التطورات سالفة الذكر أدخلت روما في أزمة غذائية حادة، هددت استقرارها، وقد اهتدى جايوس غراكوس ( Cauis Gracchus ) إلى الحل، وهو توفير الدولة القمح الذي يمثل الغذاء الأساسي للرومان للعاطلين عن العمل والفقراء بأسعار مدعمة، لذلك أصدر قانون القمح (Lex frumentum) الغمل والفقراء بأسعار مدعمة، لذلك أصدر قانون القمح (Plutarque. V, VI; Appien. I, 21; Diodore de Sicile. XXXV, 25) ينص على شراء الحكومة القمح، وإعادة بيعه للعاطلين و الفقراء بسعر منخفض و ثابت كل شهر. وقد استمر هذا القانون سائر المفعول ، حتى أصدر تربيون العامة كلوديوس سنة 58 ق.م. قانون يعفي العاطلين و الفقراء من دفع سعر القمح (Thumbert, G. 1875. 1, 275). وقد بلغ عدد المستفيدين من دفع سعر القمح، فقد أضاف الأمبراطور سيبتموس سيفروس ( Septime المجاني على القمح، فقد أضاف الأمبراطور سيبتموس سيفروس ( Septime القمح بالخبز و أضاف الخمر.

لم تتحصر التطورات التي شهدتها روما في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، بل مست القطاع العسكري، إذ وبمبادرة من القائد ماريوس انتقلت المؤسسة العسكرية من العمل التطوعي إلى العمل الاحترافي، وهذا أضاف أعباء جديدة على كاهل الدولة.

يتضح مما سبق أن التغييرات التي شهدتها روما ابتداء من منتصف القرن الثالث قبل الميلاد في مختلف مجالات الحياة، حتّمت على الساسة الرومان إيجاد مصادر تمون ثابتة، إذا ما أرادوا الحفاظ على مناصبهم، وربما حياتهم، لأنه في حال حدوث أي خلل في التمون، لم يكن العاطلون يترددون على التمرد ضد الحكام، وينصبون مكانهم من يعدهم بمدهم بما يحتاجون إليه، وخاصة الغذاء والترفيه.

وقد وجد الساسة الرومان في المقاطعات الإفريقية، ومنها نوميديا وموريطانيا القيصرية الحل لمشكلة الغذاء، خاصة أن روما كانت على علم بقدراتها الطبيعية، فقد مونها ماسنيسا وأبناءه من قبل بالقمح أكثر من مرة، وكذلك لقربها منها، فالمسافة عبر مضيق صقلية لا تتجاوز 140 كلم، أي مدة ثلاثة أيام في البحر على أقصى تقدير، لذلك لما سقطت نوميديا في يد قيصر سنة 46ق.م. طبقت عليها روما ما دأبت عليه في كل الأراضي التي تخضعها، من مصادرة للأراضي وتقسيمها وتوجيه زراعتها، وفقل أكبر جزء من محصولها نحوها.

# التشريعات الفلاحية الرومانية

سنت روما عند احتلالها قرطاجة مجموعة من القوانين سمحت لها باستنزاف ثرواتها، تمثلت في قانوني روبريا(Rubria) سنة 123 ق.م وقانون توريوس(Thorius) سنة 111 ق.م. (1896: J. 1896: ق.م وقانون (Thorius) سنة 111 ق.م. (62 قرطاجة وحلفاءها، و أعلنتها ملكية عامة للشعب الروماني، وفقا لمبدأ حرمان المهزومين من جزء أو كل أراضيهم (Ciceron. XVIII, 41)، وهو نفس الإجراء الذي تبنته عند احتلالها نوميديا ، ثم موريطانيا القيصرية، فقد صادرت أراضيها. وحتى يتسنى لها توزيعها وتحديد ما يفرض عليها من ضرائب قامت بمسحها، وهي عملية تقنية يقوم بها عادة المساحون العسكريون، وتتمثل في تقسيم الأرض إلى كنتورات(Centuriae)، ثم تحدد نوع الزراعة التي تمارس بها ودرجة خصوبتها (Centuriae)، و تتبع العملية الخطوات التالية :

- تقسيم الأرض إلى وحدات متساوية المساحة تدعى كنتوريا مساحتها 200 يوجرة \* .

- تثبت الوحدات الكنتورية في سجل خاص ، يضم اسم المزرعة والبلدية أو القرية التي تقع بها، ثم تدرج في أحد الفصول الآتية :

أ. أرض مستغلة و مساحتها .

ب. أرض مزروعة كروما و عدد شجيراتها.

ج ـ أرض مزروعة زيتونا و عدد أشجارها.

د ـ أرض رعوية .

٥- أرض غابية .

ـ مصائد .

ـ ملاحات . (Marquardt, J. 1888: 278)

ترسم كل هذه التفاصيل في مخطط عام (Formae) لكل المنطقة.

إلى جانب مسح الأرض كانت الإدارة الرومانية تقوم بعملية إحصاء شاملة (Cens)، بإلزام كل شخص التصريح بكل ما يمكن أن يمثل مادة جبائية من مباني وأرض، ونوع المزروعات و كميات الإنتاج، و مال وأمتعة و عبيد، حسب جنسيتهم و مهامهم و كفاءتهم (, 2: 1875 . 3. 1805)، بهدف تحديد ضريبتي الرأس ورأس المال.

بعد الانتهاء من عملية الإحصاء ترصد النتائج في سجل، توضع نسخة منه في مركز الأرشيف (Tabularium) بروما. كما كان بإمكان أي شخص يشعر بالظلم أن يرفع شكوى إلى مسؤول الإحصاء، الذي يخوله القانون لتخفيض الضرائب على من يستحق (1007 : 1875 : 3, 1008 )، و قد كان الإحصاء يجري كل خمس سنوات، ثم أصبح كل عشر سنوات، وأخيرا كل خمسة عشر سنة. (1008 : 1875 : 3, 1008 )

بعد المصادرة والمسح و الإحصاء توزع روما الأراضي على النحو الآتي: - جزء تؤسس به مستعمرات رومانية معفية من الضرائب.

. جزء تخصصه لبعض المواطنين الرومان من الطبقة النبيلة، ومن أهم المستفيدين منه أعضاء مجلس الشيوخ، وقادة الجيش وأعضاء الطبقة الأرستقراطية، ومع قيام الإمبراطورية ، أصبح الإمبراطور أول المستفيدين (Marquardt, J. 1888: 229; Gsell, S. 1972: VI, 80). كما استفادت بعض الشخصيات النوميدية التي تعاونت مع روما من ضيعات واسعة ذات تربة

خصبة، وهي معفية من الضرائب. جزء يمنح إلى مواطنين رومان لكنه يعامل وفق القانون المطبق على الأجانب، وبالتالي خاضع لنظام الضرائب، باستثناء ذلك الذي تحصل أصحابه على حقوق المواطنة الإيطالية. ( ,S). 111, [85] ( S). 111, [85]

جزء يباع في المزاد العلني بروما من طرف مسؤول الخزينة، يتمتع مقتنوه بحق توريثه ، مع بقاء الملكية القانونية للشعب الروماني، و دفع الضريبة العقارية .(Marquardt, J. 1888: 23; Gsell, S. 1972: VI, 180). الضريبة العقارية .(Marquardt, J. 1888: 23; Gsell, S. 1972: VI, 180). الجزء المتبقى، وهو الأقل خصوبة، فقد كان يترك للأهالي يستغلونه دون المتلاكه، (Ciceron. 1860: II, 3, 6, 1) مقابل ضريبة عينية، تسمى ضريبة الجزية (Stipendium) وأحيانا (Vectigal) وأحيانا (Vectigal) وأحيانا الأرض (طعدم توقف الورثاء عن استغلال الأرض (طعده توريثه بشرط عدم توقف الورثاء عن استغلال الأرض (طعان بإمكانها استعادته في أي وقت.

وأخيرا نجد الأراضي غير الصالحة للزراعة مثل المستنقعات والأراضي الصخرية والغابية، فقد سمحت روما للأهالي باستغلالها في الرعي مقابل ضريبة الرعي .(Gsell, S. 1972: VI, 83-94, 95)

إن التنظيم الذي تبنّته روما أتى أكله في البداية، إذ نجحت في التمون بالقمح من نوميديا، لكن مع استمرار تراجع الزراعة في شبه جزيرة إيطاليا، وسوء التسيير الذي ميز الضيعات الواسعة، تراجعت مداخيل الخزينة، لذلك سعت روما إلى توسيع مساحة الأراضي المستغلة في نوميديا، باستصلاح الأراضي المهملة، عن طريق بعض القوانين التحفيزية للمزارعين في الظاهر، تمثلت في قانوني مانكيانا (Lex Manciana) وهادريانا (Hadriana).

أما القانون الأول الذي ورد في نقيشة عين متيش  $^{**}$ ، فقد احتوى على عدة بنود منها :

البند الأول: يسمح للذين يقيمون خارج عقار فيلا ماغنا فاريانا بفلاحة الأرض عملا بقانون مانكيانا، وتصبح الأرض ملكا لهم بعد استصلاحها.

البند الثاني: على المنتفعين بالأرض أن يسلموا ما عليهم من أقساط الإنتاج إلى الوكلاء أو مسيرى العقار...

البند الثالث: يجري تقدير كميات الإنتاج المطلوبة من الفلاحين من طرف الوكيل(Procurator) أو المسير (Conductor)، ويسلم المعلوم مقابل ضمانات كتابية.

البند الرابع: على الذين توجد مؤسساتهم خارج العقار أن يقدموا إلى (Domini)

صاحب العقار المذكور أو إلى المسير أو الفليكي (Vilici) القائم بهذا العقار، أقساطا من المنتوج بناء على قانون مانكيانا: الثلث عن القمح يؤخذ من البيدر وكذا الشعير، الثلث ( ربما الربع ) عن الفول والثلث عن الزيت يؤخذ من المعصرة، و يقدم عن العسل ربع لتر عن كل قفير.

البند السابع: إعفاء ضريبي مؤقت إذا غرست شجرة تين يسمح لصاحبها الانتفاع بثمارها لمدة خمس سنوات لوحده، وبعد انقضاء خمس سنوات من الانتفاع بإنتاجها، على المزارع أن يقدم إلى مسير العقار القسط المحدد بالقانون.

البند الثامن: يسمح للمزارعين بغرس الكروم والانتفاع بها وفق الشروط المحددة في البند السابع، وهي خمس سنوات من الإعفاء الضريبي بعد الغرس، وبعد مرور خمس سنوات على المزارع أن يقدم ما عليه.

البند التاسع: يسمح للمزارع بغرس الزيتون في الأراضي غير الفلاحية والانتفاع بثماره لمدة عشر سنوات، وعليه أن يسلم بعد ذلك ثلث محصول الزيت للسيد مالك العقار ...

البند الرابع عشر: إن الذي يحي أرضا مواتا ثم يهجرها لمدة تتجاوز سنتين ليس له حق المطالبة به بعد ذلك ...

البند الخامس عشر: على المزارعين المتواجدين داخل العقار أن يقدموا سنويا خدمة مجانية لمدة ستة أيام، يومين في الحرث ويومين في الحصاد ويومين في العزق.

البند السابع عشر: على كل مزارع يقيم داخل العقار أن يقدم خدمة مجانية في الحراسة (شنيتي، م. - ب. 1984 :76- 84)

أما بالنسبة لقانون هادريانا، فقد ورد في نقيشة عين جمالة التي عثر على عثر المناسبة لقانون هادريانا، فقد ورد في نقيشة عين جمالة التي عثر عليها مثل سابقتها في حوض وادي مجردة، (Carcopino, J. 1906: 365, 481) وأهم ما جاء في هذه الوثيقة:

- " ... قرار بالتنفيذ من وكيل الإمبراطور قيصر هادريانوس أغسطس، بناء على أمر إمبراطورنا القاضي بفلاحة الأراضي القادرة على الإنتاج سواء بالزيتون أو الكروم أو الحبوب، فإننا نأمر بما يلي :
- . البند الأول: حق الحيازة: لقد أعطيت السلطة للجميع من أجل وضع اليد (ليس فقط على أراضي المستنقعات والغابات من أجل غراستها زيتونا وكروما عملا بقانون مانكيانا، لكن أيضا على الأراضي التي لا تزال حرة خارج الإطار الكنتوري والتابعة للبراري (Saltus) ... (Saltus)... (1952: 105).
- البند الثاني: حق التوريث، يحق للذين يضعون أيديهم على هذا الصنف من الأراضي أن يملكوها ويورثوها لخلفهم، الذين عليهم أن يخضعوا للحالات المقررة في قانون هادريانا، من القانون المتعلق بالأراضي التي لم تفلح من قبل أو التي أهملت مدة زمنية تزيد عن العشر سنوات (Tablette Albertini. 1952: 105)

### البند الرابع: الإعفاء الضريبي

أ ـ يعفى المزارعون الغارسون لشجر الزيتون عن طريق الحفر أو
 التطعيم من تقديم إتاوة من أثماره خلال العشر سنوات اللاحقة.

ب. وبخصوص الأشجار المثمرة الأخرى، فلا يتجاوز الإعفاء مدة سبع سنوات.

أما إذا بحثنا عن أوجه الاختلاف بين قانوني مانكيانا وهادريانا، فإننا نجد أن الأول حصر الاستفادة من الأراضي المهملة داخل الضيعات، وزراعتها كروما و زيتونا، بينما وسع الثاني الاستفادة إلى كل الأراضي الغير مستغلة أو بور و قابلة للاستصلاح، ثم زراعتها كروما وزيتونا وبقية الأشجار المثمرة والحبوب.

بالإضافة إلى هذين النصين عثر على وثائق أخرى تضمنت محتوى النصين السابقين نصا أو معنى، منها نقيشة عين واصل التي عثر عليها الدكتور كارتون Dr. Carton، عام 1891، احتوت على نص يعرف بمرسوم البوكوراتور (Sermo procuratorum)، حرر من طرف وكلاء الإمبراطور سيبتموس سيفروس سنة 210، بهدف تعميم الاستفادة من قانون مانكيانا على مزارعي منطقة دقة. ومن بين ما جاء فيه :" من فيرديوس باسوس على مزارعي منطقة دقة. ومن بين ما جاء فيه :" من فيرديوس باسوس عزيزنا (Ianuarius)، إلى عزيزنا

مارسياليس (Martialis ) تحية، إذا وجد في الدوائر المالية التي تديرها أراض مهملة أو لم يسبق فلاحتها، أو ذات طبيعة غابية أو رعوية فلتعط للراغبين في خدمتها عملا بقانون مانكيا الذي يسمح لهم بخدمتها وتملكها (Tablette Albertini. 1952: 104) (proprius

كما نجد نص جنان الزيتون، الذي يعود بدوره إلى عهد سيبتموس سييفروس، ويحمل نفس معنى نص عين واصل، ونص آخر يعود إلى عهد الإمبراطور قسطنطين في حوالى سنة 310م.

ويظهر أن التشريعات الفلاحية لمانكيانا وهادريانا استمرت سائرة المفعول لمدة زمنية طويلة، وهو ما يتجلى من العقود الوندالية ( vandales)، التي اكتشفت جنوب شرق بئر العاتر قرب تبسة، وهي عبارة عن وثائق بيع وشراء أراضي تابعة لعقار زراعي كبير، يعود إلى عهد الملك الأوراسي غونتاموند (Gunthamund)، ورد فيها ذكر قانون مانكيانا عدة مرات(Tablette Albertini. 1952: 189, 193).

إن كل القوانين الرومانية المنظمة لملكية الأرض و كيفية استغلالها في نوميديا، تتمحور حول مجموعة من العناصر:

- 1 ـ أن الأرض ملكا للشعب الروماني.
- 2 ـ سعي روما إلى استغلال أوسع مساحة ممكنة استجابة لحاجة المجتمع الروماني المتزايدة من مختلف المواد الأساسية، وتوفير أراض زراعية للمواطنين الرومان وقدماء الجنود والطبقة النبيلة.
- 3. يمنح قانون مانكيانا ومن بعده قانون هادريانا في الظاهر إعفاءات ضريبية للمزارعين الذين يستصلحون أراضي بور أو مهملة، لكن في الواقع لا تعد تلك امتيازات جبائية لأن مدة الإعفاء هي الفترة التي تتطلبها المزروعات للإثمار.

# الإنتاج الزراعي

سمحت سلسلة الإجراءات والقوانين التي سنتها روما بتوسيع المساحات الزراعية المستغلة وتكثيف النشاط الزراعي، وبالتالي رفع الإنتاج، مما سمح لها بتغطية نسبة كبيرة من حاجياتها بلغت الثلثين بالنسبة لبعض المواد. وبصفة عامة تركز الإنتاج الزراعي على الحبوب وعلى رأسها القمح، ثم الزيتون والكروم، بالإضافة إلى المحاصيل الأخرى كالخضر وأشجار الفواكه منها التن.

#### 1 ـ القمح

تؤكد كل المؤشرات أن القمح كان يمثل أول وأهم المحاصيل الزراعية التي ازدهرت في المغرب القديم ومنه نوميديا وموريطانيا القيصرية، فقد تكلم هكاتي المليتي المليتي Hecatée de Millet فقد تكلم هكاتي المليتي (Müller L. 1974: I, 23, n° 305) عن ليبيين يحرثون الأرض ويأكلون القمح (305° nüller L. 1974: I, 23, n° الذي فكر أن الليبيين الذين يقطنون غرب نهر تريتون الرأي هيرودوت الذي ذكر أن الليبيين الذين يقطنون غرب نهر تريتون يفلحون الأرض، ويسكنون بيوتا، ويضيف أن مردود القمح في بعض المناطق كان مرتفعا جدا (Hérodote. IV, 191, 198)، وزادت هذه الزراعة تطورا في عهد الممالك النوميدية، خاصة إثر قيام سلطة مركزية مع اعتلاء الملك ماسنيسا العرش، وهو ما تجسد في تموين روما وجيشها بالقمح في أكثر من مناسبة (-3, 1,44; XXXI, 50; XXXXII, 27, 2; XXXVI, 3-).

و مع الاحتلال الروماني زادت زراعة القمح توسعا في نوميديا، إذ امتدت إلى السهول العليا بفضل استصلاح الأراضي البور، وبناء السدود وخزانات المياه للرى، والحد من حركة البدو الرحل والرعاة، مما ساعد على بروز الضيعات الواسعة (Latifundia ) $^{*}$  أو صالتوس، التي وصلنا الكثير من أسماءها خاصة تلك التي وجدت في حوض وادى مجردة وسهل سطيف، مثل ضيعة ماتداي(Matidiae) حفيدة الإمبراطور تراجانوس، التي ورد ذكرها في أكثر من نقيشة ( Poule, A. 1873: ) إ v.16, 429 ; Gsell, S. 1997: f. 15, n° 82 من سهل من عليها في عدة مواقع من سهل سطيف، ويظهر أنها امتدت من برج البحيرة شرقا إلى بئر بوسعدية ( Vicus (Augusti غربا ومجانة غربا (Gsell, S. 1997: f. 16, n° 329 ; f . 15, n° 79) جنوبا ومجانة كما وجد بجوارها ضيعة ملكا للإمبراطور ألكسندر سيفيروس استغلت من طرف المعمرين الكاستورنانس(Kasturnensien) من طرف المعمرين الكاستورنانس 429 ; Gsell, S. 1997: f. 15, n° 82 وغير بعيد عنها، نجد ضيعة كابوت سالتوس هوريوروم ( Caput Saltus Horreorum ) عبن زادة / Caput Saltus Horreorum V. 16, 362) ، بالإضافة إلى ضيعات أخرى منتشرة في مناطق العناصر وخلفون كما يظهر أن جزءا كبيرا من الأراضي الزراعية الواقعة جنوب سطيف كان ملكية إمبراطورية.

إن كل التطورات سالفة الذكر، حولت نوميديا إلى أهم المناطق الممونة للشعب الروماني بنسبة كبيرة من حاجياته من القمح.

أما بالنسبة للإنتاج، فلا نملك إحصائيات حول الإنتاج الإجمالي ولا مردود اليوجرة (ربع هكتار)، إلا بعض الأرقام تتعلق بمقاطعة المزاق (Varron)، ميث ذكر عالم الزراعة الروماني فارون (Varron)، أن المنطقة ذات خصوبة عالية و مردود مرتفع، إذ تعطي حبة القمح الواحدة (De l'Agriculture. 44, 2, 5)، وهو ما يقارب 20 قنطارا في المكتار. نفس المردود ذكره بلينوس الكبير (Pline l'Ancien. V, 24)، هذا الأخير الذي ذكر كذلك مردودا يصل إلى 150 حبة مقابل واحدة (Pline l'Ancien في المكتار. بينما ذكر سرابون أن مردود القمح في بلاد المسايسيل يصل إلى 240 حبة مقابل واحدة وأن الأرض تقدم محصولين في السنة (Strabon. XVII, 3,11) مقابل واحدة، وأن الأرض تقدم محصولين في السنة (Strabon. XVII, 3,11)

إن المتمعن في الأرقام المقدمة يستنتج أنها مرتفعة، ويصعب تصديقها خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أدوات العمل المستعملة آنذاك، ونوعية البذور، لأن الإنسان لم يحقق المحاصيل المذكورة إلا في القرن العشرين، بعد التطور المتكنولوجي الذي سجلته وسائل الإنتاج، وتحسن نوعية البذور المستعملة، وتتضاعف المبالغة عند سترابون لما يذكر جني محصولين من القمح في السنة، لأن الظروف المناخية لا تسمح بذلك ولهذا اعتبر بعض المؤرخين وعلى رأسهم ستيفان غزل أن الأرقام الواردة في المصادر الأدبية ممكنة لكن بصفة استثنائية، وأنها "من غرائب الطبيعة" (Gsell, S. 1972 : IV, 12, 13, 13)، ويدعم هذا الرأي الجغرافي جون ديبوا، الذي يعتبر" أن الأرقام المقدمة غير عادية، وحدوثها ممكن لكن نادرا، وفي ظروف خاصة" ( J. 137: 186)

لكن ما هو الإنتاج الذي يمكن اعتباره قريبا إلى الواقع منذ 2000 سنة ؟

لقد حاول بعض المؤرخين تحديد إنتاج القمح في بلاد المغرب القديم، ومنه نوميديا وموريطانيا القيصرية انطلاقا من نسبة الضرائب السنوية التي حددتها القوانين الرومانية، ومنها قانون تيودوز لسنة 371 م. وقانون فالنتنيان الصادر في 25 جوان 445 م. (Saumagne, Ch. 1950: 196, note 134)، فقد حدد القانون الأول الضريبة على أساس إنتاج يتراوح بين 2.25 و 2.5 قنطار في

الهكتار. أما القانون الثاني فحددها على أساس معدل إنتاج يصل إلى 2.16 قنطار في الهكتار، وهي نفس الأرقام المسجلة في بداية القرن العشرين في بلدان المغرب، إذ بلغ مردود الهكتار في إقليم مدينة الجزائر بين 1930 و 1934 قنطارين وبين 1935 و 1934 ثلاث قناطير. وفي إقليم قسنطينة تراوح مردود الهكتار بين 3.6 و 4.2 قنطار (195, 195) (Saumagne, Ch. 1950: 195, 197) والجدول الآتي يبرز إنتاج القمح في الجزائر قديما (نوميديا و موريطانيا السطيفية)\*

| المردود | المردود  | الانتاج  | الانتاج  | المساحة | المساحة  | المقاطعة  |
|---------|----------|----------|----------|---------|----------|-----------|
| (قنطار  | (موديوس) | (قنطار ) | (موديوس) | (هڪتار) | ( يوجرة) |           |
| (       |          |          |          |         |          |           |
| 2.22    | 156      | 2.240    | 32 مليون | 103598  | 2050     | موريطانيا |
| 1       |          | مليون    |          | 8       | 00       | السطيفية  |
| 2.11    | 155.5    | 1.8625   | 26.880   | 880452  | 1728     | نوميديا   |
|         |          | 2 مليون  | مليون    |         | 50       |           |

وحتى يتسنى مقارنة مردود الأرض من الحبوب في القرون الأولى للميلاد والقرن العشرين ندرج الجدول الآتى:

| مردود الهكتار في الجزائر في النصف | مردود الهكتار في |
|-----------------------------------|------------------|
| الأول من القرن العشرين            | العهد الروماني   |
| 4.2 قنطار                         | 2.17 قنطار       |

يتضح لنا من كل الأرقام السابقة أن ما قدّمه فارون وبلينوس الكبير وسترابون بعيد جدا عن الواقع، وأن إنتاج مقاطعتي نوميديا وموريطانيا القيصرية ضعيف، وليس كما يدّعيه الكثير من المؤرخين الغربيين، أن المنطقة كانت ذات خصوبة عالية وإنتاج غزير، وأنها كانت تغطي حاجياتها، وفي نفس الوقت تلبى مطالب السوق الرومانية.

رغم ضعف الإنتاج النوميدي من الحبوب فإن روما سخّرتها مع بقية المقاطعات الافريقية لتمونها بمعظم حاجياتها، بحيث كانت تمدها بضعف الكمية التي تمونها بها مصر (,Joseph Flavius, II, 16,4)، المقدرة بعشرين مليون موديوس (,Aurelius Victor)، وهذا يعني أن ما تقدمه المقاطعات الافريقية يصل إلى 40 مليون موديوس، كان نصيب نوميديا وموريطانيا القيصرية منها كبير، وهي كمية مرتفعة جدا بالنظر إلى الإنتاج الإفريقي

بما فيه النوميدي، مما يعني أن روما كانت تتمون على حساب السكان المحليين، مما تسبب في انتشار ظاهرة سوء التغذية، واعتماد الأهالي على الحبوب الثانوية، وكذلك انتشار المجاعات من حين إلى آخر، في الوقت الذي كانت المخازن الرومانية مملوءة بالمواد الغذائية المختلفة، كما يتبين من قضية بروقنصل إفريقية البروقنصلية هيمسيوس J.-F. Hymetius مون سنة 366- 367 ؛ إثر أزمة غذائية حادة ؛ السوق القرطاجية بكمية من القمح أخذها من مخازن الأنونة، فتعرض لغضب الإمبراطور فالنتيان الأول(364- 375 م.)، الذي اعتبر ما قام به البروقنصل جريمة في حق الشعب الروماني، لأن مهمته الأولى تكمن في السهر على تأمين الغذاء المواطنين الرومان، وعاقبه بغرامة مالية والنفي إلى دلماسيا (Marcellin. XXVIII, 1, 17-18).

ونظرا لاعتمادها شبه الكلي على مقاطعاتها، ومنها نوميديا وموريطانيا القيصرية، في مجال الغذاء، أصبحت روما تابعة لمقاطعاتها، لذلك كانت أنظار الرومان متوجهة باستمرار إلى السواحل الإفريقية، وما تحمله لهم السفن من حبوب ومواد غذائية أخرى، حتى أصبح اختيار حكام المقاطعات الافريقية يقض مضجع الأباطرة، لأن كل من يحكم هذه المنطقة، بإمكانه الوصول إلى العرش عن طريق التحكم في الأنونة، وتجويع الرومان، وهو ما يتجلى بصورة واضحة في قصائد الشاعر كلوديان، وخاصة قصيدته "حرب جيلدون" (Claudien. XV).

# إنتاج الزيتون

عرف النوميديون شجرة الزيتون البري، واستغلوا ثمارها في انتاج نوع من الزيت الرديئ منذ وقت مبكر، لكن، وفي تاريخ معين يصعب تحديده، ويمكن أن يكون بعد احتكاكهم بالفنيقيين ثم القرطاجيين، طوروا هذه الزراعة، بعد أن تحكموا في تقنية التطعيم التي جلبها الفنيقيون، وتوسع زراعة الأصناف الجديدة من الأشجار التي جلبت من الشرق وهو ما يؤكده فرض قيصر على نوميديا إثر احتلاله لها سنة 46 ق.م. ضريبة تقدر بثلاث ملايين رطل من الزيت سنويا (Plutarque. 55).

في نفس الوقت الذي كانت تتوسع فيه زراعة الزيتون في نوميديا وموريطانيا القيصرية، كانت تتراجع في روما وشبه جزيرة إيطاليا، بحيث تراجعت المساحات المخصصة لها، وبالتالي تراجع إنتاج الزيت، حتى أن شبه

جزيرة إيطاليا، أصبحت عاجزة عن تلبية حاجياتها من الزيت بعد أن كانت تكتفي ذاتيا، وتصدر جزءا منه.

لقد تزامن تراجع إنتاج روما للزيت مع ارتفاع الاستهلاك، بعد التطور الذي عرفه المجتمع الروماني الناتج عن سياسة التمدن التي انتهجها الأباطرة، بالإضافة إلى نمو الطبقة الارستقراطية ذات القدرة الشرائية المرتفعة، وإقبالها على استهلاك الزيت ومشتقاتها، وزادت الأمور تعقيدا بعد أن أضاف الإمبراطور سيبتموس سيفروس مادة الزيت إلى القمح في التوزيع المجانى على طبقة العامة.

ونظرا إلى أهمية الزيت كمادة أساسية تستعمل في الطهي والإنارة، والتدليك والتطبيب، ولضمان الاستقرار الداخلي اهتدى المسئولون الرومان إلى تشجيع هذه الزراعة في المقاطعات الإفريقية، وخاصة البر وقنصلية ونوميديا وموريطانيا القيصرية لخصائص شجرة الزيتون التي تنمو بشكل جيد في الأماكن الصعبة نوعا ما، فهي ذات أوراق شمعية لا تسمح بتبخر الماء، وذات عروق طويلة يمكن أن تمتص الرطوبة من باطن الأرض، كما أن ري هكتار من أشجار الزيتون يتطلب أربعة آلاف متر مكعب من الماء، بينما لري نفس المساحة مزروعة قمحا يجب توفير ستة آلاف متر مكعب من الماء (Lassère, J.-M. 1977: 301).

إن مميزات شجرة الزيتون سالفة الذكر سمحت بمد زراعة هذه الشجرة إلى المناطق السهبية والمرتفعات حتى 1000 م. وتعويض تربية الماشية.

كما ساهم عدم الاستقرار الذي كان يميز الجنوب النوميدي في توسع هذه الزراعة، إذ أدركت روما أن القوات العسكرية والحصون والقلاع لا تنجح في القضاء على ثورات الأهالي المنطلقة من الجنوب، واهتدى قادتها أن الحل يكمن في تطوير الزراعة الشجرية على طول خط الليمس الجنوبي، وخاصة شجرة الزيتون لخصائصها الطبيعية، بتوطين المعمرين والأهالي الذين يجدون أنفسهم ملزمين بمشاركة الجيش في التصدي للثوار، ليس دفاعا عن مصالح روما إنما دفاعا عن مصالحهم الخاصة (شنيتي، م. - بـ1984: 99).

إلى جانب هذا ينضج الزيتون في فصل الخريف، وهذا يتزامن مع وجود البدو الرحل في منطقة العرق، مما يجعل محصوله في مأمن من

خطرهم، عكس القمح الذي يتزامن نضجه مع صعود هؤلاء البدو نحو الشمال، مما يتسبب في إتلاف المحصول.

وقد عرفت زراعة الزيتون بداية توسع مع صدور قانوني مانكيانا وهادريانا، إذ شملت مناطق شاسعة كانت بورا، أو ذات مردود ضعيف بالنسبة للقمح في السهول الداخلية ومنطقة الهضاب، مثل سهول تبسة وسطيف والشلف، وقد نتج عن توسع زراعة الزيتون تضاعف إنتاج الزيت، وهو ما تؤكده كثرة المعاصر الصغيرة ذات الطابع الأسري، والكبيرة ذات الطابع الصناعي، منها معصرة عين الكبيرة (سطافيس/ Satafis) وبرسغان قرب تبسة ومداوروش (84, 35, 1941) 1941؛ وكانت روما المستفيد الأول من هذه الصناعة، إذ كانت تستحوذ على ثلث الإنتاج كضريبة تأخذه من المعاصر مباشرة، كما جاء في قانوني مانكيانا وهادريانا.

ويظهر مما كتبه الشاعر الساخر جوفنال Juvenal أن صناعة الزيت لم تكن في البداية متقنة، حيث حسبه تتميز برائحتها القوية سواء صدق هذا الشاعر أم بالغ، فإن الإنتاج تحسن مع مرور الوقت حتى أصبحت نوميديا الممون الأساسي لمدينة روما، وتشهد على ذلك بقايا الجرار والأمفورات التي عثر عليها في ميناء أوستيا (Ostie) وهضبة تستاكسيو(Tubusuctu) التي تحمل ختم مدينة تبوسكتو (Tubusuctu) بحوض الصومام، والتي دلت الدراسات أنها استعملت لنقل الزيت.

لقد استمرت زراعة الزيتون منتشرة، وانتاجها مرتفعا، ويتضح ذلك من شهادة القديس أغسطين عند اعتزاله بمدينة كاسيكياكوم (Cassiciacum) الإيطالية بين سنتي 387/386م إثر اعتناقه المسيحية، حيث أشار إلى أن الإيطاليين بما فيهم الأغنياء لا يشعلون الأضواء في الليل لقلة الزيت، عكس ما كان الحال عليه في إفريقية (هيبون) (. 1930: 1-2).

#### الكروم:

إلى جانب الحبوب والزيتون انتشرت في نوميديا وموريطانيا القيصرية زراعة الكروم، بهدف إنتاج الخمر، مع الإشارة أن شجيرة الكرمة كانت تتمو بريا (Pomponius Mela. I, 25; Strabon. XVII, 3, 2)، وكانت حسب سترابون ذات مردود مرتفع بحيث يبلغ طول العناقيد ذراعين (Strabon. XVII, )، كما تشهد رسومات عناقيد العنب على عملة الملوك النوميديين وبعض

المدن النوميدية، أنهم عرفوا هذه الزراعة، منها عملة الملك ماستتيسا (Mazard, J. 1955: n° 99, 100) خليفة حيرباص، وعملة مدن (Mazard, J. 1956: 61) (Icosium) خليفة حيرباص، وعملة مدن الجزائر (Mazard, J. 1956: 61) (قونوقو / Mazard, J. 1956: 172-173, n° 565/571). وتجدر الإشارة أن هذه الزراعة استفادت من تجربة القرطاجيين، حيث جلب الفنيقيون معهم أصنافا جديدة من الكروم، وطرق عمل متطورة، لذلك لما احتل الرومان البلاد النوميدية، وجدوا أن زراعة الكروم قائمة، لكنها عرفت دفعة قوية بعد صدور قانوني مانكيانا وهادريانا، وبذلك ارتفع انتاج العنب والخمر، حتى أصبح ينافس الخمر الإيطالي، وهذا ما دفع بالإمبراطور دومسيان(8196)) إلى إصدار قانون يلزم سكان المقاطعات بإزالة الكروم المزروعة، وعدم زرع كروم جديدة لحماية الإنتاج الايطالي من المنافسة.

لا نعرف إن طبق هذا القانون في نوميديا وموريطانيا القيصرية، لكن المؤكد أن زراعة الكروم استمرت منتشرة في السهول الساحلية وحتى في الأراضي الداخلية مثل سهول سطيف ولمباز. وقد وجه العنب النوميدي للاستهلاك كفاكهة بالنسبة لبعض الأصناف، وصناعة الخمر بالنسبة لأصناف أخرى، وقد كان الخمر موجه أساسا لتموين الجيش الروماني والموظفين في عين المكان، وإلى التصدير نحو روما، ومثل الزيت عثر على أمفورات وجرار في أماكن عديدة بروما، منها هضبة تستاكسيو وحمامات ديوقلسيانوس تحمل ختم مدن نوميدية منها توبوسكتو، أظهرت الدراسات أنها استعملت لنقل الخمر (190 :1980) الكورات تحمل ختم مدن نوميدية في أماكن عديدة منها مروي (Meroé) أمفورات تحمل ختم مدن نوميدية في أماكن عديدة منها مروي (Meroé)

يضاف إلى هذه الزراعات الأساسية، نباتات أخرى منها التين الذي كان الرومان يحبذونه عن تين المناطق الأخرى (Pline l'Ancien. XV, 69)، واللوز الذي ينمو بصورة جيدة في المناطق الجبلية والمنحدرات بالإضافة إلى مختلف الخضر والبقول مثل الفول والعدس والخرشوف.

لقد سمح التوسع الزراعي في نوميديا وموريطانيا القيصرية لروما أن تحقق مداخيل مهمة باقتطاعها جزءا من الإنتاج تجاوز بكثير الثلث، مما أثر سلبا على مستوى معيشة الأهالي، خاصة أن الإنتاج لم يكن مرتفعا كما ادعاه الكثير من المؤرخين الغربيين، وأن الضرائب التي كان المزارع

ملزم بدفعها للإدارة الرومانية عديدة، فبالإضافة إلى ضريبة العشر نجد الضرائب الاستثنائية (Frumentum emptum)، والمتمثلة في إجبار الأهالي على بيع الإدارة الرومانية القمح في البداية، والمواد الزراعية الأخرى فيما بعد، لما تعجز مداخيل الأنونة على تغطية حاجة السوق الرومانية، بأسعار تحددها، وعادة ما تكون أقل (Ciceron. III, 70, 160; Marquardt, J. 1888: 240) بكثير من الأسعار المطبقة في السوق، دون الأخذ بعين الاعتبار أوضاع الفلاح (Gsell, S. 1972: VII, 102; Cagnat, R. 1912: 252). كما أنه ليس مؤكدا أن روما كانت تدفع ثمن ما تأخذه من قمح و ...، و هذا يؤكده تباهي بلينوس الصغير بدفع الإمبراطور تراجانوس الثمن الحقيقي لما تأخذه روما من الفلاحين (Pline le Jeune. XXIX, 4) وفي حالة استمرار الأزمة الغذائية لم تكن روما تتردد في فرض ضريبة استثنائية ثانية (Marquardt, J. 1888: 240) (imperatum).

يضاف إلى كل هذا، الضريبة العسكرية، وتتمثل في تموين الجيش والموظفين بالمواد الغذائية والخشب والعلف والخيول، وهي تجمع عادة عن طريق المصادرة (Code Théodosien. VII, 4, 19; IV, 31; VIII, 3; XI, 17-18)، وضريبة التاج و البريد...

إن كل الضرائب التي فرضتها روما أثقلت كاهل المزارعين وجعلهم يعيشون أوضاعا مزرية، ازدادت سوءا مع تأجير الإدارة الرومانية جباية الضرائب إلى شركات العشارين (Publicani)، التي كانت تعتبر العملية استثمارا مربحا، لذلك لم تكن تتردد في مضاعفة الضرائب التي يحددها القانون.

إن انخفاض مردود الأرض وتعدد الضرائب وتجاوزات شركات العشارين، أثّرت سلبا على معنويات المزارعين، ودفعت بالكثير منهم إلى هجرة أراضيهم والتوجه إلى المدن بحثا عن ظروف حياة أحسن، مما أدى إلى تراجع المساحات المستغلة، وما تبع ذلك من تراجع الإنتاج، وانخفاض مداخيل الخزينة الرومانية التي أصبحت عاجزة عن تموين المواطنين الرومان بالمواد الغذائية، مما أدخل البلاد في أزمة حادة وعدم استقرار سياسي دام مدة زمنية طويلة، عرفت بعهد الفوضى، انتهت بوصول القائد ديوقلسيانوس إلى سدة الحكم. ولمعالجته الأوضاع المزرية في روما أصدر قانون يقيد كل

حرفي بحرفته، ومنهم المزارعون الذين أصبحوا مقيدين بمزارعهم لا يستطيعون مغادرتها، كما جعل كل حرفة وراثية.

لقد حققت هذه السياسة نتائج إيجابية لكن لمدة قصيرة، حيث تعفن الوضع من جديد بسبب تجاوزات أعوان الإدارة و الجيش، وهو ما تولد عنه غضب شعبي واسع وفرار الكثير من المزارعين إلى أماكن لا يمكن للإدارة الرومانية الوصول إليها، وتنظيمهم حركة ثورية، عرفت بحركة الدوارين التي تحالفت مع الحركة الدوناتية وتصديهم للإدارة الرومانية وأعوانها والطبقة النبيلة التي رأوا فيها ممثلا للسلطة الرومانية.

#### هوامش إضافية:

\*اليوجرة وحدة فياس المساحات تقدر بربع هكتار.

<sup>2\*</sup>أكتشف هذا القانون سنة 1896 بحوض وادي مجردة غرب تونس اليوم، وهو عقد تسيير لضيعة (fundus villamagna variana) أصدره وكيل الامبراطور تراجانوس بين عامي 116 (Tablettes Albertini. 1952: م.، وهو مستوحى من القانون الأصلي الذي لم يعثر عليه :119; Picard, G.-Ch., Rougé, J. 1969: 115-116)

\*اختلف المصطلح الذي استعمل للتعبير عن الضيعات الواسعة فبلينوس الكبير استعمل مصطلح (Latifundia) ، بينما استعمل الذين كتبوا عن الزراعة في إفريقيا الرومانية مصطلح صالتوس (Saltus) ، التي تطور مفهومها من الأحراش والغابات والمستقعات ليدل على الضيعات الواسعة (Maurice, J. 1896: 9; Gsell, S. 1972, VII, 83, 94).

4 بجاء في الوثائق الرومانية اسم مقاطعة موريطانيا السطيفية، لكن معظم المؤرخين يستبعدون ذلك و يميلون إلى أن المقصود بهذه التسمية، هي موريطانيا القيصرية، التي تضم موريطانيا السطيفية قبل أن تفصل عنها في نهاية القرن الثالث مبلادي.

#### بيبليوغرافيا:

#### المصادر:

- -Ammien Marcellin. (1860). Histoire de Rome, trad. édit. Nisard M., Paris: Firmin Didot.
- -Appien. (1808). Guerre civile, trad. Combes Dounous, Paris: Imprimerie des frères Mame.
- Aurelius Victor. (1846). Epitomé, trad. Dubois M.-N.-A., Paris: C.L.F. Panckoucké.
- -Ciceron. (1919). Pro Balbo, trad. Cabaret-Dupaty M., Paris.
- -Ciceron. (1860). Verrines, trad. Nisard M., Paris.
- -Claudien. (1837). Guerre contre Gildon, trad. Nisard M., Paris.
- -Diodore de Sicile. (1865). Histoire Universelle, trad. Abbé Terrasson, Paris: Hachette.
- -Herodote. (1982). Enquête, trad. édit. Baguet A., Belgique: Gallimard.
- -Joseph Flavius. (1932). Guerre des Juifs, trad. édit. Harmand R., Reinarch T., Weill J., Paris: Ernest Leroux.
- -Juvenal. (1934). Satires, trad. Clouard H., Paris.
- -Pline l'ancien. (1999). Histoire Naturelle, trad. Zehnaker H., France: Gallimard.
- Pline le Jeune. (1947). Panégyrique de Trajan, trad. édit. Durru M., Paris: Les Belles Lettres.
- -Pomponius Mela. (1850). Chorographie, trad. édit. Nisard M. Paris: .
- -Plutarque. (1977). Vie des hommes illustres, édit. Walter G., Paris: La Pléiade .
- -Strabon. (1969). Géographie, trad. édit. Aujac G., Paris: Les Belles Lettres.

- -Tite Live. (2001). Histoire romaine, trad. Clercq D., Paris.
- -Ulpianus. (2000). Règles, trad. Gaudemet J., Paris.
- -Varron. (1985). De l'Agriculture, trad. édit. Guiraud Ch., Paris.

المراجع:

شنيتي، م.- ب. (1984). التغييرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

- -Albertini, E. (1930). « Un témoignage de saint Augustin sur la prospérité relative de l'Afrique romaine », au IV° siècle, Mélanges Paul Thomas, Bourges.
- -Cagnat, R. (1912). L'armée romaine de l'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris.
- -Carcopino, J. (1906). « Inscription d'Ain Djemalaa », M.E.F.R, p. 366-481.
- -Decret, F., Fantar, M.-H. (1981). L'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines au V<sup>e</sup> siècle. Paris.
- -Despois, J. (1937). «Rendement en grain du Byzacium il y a 2000 ans et aujourd'hui », Mélanges Gautier E.-F., Tours.
- -Février, P.-A. (1967). «Les origines de l'habitat en Maurétanie Césarienne », Journal des Savants, 2, n° 2.
- -Gsell, S. (1972). Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Allemagne: Otto Zeller
- Verlag, Osnabruck.
  -Gsell, S. (1997). Atlas Archéologique de l'Algérie, 2ème éd., Alger: Agence Nationale d'Archéologie et de Protection des Sites et Monuments Historiques.
- -Homo, L. (1964). Nouvelle histoire romaine, Paris: Marabout. -Humbert, G. (1875). Cens, D.A.G.R., Paris. -Humbert, G. (1875). Annona, D.A.G.R., éd. Daremberg Ch., Saglio E., Paris.
- -Lassère, J.-M. (1977). Ubique populus, Peuplement et mouvement de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.C./ 235 ap. J.-C.), Paris.
- -Lecrivain, Ch. (1919). Tributum, D.A.G.R., Paris.
- -Lequement, R. (1980). «Le vin africain de l'époque romaine », Antiquités Africaines, 16, p. 185-193.
- -Marquardt, J. (1888). L'organisation financière chez les Romains, Paris.
- -Maurice, J. (1896). « Etude sur l'organisation de l'Afrique indigène », M.S.A.F..
- -Mazard, J. (1955). Corpus Numidiae Mauretaniaeque, Paris.
- -Mazard, J. (1956). « Nouvel apport à la numismatique de la Numidie et de la Maurétanie », Libyca, IV, p. 57-70.
- -Mesnage, J. (1913). Romanisation de l'Afrique, Tunisie, Algérie, Maroc, Paris: Beauchesne.
- -Meunier, J. (1941). « Huilerie romaine de Kherbet Agoub », B.S.H.G.S.
- -Müller, L. (1974). Numismatique de l'ancienne Afrique, Copenhague.
- -Picard, G.-Ch., Rougé, J. (1969). Textes et documents relatifs à la vie économique et sociale de l'Empire Romain (31 av. J.-C. /225ap. J.-C.), Paris.
- -Poule, A. (1873). « Inscriptions de Maurétanie et de Numidie », R.S.A.C., 16.
- -Rostovtzeff, M.-I. (1988). Histoire économique et sociale de l'Empire Romain, Paris: Odile Demange.
- -Saumagne, Ch. (1950). « Un tarif fiscal du 4ème siècle », Karthago, 1.
- -Tablettes Albertini. (1952). Actes privés de l'époque vandale (fin du Ve siècle), édit. Courtois Ch., Leschi L., Perrat Ch., Saumagne Ch.. Paris: Arts et métiers graphiques.

# الأنظمة والتقنيات المائية في الفترة القديمة بإقليم الزاب الشرقى وجنوب الأوراس (دراسة تاريخية أثرية)

أ. عناق جمال

جامعة العربي التبسي - تبسة -

تتناسب النظم والتقنيات المائية المتخذة عادة مع العوامل المناخية، والتضاريس الطبيعية ونوعية الطبقات المائية وتوزيع مياه الأمطار حسب الفصول والأعوام .وهي تعكس في تطورها مدى تبحر هذه الحضارة أو تلك في العمران ،ومدى قدرتها على حل المشاكل المعبرة عن معركتها ضد العطش وانعدام الماء.

وتستوقف مختلف هذه الظواهر الدراسة للأنظمة المائية بالزاب في الفترة القديمة. وهذا بسبب الحاجة الملحة لهذه المنشات لعلاقتها بالموارد الزراعية، والنشاط الزراعي ولهذا لما قدم الرومانيون إلى المناطق شبه الصحراوية، بما فيها الزاب كانت احتياجاتهم المائية كبيرة لتوسيع نشاطهم الزراعي. ما استدعاهم إلى إنشاء منشات مائية موجهة للشرب والزارعة وأقاموا في سبيل ذلك مراكز عسكرية لحمايتها، والدفاع عنها من زحف البدو الرحل بالدرجة الأولى. ومع ذلك لم يكن هذا الأمر بالشيء الهين أو السهل على الرومان أو حتى على المسلمين فيما بعد الذين وجدوا كامل السياسة المائية الرومانية التي خلفوها قد اندثرت اغلب معالمها. بسبب الفراغ الحضاري كما هو معروف مابين الفترة الرومانية والإسلامية. هذا من جهة وما يتميز به مناخ شمال إفريقيا من اضطراب شديد وتذبذب من حيث كميات التساقط ودرجات الحرارة المرتفعة من جهة أخرى. وعليه تتضح لنا إشكالية هذا البحث بطرح هذه التساؤلات:أولا عن أصالة هذه التقنيات والمنشات هل أصلها محلى؟ أم هي اختراع روماني بحت؟ وما هو سر نجاح من سبقنا في زرع تلك الأراضي وتخصيبها والاستقرار فيها؟، رغم قلة التساقط الذي قد يستمر لفترات طويلة. كيف اهتدوا إلى المصادر المائية؟، وما هي الأساليب والتقنيات المستعملة للتحكم في العنصر الحيوى وهو الماء ؟.كما نتساءل أيضا عن الطرق والكيفيات التي استغلت في جلبه وتوزيعه، وإيصاله إلى المناطق المراد استغلالها ؟. و ما هي أيضا الأساليب التي استعملوها

للحفاظ على مياه الأمطار أو تلك التي تأتى بها فيضانات الأودية المفاجئة، أو التي تستقر في باطن الأرض.

هذه الأسئلة تجعلنا ندرك أهمية ومدى قدرة أسلافنا على استعمالهم لابتكارات جديدة، لمواجهة هذه المعضلة والمتمثلة في الجفاف والتصحر وندرة المياه التي تتميز بها المنطقة.

# 1- أصالة النظم المائية والزراعية:

أجمع المختصون على الدور الكبير الذي لعبه الرومان في مجال الإنشاءات المائية وخاصة في مجال الزراعة حتى ذهب بعضهم وخاصة الفرنسيون(أمثال شوبرنت وأندرى جوليان) إلى اعتبار أن الرومان هم أصحاب الفضل الأول والأخير في هذه الإنجازات وإذا كنا لا ننكر مساهمة الرومان الكبيرة في تنمية الزراعة وتخليد ماضيهم بتقاليد وتقنيات مائية رائعة فإننا في ذات الوقت لا نشك في مبالغة النصوص خاصة الفرنسية في تلميع صورة الرومان وهذا لأهداف استعمارية لا تخفى على أحد.إذ نستطيع القول - رغم ندرة الوثائق المتعلقة بالفلاحة والرى واستنادا إلى المعطيات الأثرية واللغوية والدينية - أن الأعمال المائية والزراعية في نوميديا بما فيها بلاد الزاب بصفة خاصة وبلاد المغرب بصفة عامة تعود إلى ما قبل الرومان.وإذا كان S. Gsell قد ذهب إلى أن المغاربة قد عرفوا زراعة الحبوب قبل قدوم الفينيقيين بوقت غير قصير. فإن كامبس ذهب ابعد من ذلك بالقول: "أن المغاربة عرفوا الزراعة على أقل تقدير في أواخر ما قبل التاريخ إذ يرى في بعض الأدوات القفصية الدليل على بداية الزراعة.ونحن نعلم أنه لا توجد زراعة دون أشغال مائية.(حارش،م. 95:1996 - 96) ولقد أشار بول تروسى إلى أن معظم بقايا موزعات المياه والسدود، التي ما تزال ظاهرة بواحات المناطق الشبه صحراوية توحي إلى أن نفس الطرق التقليدية المستعملة في الرى، عرفت أساسا منذ الفترات القديمة لدى التجمعات البربرية، التي نشأت من الينابيع دائمة التدفق بمنطقة الليمس. وعرفت هذه التجمعات المائية الأصلية- بفضل التدفق الدائم للماء- الصمود واستمرت فيها الحياة إلى أيامنا هذه(سليماني،س. 2004- 2005: 124) وقد نستحضر في هذا المقام قول "شوبرنت" إن: البربر لم ينتظروا اللاتينيون ليقوموا بالزراعة على المدرجات ويتفننوا في استعمال أفضل للمياه الضرورية للزراعات". وكذلك

وثيقة لاماصبا التي تشير إلى أننا أمام نظام أسسه الأهالي وقام بتكملته وتطويره المهندسون الرومانيون، وفي هذه النقطة بالذات تساءل "شوبرنت" عن ما إذا قام هؤلاء المهندسون والتقنيون، بإدخال تكنولوجيا حديثة بالمغرب القديم.؟ وحسب رأيه فالمشاريع النوعية قد أنجزت من طرف الأفارقة أنفسهم، وفقا لتكنولوجية محلية. في حين أن التقنية المستعملة في بناء السدود وفقا للشروط الطبيعية المتوفرة في هذه البلاد، ساقت "ديسبوا" للميل إلى إرجاع أصل هذه الإنجازات إلى الفترة الرومانية أو حتى بإمكاناتها أن تكون من إنجاز وأصل بربري(سليماني، س.2004 - 2005: 128)ففى الألف الأولى قبل الميلاد، وهي الفترة المحصور بين تأسيس مدينة قرطاجة وبداية التوسع القرطاجي في إفريقيا، ومن خلال أسطورة "عليسا" يمكننا أن نستتتج وجود مجتمعا منظما مستقرا يتمتع بالقوة لدرجة أنه فرض ضريبة على الفينيقيين، الذين طلبوا الإقامة في أرض إفريقيا.

وإلى جانب ذلك هناك الروايات التي سجلها الكتاب القدماء، والتي تتطرق إلى الليبيين المزارعين المقيمين خارج الحدود القرطاجية. حيث يذكر "هيكاتي" في (ق.06.ق.م) وجود ليبيين مزارعين آكلي الحبوب (جغلول،ع. 1982: 11 ؛ رويني، ت.1985: 22). وفي (ق 05 ق.م) كتب هيرودوت عن الليبيين المزارعين الذين يسكنون المنازل، بمعنى أنهم مستقرون كانوا يقطنون غرب نهر التريكون (خليج قابس حاليا).أما الآثار فهي من جهتها أثبتت ممارسة النوميديين للزراعة، حيث أكتشفت المناجل والمعاول المصنوعة من الحجر أو من العظام. ثم رسوم الصخور حيث نقشت طقوس دينية مرتبطة بالمطر، منها مجرفة تمسك بها يد بشرية اكتشفت في الجنوب الوهراني (رويني، ت.1985: 11) إضافة إلى المعطيات اللغوية حيث توجد الكثير من الألفاظ الليبية الخاصة بالمحراث ومركباته، وكلها خالية من التأثير البونيقي مما يثبت أيضا أقدمية ممارسة الزراعة في المنطقة، وحتى قبل الاستقرار القرطاجي.

أما من ناحية المعتقدات والطقوس الدينية المرتبطة بهذا الجانب. فقد بينت رسوم الصخور المكتشفة في جنوب وهران وجوه بشرية تمسك بيدها آلة ذات زاوية تشبه إلى حد كبير المجرفة تحمل استفسارات زراعية. لذلك فقد قدس النوميديون الماء منذ القدم، سواء ما تدفق على سطح الأرض من

المنابع، أو ما اهتدى إليه الإنسان إلى التحصيل عليها بحفر الآبار. وسواء منها ما كان عذبا باردا صالحا للشرب، ولبعث الحياة في الأشجار والمزارع. أو ما كان ساخنا معدنيا صالحا للاستحمام، وللاستشفاء والقدسية (le sacre) الكامنة في المياه. كما يفسرها مثلا رونى كيوا R.Caillois في كتابه "الإنسان والقدسية -L'homme et le sacre" إذ تعتبر أمرا طبيعيا خاصة في المناطق الجافة، فقد أظهرت الجغرافيا والنصوص القديمة ومن خلال المعطيات الأثرية وما كشفته عن ديانات السكان، و النقائش وما رسم على الأنصاب (stèles)، والتي كانت تقدم للآلهة. بالإضافة إلى العادات والتقاليد والمعتقدات القديمة، والتي ترسبت بقاياها إلى عهد قريب منا، خاصة في الأرياف النائية(المحجوبي،ع. دون سنة: 231- 232)على تخصيص آلهة للزراعة والماء. فقد عبد النوميديون مجموعة من الآلهة المرتبطة بها، وبالأخص عبادة الإله "نبتونوس" إله الماء العذب. حيث تقام عبادته بالقرب من مصدر المياه(بن بعزيز،ص. 1988: 191) ، والآلهة "تانيت" التي انتشرت انتشارا كبيرا في نوميديا، وهي التي تعطى الحب والمطر. إلى جانب الإله "سريريس" الإغريقي والمعروف عند الرومان باسم "ديمترى"، وهو اله الزراعة. وقد عمل العاهل النوميدي "ماسينيسا" على نشر عبادته وسط شعبه، وبالفعل كانت له شعبية كبيرة بينهم. وقد كانت له أعمال جليلة لتوطين النوميديين في أراضيهم، وتشجيعهم على الاستقرار والتحول من الرعى إلى الزراعة، حتى أثارت جهود "ماسينيسا" في هذا السبيل إعجاب المؤرخ اليوناني "بوليبوس"فامتدحه منوها بالنجاح الذي حققه في هذا الميدان(شنيتي،م. 1986: 10)وهناك طقوس دينية كثيرة كان النوميديون يمارسونها والمتعلقة بالماء والزراعة، مثل تلك المتعلقة بسقوط المطر إذ يمثلونها بملعقة خشبية كبيرة تغطى بقطع من القماش، وترمز للمطر كانوا يسمونها "غونجة". ورغم بساطة هذه الطقوس فقد لجأ إليها النوميديون ترحما وطلبا للمطر، لكى يتمكنوا من زراعة أراضيهم لحصاد منتوج يكفى حاجتهم المعيشية. (رويني، ت.1985: 25). وبالنظر لقلة وندرة مياه الأمطار، والتي لا تكفي لسقى ورى الأراضى الزراعية، ورغم أن الأودية والجداول المائية شديدة الجريان شتاءا وفجائية وتجف تماما في الصيف. لذلك فقد لجأ النوميديون إلى اتخاذ بعض الإجراءات لتخزين المياه من الأمطار والثلوج، والاستغلال

الأحسن لها وتحويلها إلى إنتاج عن طريق توجيهها إلى صهاريج للحفظللاستفادة منها. وقد رأى كامبس في آثار تازبنتTazbentغرب تبسة بقايا تنظيمات محلية للأرض، بهدف توفير ظروف استغلالها وهذا بإقامة المدرجات بواسطة أسوار كانت تضمن تجميع المياه أولا، ثم الحد من سرعتها ثانيا ،كما كانت تساهم في حماية التربة من الانجراف. و اما بالو Balout فقد لاحظ أن هذه الانحدارات البسيطة، التي تفصل بين الخانات تتحكم في الثلوج التي تسقط في المنطقة. وأبرز مثال على هذه المنشآت على ما يذكر شوفالييChevalier هي منشآت برج المنزل، وهنشير الحمام التي قال فيها إنها تقنيات هادفة إلى حفظ التربة، كما تتلاءم مع طبيعة ومناخ المنطقة فلم ينتظر المغاربة القدماء من وجهة نظر Chevalier قدوم الرومان لتفكير في إقامة هذه المنشآت(المحجوبي، ع. دون سنة: 233) هذا وقد عثر في مناطق متعددة من الجزائر الحالية، على تربيعات(Quadrillage) زراعية، تمثل وحدات مئوية تستعمل مساحات معتبرة. وهي محاطة بأسوار تهيئ أجزاء من الأرض لاستقبال المياه، وحمايتها أيضا من السيول الجارفة المفاجئة. (صورة01) وخلق مدرجات للزراعة، وتبدوا من خلال البقايا الأثرية أنها تعود إلى العصر الحجرى الحديث، واستمر العمل بها فيما بعد إلى الفترة الرومانية، حيث ذهب شلتنSchulten الذي قام بدراسة لموضوع توزيع الأراضي في العهد الروماني في تونس، إلى أن هذه المربعات التي ظهرت في التصوير الجوى تدل على أملاك الدولة الرومانية، المعفاة من الضرائب. بينما ميزت الأشكال المستطيلة الأراضى الخاضعة للضرائب التي كان يمتلكها الفلاحين(Schulten, A. 1902: 20, 151-152)، دون سنة:234). كما تدل هذه الأعمال المعتبرة على طول مدة الاستقرار بها. وبالتالى فقد استطاعت روما فيما بعد أن تنجز أعمال الكنترة(Centuriation)(الشلماني، م. 1997: 173) الكبرى وفي ظروف مناخية جديدة، والفضل في ذلك يعود إلى تركيبات مائية (قنوات وأسوار) معروفة سابقا في المنطقة. بحيث أن روما قد أخذت بعين الاعتبار هذه العادات المحلية في التقسيمات، وتمكنت من الاستفادة من تطبيقات مائية وزراعية سابقة(حارش،م، 1996:1996- 97) ولربما الرومان قد استكملوا المشروعات النوميدية المتعلقة بالتحكم في المياه، في مرحلة لاحقة مما أخفى هذه الأعمال ونسبت فيما بعد إلى الرومان(على، ح. 1995: 178)

2- الأنظمة الهيدرولوجية والزراعية:

إن المخلفات الأثرية التي تركها الأقدمون والتي نسب الكثير منها وللا سف للرومان، والتي اندثر معظمها بسبب المؤثرات الطبيعية منها والبشرية تشهد على منجزات زراعية بالغة الأهمية نهض بها أهل المنطقة في هذا الإقليم برغم أن منسوب المطر الضئيل (100- 200ملم)، والحرارة الشديدة وزحف الرمال أحيانا كلها أمور تعيق الزراعة. غير أن المظهر المورفولوجي والطوبوغرافي الذي يتميز به خاصة الزابالشرقي بماتتوفره من تربة فيضية خصبة انحدرت إليها من مرتفعات الأوراس(خريطة 1 و2)بواسطة الأودية أعطاها خصوصية إمكانيات زراعية تتلاءم مع الوضعية المناخية رغم عداوتها وهذا إذا تم التحكم في خاصية المياه الجارية في فصل التساقط (شنيتي، م.2003:200). لذلك لاحظنا أن الرومان لما جاؤوا إلى هذه المنطقة، قد أخذوا بعين الاعتبار للوضعية الطبوغرافية السائدة في إقليم الزاب والأوراس، للاستفادة من خيراته وهذا بلجوئهم إلى إتباع إجراءات عملية ومنهجية، قصد إحصائها وتقسيمها إلى حصص متناسبة المساحة يسهل توزيعها على المنتفعين الرومان. أو تأجيرها بإتباع التقسيم الكونتوري حيث شرع في هذه العملية التقنية في الفترة ما بين 06- 29م واستمرت باستمرار حركة الاستيطان، إلى أن بلغ بها الإمبراطور الروماني هادريانوس في القرن 3م وبنى على أراضيها مدينة بادس وجميلا Gemellaeأو مليلى (شنيتي، م. التغيرات الاقتصادية .. دون سنة: 56- 57) بإقليم الزاب فمن خلال الوثائق البشرية بجنوب الأوراس والزاب الشرقى والتي أكدت استغلال المساحات الزراعية وتخصيصها لإنتاج القمح كمادة غذائية إستراتيجية لا سبيل لتعويضها. وهذا ما تأكده مقولة يوليوس قيصر "أتيت لروما ببلد يستطيع أن يزودها بمقدار 840000 قنطار من القمح" وهذا أثناء احتفاله بالانتصار على احتلال نوميديا عام 46 ق.م(شنيتي، م.(دون سنة)(التغيرات...): 58)وهكذا نتج عن السياسة الزراعية الرومانية بأن دفعوا بخط الليمس إلى أقصى نقطة ممكنة جنوبا حيث توغلت الحدود في عهد السيفيريين في الصحراء الشمالية الشرقية(Despois, J. 1942: 207)(قداش،م. 1993:

136)فكان على المختصين الرومان في مجال الرى أن يدرسوا هذه الوضعية الطبوغرافية المتميزة لإقليم الدراسة كما قلنا سابقا، ومن مشاريع التموين بالمياه بإمكانهمأن يتعرفوا على مصادر المياه السطحية والجوفية لهذا الإقليم، لاستغلالها زراعيا واستيطانيا وهذا ما تؤكده لنا الشواهد المادية والتي جاء ذكرها في الخريطة الأثرية الزراعية لكل من Gsellو Baradezو شنيتي، م.2003: 113) والتي أكدت وجود منشآت اتصفت بالتكامل الوظيفي والتجانس التقني بصورة أدهشت الدارسين والتي تشهد على كثافة الآثار الزراعية في الإقليم (شنيتي، م. 1999: 172)فعلى مخرج وادى الأبيض وشمالى سيدى عقبة أقيمت منشآت رى لتغذية منطقة سيدى عقبة بالمياه مما يسمح بقيام زراعة هامة ومراكز استقرار أشهرها كما هو معروف مدينة تهودةكمدينة هامة ينتشر حولها العديد من المزارع والمستعمرات على امتداد الأراضي المحاذية للوادى باستغلال مياهه بطرق ري تتناسب و إمكانياتها المائية(صورة02. ونشاهد حاليا بمحيط الموقع مجمعين مختلفين من نموذج البناء منسجمين مع بعضهما البعض يبينان بوضوح نمط الصنف المعماري التقليدي الصحراوي الذي استغل فيه الطوب من الطين وشمال القرية توجد آبار المدينة القديمة المسماة Thabudeos (تهودة)وقد أشير إليها في كتابات المؤرخ الإغريقي بلين الكبير اعتبرها ضمن المدن التي استولى عليها القائد الرومانى كورنيليوس بالبوسCorlneluis Balbusفيما بين سنتي (19- 20 ق م) في عهد الإمبراطور الروماني أوغسطس وتغطى بقايا آثار تهودة مساحة لا بأس بها وهي واقعة في الناحية الجنوبية من القرية الحالية وبالضبط على بعد واحد كيلومتر في مكان يسمى خربة بن عطية (Gsell, S., f. 48, n°69-49)حيت توجد آثار جدران مرصوفة الحجارة وأعمدة على مستوى أرضية بعض الغرف تتوضح بعض الرسومات الفسيفسائية بمختلف الألوان ويتراوح سمك قاعدتها حوالي 5سم أقيمت جدرانها الأربعة بواسطة الآجر المهذب في جهاته الأربعة (Toucoard, J.-L. 1901: v. 35, 151)

وأبعاد هذه الغرف هي تقريبا 3.30 م x 3.30م داخليا أما الجدران فقد يصل سمكها إلى 120سم وبعلو يصل تقريبا ما بين2م و3م .(Baradez, J (1949: 281-282) عامة فإن الحفائر التي أجريت سابقا أثبتت أن منطقة تهودة تحتوى على آثار متنوعة لمختلف الحقب، لا يستهان بها فبالإضافة إلى آثار البناء في المدينة القديمة فقد عثر أيضا على شظايا لمختلف أصناف الأثاث المستعمل آنذاك ومنتشرة بقاياها بكامل المنطقة. وقد تم التعرف على هذه الشظايا وهي بقايا لمطاحن بشرية استعملت لطحن القمح ومعاصر لعصر زيت الزيتون، و كهدف اقتصادي له علاقة بوجود المنشآت المائية ولنا مثال على ذلك فقد أظهر التصوير الجوى على وجود عدة مستودعات في جنوب تهودة مخصصة لتجميع الحبوب والزيوت وهى تعتبر مستخلصات الضرائب التي كانت تؤخذ من السكان المحليين والتي كان يطلق عليها هنشير<sup>27</sup> بيت المال، حيث قدرت مساحته الإجمالية بـ 33 x 33م ُ.وفي وسط ساحته نجد بقايا معصرة الزيتون إذ يقدر سمك جدران المستودع الخارجي ب 1م ولا يزيد ارتفاعها عن 1,50م، بنيت بالحجارة وثبتت بمادة الجير، ومن خلال مظهرها الخارجي والداخلي تبين أنها بنيت بتقنية بارعة (Baradez, J. (202) 1949وعلى مخرج وادى العرب وفي الركن الجنوبي الشرقي بمرتفع الأوراس تقع قرية بادس. والتي أشير إليها في قائمة بوتنجيPeutinger باسم Gsell, S. 1997: f. 49, n° 51)Badias) وتظهر أهمية هذا الموقع لوقوعه على الخط الرابط بين فيسيرا غربا وماسكولا خنشلة شمالا وقفصة التونسية شرقا وتبسة (تيفست) شمال شرقي بادس(خريطة 02) .ويعتقد قزال بأن بادس كانت نقطة ارتكاز للجيش الروماني على تخوم الصحراء، وقد أسست في عهد الإمبراطور تراجان Trajan(غانم، م.- ص. 38- 39)

ولقد أشار بيربونتBirebent إلى أن منطقة بادس تحتوي على العديد من آثار المنشآت المائية ويلخصها فيما يلى:

- 1- وجود آثار حائط سمكه كبير ويبلغ ارتفاعه 04 أمتار يعتقد أنه يمثل أحد أجزاء خزان مائي قديم.
- 2- آثار قناة مائية لكنها خارج الخدمة كانت تتغذى من عدة أحواض.
- 3- أحواض أقيمت خارج أسوار المدينة كانت تستخدم من حين لأخر تقع في الجهة الشمالية لبادس.
- 4- وجود قنوات موجهة لتغذية المدينة تخترق سور المدينة مبنية
   بالحجارة الضخمة (Birebent, J. 1964: 187)

وتظهر آثار الموقع الروماني (الليمس بادس) في نقاط متعددة خاصة في شمال القرية إذ نجد بالخصوص جدار يرتفع بحوالي 3 إلى 4أمتار، وسمكه يتراوح بين 60سم على 40سم عرضا وطولا، والذي يفصل الطبقات المحصورة بحوالي 20سم. وقد عثر في هذا الموقع على بقايا أحواض وآبار ومخازن وسواقي وقنوات مياه (شكل 01) .بالإضافة إلى بقايا أثرية لأعمدة وتيجان كلها تعود إلى الفترة الرومانية (192 :Baradez, J.1949) رغم أن مجمل هذه المعالم الأثرية والمنشآت المائية قد اندثرت.

غير أن التصوير الجوي لـ Baradez أظهر لنا كثيرا من المعالم المتعلقة بالري، خاصة نمط قنوات جر المياه التي حفرت تحت الأرض والمعروفة باسمها المشهور "الفقارات" (129 :1294). والمعروفة اليوم بالاسم المحلي "القنارية" ولا تزال إلى اليوم آثارها واضحة على ضفتي وادي العرب بالقرب من واحة ليانة ولقد أشارت المصادر اللاتينية القديمة وعلى رأسها المؤرخ بروكوب والشاعر كريبوس في ق.06.م على الأهمية الزراعية لسهول بادس (صورة 03) إذ أتفق كلاهما على إنتاجها لمحصولين في السنة، فضلا عن حرارتها إلى جانب الإشارة بأن منتجات هذا الإقليم تعتبر مضاعفة بالنسبة لبقية المناطق النوميدية. (عيبش، ي. 2003: 109.)

ويدعمهما قول البكري الذي عاش في القرن 11م عندما يقول عن بادس "... وبمدينة بادس حصنان فيها جامع و أسواق وبسائط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم" (البكري. 2003: 2، 257.)

وعملية زراعة الشعير والقمح مرتين هي تقاليد مازالت إلى حد اليوم معروفة بين فلاحين المنطقة ولكنه مرتبط حسبهم بكمية منسوب وجريان مياه واد العرب، خاصة في المواسم الجيدة من السنة وكنتيجة لاهتمام الرومان بالوضعية المناخية للمنطقة فقد اعتمدوا على ثلاث مصادر مائية لتحقيق أهدافهم الاقتصادية:

1- الاعتماد على مياه الأمطار المحلية في الفصول الماطرة وتخزينها تخضع كميتها حسب طبيعة الأرض المستغلة.

2- استغلال المياه الجوفية المحلية من آبار وعيون.

3- استغلال مياه الوديان بشق السواقي والقنوات نحو الأهداف المراد استغلالها.

ويمكن حصر تجهيزات الري الريفي حسب دراسة بيربونتلإقليم الشرق الجزائري باعتبار هذا الإقليم كان بالنسبة للرومان ذا أهمية زراعية فلاحية بالدرجة الأولى في نوعين رئيسيين:

أولهما: أنظمة التحكم:

أ- مراصد المياه (Les Captages):

وهي في اغلب الأحيان عبارة عن حوض بسيط لتجميع المياه والمبني إما بحجارة صغيرة أو بحجارة مصقولة متوسطة الحجم. وتكون هذه المآخذ عموما على شكل مستطيل أو نصف دائرة.(Birebent, J. 1964: 455) حيث أشار Baradez إلى هذا النوع من منشآت التوزيع وقدر مقاييسه 10060/ م بحيث انه إذا كان نسبة المياه المخزنة تبلغ المترين، فإن هذا الحوض بإمكانه أن يخزن 12 ألف م من المياه. أما إذا كان مجموع الأحواض خمسة فبإمكانهم احتواء ما يقارب 60 ألف م من الماء ويغطي أحيانا بقبوة وفي أغلب الحالات بصفيحة أو أكثر من الحجر المصقول، ويطلى داخليا بمادة عازلة تمنع تسرب المياه.:(Baradez, J 1949)

ب- الآبار: استعملت في الجزائر بشكل مكثف رغم استلزامها لمجهود تقني وعضلي كبير جدا.خاصة إذا علمنا عمق المياه في منطقة الزاب الشرقي وقلة العيون لكن حاجة السكان لمياه هذه الآبار كانت كبيرة.(Birebent, J. 1964: 455)

وتميزت الآبار في الشرق الجزائري كما ذكرها "Birebent" عن مثيلاتها في أماكن أخرى من عدة جوانب نجملها في النقاط الآتية:

1- من حيث شكل الفوهة: حيث تأخذ فوهتها شكلا دائريا مميزا إن كان الماء عميقا وغائرا، وقد تأخذ شكلا بيضاويا إن كان الماء قريبا من سطح الأرض (المنصف، ر. دون سنة: 224)بالإضافة إلى الشكلين المعتادين لفوهات الآبار الرومانية هما المربعة والمستطيلة ومقاسات ضلعها ما بين 0.80م و1.50م.(صورة 4)

2- نميز بعض الآبار التي عثر عليها باتساع في قعرها، حيث تم حفر هذه الآبار بحفر جوانبها مما شكل شبه قاعة تكون بمثابة خزان، سمح

بالاحتفاظ بأكبر كمية من الماء ونجد هذا النوع قد استغل في المناطق التي تفتقر إلى المياه الباطنية حيث تسمح هذه الآبار، باستغلال أنفع للمياه المتسربة والمتسللة بين الطبقات الأرضية ويدعى هذا النوعع بالبئر الخزان( Birebent, J.1964: 498-499)وهذا النوع ينتشر بكثرة على ضفاف الأودية كوادي العرب والذي يسقى الخنقة وبادس. وأما واد الأبيض فيسقى واحة تهودة وسيدي عقبة (صورة 5) (Gsell, S.1997: f 49, n° 30, 54, 75)

3- تميزت بعض الآبار بالعمق الكبير خاصة تلك الموجودة في المناطق المتاخمة، أو الواقعة شمال الصحراء حيث يتراوح عمقها ما بين 40م و60م ولنا مثال على ذلك في مدينة تهوده حيث وجدت بئر قديمة مغمورة جزئيا يتراوح عمقها حوالي 46م.(صورة 6) :Baradez, J. 1949 وهذا العمق يعتبر كبيرا جدا خاصة إذا علمنا أنها حفرت في أراضي ذات مكونات صلبة، هذا من جهة(Birebent, J. 1964: 495)ومن جهة أخرى الجهد الكبير المبذول لاستغلال مياهها فيما بعد، من حيث مقدار الكمية القليلة المسحوبة وطول فترة زمن السحب (شنيتي، م(دون سنة) (التغيرات...): 109)ويلاحظ أن استغلال الآبار العميقة كانت تحتمه الحاجة إليها في حالة عدم خروج المياه بتلقائية في الطبقات القريبة من السطح.(الشلماني، م. (171:1995)

4- الآبار ذات الأعماق المتوسطة: وتستفيد هذه الآبار من مياه السيول المطرية العنيفة التي تقع بهذه المناطق في الفصول الماطرة، ويسمح نظام حجز وتوجيه هام ومكثف جدا ، من إيصال هذه المياه إلى مناطق الاستغلال الزراعي والتواجد السكاني. عوض ضياعها في أي اتجاه. وعند وصولها إلى هذه المناطق تترك لتتسرب في طبقات الأرض ثم يتم استخراجها عن طريق الآبار للاستفادة منها.(Birebent, J. 1964:498) ونلاحظ أن هذا النوع كثير الانتشار في إقليم الدراسة. وخصوصا في شمال شرق "بادس" وفي جنوبها. فعلى بعد حوالى 80 متر توجد آثار آبار رومانية متوسطة العمق، وقطرها كبيريصل عمقها إلى نحو 8 إلى 10 أمتار بنيت بالآجر ويوجد أيضا بئران في خنقة سيدى ناجى بنيت جوانبها ورصفت بالحجارة الكتيمة(Torcy.De. 1911:18-20)وكذلك الشأن بالنسبة لكل منليانة والرويجل حيث يلاحظ وجود آبار مبنية بالأجر، يتراوح أقطارها بثلاثة أمتار

وأعماقها تصل إلى المتر .Gsell, S ) (f. 49, n° 54-751997) وقد صنف Birebent .في تصل إلى المتر وهي: في دراسته لهذه الآبار من حيث وظيفتها إلى ثلاثة مجموعات رئيسية وهي:

- 1- الآبار التي تستغل المياه السطحية.
  - 2- الآبار التي تستغل المياه العميقة.
- 3- الآبار التي تأخذ مياه السيول التحتية. (Birebent, J. 1964: 494)

ج- السدود:تنتشر هذه السدود بالخصوص في خوانق الأودية كخوانق واد العرب مثل الخنقة وخوانق واد الأبيض مثل مشونش وبانيان. (صورة 7)وذلك لتوفر الظروف التضاريسية المواتية، كنقطة اتصال بين الجبال والسهول المنبسطة. ليسهل توجيه مياهها، ويتعدد تنوع هذه السدود بتقنياتها والمواد المستعملة في بناءها (شنيتي م.دون سنة:107- 108) ويمكننا أن نشاهد هذا النوع من المنشات في وادى العرب بداية من قلعة التراب إلى بادس ومرورا بالخنقة.(Alquier, J. 1941:36) حيث أشار Gsell إلى وجود سد كان قائما بين ضفتي واد العرب على مستوى عالية قرية الخنقة، لكنه اختفى واندثرت أبرز معالمه، وكان يتصل بقنوات رى رومانية .Gsell, S). 1997: f. 46, n°56-57) على أن هذا السد يبعد عن هذه المكان بحوالي4كلم. وقد بني بعد الفترة الرومانية لتعويض الخسارة المائية، بعد اندثار وتعطل القناة الرومانية ويعتقد أيضا أن دوره كان يتمثل في تموين البلدة(Birebent, J. 1964: 184) فهذه السدود حسب Baradezهي على شكل حواجز صغيرة، ذات توضعات طولية توافق طبوغرافية المنطقة. ودورها يتمثل في تغذية مياه الينابيع التي تستعمل في سقى المساحة الزراعية الصغيرة. وأيضا تقام هذه السدود على أساس احتمال تدفق مياه الينابيع جديدة في جهات أخرى، بالإضافة إلى دورها في تغذية الأحواض المرتبطة بقنوات المياه الموجهة للسقى الموجودة أسفل هذه السدود ; Despois, J. 1942: 203; Baradez, J. 1949: 191)

وتتنوع هذه السدود حسب وظيفتها نلخصها فيما يلى:

- سدود بسيطة مهمتها حفظ بعض المياه لاستعمالها لاحقا ولفترة ليست طويلة.
- 2- سدود لمنع التربة من الانجراف المائي للمحافظة على الأراضي الزراعية، وتقام عادة على جانب أو وسط الوادي وتقطعه إلى الجهة الأخرى.

3- جدران جانبية على طول الوادى تعمل بحجارة كبيرة، وتكمن أهميتها في أنها تمنع انجراف التربة و كذا تساقط الحجارة الكبيرة من سطح الجبل إلى مجرى الوادي. وبذلك يمكن تهدئة المياه وتوجيهها أن كانت خالية من الحجارة.

4- جدران توجيهية وهي أساس النظام المائي كله، حيث تعمل هذه الجدران على التصدي للمياه، ومن ثمة توجيهها إلى مناطق معينة. والتوجيه يكون عادة إلى منحدر مائى قد يمثل صهريج كبير لحفظ المياه. أو إلى أرض زراعية حيث تقسم مياه الوادي على المزارع الصغيرة بالعدل(الشلماني، ه. 1995: 168 - 168

5- جدران تعويقية ومهمتها تهدئة المياه الشديدة السريعة خاصة في الأودية التي مجراها واسع، وفسيح وبذلك تصل المياه إلى الموقع المراد استغلاله بشكل هادئ جدا. وتكمن أهمية هذه الأودية والجدران بصفة عامة في هدفين رئيسيين:

أ- حصر أكبر كمية من المياه ووضعها تحت منظومة التحكم.

ب- أنها أمنت أفضل طريقة للسيطرة على المياه دون حدوث سيول جارفة قد تتحدر إلى الأودية مع ما يترتب عليها من أضرار.(على، ح.1995: (181 -180

د- الأحواض و الصهاريج:

وهي أبنية تحفر في الأرض أو تبنى بجدران والغرض منها حفظ المياه لاستعمالها لاحقا، وقد تنوعت من حيث الصنعة والحجم وإن كان الغرض المشترك هو حفظ المياه الإستغالها (الشلماني، م. 166:1995) وقد تعرف هذه الأحواض بالصهاريج أو البرك الرومانية التي تقام عادة بعمل جدران حجرية، والتي هي عبارة عن سدود بسيطة تقام في أسفل المنحدرات، لحجز المياه الجارية على السطح أو مياه الأمطار. وتتخذ أشكالا دائرية أو إهليجية (صورة 8)تكون هذه الصهاريج على شكل خنادق أو جدران منخفضة الارتفاع وممتدة على مسافات طويلة وذك قصد حجز أكبر كمية ممكنة من المياه .(Baradez.1949: 186 ؛ منصف، ر. دون سنة: 222) وهناك أيضا الأحواض الطبيعية، والتي تنتشر بكثرة في المناطق الجنوبية المتميزة بالأمطار الرعدية المفاجئة والسريعة والمتقطعة، (صورة 9) وهناك أيضا الصهاريج وهي التي أقيمت بحيث تتناسب وطبيعة الظروف المناخية للمنطقة هذا من جهة ، ووظيفتها والدور الذي أنشأت من أجله من جهة أخرى. وبذلك يمكن أن نحصر جميعها في أربعة أنواع وهي:

- 1- صهاريج أقيمت داخل الخنادق والحصون والقلاع المحاطة بأسوار تستخدم للضرورة في حالة الجفاف، وندرة المياه أو عند أي حصار خارجى.
- 2- صهاريج مهمتها التنقية الجانبية وهي عبارة عن أحواض قاعدتها
   حجرية أو حصوية مهمتها تنقية مياه الشرب.
- 3- صهاريج وأحواض الوديان: وهي التي تعتمد على مياه الأمطار التي تجلبها الوديان، وتوقفها السدود التعويقيةوهي صهاريج استخدمت لتساقط الأمطار المفاجئة التي تتسبب في الفيضانات، ويكثر هذا النوع على ضفاف وادي الأبيض خاصة في القرى والأرياف الأوراسية التي يمر بجانبها الوادى، مثل قرية تيغانمين وشناورةوآريس وبانيان.
- 4- صهاريج الينابيع والأمطار: يتم توزيع مياه العيون والينابيع عن طريق قناطر وقنوات حجرية، إلى صهاريج المنطقة الزراعية، كما يتم حفر أحواض صغيرة وقنوات في الجبال الصخرية، لجلب أكبر كمية من مياه الأمطار عبر قنوات منحوتة في الصخر.(192 :1949 :1949)وتعتبر هذه الصهاريج والأحواض أصغر حجما وهي الأكثر استعمالا، واستخداما لاستهلاك مياهها من قبل الإنسان و لحيوان رغم ما يرتبط بهذه الأحواض من مشكلات، إذ قد تتعرض المياه الراكدة للتلوث وتصبح موقعا ضارا لصحة الإنسان والحيوان .كما يعد الفاقد المرتفع نتيجة التبخر او التسرب من المساوئ الأخرى لهذه المنشآت.

ثانيا: أنظمة التوزيع:

ا- قنوات التوزيع وطرق السقاية:

يظهر أن هذا النوع من قنوات التوزيع هو أكثر المنجزات وضوحا عن طريق التصوير الجوي، من حيث استغلالها وإفادتها الفلاحية.

(Baradez, J. 1949:192) (صورة:10 وشكل:2)وتعتبر منطقة الاوراس (المنطقة المنطقة الاوراس الشرقي من أهم المناطق اشتمالا على البقايا الأثرية المتعلقة بشبكة السقاية الزراعية الرومانية (Gsell, S. 1997: f. 49, n° 1-51). ولعل السبب يعود

إلى العوامل الطبوغرافية والمناخية، بالإضافة إلى انخفاض المنطقة وخصوبة التربة الفيضية(شنتي، م. 115:1982- 116)وتدل ضخامة منشآت الري في هذه الجهة وتقنية إنشائها، ودقة توزيعها على أنها لم تكن من إنجاز أفراد أو هيئات محلية محدودة الإمكانيات. بل يظهر أنها أنجزت طبقا لمخطط صادر عن سلطة عليا تابع لقطاع الهندسة العسكرية الرومانية وهي المسؤولة أمام الإمبراطور الروماني.(Birebent, J.1964:122) وبينت البقايا الكثيفة لأعمال الري في هذه الجهة على أن مياه الأودية كانت الأكثر استغلالا، إذ تظهر شبكة السقاية واضحة انطلاقا من نقاط خروج وديان الكتلة الأوراسية، حيث كانت تقام عند تلك الخوانق الجبلية الضيقة سدود تحكم، وتخزين لا تزال آثارها قائمة إلى يومنا هذا. ولا يزال مفهوم وطرق استغلالها يتم بنفس الطريقة على جميع مستويات مجرى الوادى الرئيسي. وتتواصل هذه التقنية عند القرى الشمالية في شمال الأوراس إلى جنوبه نظرا لتركز معظم الأراضي الزراعية، والتجمعات السكانية بالمنطقة على ضفاف الأودية الضيقة التي يبلغ عرض أوسعها 500مومنها تنطلق شبكة من قنوات السقى

(Baradez, J.:3241949 -325) ذلك أن طبيعة مياه هذه الأودية أجبرت القائمين بأشغال الرى الفلاحي، إتباع الطريقة المكثفة لاستغلال مياه الوديان والتحكم فيها كما قلنا سابقا. ونستفيد من وصف بروكوب في العهد البيزنطى نقلا عن جوليان عن كيفية استغلال مياه وادى الابيقاسAbigas - ولعله واد الأبيض حاليا- من طرف الأهالي وطرق السقى (ينحدر نهر الأبيقاس من جبال الأوراس، وعند وصوله إلى السهول يسقى الأرض كما يشتهون، أنهم يحولون مجراه على النحو الذي يعتقدون أنه الأجدى. فقد حفروا عددا كبيرا من القنوات مرت منها مياه الأبيقاس، إنها تجرى تحت الأرض ثم تظهر من جديد. فتتجمع وبذلك سيكون هذا النهر في متناول سكان معظم السهول، فكانوا يسدون القنوات بحواجز ويفتحونها بعد ذلك بحيث ينتفعون بالمياه كماشاءوا).(شارل، أ.- ج. 1969: 212)فهذه الحواجز التي تعتبر كسدود تحويل ثانوية ،كانت تمكن السكان من الحصول على كميات إضافية من الماء لشغلها في سقاية المزروعات الواقعة في جوار ضفتى مجرى الوادى، وعلى أطول امتداد

ممكن. إن هذه العملية تفسر إجراءات الاستصلاح التي تناولت الأراضي القابلة للزراعة، والتي تجاور مجاري الوديان. حيث سويت سطوحها قصد مد القنوات فيها، وجهزت بصهاريج حفظ وتوزيع المياه عبر تلك الأراضى وتبدو شبكة قنوات السقى الممتدة على ضفتى الأودية، كثيرة من خلال الصور الملتقطة لأحواض الوديان انطلاقا من نقاط التجميع، أو السدود المقامة في مخارج الوديان وعلى امتداد مجاريها. وقد كانت كل قنوات المياه تأتى من المنبع لتصب في منطقة التوزيع، التي غالبا ما تكون عبارة عن حوض مرتفع عن المنطقة المراد سقايتها، وذلك حتى يسهل تدفق المياه وانصبابها بسهولة. (Birebent, J. 1964: 119; Baradez, J. 1949: 191-192) كذلك يمكن أن يحمل الماء في قنوات كثيرة من منطقة التوزيع وتتفرع كل قناة إلى قنوات ثانوية إذا دعت الضرورة. لذلك وعندما تمر قنوات المياه عبر الجبال أو المرتفعات فإنها تسير متوازية فوق بعضها ، أو تجمع في قناة واحدة ثم يعاد توزيعها بعد ذلك في مجرى صخرى يتراوح عرضها 02متر إلى 50سم كما رأينا في القنوات الصخرية بواحة بانيان ,55, 75, (Gsell, S. 1997: f. 49.n° 51, 75) (83(صورة 09).ولعل الدراسة التي خصصها Birebentلإحدى القنوات الرومانية والتي تعتبر من أهم الدراسات الأثرية في هذا المجال. وتعرف هذه القناة ب "قناة ملاقو" نسبة إلى واد ملاقو احد روافد واد العرب الذي ينحدر من جبل الاوراس. ويمتد طولها حوالي 70كلم، والتي تستمر عبر الخوانق الجبلية بمحاذاة وادى العرب وصولا إلى واحة بادس. وفي احد أجزائها الممتدة على الضفة اليمني لوادي العرب في قرية الخنقة وليانة وبادس، كان يعتقد في القديم أنها كانت موجهة للشرب، وأحيانا للسقى. وقد كان الملازم Toucoard يظن أن هذه القناة تتمونمن تجميع لمياه السد. لكن الأكيد أن مصدر تموينها كان من مياه واد ملاقو. وقد لاحظنا من خلال بقایا آثارها قد شق لها نفق ارضی.مجهز بنفاسات Reguards(Mercier, G. (138) 1915وهو على ارتفاع مابين05م و06 متر من سرير وادى العرب وارتفاع فتحة مجرى الرواق هو 02 متر وهو مزود ببئرين للتهوية عرضها 01.50م تقريبا قد ردمت اليوم.(Birebent, J. 1964:184)

ومن خلال استطلاعنا وتتبعنا لمسار هذه القناة إلى غاية خزان بادس، جعلنا نكتشف أن امتدادها تحت الأرض هو بعمق حوالي 05 امتار. ولاتزال بقايا اثار هذه القناة على طول الضفة اليمنى لوادى العرب خاصة عند قرية ليانة جنوبا بحوالي01كلم، وصولا إلى بادس والتي تبعد بحوالي 600 م.(Torcy, De. 1911: 21) (صورة 11)حيث جهز لها خزان لتجميع مياهها، واستغلاله فيما بعد. ويعتقد Birebent إن استمرار احد القنوات المائية هو استمرار و امتدادلأحد فروع القناة الرئيسية التي تربط بين بادس وزريبة الوادي. وقد بنيت باللاجر بشكل مختلف عن قناة ملاقو، والتياستخدمت لشرب مدينة بادس. أما القنوات الأخرى التي مصدرها مياه وادى العرب وسدوده، وكذلك قنوات توزيع مياه الينابيع الدائمة الجريان و التدفق فهي تستغل لسقى الأراضي.(Birebent, J. 1964:18) وبذلكفان هذه القناة التي نسميها قناة ملاقو أنشئتبالدرجة الأولى لتغذية واحة ليانة و بادس بمياه الشروب ومنأهم خصائصها:

1- نفسها من الشمال إلى الجنوب في طريقة استعمال مواد البناء عدا نقص منسوب مياهها في الجنوب نظرا لضياعه بسبب التبخر والامتصاص.

2- منسوبها يتغير، ولا يكفى لتلبية حاجات السقى والشرب خاصة في فترة الجفاف.

وأما عن التقنية التي استعملت في بناء هذه القناة، فقد لاحظنا أنها جاءت بطريقة متقنة لضمان سير مياهها، وعدم ضياعه. حيث استعمل في بنائها الصخور وحصى الوادي، وتم ربط وتلبيس الجدران الداخلية والخارجية بالجير الذي يظهر في بعض أجزاء القناة. أما سمك جدرانها فهو متغير في الجانبين مابين 0.25متر و0.40متر، والعمق مابين 0.20متر و0.40متر، ومنسوب مائها يقدر ب300م/ثا. وميل مجراها يقدر 01سم لكل 01متر.(Birebent, J.1964: 187)ويبدو ونظرا لطول امتداد هذه القناة إلى حوالي 70كلم وما سيواجهها من عوائق طبيعية، فإن الرومان قد التجئوا إلى الحلول الهندسية لمواجهة هذه الصعوبات التي تعيق القناة. والى تجشم مصاعب اختراق الطبقات السطحية لضرورة الاقتصاد في المياه المنقولة، وإيجاد حل لمشكل تبخر المياه. 73 شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، (التغيرات الاقتصادية...)، ص113.ولكن ومع هذا لم تخل منطقة الزاب من القنوات الناقلة للمياه السطحية حيث تم الإشارة إلى وجود قنوات قائمة على

دعامات حجرية، والتي تربط بين منطقتين في اتجاهها العام على ضفتي وادي العرب لتنتهى القنوات عادة في حوض كبير بيضاوي الشكل. (Torcy, M. 1911: 21). وقد كان لتقنية التسوية في نظام السقاية الزراعية دور هام في حفظ التربة من الانجراف والمحافظة على التربة، حيث قام الرومان بأعمال وقائية تتمثل هذه العملية في حماية هذه الأراضي من آثار التعرية، والتي تكون أسبابها إما الأمطار المحلية أو الفيضانات الجارية بعنف. حيث قام الرومان بعملية دعم لهذه الأراضي إذ تعتبر هذه العملية بمثابة قاعدة لكل الأشغال المائية الزراعية القديمة، إذ أن عملهم قد اعتمد على إنجاز سلسلة من المدرجات كالتلال مثلا. وغالبا ما تكون المسافة بينها لا تقل عن 30م وسمك كل جدار حوالي متر.(Baradez, J. 1949: 185-186) وكان الهدف منها كما ذكرنا حماية وتثبيت الأرض من اندفاع المياه على هذه المنحدرات، وأيضا هدفها تزويد الينابيع والآبار بفائض مائي جديد (جوليان، ش.- أ. 1969: 212- 213)ويكون ذلك بعزل الجداول الصغيرة عن الأودية التي تصب فيها، وذلك بتحويل مجراها والاستفادة منها في مناطق أخرى كذلك عمدوا إلى وضع عدة حواجز في طريق الجداول حتى تصبح عاجزة عن السير باندفاع قوى، لئلا تكتسح السهول بفيضاناتها(المنصف، ردون سنة: 223)وهذا ما كان يسمح بتسرب كميات من المياه إلى باطن الأرض بقصد الاستفادة منها فيما بعد على شكل ينابيع أو آبار قابلة للاستغلال مرة أخرى. (Birebent, J. 1964: 181)

ب- خزانات الحفظ: لقد بينت التحريات الأثرية الحديثة على انتشار الخزانات الريفية الكثيرة في المناطق الجنوبية، بما فيها إقليم الزاب جنوب الأوراس. وهي تتوزع بصفة متناسبة مع توزع مصادر المياه السطحية، أو الجوفية مع القنوات الناقلة لمياه السدود والينابيع والأمطار وقد تم الإشارة إلى هذا النوع من المنشآت أيضا، من طرف قزال في أطلسه الأثرى في كل من واحة ليانة وبادس.( Gsell, S. 1997: f. 49, n°54) حيث وجدت بقايا آثار لخزان رومانييتمون ويتغذى من ساقيه عريضة تبعد عن قرية بادس بحوالي 800متر.(Torcy, De.1911: 19) (صورة 12 وشكل3)ولوحظ أيضا استغلال نوع آخر له نفس الوظيفة، ممثلا في الأحواض المائية التي تتواجد في داخل قريةبادس في الجهة الشرقية منها. حيث أشار إليها Torcy بأن ثلاثة أرباع هذه الأحواض قد غمرتها الأتربة، ولم يتبق منها إلا الجزء العلوى ظاهرا للعيان. وتم بناءها بالأجر باستعمال مادة الدبش، بالإضافة إلى وجود حوضين آخرين كبيرين لاتزال بقاياهما ظاهرين خارج سور القرية، وتدخل وظيفتهما في سقاية القرية وتموينها بالمياه18 (Torcy, De.1911)إذ أن الرومان كانوا يجلبون المياه التي تتجمع في الوهاد إلى هذه الأحواض المبنية بالجص كما أسلفنا الذكر وتكون حافتها مبسطة ومنها يقع توجيه المياه عن طريق مصب أحكمت عليه الأبواب إلى أقرب واد أو خزان للمياه المنصف، ردون سنة: (حوليان، ش.- أ. 212:1969 (223).

إن دراستنا التي كانت في معظمها ميدانية، جعلتنا نقف أمام منشآت تخفى الكثير من الأشياء لدارسيها، فمعظمها غير كامل ومنها ما شوهت حقيقته سواء عن قصد أو غير قصد، وكل ما كان يستوقفنا هو براعة إنجازها وتميز تقنيتها وهندستها.

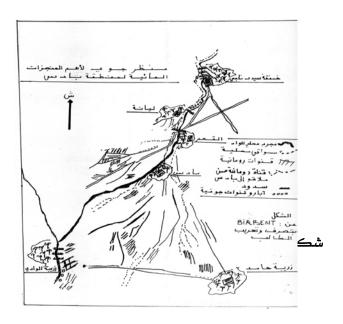
وخلاصة القول، فإن المتأمل في مرحلة تطور المنشآت المائية في الزاب والاوراس بدءا من الفترات القديمة إلى ما أنجز في العهد الإسلامي، يدرك أنها نتيجة تواصل في اكتساب نفس التقنيات المائية التي أعتمدها السكان الأصليون حتى و إن بدت الأعمال الرومانية أكثر اتقانا وجودة.لكن ما نلاحظه في أيامنا هذه في إقليم الدراسة هو غياب تلك السياسة المائية المتبعة قديما. فقد تأتى الأمطار وهي غزيرة، فتستيقظ لها كل الوديان الجافة في معظم السنة، لكن و للأسف لا تجد هذه السيول أي منجزات لاستقبالها وتخزينها، ما عدا تلك الجدران الضعيفة أو الأحواض الترابية التي ينجزها الفلاحون بوسائل بدائية بسيطة ، وحتى هذه يجرفها السيل أحيانا. وبذلك تهبط كل مياه وديان الأوراس نحو الشطوط لتصب في أراضي عاقرة تدعى السباخ.

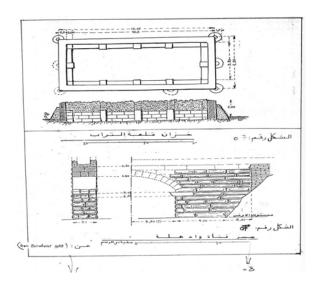


خريطة:1

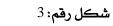


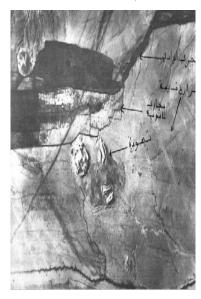
297



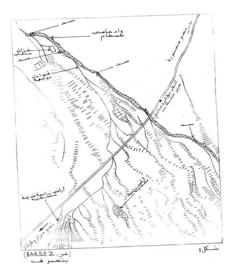










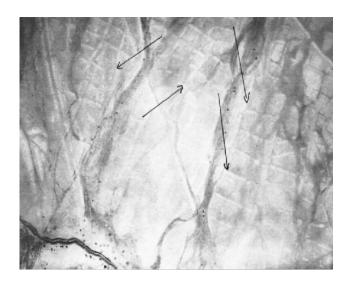


## صورة: 01 صورة جوية عنBaradez



عنBaradez

صورة:02 صورة جوية





صورة:43 صورة جوية عنBaradez









صورة:07

صورة:08 عن: ( Baradez







صورة:09



صورة جوية Google earth صورة:10

## صورة:11



#### الببليوغرافيا:

- البكرى. (2003). المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، بيروت: دار الكتب العلمية.
- بن بعزيز، الصادق. (1988)."المياه بالمرتفعات العليا لواد الحطب في العصر القديم"، المؤتمر الحادى عشر للآثار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس.
- جغلول، عبد القادر . (1982) مقدمات في تاريخ المغرب القديم والوسيط، ترجمة فضيلة الحكم، ط1، بيروت: دار الحداثة.
- جوليان، شارل أندري. (1969). تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة حمد مزالي، البشير سلامة، ، تونس: الدار التونسية للنشر.
- حارش، محمد الهادي.(1996). التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا، الجزائر: دار هومة.
- رويني، تومية. (1985). "فن الزراعة والبستنة في نوميديا"، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، عدد20، الجزائر.
- سليماني سعاد،. (2005)منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة مذكرة ماجستير، الجزائر: جامعة الجزائر.
- الشلماني، محمد عطية. (1997)"بعض المنشآت المائية القديمة في الجماهيرية"، المؤتمر الثالث عشر للآثار، الجماهيرية العظمى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
- شنيتي، محمد البشير.(دون سنة).التغيرات الإقتصادية والاجتماعية في المغرب، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- شنيتي، محمد البشير.(1986).التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، ع2، معهد التاريخ، جامعة الجزائر.
- شنيتي، محمد البشير.(1999).الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
  - شنيتي، محمد البشير.(2003).أضواء على تاريخ الجزائر القديم، الجزائر: دار الحكمة.
- علي، حامد سعيد. (1997). مصادر المياه والنشاط الزراعي في إقليم المدن الثلاث، المؤتمر الثالث عشر للآثار، الجماهيرية العظمي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
- عيبش، يوسف. (2003)."الأوراس في مصادر ق<sup>0</sup>6م"، مجلة الآداب العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، العدد 02، قسنطينة.
  - غانم، محمد الصغير. (دون سنة). آثار منطقة بسكرة و التخوم الأرواسية ، مطبعة قرفي. باتنة
- المنصف، رقية . (دون سنة). "دور مدينة زغوان عبر التاريخ في تزويد مناطق قرطاج وتونس بالمياه"،
   ملتقى زغوان، الدار التونسية للنشر، تونس.
- المحجوبي، عمار.(دون سنة)."المياه والديانات الوثنية في المقاطعات الإفريقية"، ملتقى زغوان، الدار التونسية للنشر، تونس.
- -Alquier, J. (1941). « Les ruines antique de la vallée de l'Oued el Arab », Revue Africaine, 85, p. 31-39.
- -Despois, J. (1942). «La bordure saharienne de l'Algérie oriental », Revue Africaine, 86, p. 197-219.
- -Baradez, J. (1949). FossatumAfricae, Paris : Arts et Métiers Graphiques.
- -Birebent, J. (1964). Aquaeromanae, recherches d'hydraulique romaine dans l'Est algérien, Alger : Services des Antiquités d'Algérie.

- -Gsell S. (1997). Atlas Archéologique de l'Algérie, 2ème éd., Alger: Agence Nationale d'Archéologie et de Protection des Sites et Monuments Historiques. -Mercier, G. (1915). « Khanguet-Sidi Nadji. Quelques inscriptions arabes inédites », R.S.A.C., 49, p. 135-165.
- -Schulten, A. (1902). «L'arpentage romain en Tunisie », B.C.T.H., p. 129-173.-
- -Toucoard, J.-L. (1901). « Notes sur les fouilles faites à Tehouda (cercle de Biskra) », R.S.A.C., 35, p. 151-155.
- -Torcy (De). (1910). « Note sur la route de Tébessa à Biskra par Négrine », R.S.A.C., 44, p. 1-27.

# Origine de la poterie du site antique de Tigzirt (Four et poterie)

Dr. Boukhenouf Arezki
Institut d'archéologie, université d'Alger2
Mme. Demmouche Samira
Direction des Moudjahidines - Bouira

La région de Tigzirt est connue par ses nombreux sites et monuments qui appartiennent aux différentes périodes historiques, parmi ces, on cite : les peintures rupestres d'Afir, les vestiges antiques à Tigzirt et Taksept, etc. Cette diversité de richesse patrimoniale a été le sujet de préoccupation de plusieurs chercheurs pendant plus d'un siècle.

La question de l'origine de la poterie demeure posée! Pour pallier à la question, nous avons effectué plusieurs sorties dans la région et abouti à la découverte des traces d'un four de base elliptique à la localité dite Ighar Insar à environ 5 Km du chef lieu de la commune de Tigzirt et un gisement d'argile au voisinage de ce dernier. Pour confirmer son exploitation à l'époque antique, nous avons procédé à la confection de 13 échantillons au niveau du laboratoire pédagogique de l'institut d'archéologie. L'étude de l'aspect externe de ce lot d'échantillons a montré que l'échantillon n°12 (80% d'argile, 4% de chamotte et 20% de l'eau de mer, cuit à une température de 900°C) a le même aspect de surface des fragments issu des différentes fouilles effectuées dans la région.

#### 1- Présentation

Le mot poterie vient du latin potum ; il n'indique ni la forme ni la matière, mais l'usage. C'est le nom, chez les Latins du Vase à boire (BRONGNIART A. 1977 : 3). Par la suite ce terme est généralisé à l'art du potier lors même qu'il façonne et fabrique des objets qui n'ont aucun rapport avec des vases, tels que la tuile, etc.

La poterie est composée de pâte d'argile cuite à une certaine température, pendant un certain temps. Cette cuisson transforme l'argile d'une façon irréversible, en un produit relativement stable vis-à-vis de l'environnement (Giboteau, Y. 1994: 8). Sa couleur se transforme aussi pendant cette opération : l'argile qui, à l'atelier, paraissait gris terne devine d'une couleur chaude et attrayante : chamois, brun ou rouge foncée (Hofsted, J. 1981:19).

Cependant, le four joue un rôle primordial dans cette transformation, car toutes les réactions physico-chimiques se déroulent dans la phase de la cuisson. Il a une grande part de décision sur des données précieuses (la forme et le décor) que cherche l'archéologue afin de dater, de connaitre la technologie et la provenance. La question sur cette dernière est posée depuis long-temps dans le site antique de Tigzirt et ces environs! Malgré que ce site a été l'objet des travaux d'investigations depuis sa découverte en 1856 par l'armée française en passant par les travaux des chercheurs de l'institut d'archéologie dans les années 1990 jusqu'au travaux de l'année 2009.

Mais! Le paradoxe de l'endroit où se trouve les traces du four, à 5 km Est du chef lieu de la commune de Tigzirt, au lieu-dit Ighar Insar dans le village de Sidi Khaled, à environs 3 km du site de Taksebt, et selon (Modot, J. 1974: 336) «... à Taksebt, il y avait dans l'antiquité une grande ville, dont les ruines assez confuses percent en beaucoup d'endroits ». Ces restes sont remarquables : les thermes dans l'actuelle village, une grande église et une

chapelle chrétienne, au-delà du village, vers l'extrémité du cap Tedlès un grand mausolée.

L'ampleur de cette trouvaille est donnée par la découverte d'autres ateliers dans les alentours: restes de pierres de tailles et des pierres en cours de débitage au bord de la mer (atelier de pierre) ainsi que des tesselles éparpillés (atelier de mosaïque). En plus à ces trouvailles un important nombre de sarcophages dont certaines dans leurs places initiales et d'autres éparpillés, que nous rendons le lieu à une nécropole.

2- Description de la découverte

Le four de potier a été l'un des premiers outils de l'homme; dans sa forme primitive, il remonte au moins à huit mille ans avant Jésus Christ, peut être même avant. Les premiers fours, cependant, n'étaient guère que des feux de camp modifiés. (Rhodes, D. 1976: 13)

Dans la cuisson en fosse ouverte, les pièces étaient souvent au contact direct de la flamme et de combustible ce qui provoque la concentration de la chaleur dans certaines zones et par conséquence transforme la couleur des zones atteintes en tâches foncées ou noires.

La première étape du développement des fours fut l'amélioration de la fosse pour qu'elle conserve mieux la chaleur et qu'on puisse y introduire le combustible de façon à obtenir une meilleure circulation de la chaleur. (Rhodes, D. 1976: 17). La seconde étape consista à construire autour de la fosse un mur de hauteur environ un mètre en pierre, en brique ou en pisé, c'est le cas des fours rudimentaire. Ce genre de four était employé dans certaine région en Algérie (Bejaia, Bouira, ...) dans les années 1980. Cette technique a été modifiée en séparant le contact directe du feu à la surface des pièces, cela en mettant le feu en dessous de la fosse, et par la suite les flammes circulent de bas en haut à travers le plancher sur lequel sont interposées les pièces à cuire et douté des trous pour faciliter la circulation de la chaleur. Le haut est partiellement fermé par une couverture provisoire constituée de morceaux de poteries cassées. Ce type de four contient tous les éléments du four tel que nous le connaissons aujourd'hui : un foyer dans lequel brule le combustible, une chambre de cuisson dans laquelle sont placées les pièces à cuire et une ouverture par laquelle les gaz peuvent s'échapper. On trouve un prototype au niveau du site antique de Mila que nous avons réalisé une esquisse au niveau du laboratoire pédagogique de l'institut d'archéologie.

Il est à signaler que ce modèle du four rassemble à celui découvert dans la région de Tigzirt. Cette importante trouvaille témoigne de l'existence de la production locale dans la région (photo n°1). Sa base est d'une forme elliptique, de grand axe (a) est de 3.60m et de petit axe (b) de 1.17 m, sa surface  $S=\pi a \times b$ , S=13,23 m<sup>2</sup>. Il est percé dans son côté nordes d'une ouverture qui serve à l'alimentation du combustible de largeur 80Cm. La paroi du four est construit en brique entre ces dernières un mortier en argile qui ce transforme avec la chaleur en pierre solide. Il est probablement enduit à l'intérieur d'une couche d'argile, son épaisseur est de 17 cm.

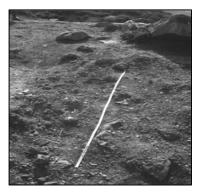




Photo n° 1: Trace d'un ancien four

Photo n° 2 : Détail de la paroi de four

#### 3- Restitution en 3D

La restitution du four en 3D demande d'avoir toutes les données fournées sur terrain, parmi ces, on cite : la nature du combustible, le volume du four le type d'objet à cuire, la technique de construction des parois du four, ainsi que la morphologie du terrain.

Etant donner que le lieu été planté des différentes espèces d'arbres tel que : le sapin, le pin, le chêne, l'olivier, etc. Pour utiliser ces essences comme combustibles, ils doivent être réduits en buchettes d'autant plus fines, que la température qu'on veut obtenir doit être plus forte et le coup de feu plus vif.

Les fours sont très variés, non seulement selon les époques et les pays, mais aussi suivant la nature des poteries qu'on doit y cuire (Brongniart, A. 1977: 186). Le mobilier archéologique récupérer au cours des fouilles au niveau du site antique de Tigzirt est composé dans la plus grande partie d'amphore, de tadjine, de tuile et de dolium, etc., cette poterie nécessite une telle forme du four, cela pour faciliter l'enfournement des pièces.

Vue la morphològie du terrain et l'emplacement du four en plein gisement d'argile, on supposé que la grande partie de sa base été noyé dans la terre (four à fosse), surtout son côté Sud. Au fur et à mesure de l'extraction d'argile qui entour le four et l'inclinaison du terrain et sous l'effet d'érosion, cette terre fait disparue. On peut renforcer notre hypothèse par l'épaisseur réduite de la paroi du four ainsi que sa surface externe reste sans revêtement d'enduit.

Cependant, les investigations sur terrain ont montré que la base des restes de ce four est d'une forme elliptique, de grand axe (a) orienté vers le Nord, suivant l'inclinaison du terrain, c'est-à-dire vers la mer.

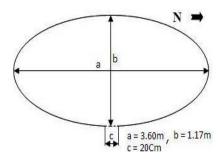


Figure n° 1 : Croqué de la base du four

Selon les observations sur terrain (figure n°1), et selon la forme du four qui se trouve dans le site antique de Mila, on peut imaginer que la base de ce four s'élève à une hauteur environ 1m où la création d'une table destinée à interposer les objets crus, la partie inférieure de ce four se nome le foyer et sa partie supérieure la chambre de cuisson. Cette dernière s'élève au moins de sa base puis elle reçoit une couverture provisoire constituée de morceaux de poteries concassées (figure n°2). Une fois le four est chargé à la fois du combustible et d'objets crus, le potier allume le combustible puis il procédera à la fermeture de la porte du foyer avec la brique et le mortier. Quant aux gaz chauds, elles passent à travers l'enfournement et s'échappent par le haut.

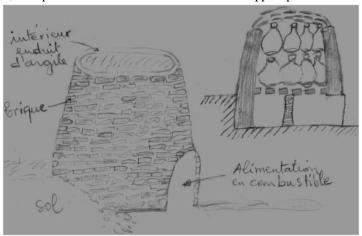


Figure n° 2: Restitution du four en 3D avec une coupe

4- Analyse qualitative de la poterie

Les fouilles archéologiques effectuées depuis 1886 par P. Gavault jusqu'au 1992 dans le site de Tigzirt ont abouti à la découverte d'un mobilier archéologique varié (sigillée claire A, C, D, sigillée luisante, Africaine de cuisine, amphore, tadjine, lampe, tuile, dolium, etc.), dont le total de 4610 fragments de poterie comme avait signalé M. Dorbane dans le séminaire national, organisé par notre institut en mois du juin de l'année 2009.

Pour ce permettre à la comparaison des textures des anciennes poteries et celles restituées, nous avons procédés à la confection de 13 échantillons dans la matière première et celle du gisement qui se trouve à côté du four.

Après le broyage et le tamisage de l'argile, nous avons procédé à la confection des échantillons avec différente teneurs en argile et en dégraissant, et en lui ajoutant soit l'eau de robinet ou de mer jusqu'à avoir une consistance normale de la pâte. L'ajout de l'eau de mer n'est fait au hasard, car elle donne aux produits de poterie une certaine brillance à cause de son contenu des ions du sel NaCl, ainsi que, ces tests sont effectués pour la comparaison entre ces poteries (nouvelles et anciennes) et aussi pour bien montrer l'intérêt de l'installation de cet atelier juste à côté de la mer.

Les échantillons făçonnés sont laissés à sécher pendant 48h dans le climat du laboratoire  $(22 \pm 2^{\circ}\text{C})$  puis sont séchés dans une étuve de séchage à une température  $100^{\circ}\text{C}$ . Après cette opération, les différents échantillons ont subi une cuisson à différentes température 800, 850, 900,  $1000^{\circ}\text{C}$  pendant 4

heures dans le four électrique. Le tableau n°1 montre le mélange des différents échantillons avec la température de cuisson.

Tableau n° 1 : Composition des différents échantillons

| Méla<br>nge           | Argile<br>(%) | Dégraissant<br>(%) | NaCl<br>(%) | Eau de<br>source<br>(%) | Eau de<br>mer<br>(%) | Tempéra-<br>ture de<br>cuisson (°C) | Tessons | Observations   |
|-----------------------|---------------|--------------------|-------------|-------------------------|----------------------|-------------------------------------|---------|--|
| Echa<br>nt-<br>illons |               |                    |             |                         |                      |                                     |         |  |
| Ech.                  | 80            | -                  |             | 20                      | -                    | 1000                                |         | Argile<br>sensible au<br>séchage                             |
| Ech.                  | 80            | -                  | 0,1         | 20                      | -                    | 900                                 |         | Couleur<br>rouge<br>foncée                                   |
| Ech.                  | 80            | -                  | 0,2         | 20                      | -                    | 900                                 |         | Couleur<br>rouge<br>foncée                                   |
| Ech.                  | 80            | -                  | 0,3         | 20                      | -                    | 900                                 | *       | Rassemble<br>à la sigillée<br>+<br>déformatio<br>n du tesson |
| Ech.<br>5             | 80            | -                  | 0,4         | 20                      | -                    | 900                                 |         | Couleur<br>rouge<br>foncée                                   |
| Ech.                  | 80            | -                  | 0,5         | 20                      | -                    | 900                                 |         | Couleur<br>rouge<br>foncée                                   |
| Ech.                  | 80            | -                  | -           | -                       | 20                   | 800                                 | E 40+3  | Tesson cru   |
| Ech.<br>8             | 80            | -                  | -           | -                       | 20                   | 850                                 |         | Tesson<br>encore cru   |
| Ech.                  | 80            | 1                  | -           | -                       | 20                   | 900                                 | (40)    | Déformatio<br>n du tesson                                    |
| Ech.<br>10            | 80            | 2                  | -           | -                       | 20                   | 900                                 | 25      | Déformatio<br>n du tesson                                    |
| Ech.                  | 80            | 3                  | -           | -                       | 20                   | 900                                 | (3)     | Déformatio<br>n du tesson                                    |
| Ech.<br>12            | 80            | 4                  | -           | -                       | 20                   | 900                                 | ( An )  | Rassemble<br>à la sigillée                                   |
| Ech.<br>13            | 80            | 5                  | -           | -                       | 20                   | 900                                 | 5       | Trop clair   |

**5- Interprétation des résultats**Après l'analyse de l'aspect de surface des différents échantillons, nous avons remarqué que l'échantillon 4, façonné avec un mélange de 80% d'argile, 0,3% de chlorure de sodium (NaCl) et 20% de l'eau de robinet et l'échantillon n°12, façonné avec un mélange de 80% d'argile, 4% de chamotte

et 20% de l'eau de mer, cuit à une température de 900°C ont une couleur qui rassemble à celui des fragments issu des différentes fouilles dans la région, mais l'échantillon n°4 possédant une surface déformée ce qui nécessite l'ajout de la chamotte.

Cette ressemblance dans l'aspect de surface est un indice de l'existence de la production de la sigillée dans la région de Tigzirt, dans l'eau de faconnage est celui de la mer.

La découverte des traces d'un four à la localité d'Ighar Insar à 5Km de Tigzirt est une preuve de l'existence de la production de la poterie dans cette région à l'époque antique. Pour mieux vérifier, nous avons procédé à la confection de 13 échantillons qui déférent dans leur mélange et l'ajout de l'eau de façonnage. Selon l'aspect des tessons obtenus, on a remarqué que l'échantillon n°12 (80% d'argile, 4% de chamotte et 20% de l'eau de mer, cuit à une température de 900°C) ayant les mêmes aspects de surface des fragments issu des différentes fouilles dans la région. Delà, le secret que porte la sigillée réside dans la teneur en sel NaCl contenant dans son mélange de matière première.

Âvec cette importante découverte, qui reste l'unique dans cette région, nous avons rajouté des indices importants à la compréhension de la vie quotidienne de l'homme à l'époque antique.

Bibliographie

- -Brongniart, A. (1977). Traité des arts céramiques ou des poteries, 3<sup>éme</sup> édition, Paris : Fac-Simile.
- -Rhodes, D. (1976). La poterie : les fours, Paris: Dessain et Tolra. -Modot, J. (1974). Les guides bleus : Algérie, Paris: Hachette.
- -Hofsted, J. (1981). Poterie, Paris: Dessain et Tolra.
- -Giboteau, Y. (1994). «La conservation préventive en céramique », Cahiers Techniques de ICOMcc-SFIIC section métal, IRRAP Compiègne France, n° 1, p.8-10.

#### المصابيح القيصرية : دراسة نمودجية وتحليلية

#### أة. ستى صندوق

(جامعة معسكر)

يضم المتحف الوطني أحمد زبانة لمدينة وهران بين جدران قاعاته، عددا كبيرا من التحف الأثرية التي ترجع إلى عدة عصور تاريخية مختلفة، منها اللقى الأثرية العائدة إلى الفترة القديمة، التي هي نتاج ما عثر عليه وما جمع من مواقع الغرب الجزائري ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر ميلادي إلى غاية منتصف القرن العشرين من نقوش، فسيفساء وفخار، هذا الأخير الذي يضم أنواعا مختلفة من أمفورات، جرار، أقداح، صحون ومصابيح ذات أنماط متنوعة والتي يقدر عددها الإجمالي بمائة وسبعون مصباحا، وقد اخترنا من ضمن هذه المجموعة دراسة المصابيح المعروفة باسم القيصرية، لا لسبب سوى أنها صناعة محلية ارتبطت بورشات المنطقة. سنستهل دراستنا بتعريف الخصائص العامة لهذا النوع من المصابيح، يليها تقديم البطاقات التقنية وأخيرا الاستنتاجات المتوصل إليها.

#### 1- الخصائص العامة

تتميّز المصابيح المعروفة باسم مصابيح القيصرية " Lucernae Caesarienses" بجسم دائري يتخذ شكلا بيضويا في اتجاه المقبض والفوهة، قرص مقعر وكبير يبلغ قطره أكثر من نصف قطر المصباح ككل، بوسطه فتحة الملء وأخرى للتهوية بالجهة السفلية للقرص في اتجاه الفوهة، لا تزينه أية مشاهد، وتحيط بالقرص حافة مقببة نوعا ما تميل نحو الخارج تزينها إما أشكال نباتية وهندسية أو كتابات إشهارية بارزة، مقبض صغير مثلث الشكل وغير مثقوب، ألصق بطريقة عمودية على جسم المصباح، تزينه بالوسط حزة تتفرع في بعض النماذج إلى قسمين يتجهان نحو القسم العلوى للقرص، الأول يمينا والثاني يسارا، كما تظهر حزتان بقاعدته المسطحة وفوهته، وهما عميقتين ومقوستين نحو الخارج تشكلان قناة ضيقة توصل القرص بمقدمة الفوهة، هذه الخاصية التي جعلت بوسيير "Bussière" يطلق على مصابيح القيصرية اسم "مصابيح ذات القناة المقوسة

(Bussière, J. 1992: 188-189). ويصل عدد مصابيح القيصرية التي يحتفظ بها متحف زبانة إلى أربعة مصابيح، اكتشفت بكل من رأس إيفى وعين الحجاج بولاية مستغانم وحاسين بولاية معسكر، وهي مصنفة ضمن نمط (IV A) لبونسيش "Ponsich" ونمط (XII) لدونوف

#### 2- البطاقات التّقنيّة

أ- مصباحان ذا حافة مزخرفة بأشكال نباتية

1- DUB.C.03 −1 (اللوحة I- الصورة رقم 1)

مكان الإكتشاف: حاسين (ولاية معسكر)

"M<sup>r</sup>. Tommassini" السيّيد توماسيني المانح (ة):

تاريخ دخوله للمتحف: 01- 06- 1884 - تحت رقم: 18.

ط: 9,8 سم | ق: 18, سم | إ: 33, سم. القياسات:

> العجينة: بيضاء. الوصف:

القرص: محاط بدائرة، تظهر به فتحة الملء والتهوية.

الحافة: مزينة بإكليل من سعف النخل.

المقبض: مثلث غير مثقوب.

القاعدة: مسطِّحة وتحدها دائرتان مركزيتان.

الفوهة مكسورة - آثار احتراق على الفوهة -الملاحظات:

الحالة العامة: فوق المتوسط.

-Demaeght, L. 1884: 153, n°397; Bussière, J. الاحالة: 1992: 211 n°84.

#### CV.C.02 -2

رأس إيفي (ولاية مستغانم) مكان الإكتشاف:

"M.-M. Vincent " السيّدة فانسون المانح (ة):

-09 ما -1937 - تحت رقم: 618. تاريخ دخوله للمتحف:

> ط: 7 سم | ق: 57, سم. القياسات:

الجزء العلوى المتبقى من المصباح. الوصف: العجينة: حمراء.

القرص: محاط بدائرة، تظهر به فتحة الملء

الحافة: مزخرفة بإكليل من سعف النخل.

الحالة العامة: سيئة. الملاحظات:

-Vincent, M.-M. 1937: 10-11; Doumergue, F. الإحالة:

1938: 149 n°EL93.

ب- مصباح ذو حافة مزخرفة بحرف "S"

CV.C.01 −3 (اللوحة I – الصورة رقم2)

مكان الإكتشاف: رأس إيفي (ولاية مستغانم)

"M.-M. Vincent" السيّدة فانسون المانح (ــة):

تاريخ دخوله للمتحف: 09- 10- 1937 - تحت رقم: 617.

ط: 9.3 سم | ق: 7.6 سم | إ: 3.8 سم. القياسات:

> العجينة: بيضاء. الوصف:

القرص: محاط بدائرة، تظهر به فتحة الملء

والتهوية.

الحافة: مزخرفة بحرف "S" اللاتيني.

القاعدة: مسطحة ومحددة بدائرة.

ينقص المقبض والجانب الأيمن من المصباح -الملاحظات:

الحالة العامة: دون المتوسط.

-Vincent, M.-M. 1937: 10-11; Bussière, J. 1992: الإحالة: 213 n°119.

ب- مصباح ذو حافة مزخرفة بكتابة بارزة

4- BSQ.C.01 (اللوحة I− الصورة رقم3)

مكان الإكتشاف: عين الحجاج (ولاية مستغانم)

"M<sup>r</sup>. Astier" السيّد أستيى المانح (ـة):

ط: 310. سم | ق: 57. سم | إ: 14. سم. القياسات:

> العجينة: وردية. الوصف:

القرص: محاط بدائرة، به فتحة الملء والتهوية.

الحافة: مزخرفة بكتابة بارزة Emite Lucernas" .Colatas Ab Asse"

القاعدة: مسطحة بها دائرتين مركزيتين وحزة عريضة بها شقوق تمتد لتلتصق بالمقبض.

الفوهة مكسورة - الحالة العامة: متوسطة.

-Doumergue, F. 1938: 110 n°EL74; Bussière, J. 1992: 218 n°194.

الملاحظات:

الإحالة:

#### 3- الاستنتاحات:

يبلغ عدد مصابيح القيصرية المصنفة ضمن نمط (IVA) لبونسيش "Ponsich" ونمط (XII) لدونوف "Deneauve" أربعة نماذج (رقم 1- 4)، من بينهما مصباحين (1و2) يزينهما إكليل من سعف النخل، يشبهان مصباحي تيبازة (Tipasa) وشرشال (Bussière, J. 1992: 210n°65; (Caesarea) وشرشال (211n°91، أما المصباح (رقم3) الذي نقش عليه حرف "S" اللاتيني فهو يشبه المصابيح الستة والعشرون المكتشفة بالموقعين السالفي الذكر وبتلك التي وجدت بكل من سيدى فرج، جميلة (Cuicul)، سطيف (Sitifis) وعنابة دست ، (Bussière, J. 1992: 212-213n°95à118,n°120à129) (Hippone) تلاحظ على المصباح (رقم4) كتابة إشهارية " Emite Lucernas Colatas ab asse"(سنعود إلى هذه العبارة لاحقا)، والتي وردت على حافة خمسة وثلاثون مصباحا، اكتشفت أغلبها بتيبازة (Tipasa) وشرشال (Caesarea) وبنسبة أقل بكل من فوكا، مزفران، بئر توتة وخناق (Bussière, J. 1992:216-.(Tiddis) (218n°165à200 وقد عثر على مصابيح القيصرية بالمواقع الساحلية والداخلية على حد السواء حيث أكتشف مصباحين برأس ايفي (رقم 1 و2) بولاية مستغانم، وآخر بعين الحجاج (رقم4) بنفس الولاية، في حين عثر على النموذج (رقم3) بحاسين بولاية معسكر. ويعود تاريخ صنعها إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين(Bussière, J. 1992:196).

يلاحظ أن إنتاج ورشات إفريقية البروقنصلية قد قل منذ أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الميلادي، حيث عثر بمواقع بلاد المغرب القديم على عدد ضئيل من المصابيح المنسوبة لهذه الفترة والمصنفة ضمن أنماط

(XIA,B.C.) لدونوف (Deneauve, J. 1969:192) وقد تمكنت الورشات التي ظهرت بموريطانيا القيصرية خلال القرن الرابع الميلادي من تغطية نقص إنتاج ورشات إفريقية البروقنصلية وكذا تلبية متطلبات السكان المتزايدة عليها، ليس هذا فحسب، بل استطاعت أن تتميز بصنع مصابيح تختلف من حيث الخصائص عن مصابيح شبه الجزيرة الإيطالية وافريقية البروقنصلية أطلق عليها إسم مصابيح القيصرية "Lucernas Caesarienses"، وكان نشاط هذه الورشات بمدينتي شرشال (Caesarea) وتيبازة (Tipasa) (منصوري، خ.1995 - 1996: 206: 207)، حيث تمكن براديز "Baradez" أثناء تنقيبه لهذه الأخيرة خلال الستينات من القرن العشرين من اكتشاف المئات من المصابيح المصنفة ضمن نمط (XII) لدونوف "Deneauve"، وكذا قطع القوالب مما دعاه إلى الاعتقاد بوجود ورشات متخصصة في صناعة هذا النوع من المصابيح بالمدينة(Deneauve, J. 1969: 207; Baradez, J.196: 112-152)، كما اكتشف منير بوشناقي عددا كبيرا منها خلال الحفريات التي أجراها بنفس الموقع من سنة 1968 إلى سنة 1972(منصوري، خ 1995- 1996 :Bouchenaki, M. 1975:125-128، 207 كما عثر على نماذج من مصابيح القيصرية بالعديد من المواقع على الشريط الساحلي الممتد من غرب الجزائر (Icosium) إلى القطاع الوهراني وبجاية (Saldae) بمعدل مصباح أو مصباحين بكل موقع باستثناء شرشال (Caesarea) وتيبازة (Tipasa) (منصورى، خ 1995 - 1996: 206: أبحيث يصل مجموع المصابيح التي عثر عليها بمقاطعة موريطانيا القيصرية إلى 2101 مصباحا حسب إحصاء بوسيير "Bussière" لسنة 1992 وقد وزعها على مجموعتين حسب الزخارف التي تظهر بحافتها، بحيث تضم المجموعة الأولى النماذج ذات الحافة الملساء أو ذات الزخارف النباتية أو الهندسية وتقدر نسبتها بـ62.5% من مجموع مصابيح القيصرية، وتشمل المجموعة الثانية المصابيح التي نقشت على حافتها عبارات إشهارية موجهة إلى الشاري وتقدر نسبتها بـ 37.5% من المجموع الإجمالي لهذه المصابيح (منصوري، خ 1995 - 1996 - 188، 208: 1996 ).

اختلف الباحثون حول مفهوم عبارة آس "Asse" الواردة في نهاية الجملة الإشهارية "Emite, Lucernans Colatas Ab Asse"، إذ اعتقد بعضهم أمثال

كاردياك "Cardaillac" أنها ثمن المصباح المقدر بآس "Asse" واحد حيث قرأوها كالتالي "اشتروا مصابيح ناعمة بآس واحد" :Cardaillac F.1890) (302) إلا أن الباحث هاريس "Haris" نقلا عن بايلي "Bailey" أكد عدم وجود أدلة تثبت أن ثمنها كان يقدر بآس واحد ما عدا هذه العبارة التي يحيط بها الكثير من الغموض(Bailey, A. 1987: 60). كما انتقد بايلي "Bailey" هذه القراءة، وحجته في ذلك أن المصابيح التي ظهرت عليها هذه الجمل صنعت خلال القرن الخامس الميلادي في وقت اختفت فيه عملة الآس "Asse" (منصوري خ:Bailey A :60،211 )مكتفيا بذلك من دون أن يقدم تفسيرا أو معنى آخر لهذه الكلمة يكون بديلا للتحليل الأول. أما بوسيير "Bussière" فقد أعطاها مفهوما جديدا بحيث اعتبرها بمثابة الحروف الأولى لإسم آسن "Assene" صاحب الورشات المتخصصة في صنع هذه المصابيح وهو الاقتراح الذي تراه خديجة منصوري الأكثر تقبلا(منصوري، خ 1995-.( Bussière, J. 1992: 192 , 211: 1996

صدرت ورشات شرشال (Caesarea) وتيبازة (Tipasa) مصابيحها إلى بعض مدن المقاطعة، فعلى سبيل المثال ولا للحصر، عثر على نماذج منها ببعض مواقع غرب موريطانيا كبطيوة (Portus Magnus)، رأس إيفي وعين الحجاج بولاية مستغانم وحاسين بولاية معسكر، كما تمكنت من تصدير كميات من مصابيح القيصرية إلى خارج أراضي المقاطعة، بحيث أكتشفت بافريقية البروقنصلية، موريطانيا الطنجية، إسبانيا وشبه الجزيرة الإيطالية (Bussière, J. 1992: 197)، كما يحتمل أن تكون ورشات شرشال (Caesarea) وتيبازة (Tipasa) قد صنعت بنسب ضئيلة مصابيح ذات الفوهة الممددة وعدد من الفتحات بالقرص، بدليل أن الطين المستخدم في صنع هذه الأخيرة يشبه إلى حد كبير الصلصال المستعمل بمصابيح القيصرية (Bussière, J. 1969: 240)، وقد صدرت نماذج منها بالأخص إلى الناحية الغربية لموريطانيا القيصرية وجنوب شبه الجزيرة الإيبرية Bussière, J. الناحية الغربية (Tipasa) ونستنتج من كل ما تقدم أن إنتاج ورشات تيبازة (Tipasa) وشرشال (Caesarea) كان جد كبير خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين كما كان توزيع مصابيحها بمناطق حوض البحر الأبيض المتوسط

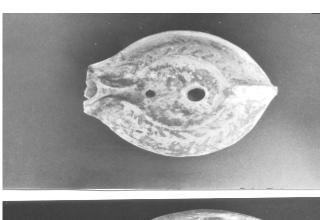
لا بأس به، إلا أنها أقل جودة وجمالا من مصابيح المسيحية الرومانية المتميزة بصلابتها وتنوع زخارفها والتي ستحقق انتشارا أكبر من مصابيح القيصرية(منصوري، خ 1995 - 1996 :212).

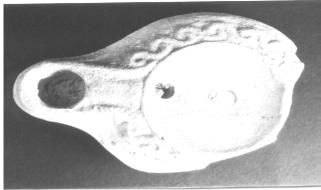
#### البيبليوغرافيا

منصوري، خ (1995-1995). التطورات الاقتصادية لموريطانيا القيصرية خلال الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة وهران، معهد التاريخ، (غير مطبوعة).

- -Bailey, D. (1987). «The roman terracota lamp industry another view about export », actes du Colloque sur les lampes de terre cuite en Méditerranée des origines à Justinien, Lyon 7-11 décembre 1981, Travaux de Maison de l'Orient, 13, p.60-62.
- -Baradez, J. (1961). « Nouvelles fouilles à Tipasa », Libyca Archéologie-Epigraphie, IX, p.112-152.
- -Bouchenaki, M. (1975). Fouilles de la nécropole occidentale Tipasa(19691972), Alger: SNED.
- -Bussière, J. (1992). «Lampes d'Algérie, I, Lampes à canal courbe de Maurétanie Césarienne », Antiquités . Africaines, 28, p. 187-222.
- -Bussière, J. (1969). « Note sur la datation d'une lampe à tête de cheval trouvée à Renault (Oranie) », Antiquités Africaine, 3, p.237-242.
- -Cardaillac, G. (1890). « Histoire de la lampe Antique en Afrique », B.S.G.A.O., 10, p.241-324.
- -Demaeght, L. (1884). Catalogue raisonné du musée d'Oran, I, Oran.
- -Deneauve, J. (1969). Lampes de Carthage, Paris: CNRS.
- -Doumergue, F. (1938). Catalogue raisonné du musée d'Oran, II, Oran : L.
- -Vincent, M.-M. (1937). « Les ruines romaines du Cap Ivi en relation avec celle de Ouiza », B.S.G.A.O., 57, p.3-11.

اللوحة I (2،3،1) حسب ترتيب الصور







#### البدوفي الجزائر ودورهم خلال العصور القديمة

# أ. بن أعطي الله عبد الرحمان جامعة تبسة

ظاهرة البداوة من أعرق الظواهر في تاريخ البشرية فهي تمتد في جذورها إلى ما قبل الألف الرابعة قبل الميلاد وهي مرحلة سابقة لظهور الزراعة والمجتمعات المستقرة على ضفاف الأنهار في الشرق الأدنى، وإذا كان تاريخ المجتمعات المدنية قد غطيت جوانبه بشكل مستمر عبر التاريخ فإن تاريخ البدو لا يبدو ظاهرا في الكثير من المجتمعات خصوصا في شمال إفريقيا سواء بسبب عدم وجود تراث مكتوب لهم أو بسبب مغالطة مدنية همشتهم وجعلتهم في طي النسيان باعتبارهم يعيشون بدون هوية حضارية وأنهم أناس ينتمون لمحيطهم من حيث صراعهم مع البقاء وفقط.

غير أن من يعرف البدو بشكل عميق يكتشف أن للبدو دور سياسي واقتصادي واجتماعي وحتى من الجوانب الثقافية حافظوا على موروث أجيال عديدة من حيث أن بعض العادات والتقاليد التي ترجع إلى آلاف السنين من حياة أجدادهم كما أنه من الجوانب الإنسانية من يتعرف على حياة البدو يظهر بوضوح البساطة والكرم والمعاملة الحسنة التي يتميز بها أغلب هؤلاء البدو.

### 1- البدو في الجزائر من خلال المصادر القديمة

أولى ملامح وجود ظاهرة البداوة في الجزائر خلال العصر القديم نكتشفها من خلال العديد من الرسوم الصخرية الموجودة في الصحراء الجزائرية والتي تؤرخ زمنيا منذ الألف الخامسة قبل الميلاد حيث تشير هذه الرسوم إلى وجود مرحلة لرعاة الأبقار ثم بعد تغير المناخ تدريجيا من مناخ رطب إلى مناخ صحراوي بداية من حوالي 3500 قبل الميلاد تبدأ رسومات رعاة الأبقار تختفي ويحل محلها الجمالة بالنظر إلى ظهور الجمل كحيوان ملائم للطبيعة القاسية. (Le Quellec, J.-L., 2008: 73)

كما ظهر البدو في النصوص الفرعونية القديمة التي تؤرخ منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، بل إن الفراعنة كانت لهم علاقات وثيقة بهم وكانوا على اتصال دائمين وتشير وثائق الملك سحورع (الأسرة الخامسة من الأسر

الفرعونية) أن هذا الأخير استولى على قطعان من الأغنام والماعز كانت ملك الإحدى القبائل الأمازيغية. (مصطفى كمال، ع. 1966: 13).

وفي عهد الملك منربتاح حوالي 1227 ق.م يصف هؤلاء البدو الأجانب بالمخربين والمستولين على أجزاء من مصر كانوا يرعون فيها ماشيتهم مما اضطره لمحاربتهم والاستيلاء على أبقارهم وماعزهم وحميرهم (مصطفى كمال، ع. 1966: 32، 36).

أطلقت المصادر اليونانية القديمة تسمية " نوميديا" على الجزائر الحالية وهي تسمية تعني "البدو الرحل" أو "الرعاة" في القاموس اليوناني وهي أولى الملاحظات التي وصلتنا في القديم عن طبيعة المجتمع الجزائري إنه كان مجتمع بدوي عموما ذو تركيبة قبلية هذه التركيبة تكلم عنها المؤرخ اليوناني هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) من حيث التصريح بوجود الكثير من القبائل البدوية مثل الأوسخياي والناسامونيان والبسيلي والجرامنت. (هيرودوت. 2001: 360).

سترابون الجغرافي اليوناني ( القرن الأول الميلادي) يعتبر من أكثر المصادر القديمة معرفة بالبدو فقد وصلتنا منه معلومات كثيرة عن عرب الشمال وعرب الجنوب وعلاقتهم بالبادية كما علاقة اليونان و الرومان ببادية شبه الجزيرة العربية، لم يتردد سترابون في وصف البدو في بلاد المغرب القديم بأنهم نموذجيين وشبههم بالبدو العرب وحتى طبيعة بلادهم تشبه طبيعة البادية السورية ..(Strabon. LIV, 17)

كلود بطليموس الجغرافي اليوناني من القرن الثاني الميلادي أشار إلى أن الرومان الذين كانوا يسيطرون على كامل شمال افريقيا منذ القرن الأول قبل الميلاد استخدموا بعض قبائل البدو وعلى رأسها الغرامنت كدليل (Ptolémée. I, 8, 4).

سالوست مصدر روماني من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد يقول أن الجيتول وهي إحدى أكبر القبائل الأمازيغية في شمال افريقيا كانوا مثل الفرس يعتمدون في معيشتهم على التنقل والترحال ..(Salluste. XVII)

أما ابن خلدون المصدر العربي من القرن السابع الميلاد فقد قسم البربر (سكان شمال افريقيا) إلى قسمين البتر والبرانس المجموعة الأولى هي مجموعة بدوية في الصميم أما الثانية فهي مجموعة مستقرة .(ابن خلدون. 149، 149).

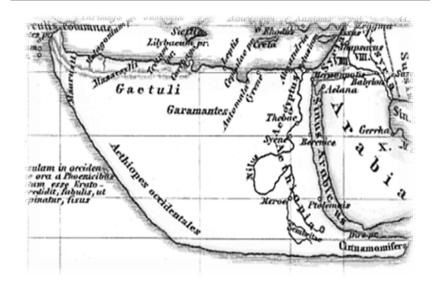
ومن خلال المطابقة بين هذه النصوص نجد أن ظاهرة البداوة كانت شائعة بصفة واضحة في شمال إفريقيا أثناء العصور القديمة رغم وجود بعض المستقرين الذين مارسوا الزراعة وعاشوا في المدن متأثرين بالحضارات الوافدة للمنطقة (اليونانية والفينيقية والرومانية).



منظر عام لخيمة بدوية حيث أن البدو يسكنون الخيام بالنظر إلى طبيعة معيشتهم التي تعتمد على التنقل (Goua Doghmane, F. 2009: 246).

## 2- طبيعة المناطق البدوية في الجزائر

تقع الجزائر في منطقة وسط القارة الافريقية وتتميز بوجود منطقتين جغرافيتين مختلفتين وهما: "التل" وهو مصطلح عربي يعني المناطق الصالحة للزراعة والمنطقة الثانية هي "الصحراء" وتشكل الجزء الأكبر من البلاد ومن هنا يبدو أن معظم مناطق الجزائر بطبيعتها صالحة للرعي سواء بوجود أعشاب تغطي منطقة السهوب وفي هذه المنطقة بالذات ظهر رعاة الأغنام والأبقار أو منطقة الصحراء الشاسعة التي كانت مسرحا للجمالة. (Gsell, .



خريطة توضح مكان تواجد القبائل البدوية الليبية (من أكبرها الغرامنت والجيتول) حسب الجغرافي اليوناني سترابون

# 3 - ظهور الدولة النوميدية

كما تم الإشارة في السابق إلى أن الدولة النوميدية في القديم كانت تمثل جزء كبير مما يسمى دولة الجزائر الحالية نشأت في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد وكانت قرطاج تجاورها من ناحية الشرق وبلاد المور من ناحية الغرب والبحر المتوسط شمالا والصحراء الكبرى جنوبا، إلا أن هذه الدولة لم تعمر سوى قرنين من الزمن حتى سقطت في أيدي الاحتلال الروماني منتصف القرن الأول قبل الميلاد. (مسرحى، ج. 2009: 5).

# 4- الدور السياسي للبدو في الجزائر القديمة

استهزأت المصادر الرومانية بالبدو وصورتهم بأنهم سذج وجهلة حيث يظهر ذلك بوضوح في نص للمؤرخ الروماني سالوست ( القرن الثاني قبل الميلاد) يقول فيه عن قبائل الجيتول وهي أكبر القبائل النوميدية البدوية :" الجيتول قوم متوحشون وبرابرة يجهلون اسم روما" وهو ما يعني أنهم لم يكونوا على دراية حتى بأسماء الحضارات التي كانت من حولهم . ). Salluste. LXXX)

غير أن الأحداث الجارية تبين أن البدو في الجزائر القديمة لم يكونوا بمنأى عن الأحداث السياسية في المنطقة فلقد قاوموا الاحتلال الروماني من حيث أنهم ساهموا في ثورة يوغرطة (\*) ضد الرومان بالعدة والعتاد الحربي كما وفروا للثوار مناطقهم كملجئ آمن للفرار من ملاحقة الرومان على أساس أن حرب يوغرطة ضد الرومان كانت حرب كر وفر.( مسرحي، ج. 64)

في القرن الأول قبل الميلاد بداية من عصر الإمبراطور أوكتافيوس أوغسطس ونتيجة للسياسة التوسعية الرومانية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط لم يبقى بدو الجزائر مكتوفي الأيدي وسببوا الاضطرابات كثيرا للرومان خصوصا وأنهم يحاربون جيوش غير مدربة على طبيعة منطقتهم . (Cagnat, R. 1913: 3)

وتلك القلاقل التي سببها البدو للرومان استدعى بالجيش الروماني إلى إرسال حملات إلى عقر ديارهم بغرض التقليل من خطرهم على المستعمرات الرومانية ومن بين هذه الحملات حملة القنصل الروماني كرنوليوس باليبيوس خلال القرن الأول قبل الميلاد وهي حملة أرسلت إلى عمق الصحراء الليبية والجزائرية ونجحت بشكل مؤقت في تهدئة هؤلاء البدو من الإغارة على المستعمرات الرومانية شمال الصحراء. (Cagnat, R. 1913: 7)

غير أن هذا الهدوء الذي ساد مؤقتا في فترة الإمبراطور أوكتافيوس أوغسطس لم يلبث أن تحول إلى قيام اضطرابات جديدة في فترة خليفته تيبريوس حيث ظهرت مقاومة جديدة ضد الرومان انطلقت من عمق الصحراء الجزائرية بقيادة تاكفاريناس وما كان لهذه المقاومة أن تقوم لولا مساعدة البدو لهم بتوفير مشاة وفرسان مدربين على الحرب، كما كانت مناطقهم ملاجئ آمنة لمن فر من ملاحقة الرومان، لذلك فإن الرومان تفاجئوا كثيرا بقوتهم وبأن جنودهم غير متعودين على الحرب في مناطق صحراوية (Cagnat, 3).

ولكن الرومان بعد أن فشلوا في المرحلة الأولى التي بدأت منذ سنة 17م حتى 21م غيروا إستراتيجيتهم في المرحلة الثانية حيث وصلتهم إمدادات معتبرة من الجند والعتاد، كما استعانوا ببعض سكان المنطقة الذين جندوهم بحكم معرفتهم بطبيعة البادية وهو ما أدى بهم إلى حسم المعركة وهزيمة تاكفاريناس وقتله سنة 24م.(22-13: 1913. R. 1913)

وهذه الوضعية الصعبة التي عاشها الجيش الروماني في إخضاعه للبدو في الجزائر تشبه نفس ما عايشه الرومان خلال محاولتهم إخضاعهم بدو شبه الجزيرة العربية فالإمبراطور يوليوس قيصر خاض مغامرة كانت لها عواقب وخيمة حينما أراد احتلال بادية العرب وتكبد جنوده خسائر فادحة نتيجة لعدم تحملهم العطش والحرارة الشديدة وعدم تعودهم على الحرب في المناطق القاسية وهذه المعاناة أدت بالرومان إلى تجنيد بعض من رجال البادية للاستعانة بهم في المواضع التي يصعب على الرومان معرفة طبيعتها (جواد، م. 1993: 40- 42).

وقد كانت هذه النكسات المتوالية للجيش الروماني إلى تغيير الإستراتيجية المتبعة في محاربة البدو والحد من مخاطرهم حيث قام بإجراءات جديدة تمثلت في وضع حاميات عسكرية تفصل مناطق البدو ومناطق المستعمرات الرومانية وقد تم هذا الإجراء منذ عصر الإمبراطور تراجان وكان دور تلك الحاميات هو فرض رقابة صارمة على تحركات البدو ومنعهم من الاقتراب من المدن الرومانية وإلى حد اليوم تظهر تلك التحصينات الدفاعية في الجزائر في مدن مثل خنشلة وتبسة وباتنة , (Cagnat بالجزيرة العربية وأن الرومان وضعوها بسبب وجود غارات كثيرة قام بها الأعراب العربية وأن الرومان وضعوها بسبب وجود غارات كثيرة قام بها الأعراب لسلطات الرومان ثم يعودون إلى مضاربهم بحيث يصعب على الرومان تعقبهم فخبر الرومان بذلك واهتدوا إلى فكرة بناء حصون متقدمة عن المدن تمنع الجزائر دفعت بالرومان إلى انتهاج نفس الأسلوب في درأ خطر البدو. (جواد، الجزائر دفعت بالرومان إلى انتهاج نفس الأسلوب في درأ خطر البدو. (جواد، 47.1993).

وبسبب تشابه طبيعة المنطقة بين بادية العرب وبادية الجزائر وتشابه عقلية البدو في كليهما أدى بالرومان إلى جلب جنود عرب من بادية الشام إلى بادية صحراء شمال إفريقيا مجهزين بعتاد ملائم لطبيعة الصحراء وهذا يظهر بوضوح في فرقة خاصة كانت تحارب إلى جانب الجيش الروماني في شمال إفريقيا أطلق عليها "الفرقة السورية" فقد عرف الرومان أن أمة العرب أكثر خبرة من بين الأمم في معرفة طبيعة البادية، . :1913 (Cagnat, R. 1913: مثل عرض عثر بمشارف الصحراء خزفية تمثل عرض

لسباق الجمال نظمه الرومان وقد يأتي ذلك في إطار تدريب فرقة خاصة تعتمد على هذا الحيوان في الحرب، ولم يكن ذلك جديدا على الرومان حيث أنه منذ القرن الثاني قبل الميلاد نظم الرومان سباقات مماثلة في الشرق الأوسط (9: Dupuy, 2009)

وقد يكون جلب العدة والعتاد من بادية الشام بالنسبة للرومان إلى شمال إفريقيا مكلفا لذلك نجدهم يهتمون بتربية الخيول والجمال في المنطقة لاستعمالها في الحروب فحسب الفسيفساء الرومانية التي عثر عليها في تونس نجد أن ملامح هذا التوجه كانت ظاهرة .(Cagnat, R. 1913: 22)

## 5- الدور الاقتصادى للبدو خلال العصور القديمة

يشاع على البدو بصفة عامة أن اقتصادهم يعتمد بالدرجة الأولى على تربية الماشية والاستفادة من لحومها وألبانها وجلودها وهذه الصورة كانت الأبرز في المصادر الفرعونية القديمة التي صورت بدو شمال إفريقيا بالاعتماد الكلي على الرعي ولم تخفي هذه الوثائق التي تعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد حملات الملوك الفراعنة عليهم وسلب ماشيتهم، فالملك سنفرو مؤسس الأسرة الفرعونية الرابعة يتحدث كيف غنم حوالي ثلاثة عشرة ألف رأس للماشية كانت ملك للبدو وهذا العدد الكبير يبين مدى تركيز البدو القدماء في اقتصادهم على تربية الماشية . (مصطفى كمال،ع. 1966: 12).

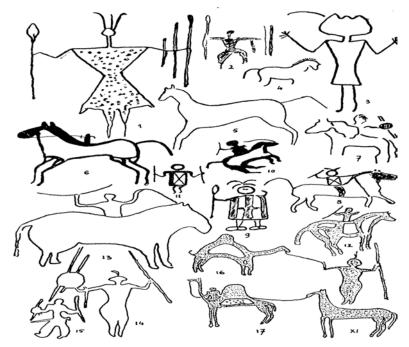
هيرودوت يعطي تأكيد صريح على أن بدو شمال إفريقيا يعتمدون في معيشتهم على اللحم والحليب وحتى لباسهم يصنع من الجنود وأشار بالخصوص إلى أن منازلهم هي عبارة عن بيوت متنقلة (خيام) مصنوعة من بعض أوراق النباتات المجففة يشد بعضها البعض بواسطة الحبال (هيرودوت. 366: 366).

وقد ساعد هؤلاء البدو في اعتمادهم بشكل أساسي على تربية الماشية هي مناطقهم التي تتوفر على الكلأ وكذلك تنقلهم المستمر بين الشمال والجنوب الجزائريين وفي مساحات شاسعة، بل إن بدو الصحراء الكبرى كانوا يقطعون صحراء شمال إفريقيا من أقصاها إلى أقصاها لتوفير الغذاء لماشيتهم والاستمرار في حياتهم (Pinta, P. 2007: 184)



رسوم تدل على رعي أغنام بمنطقة أولاد نايل (الأطلس الصحراوي) بداية العصر التاريخي

(Actes du premier colloque de Préhistoire Maghrébine, 2001: 207) في المناطق الصحراوية نجد من خلال الرسوم الصخرية أنها مرت بعدة فترات رعوية : الأبقار والماعز قبل فترة الجفاف (بداية حوالي 8000 قبل الميلاد) وخلال هذه الفترة كان مناخ الصحراء معتدلا وتوفرت الأعشاب الرعوية مما سمح بانتشار واسع لرعاة الأبقار، لتعوضها الجمال بعد أن تحولت الصحراء إلى منطقة قاحلة (بداية حوالي 3000 قبل الميلاد)، حيث عاشت الصحراء تحولا مناخيا تدريجيا ليستقر على ما هو عليه اليوم وزال عاشت النباتي الذي تميزت به خلال الفترة السابقة وهو ما أدى إلى انتشار الجمالة بسبب أفضلية هذه الحيوانات وشدة تجملها للظروف القاسية. (Romaoun, H. 2004: 23).



صور لبدو مع أحصنة وجمال من مواقع الرسوم الصخرية بالهقار (Lahote, H. 185)

غير أنه في وقت لاحق من العصور القديمة (على الأقل القرن الخامس قبل الميلاد) نجد أن هؤلاء البدو لم يكتفوا بالرعي كأسلوب وحيد لنمط معيشتهم بل انتقلوا لممارسة الزراعة فقد أشار المؤرخ اليوناني هيرودوت إلى أسلوبهم في الزراعة يتضمن مد طبقات من التربة فوق الملح ثم يتم نثر البذور عليها . (هيرودوت. 2001: 364) . وتدل ممارسة حرفة الزراعة إلى وجود شعب شبه مستقر فقد كانت الزراعة من أبرز إنجازات الإنسان على مر العصور وتعتبر معيار أساسي لدخول الإنسان العصر النيوليتي ، ووجود زراعة في المناطق الصحراوية دليل أخر على أن الصحراء الكبرى في القديم لم تكن بمنعزل عن التطورات الحضارية الحاصلة في العالم القديم وقد حول الغرامنت (بدو الصحراء في القديم) مناطق صحراوية قاحلة إلى واحات غرست فيها النخيل والخضر والفواكه (46 :2007 - 2007)وهذا الازدواجية بين ممارسة الرعي والتحول للزراعة يبدو أنه شبيه بما حدث للأنباط في بادية الشام حينما كانوا يعيشون عيشة بدوية خالصة قبل أن ينتقلوا لممارسة الزراعة والتجارة بعد اكتشاف أفضلية بلادهم لذلك ، (جواد، م. 1993)

5) بفضل اعتمادهم على المياه الباطنية واستغلالها استغلالا علميا إذ أثبتت الدراسات الأثرية التي أقيمت في ضواحي الصحراء الجزائرية وجود شبكة واسعة من جداول المياه تنقل إلى الأراضي الزراعية وهذه الشبكة شبيهة إلى حد كبير بما يعرف في يومنا هذا بالفقارة (Saby, Cl.-A. 2008: 13)

كما كان لهؤلاء البدو اهتمام كبير بالجانب التجاري من حيث أنهم كانوا وسطاء تجاريين بين شمال القارة الإفريقية وجنوبها فتحكموا في الطرق التجارية وكانت الموارد التجارية هي العامل الرئيسي الذي أدى إلى ازدهار حضارتهم(385: 1987, G. 1987)

فقد كان لهم علاقات تجارية مع الفينيقيين منذ القرن التاسع قبل الميلاد كما أن الرومان أدركوا أهمية بلادهم التجارية لذلك توسعوا في إنشاء الدفاعات العسكرية ووصلوا إلى الواحات الصحراوية لأغراض عسكرية واقتصادية (Pinta, P. 2007: 63-65) وبالضبط فقد مارس البدو تجارة العبور حيث كانوا وسطاء تجاريين ينقلون من الجنوب الذهب والعاج والجلود وحتى التمور سواء لصالح القرطاجيين أو الرومان فيما بعد. :Unesco. 1984) (488أيضا تاجر البدو بالعبيد الذين جلبوا من بلاد السودان وينقلون إلى المدن في شمال البحر الأبيض المتوسط لاستغلالهم في الزراعة والصناعة والتجارة ومختلف الحرف.(Saby, Cl.-A. 2008: 487-488) وحتى الحيوانات المصطادة في أدغال إفريقيا قام البدو بنقلها للرومان لاستخدامها في حفلات السيرك كالأسود والنمور والفيلة والزرافات..ألخ : Kaplan, M. 2006) .(86ويعود السبب في ازدهار التجارة في مناطق البدو هو استعمالهم عربات تجرها أربعة أحصنة كما ورد عند المؤرخ اليوناني هيرودوت كما نجد رسوم هذه العربات بوفرة في الرسوم الصخرية الموجودة بالصحراء الكبرى مما أدى إلى ازدهار التجارة بكامل الطرق التي تؤدي إلى الصحراء الكبري باستثناء الطريق التجاري المحاذي للمحيط الأطلسي الذي لم يكن له أية أهمية في المصادر القديمة. (مختار، ج. دون سنة: 2، 544).

ويعتبر ظهور الجمل في المناطق الصحراوية عاملا أخر في ازدهار التجارة، وهو ما تؤكده النصوص اللاتينية خلال القرن الأول الميلادي حيث شاهد كل من الجغرافي سترابون والمؤرخ الروماني بلين القديم قوافل من الجمال (Actes du premier colloque de Préhistoire .2007: 211).

أما النصوص البيزنطية فهي التي تشير كثيرا إلى هذا النوع من التجارة الصحراوية والذي استعمل فيه الجمال مثل المؤرخ البزنطي بروكوب ذكر مجموعة كبيرة من القوافل العابرة للصحراء مستعملة الجمل في تنقلاتها (Gsell, S. 1927: 1, 60)

تأكد لنا من أن ظاهرة البدواة هي ظاهرة اجتماعية قديمة في الجزائر وهي تعتبر موروث من التراث الوطني ولاحظنا كيف أن للبدو دور سياسي واقتصادي هام منذ العصور القديمة وأنه لا ينبغي لنا اهمال تاريخ من ساهم في الحفاظ على هذا الوطن والمكافحة في سبيله.

## ببليوغرافيا

#### المصادر

-ابن خلدون، (2001). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، بيروت: دار الفكر.

-هيرودوت، (2001). تاريخ هيرودوت، تر عبد الآله الملاح، أبوظبي: المجمع الثقافي.

-Salluste. (1947). Guerre de Jugurtha, trad. Ernout, A., Paris: Les Belles Lettres -Strabon. (1867). Géographie, trad. Amédée Tardieu, Paris : Hachette.

## المراجع

- -جمال، مختار (دون سنة). تاريخ إفريقيا العام، ط2، اليونسكو.
- -محمد علي، جواد (1993). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، جامعة بغداد.
- مصطفى كمال، عبد العليم (1966). تاريخ ليبيا القديم، بنغازى: منشورات الجامعة الليبية.
- -جمال، مسرحي. (2009). المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، رسالة ماجستبر غير منشورة (تخصص تاريخ)، جامعة قسنطينة.
- -Actes du premier colloque de préhistoire Maghrébine, Tamanrasset les 5, 6 et 7 novembre 2007, CNRPAH, 2001.
- -Saby, Cl.-A. (2008). Les Garamantes, Histoires et récits, Servimedia.
- -Romaoun, Hassan. (2004). «Le Maghreb, le Sahara, l'Afrique et la langue berbère », Africa Review of Books, 1, 1, p. 23-27. -Ghristian, Dupuy. (2009). «L'apparitioent l'expansion du Camelus dromedarius
- dans le nord de l'Afrique », Le Saharien, 190.
- -Mokhtar G. (1987). Ĥistoire générale de l'Afrique, Paris: Unesco.
- -Goual Doghmane, F. (2009). Etude semio-narrative des contes Touareg production féminine, Doctorat Es-Sciences -Français-, Université Mentouri, Constantine.
- -Le Quellec, J.-L. (2008). « Les ensembles céramiques du bassin de Murzuq », Cahiers de l'AARS, 12, p. 70-87. -Kaplan, M. (2006). L'Afrique Romaine, de l'Atlantique à la Tripolitaine 69-439
- après J.-C., Paris: Breal.
- -Pinta, P. (2007). Libye, des cites antiques aux oasis du Sahara, Geneve: Olizana.
- -Cagnat R. (1913). L'armée Romaine d'Afrique, Paris: E. Leroux.
- -Gsell, S. (1927). Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris: Hachette.
- -Histoire générale de l'Afrique, volume 2, UNESCO, Comité Scientifique International pour la Rédaction d'une Histoire Générale de l'Afrique, 1984.

# التجمعات القبلية الكبرى في المملكة النوميدية ودورها في تكريس نظام الحكم

أ.عبدالحميد بعيطيش حامعة باتنة

لا جرم أن حياة النوميديين كانت شبيهة بحياة بقية الأمم والشعوب في المسكن والملبس والمكسب، ولكنهم تُرقُوا وفق طبيعة النَّشوء والارتقاء، وتأثروا بمجاورة الإغريق ثم بمعاشرة الفينيقيين ثم فيما بعد بالرومان، وليس لدينا من المصادر التاريخية الكافية، التي تثبت بالضبط دخول بلاد المغرب في التاريخ عن وجود كيان سياسي مكتمل الشروط قبل ظهور قرطاجة، ولكن هناك مصادر كتابية وأثرية وردت فيها أسماء عدد من المجموعات القبلية في تعداد شعوب الشمال الإفريقي القديم ما قبل الاحتلال الروماني، وتدلُّ هذه الأسماء على مجموعة قبائل محكومة بروابط التقاليد والعادات، وأبرز هذه القبائل والضوابط القانونية والتنظيمية التي النمط الاجتماعي الذي ميز هذه القبائل والضوابط القانونية والتنظيمية التي كانت تربطهم مع غيرهم من الشعوب والدول.

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف المعرفية الأساسية التالية:

- 1- تسليط الضوء على واقع المجتمع النوميدي من خلال مختلف المصادر الأثربة والكتابية.
- 2- إبراز طبيعة التكتلات القبلية في بلاد المغرب القديم والضوابط العرفية والقانونية التي كانوا يحتكمون بها.
- 3- دراسة وتحليل ما ذكره المؤرخون الكلاسيكيون من معلومات ومعطيات تاريخية حول المجتمع النوميدي.

لدينا أكثر من سبب للاعتقاد في أن نشوء الممالك المحلية بشمال إفريقيا القديم ارتبط ارتباطا وثيقا بالمجال الجغرافي والبيئة، فمن جهة نلاحظ أن القبائل الأمازيغية المعروفة تاريخيا بالنوميد والمور والجيتول بالإضافة أيضا إلى قرطاجة قد ارتبطت بالمجال المتوسطى.

فقد كان لأهمية الموقع الممتد بين حدود قرطاجة الغربية إلى نهر الملوية دور في المكانة السياسية والاقتصادية التي احتلتها الممالك الأمازيغية،

فقد وفرت المنطقة مجالا مناسبا لتركز سكاني استقر فوق الأراضي الخصبة وحول مجاري الأنهار والأودية وبجانب البحيرات، وقد ساهم هذا التركز في نشوء كيانات سياسية انتظمت على شكل مملكات استقلت عن بعضها البعض ورسمت الحدود السياسية فيما بينها وتصارعت أحيانا على امتلاك المجال.

# الأصول التاريخية والتّمركز الجغرافي لقبائل النّوميد:

القبيلة هي مجموعة أُسر متحدة بوشائج القرابة، وهي أول صورة للنظام الاجتماعي الدائم، ويكون الشّمال الإفريقي القديم قد وصل إلى هذا الشكل من التنظيم على امتداد مراحل تاريخية طويلة، ويكون ذلك نتيجة لتراكمات اجتماعية عزّزت التضامن بين أفراد القبيلة، فتكونت الأعراف التي تنظم الحياة الاجتماعية. (عقون، م. -ع. 2008: 166). ويوضّح المفكّر والباحث عبد الله العروي أن مصطلح القبيلة يطلق على تنظيم الرحل الجمالة، أي نظام اجتماعي يلاءم وحده المحيط الصحراوي الصرف، كما يُطلق أيضا على سكان الجبال والسهول بهدف ضمان التوازن بين الأسر، ويعتبر بذلك أن القبيلة هي التنظيم الملائم لذلك. (العروي، ع. -ل. 1996: 100)

ليس لدينا من المصادر التاريخية الكافية، التي تثبت بالضبط دخول بلاد المغرب في التاريخ عن وجود كيان سياسي مكتمل الشروط قبل ظهور قرطاجة، ولكن هناك مصادر كتابية وأثرية وردت فيها أسماء عدد من المجموعات القبلية في تعداد شعوب الشمال الإفريقي القديم ما قبل الاحتلال الروماني، وتدلُّ هذه الأسماء على مجموعة قبائل محكومة بروابط التقاليد والعادات، وأبرز هذه القبائل النوميد.

إن الدولة النوميدية قد تشكلت في صورتها التاريخية من قبائل الماصيل والمازصيل، وقد عُرف هذا الاتّحاد في المصادر التاريخية بالاتحاد الكونفدرالي للنوميديين، ولم تكن لتلك القبيلتين حدود معلومة فيما بينها، بل كانت تتراوح بين المد والجزر، وقد اتخذت هذه القبائل مُدئًا وقرى وأحاطوها بأسوار من حجارة ضخمة غير منحوتة إلا قليلا، وكانت مساكنهم داخل المدينة أو القرية في أول عهدهم مركبة بكيفية وقتية ليسهل عليهم نقلها حيث ساروا، حيث يذكر ستيفان قزال (S. Gsell) أن

هناك قبائل لم تبرح أوطانها، وسكان الصحراء أبعد القبائل وأكثرهم انتقالا لجدب الأرض وقلة العشب (Gsell, S. 1927: 68) وتجدر الإشارة إلى أن القبائل الرُّحل كانت كثيرا ما تقوم بغارات على القرى والمدن القريبة من مضاربها وتقوم بسلب المحاصيل الزراعية، الأمر الذي دفع المستقرين إلى تحصين قراهم ومدنهم، وتخزين محاصيلهم الزراعية في قرى جماعية وقلاع وفي أماكن وعرة (Gsell, S. 1927: 255)

لقد تباينت المصادر القديمة في حديثها عن مجال شمال إفريقيا خلال العصر القديم بين المصادر التي ركزت على قساوة المناخ وضعف التساقطات وسيادة الرمال والجفاف الرهيب 33 (Strabon. 1867: II, 5) انظر كذلك: ) Diodore de Sicile: III, 50) وبين المصادر التي أعجبت بخصوبة الأرض والبلاد. (Polybe. 1970: XII, 1,2)

إن نمط السكن المستقر لا يتلاءم مع حياة الرعاة الذين تبدوا منازلهم متنقلة Pline l'Ancien. 1950: v, 22) Mapallia تتكون من مواد نباتية مثل البروق (Asphodele) والأسل (Jonc) والقصب والحشفة (Chaume) يمكن تركيبها وفكها بسهولة وبسرعة، أما المستقرون فكانوا يسكنون أكواخا من الحجارة والطين المجفف أو من أغصان الأشجار، وإلى جانب مساكن العامة البسيطة نجد القلاع والحصون التي يلجأ إليها الأهالي عند تعرضهم إلى هجمات الأعداء.

## قبائل النُّوميد (Numidie):

عُرفت نوميديا في كتابات المؤرخين القدماء بأسماء عديدة، اختلفت في تسميتها المصادر الإغريقية واللاتينية، ففي المصادر الإغريقية مثلا ، كان اسم نوميديا اسمًا وصفيًا يعني نمط حياة ينطبق على البدو والرحل ، ثم تطورت التسمية وأصبحت تدل على شعوب كانت تعيش في شمال إفريقيا.

على أنه يبدو أنَّ في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد قد شهد نوع من الأنظمة السياسية المغربية المجاورة لقرطاجة، بدليل ما ذكره المؤرخ ديودور الصقلي (90- 21 ق.م) (Diodore de Sicile)، من أن ملكًا نوميديًا يدعى أيليماس (Ailimace) حالف أغاتوكليس (Agathocles) الإغريقي الذي غزا السواحل القرطاجية عام 310 ق.م، إلا أنه يصعب اعتماد هذه الإشارة

كدليل عن وجود مملكة مغربية مكتملة الشروط، ولكنها إشارة إلى النضج السياسي والوعي الوطني، من أجل الحد من توسعًات القرطاجيين وطردهم من المنطقة. (شنيتي، م. - ب. 1985: 18)

وقد بدأت النصوص القديمة تذكر النوميد بهذا الاسم منذ القرن الثاني قبل الميلاد، كشعب وقوة سياسية تبسط سيادتها على منطقة واسعة، تمتد من حدود قرطاجة شرقا إلى وادي ملوية غربا (غانم، م. ص. 1998: (Strabon) منا أننا نجد أن الجغرافي سترابون (58 ق.م 24 م) (Numidi) يذكرهم في عدة فقرات، غير أنه لا يفرق بين مصطلحي نوميد (Numidi) ويعتقد أن التسمية نمطية، وقدم لنا وصفًا لهذه المنطقة وسكانها على الشكل التالى:

"... إنها تحد من قرطاجة إلى أعمدة هركل ، المنطقة على العموم ثرية وخصبة ولكنها مليئة بالحيوانات المتوحشة، مثلها في ذلك مثل بقية مناطق ليبو الداخلية، ويطلق اسم نومادس (Numadas) على جزء من سكان المنطقة الذين كانوا قد استمدوا اسمهم من الحياة التي كانوا عليها، من صراعهم مع الحيوانات المتوحشة التي يستحيل معها الاهتمام بزراعة الأرض." (Strabon. 1967: II, 5, 3)

ويضيف نفس المؤرخ في نص آخر متحاملا على النوميديين: " إن النوميديين كانوا يفضلون السطو واللصوصية دون توقف، ويتركون الأرض للزواحف والحيوانات المفترسة". (Strabon. 1967: XVII, 3, 15)

كما أورد سالوستيوس (86- 35 ق.م) (Sallustius) نصاحول وجود صنف أجنبي وهم الميديين (Medi) والفرس (Persae) والأرمن (Medi) تفرقوا بعد وفاة زعيمهم هركل في إسبانيا وعبروا إفريقيا بزوارقهم وامتزجوا بالجيتول ولذلك سموا أنفسهم نوماداس (Nomadas) (سالوستيوس، غ.- ك. 2006: 17)

كما أورد بعض الشعراء اللاتين الاسم الإغريقي (Nomade) ونذكر فيرجيل (70- 19 ق.م) (Virgilius) في مؤلفه الإنياذة (L'Eneide) التي تناول فيها أسطورة تأسيس مدينة قرطاجة من طرف الملكة الفينيقية عليسا ديدون، وتعاملها مع السكان الأصليين- النوميد- (Virgile. 1965: XII, - ديدون، وقعاملها مع السكان الأصليين- النوميد، فقد استعمل (203- 203) ق.م)

كلمة نوميديا (Nomidia) على كيان سياسي وعلى شعب معين، Nomidia) على كيان سياسي وعلى شعب معين، 1970: III, 23, 2)

والظاهر أنه استقى هذا المفهوم من الوثائق الرومانية الرسمية، أين ظهر فيها مدلول نوميديا ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد أثناء الحروب البونية.

لا جرم أن حياة النوميديين كانت شبيهة بحياة بقية الأمم والشعوب في المسكن والملبس والمكسب، ولكنهم تَرقُوا وفق طبيعة النَّشوء والارتقاء، وتأثروا بمجاورة الإغريق ثم بمعاشرة الفينيقيين ثم فيما بعد بالرومان. (المبارك الميلى، م: 110)

فلا نستطيع أن نتخيل الكيان السياسي فيما يخص المملكة النوميدية في بداياتها الأولى، إلا في شكل تتقاسمه الصراعات بين تكتّلات قبلية ، وكانت أشهر هذه التكتلات قبائل المازسيل و الماسيل، حيث كانت قبائل المازسيل تتوضع في الغرب الجزائري الحالي، أما قبائل الماسيل فكانت مضاربها تشمل الشرق الجزائري وشمال تونس فيما عدا أراضي الدولة القرطاجية (غانم، م, ص. 1998: 50) وكان النظام السائد فيها هو النظام الملكي الوراثي الذي انتقل عبر مرحلتين:

المرحلة الأولى تمتد من القرن الثالث قبل الميلاد إلى غاية وفاة ماسينيسا، وكانت فيه المُللكية في يد العائلة الواحدة، منتمية إلى جد مشترك، بحيث ينتقل الملك إلى الشخص الأكبر سنًا في العائلة، (حارش، م. - ه. 1992: 104) وقد قدم لنا المؤرخ اللاًتيني تيتوس ليفيوس صورة واضحة عن نظام الحكم في نوميديا، فبعد وفاة الملك غايا (Gaia) حوالي سنة 206 ق.م لم يخلفه ابنه ماسينيسا لصغر سنه (كان حوالي 32 سنة) فانتقل العرش إلى عم ماسينيسا إيزالسيس (Aezalces) وبعد وفاة هذا الأخير خلفه ابنه كابوسا (Capussa) الأكبر سنا من ماسينيسا، وبع وفاة كابوسا كان من المفروض أن ينتقل العرش مباشرة إلى ماسينيسا، لكن مازيتول (Mazaetullus) وهو أحد الضباط الكبار تدخل ونصب لاكومازيس (Lacumazes) (أخ كابوسا) ملكًا، مما دفع بماسينيسا لاسترجاع عرشه المشروع بالقوة. (Tite-Live. 1930: XXXIX, 29, 6-11)

أما المرحلة الثانية فهي التي تلي وفاة ماسينيسا سنة 148 ق.م، حيث تغير أُسلوب نظام الحكم، بحيث نجد أن حكم المملكة تقاسمه أبناء ماسينيسا، إذ أسندت السلطة الإدارية إلى مسسيبسا (Macipssa)، والسلطة

العسكرية إلى غولوسا (Gulussa)، والسلطة القضائية إلى مستنبعل (Mastanbal) (حارش ، م. - هـ. 1992: 105)

وحتى تكون دراستنا أشمل عن هذه الدولة النوميدية التي تم توحيدها فيما بعد فإننا سنجزئها إلى شطريها الغربي والشرقي، أي نتناول قبائل المازصيل والماصيل كل على حدة، ثم نبرز دور الملك ماسينيسا في توحيد هذه القبائل وإرساء أسس وقواعد الدولة من مختلف نظمها الإدارية، العسكرية والاقتصادية.

# مملكة نوميديا الغربية أو (المازصيل Masaesyle):

تعود أولى الأخبار التي وصلتنا عن مملكة المازصيل إلى حوالي 213 ق.م حيث، يذكر بوليبيوس بأن القرطاجيين كانت تربطهم صداقة متينة مع ملكهم سيفاكس (Syphax)، وأن المازصيليين كانوا يكونون جزءا كبيرا من الجيش القرطاجي في اسبانيا وبلاد المغرب القديم. 1970: (III, 33,15)

ووفقا لما يذكره المؤرخ والباحث الفرنسي كامبس (G. Camps) عن هذه القبائل، أنها كانت من حيث الامتداد الجغرافي تتوضع في المنطقة الممتدة ما بين قبائل الماصيل شرقا والقبائل المورية غربا، بحيث تغطي مساحتها كامل الوسط الجزائري، وتبقى حدودها الشرقية والغربية غير واضحة (Camps, G.1961: 179)

يذكر كل من سترابون وتيتوس ليفيوس (59 ق.م- 17 م) Livius) أن أراضي هذه المملكة كانت تمتد من على رقعة واسعة من ملوشة (وادي ملوية حاليا ) غربا إلى راس تريتون شرقا، ; 33 (XVII, 3, 6) والذي يتوافق مع رأس بوقرعون في القل، واغلب الظن أن اتساع حدود هذه المملكة جاء نتيجة الغزوات التي شنها صيفاكس في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد على أراضي الماصيل.

وتجدر الإشارة إلى أن شخصية الملك سيفاكس الذي حكم نوميديا الغربية، أنه كان يتصف بالرزانة وتغليب العقل على العاطفة في كثير من الأحيان، وقد وُرد اسمه في النصوص القديمة عند كل من تيتوس ليفيوس وبوليبيوس. ;7 Polybe.1970: XI, 2)(Tite-Live. 1930: XXXVIII, 18, 7 كما سعى هذا الملك إلى تقليد المؤسسات الدستورية القرطاجية لتطبيقه في

مملكته، إضافة إلى إضفاء الطابع الهلينيستي من حيث المظهر على أمور الحياة اليومية. (Gsell, S. 1913-1928: 186)

كما قام الملك صيفاكس بتطبيق نظام اللامركزية من حيث التنظيم الإداري في مملكته بعد توحيد النوميديتين وطرد ماسينيسا لفترة زمنية، حيث جعل العاصمتان سيقا وسيرتا تسيران من قبل موظفين ساميين محليين يعينهم الملك، بالإضافة إلى مجالس شبه قبلية ورجال دين، ثم جباة ضرائب وضباط في الجيش ويشترط فيهم أن يكونوا موالين للملك -Tite (Live. 1930: XXVIII, 17).

## مملكة نوميديا الشرقية (أو الماصيل Massyle):

كانت أولى الأخبار التي وصلتنا عن هذه المملكة هو ما نقله إلينا المؤرخ الإغريقي ديودور الصقلي، وذلك عندما غزا ملك سيراقوزة أجاثوكليس (Agathocles) لبلاد المغرب القديم ومحاولته تدمير قرطاجة، كان قد تحالف في بداية الأمر مع ملك لوبي يدعى إيليماس (Ailymas) الذي كانت عاصمته دوقة. XX،

ومن هنا نجد أن من بين المؤرخين المحدثين وعلى رأسهم قزال وكامبس يميلون إلى الفرضية التي مفادها أن إيليماس يكون من بين أقدم الملوك الذين عرفتهم نوميديا الشرقية.

ويفهم أيضا من بعض النصوص التي أوردها بوليبيوس، بأن أحد أجداد الملك ماسينيسا (Massinissa) كان أول من اعتلى عرش نوميديا الشرقية، ويقدم بذلك صورة عن العائلة الحاكمة في نوميديا، وقد خص بذكر: غايا، زيلالسان و أيليماس. (Camps, G. 1961: 159)

أما فيما يخص الامتداد الجغرافي لمملكة الماصيل، فإنه يصعب تحديد أراضيها هي الأخرى ، ذلك أن الإشارة إليها في الكتابات القديمة قليلة ، كما أن النقوش والعملة لم تتناول المجال الجغرافي الذي كانت تتردد عليه تلك القبائل ، كما أن أوّل ذكر لهذه المملكة لا يتجاوز نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد. (Diodore de Sicile. XX, 58)

غير أنه يبدو أن بلاد الماصيل كانت تشمل شمال شرقي الجزائر وشمال تونس باستثناء أملاك الدولة القرطاجية، وأن الحدود الأولى بالنسبة إليهم لم تضبط أو تصبح مراقبة، إلا بعد تكوين النواة الأولى للدولة النوميدية (الماسيلية) التي مرت بالدور القبلي ثم انتقلت بعد ذلك إلى التنظيم النوميدية (1981: 99)(Decret, F., Fantar, M.

كما نجد المؤرخ الطبيعي بلينيوس الأكبر (23- 79 م) (Pline ، ينزل القبائل الماصيلية داخل منطقة سيرتا وإفريقيا، وذلك فيما بين نهر لمساقة (Lamsaga) أو الوادي الكبير غربا وخليج السرِّت شرقا، ثم يشير بأن القبائل الماصيلية تلك كانت تستقر فيما بين قبائل السبَّربر Sabarbare)

## دور ماسينيسا في توحيد القبائل النوميدية وتكريس نظام الدولة:

لقد انقسم النوميديون فيما بينهم منذ الوهلة الأولى للدخول الروماني إلى شمال إفريقيا، فقد ناصر البعض منهم الرومان وكانوا يرون بأن الحكم لا يستقر في المنطقة إلا بالموالاة لهم ومخاطبة ودهم، بينما على العكس من ذلك يرى الفريق الثاني بأن نظام الحكم يجب أن يكون بيد النوميديين ولا بد من المحافظة عليه، فقد احتفظ لنا التاريخ بعض ما سجله عن هاتين المملكتين، خاصة فيما يتعلق بالصِّراع الذي نشب بين (الإخوة الأعداء) الذي كان من ورائه الصراع الروماني القرطاجي، حيث ترجع هذه الخلافات السياسية بين النوميديين والتي نشبت بين خلفاء غايا (Gaia) على التدخلات القرطاجية والرومانية خدمة لأهدافهم في المنطقة، ومهما كان من هذه الأحداث، فإن ماسينيسا كان يسعى بالدرجة الأولى لاسترجاع عرشه المسلوب، واستطاع بالتعاون مع الرومان على تدمير قرطاجة والقضاء على سيفاكس (Syphax) في معركة سيرتا (Cirta) عام 203 ق.م، واعتراف روما بماسينيسا ملكا على نوميديا، ويذكر المؤرخ الروماني تيتوس ليفيوس، بأن قائد الجيوش الرومانية سيبيون (Scipio) كان قد أسند مسؤولية مدينة سيرتا وبقية المدن النوميدية الأخرى القديمة منها والتي كان يشرف عليها قبل ذلك سيفاكس إلى ماسينيسا.(غانم، م.- ص.1992: (118)

وبعد هزيمة قرطاجة في معركة زاما (Zama) الشهيرة عام 202 ق.م جاءت معاهدة عام 201 ق.م لتثبت حق ماسينيسا لوراثة العرش النُّوميدي، وقد كان من شأن اعتراف الرومان بماسينيسا ملكًا على نوميديا، أن أصبح سيد كامل نوميديا الموحدة من واد الملوية غربا إلى السرّت الكبير شرقا.(Tite-Live. 1930: XXXI, XI)

حيث ذكر بوليب الذي عاصر تلك الاحداث وراى بعينيه تدمير قرطاجة ( ... وذلك ان مسينيسا كما سبق ان ذكرت ... ذهب بقواته مصطحبا معه عشرة فصائل رومانية من الفرسان والمشاة وكان ذلك لا ليسترد مملكته فحسب بل ليتمكن بمعونة الرومان من ضم مملكة سيفاك ساليه الامر الذى وفق فيه...) (Polybe. 1970: XV, 4)

وفي هذا السياق أورد ليفيوس فقرة من خطبه نسبها إلى أومينيوس (Euméne) أحد أعضاء السيناتو قالها عام 189 ق.م جاء فيها: "إن ماسينيسا قبل أن يكون حليفا لكم كان عدوكم، إنه عندما التجأ إلى معسكركم لم يصحب معه بشيء تابع لمملكة قائمة، ولكنه أقبل عليكم كرجل حكم عليه بالنفي والإبعاد ... فلم يكفكم أنه انتصب على مملكة أبائه، ولكنه أضاف إلى هذه المملكة القسم الأكثر غنى من مملكة سيفاكس، لقد جعلتم منه الملك الأكثر قوة بين ملوك إفريقيا". مملكة سيفاكس، لقد جعلتم منه الملك الأكثر قوة بين ملوك إفريقيا". القبائل البربرية من نوميديا، ووضع بذلك أسس الدولة النوميدية الموحدة، ومنه عين عاصمة لحكمه وهي سيرتا، وأصدر عملة وقام ببناء مجموعة من المرافق في المدن ذات الصبغة الدينية والإدارية -358, 21, 1877: 21, 358.

ومن جهة اخرى فإن المؤكد أن مسينيسا قابلته معارضة شديدة قام بها بعض زعماء القبائل الأقوياء شرقا وغربا ، فأما في ناحية الشرق فقد قاومه الزعيم أفقير (Aphter) الذي يظهر من سياق حديث بوليبيوس انه كان ذا نفوذ قوي بناحية سدرة الصغرى (خليج قابس) ويصفه بأنه كان ثائرا وأن مسينيسا حشد جيوشه وقصده بها. (Polybe. 1970: XXXI, 21)

وكذلك الأمر بالنسبة لزعيم آخر يظهر انه كان على رأس إحدى القبائل النوميدية الغربية، فيذكر بوليبيوس أن اسمه تيخايوس (Tychaios) وأنه كان قريبا لسيفاكس، وكان له أحسن الفرسان وقد ناصر (Polybe. 1970: XV, 3)

# توزيع القبائل النوميدية:

تركزت التجمعات النوميدية على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، وأغلبيتها كانت مستوطنات فينيقية قرطاجية، بها مصارف تجارية وتحتكرتها جاليات بونية وتربطها علاقات اقتصادية مع القرى

النوميدية الأخرى، (عقون، م .- ع .2008: 40) وأحيانا ما يقعون في صراعات، حيث أشارت المصادر في هذا السياق إلى أن الملك ماسينيسا قام باسترجاع من قرطاجة سنة (150 ق.م) خمسون (50) ما بين قرية ومدينة في منطقة الكروميري، لأنها كانت آهلة بالعنصر النوميدي :(XLII, 23)

وكثيرا ما ذكرت المصادر أن النازحين من روما أثناء الاحتلال الروماني كانوا قليلين، وأن النوميد كانوا يشكّلون الأغلبية الساحقة من سكان المدن وأعضاء الجيش، ثم يشار إلى دور الأفارقة المتميز في السياسة والإدارة والثقافة كدليل قاطع على تقدّم حركة الإدماج الثقافي، وتذكر الدراسات الأثرية الحديثة أن إفريقيا الشمالية كانت تحتضن أثناء الاحتلال الروماني 500 مدينة، وكان معظمها يعود إلى ما قبل التواجد الروماني. (العروى، ع-. ل. 1996: 76، 77)

كما تمتعت بعض المدن النوميدية باستقلال ذاتي اقتصادي وإداري لتسيير شؤونها مكنها من إصدار عملتها الخاصة وانتخاب مجالس البلدية، والحال أن الوضع القانوني للمدن النوميدية التي استحوذ عليها التجار القرطاجيون ظل محل نقاش بين الباحثين، ومن هذه الجهة يقول محمد العربي عقون أن الفينيقيين والقرطاجيين من بعدهم ليس لهم إلا الاحتكار التجاري، ولا يملكون السيادة الإدارية، فالسيادة كانت للشعب النوميدي وللملوك ولأعيان القبائل (عقون، م, - ع. 2008: 14، 42)

وقد كانت حركة القبائل أداة للدمج الاجتماعي منذ البدايات الأولى لتكون مجتمع الشمال الإفريقي ، فكان للنوميد والجيتول والمور وغيرهم من القبائل الصغرى امتدادات في مختلف جهات الشمال الإفريقي القديم، وكانت الحدود بين هذه القبائل حدود سياسية ولم تكن حدودا ثقافية أو اجتماعية أو دينية وكانت أشهر هذه القبائل:

#### المور (Mauri):

استعمل الجغرافيون الإغريق هذا الاسم للدلالة على سكان أقصى الشمال الإفريقي غربا ما بين وادي ملوشة (ملوية) والمحيط الأطلسي وقد أخذه عنهم الرومان واستعملوه للدلالة على مملكة بوكوس وأبنائه. (عقون، م.- ع. 2008: 155)

#### الباوار (Bavares):

أو البابار في بعض النصوص وصفتهم النصوص القديمة بالشعب الكبير (Gentis multus)، وظهر هؤلاء الباوار على مسرح الإحداث خلال القرن الرابع الميلادي وينقسمون إلى الباوار الغربيين (ناحية ميسيردا شمالي تلمسان) والباوار الشرقيين في منطقة البابور إلى مشارف كويكول وميلة (القبائل الشرقية) وفيهم الجبليون المستقرون والبدو الرحل. (عقون، م. - ع. 2008: 155)

#### الجيتول (Gaetuli):

ظهر اسم الجيتول منذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد للدلالة على مجموعة قبيلة كبيرة ولكنها لا تمثل عرقا مميزا، فالجيتول نوميد في منطقة الصحراء الشرقية ومور في الجنوب الوهراني يعيشون حياة التنقل والترحال، ولعل حياة البداوة هي التي جعلتهم لا يقيمون دولة.(عقون، م.- ع.2008: 160)

## الموسولامي (Musulamae):

وكان مركزها الرئيسي بالأوراس، ثم امتدت حتى نهر المثول (Muthul) وتبسة، وقد اقترن اسمها بالمقاومة ضد التوسع الروماني في عهد الامبراطور تيبيريوس (Tiberius) نحو نوميديا الداخلية، وضد نزع الملكية بقيادة احد أبنائها وهو تاكفاريناس (Tacfarinass) ، ويمتد إقليمها في منطقة الأوراس من سوق أهراس إلى وراء النمامشة جنوبا، ولكن فقدت قسما هاما من أراضيها بعد حرب دامت أكثر من سبع سنوات 17 – 24 ميلادي. (عقون، م. - ع. 2008: 177)

# قبائل السبّرير (Gens Sebarbar):

وحول قبائل السبربر هذه يذكر بعض المؤرخين أنهم كانوا يستقرون في المنطقة الواقعة إلى الغرب من سيرتا والممتدة إلى سطيف، وتتوضع قبائل النسيف بدورها في المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي من سيرتا ، ووفقا لهذا المنظور فإن مملكة الماسيل كانت تتوزع على كامل المنطقة الممتدة حول مدينة سيرتا وإلى الشرق منه حتى مدينة لبدة (Leptis Magna). (غانم، م. ص. 1985: 54)

قبائل الاسفودالوس (Asphodelos): كانت تحتل الركن الشمالي الشرقي من الجزائر وشمال غربى تونس.

قبائل النتابوتاس (Nattabutas): التي كانت تستقر بالشرق الجزائري في الحدود مع تونس.

قبائل السوبوربوراس (Suburbures) : هـِ الجنوب الغربي من سيرتا وسهول سطيف. (غانم، م.- ص. 1985: 161)

قبائل الهالياردي (Haliardi): تقطن بالقرب من سهول سطيف.

قبائل الكابرارينساس (Caprarienses): في مرتفعات الحضنة، وقد أشارت إليها المصادر عام 348 ميلادي.

قبائل الاكوتامي (Ucutami) أو الاكوتماني (Ucutumani): والتي أشار إليها نقشا يعود إلى العصر البيزنطي عثر عليه جنوب مدينة جيجل، وهم أجداد قبائل كوتوما التي أشار إليها ابن خلدون كذلك.

قبائل الماكورابي (Macurebi): أشار إليها بليني بين نهر الاوسار (Pline l'Ancien: V, 21). (Nabar Flumen)

قبائل الاكمبانساس (Icompenses): تقطن بمنطقة الوادي الأسفل لنهر الاوسر.(Cat, E. 1891:74)

قبائل الماكوراي (Makkourae): وتقطن بالمنطقة المجاورة لجبال (Ptolomée IV, 2, 5) Ouarsenis)

قبائل الموكيني (Mukeni): وتقطن نواحي الشلف شرقا حتى تلمسان غربا. (فرحاني، فن.2007: 210)

قبائل الماكواس (Gens Macues): ذكرهم نقش عثر عليه في شرشال كما ذكرهم بوليبيوس (Polybe. 1970: III, 33, 15)

# حلف القبائل الخمس (Quinquegentiani):

كما ذكرتها المصادر اللاتينية هي كونفدرالية قبائل متمركزة في المنطقة الجبلية ما بين دلس وبجاية وتتكون من القبائل التالية:

ماسينيسن (Masinissenses) وهي القبيلة مسينا او ايمسينسن المتمركزة في الضفة اليمنى لوادى الساحل.

تيندن (Tyndenses) الذين كانوا يتمركزون في إقليم قبيلة فناية الحالية (بنى وغليس وآيت عامر).

ايسفلن (Isaflenses) وهم فيلسة اليوم.

نيوبلُن (Jubaleni) وهم زواوة الحالية.

ييسالن(Iesalenses) وكانوا متمركزين غربي زواوة.

تحول حلف القبائل الخمس والباوار إلى قوة ضاربة في المنطقة أثناء الاحتلال الروماني أسندت قيادتها إلى رئيس إحدى قبائل الحلف اسمه فاراكسن (Faraxen) الذي قام بالإعداد الحربي، فاكتسحوا المقاطعة النوميدية مخترقين حوض وادي النجا الذي كان الاستعمار الروماني قد أقام فيه عددا هاما من المزارع الكبرى "اللاتيفونديا"، مما جعل الرومان يوجهون حملة من لومبازيس (Lombasis) مركز الجيش الاوغسطيي الثالث يقودها الليغاتوس ماكرينيوس دكيانوس (Macrinius Decianus) وقد تمكن الثوار من الاستيلاء على غنائم كبيرة ثم انسحبوا إلى جبالهم. (عقون، م. - ع. 2008: 155)

## تنظيم القبيلة:

إن النظام القبلي في إفريقيا الشمالية قديم جدا، ففي النصوص اللاتينية والإغريقية إشارات إلى الجماعات القبلية القديمة في هذه المنطقة، ويكون الشمال الإفريقي قد وصل إلى هذا الشكل من التنظيم على امتداد مراحل تاريخيه طويلة نتيجة لتراكمات اجتماعية في السلم والتضامن بين أفراد القبيلة فتكونت الأعراف التي تنظم الحياة الاجتماعية بحيث تحولت القبيلة إلى قوة سياسية انبثقت منها الدولة في شكلها الملكي على يد كونفدراليات قبائل كبرى.(عقون ، م ع. 2008: 166)

كانت الحياة القروية أول شكل من أشكال التجمع السكاني حيث كان السكان يتمركزون في مواقع تجمع بين وفرة الماء والحصانة الطبيعية، وهي الشروط الأساسية لتخطيط القرى والمدن في عموم الشمال الافريقي، وقد لاحظ بلينوس أن القرية في إفريقيا الشمالية لا تختلف عن مثيلاتها في باقي بلدان البحر المتوسط، (Pline l'Ancien. V, I) وهذه القرى هي التي أشارت اليها المصادر اللاتينية بعبارة كاستيله castella (القلاع) وهي نواة اغلب مدن افريقيا الرومانية مثل: تيفست، تالة، تاكاباس، تيجيس، تيبيليس، تيديس، الخ، وفي هذه المدن ظهرت أشكال التمدن الأمازيغي الأول وتطورت الحياة الحضرية بالاحتكاك بالقرطاجيين ثم

الرومان، ووجدت في المدن الإفريقية جاليات تجارية بونية ورومانية خلال العهد النوميدي.

فكانت القبيلة تبدو فوق العائلات والجمهوريات القروية، والقبيلة الامازيغية رابطة دفاعية أو هجومية وكان اللاتينيون يشيرون إلى هذه القبائل بتعابير (nationes) و (populi) أو (gentes)، فهي مرتبطة بأرض واسعة كانت أو ضيقة وتجمع بالقوة الناس الذين لهم نفس أسلوب المعيشة، وفي هذا السياق يذكر تيتوس ليفيوس أن الملك صيفاكس قام بتعيين ولاة له في مملكته بعدما استولى على نوميديا الشرقية، (Tite-Live. 1930: 33) (8-36) (8 قرم) عن ولاة الملك يوغرطة الذين استقبلو ميتيلوس عند اجتياحه الأراضي عن ولاة الملك يوغرطة الذين استقبلو ميتيلوس عند اجتياحه الأراضي النوميدية. (سالوستيوس، غ. -ك. 2006 (XL, VI: 2006) مما يوحي بوجود حكام أقاليم يخضعون لأوامر السلطة المركزية، بل ذهب بعض المؤرخين أمثال ديكرت وفنتر إلى افتراض تقسيم المملكة النوميدية إلى إمارات مستقلة، خاصة في المناطق الداخلية.(Decret, F., Fantar, M. 1981: 86)

وفي نظر قزال أن النوميد لم يعرفوا تمدُّنا بل أنشأوا فقط قرى وبقوا يتنقلون بقطعانهم وخاصة الغنم والماعز والبقر والجياد، ويضيف أنه حتى لما تعرف النوميد على الزراعة بقي نشاط الرعي مهيمنا على الحياة الاقتصادية، (Gsell, S. 1913-1928: V, 63) ولكنن نستنتج من خلال المصادر الاختلافات بين الفلاحين المستقرين ومربي الماشية الرحل، فالأوائل يعيشون على خدمة الأرض والتجارة ويسكنون أكواخا من الحجارة والطين المجفف أو من أغصان الأشجار، إلى جانب مساكن العامة البسيطة نجد القلاع والحصون التي يلجأ إليها الأهالي عند تعرضهم إلى هجمات الأعداء، أما الرعاة فكانوا يعتمدون على منتجات حيواناتهم (V, 7) (Gsell, S. 1913-1928: V, 7) ويعيشون في مغارات ومنازل متنقلة من صنعهم يطلق عليها إسم (Mapallia)، وتتكوّن من مواد نباتية مثل البروق (Asphodele) والأسل (Jonc) والقصب والحشفة (Phaume)، ويمكن تركيبها وفكّها بسهولة وبسرعة.

إضافة إلى ذلك فإن ما كشفت عنه الحفريات والنقوش الصخرية من أبنية وأسلحة وأثاث ولباس وطقوس، يشير إلى حياة مزارعين مستقرين أكثر مما يشير إلى حياة بدو رعاة، وعثر بالعكس ما ذكرته بعض

المصادر الكتابية على أوان الأكل، وعلى مقابر كبيرة تدل على تجمعات سكانية ضخمة. (العروي، ع. -ل. 1996: 95) وهذا ما أشار إليه بعض المؤرخين الكلاسيكيين إلى أن أغلبية النوميد قد تجمعوا في قرى أشير إليها في المصادر الكلاسيكية باسم (castellum).

كما نستخلص من بعض النقوش التي تطرقت إلى التنظيم البلدي، بأن المدن النوميدية تأثرت إلى حد كبير بما كان مطبقا في المدن القرطاجية دون إهمال التقاليد النوميدية والحكم القبلي (حكم الجماعة). (غانم، م. -ص. 1998 :144)

وكانت نقيشة دوقة قد أشارت إلى مجلس المواطنين (بعل دوقة)، أي سادة دوقة الذين شيدوا ضريحا لتخليد الملك مسينيسا، ثم ذكرت بعد ذلك رئيس المائة وحكام الخمسين، ومما لا شك فيه أن مثل هذا التنظيم الإداري كان معمولا به في باقي المدن النوميدية. (غانم، م, ص. 1998: 159)كما أن هناك فقرات مهمة ذكرها المؤرخ تيتوس ليفيوس على أن أشفاطا (Suffétes) كانوا يديرون العديد من المدن النوميدية، منها مدينة سيرتا وتيفست وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد، ((, 130: XXX, 12, 1930: XXX) المن يطلق عليه اسم بريفكتي (Praefecti)، وكانت وظيفة هؤلاء إلى جانب قيادة الجيش جباية الضرائب أيضا .((, 230: Tite-Live ()))

وكان على رأس البلدية رئيس يحمل اسم "إغليد" (Aguellid)، وهو نفس اللقب الذي يحمله ملك النوميديين، يُنتخب لمدة سنة واحدة، كما بمكن إعادة انتخابه.

كما أشار ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) (12 ق.م) إلى وجود مجمع الشيوخ أو الكبراء (Presbyteroi) الذي كان يحكم مدينة تبسة، ولا يستبعد أن ينطبق ذلك على مجلس الأعيان، كانت تستقر فيها مجموعة قبلية كبيرة، وقد غزاها القائد العسكري القرطاجي حنون (Hannon) سنة 247 ق.م وأخذ منها 3000 رهينة قادرة على حمل السلاح. (Diodore de Sicile. XXIV, 10, 2)

فباحتكاك النوميديين بالمراكز التجارية والمدن القرطاجية كانوا قد اندمجوا في حياة الاستقرار والتمدن، وبالتالي عملوا شيئًا فشيئًا على نقل تلك اللّمسات الحضارية إلى داخل نوميديا، مما ترتب عنه تسارع عملية

الاستقرار والتحضر في مراكز وقرى داخلية، فقامت هي الأخرى ونمت حتى أصبحت حواضر كبرى للملوك النوميديين. (غانم، م. -ص. 1998)

# التغيُّرات الاجتماعية التي طرأت على القبائل النوميدية:

كانت نوميديا أثناء فترة الملوك النوميديين الأوائل ملتقى ثقافات متعددة ومتنوعة، وكان الملك ماسينيسا يدرك جيدا أهمية الانفتاح الثقافي ، ومد جسور التعاون مع الدول المجاورة، لذلك عمل على تقوية الروابط الاجتماعية من خلال العادات والتقاليد التي تحولت تدريجيا إلى أعراف ، ونشأت التقاليد والعادات من الاحتكاك اليومي بالبيئة الطبيعية والاجتماعية، وكانت الأعراف أحد الأركان الأساسية التي يتأسس عليها المجتمع ، وتنشأ عنه النُظم الاجتماعية، فالتَشكيلة الاجتماعية للأسرة كانت أساس ظهور الدولة. (غانم، م. - ص.1998 الم 156)

ولا شك أن ماسينيسا قد اصطدم في هذه النقطة بطبيعة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي الذي كان سائدا في نوميديا، وهو نظام ثنائي في الغالب، يتمثل في وجود الحياة الزراعية القائمة على الاستقرار إلى جانب الحياة الرعوية التي تتطلب التنقل المستمر، فيكمن دور ماسينيسا في تطوير الزراعة إلى ما يلى:

أولا: تعويد النوميديين على النظام نظرا لارتباط الإنتاج الزراعي بمواعيد معين من السنة.

ثانيا: تعويد سكان النوميديين على حياة الاستقرار، لأن الزراعة تفرض على من يعتني بها أن يستقر في انتظار المحصول، ومع طول الوقت يزداد التعلق بالأرض الذي يكون هو أولى مراحل التعلق بالوطن.

ثالثا: تحويل الفرد النوميدي من شخص يصعب اللحاق به جبائيا إلى مصدر منتظم من مصادر الخزينة. (الميلي، م. 1980: 78، 79)

هذا ومن خلال ما سبق نستنج أن المجتمع النوميدي ظلت حياته كغيره من مجتمعات الشعوب الأخرى يعتني بتقاليده وعاداته وأعرافه وبناه الاجتماعية لضمان الانسجام والاستقرار على المستوى الاجتماعي عموما، وكانت الجماعة هي الهيئة الاجتماعية والسياسية الأولى التي أفرزتها الأعراف ومنها انبثقت القيادة السياسية، وكانت النظم الاجتماعية

والاقتصادية والسياسية في نوميديا تنمو تدريجيا لتشكل كيانا سياسيا كبيرا، ولكن ما كادت تكتمل حتى حل الاستعمار الروماني لينهي هذه الزعامة ويحدث تأثيرا على كل الأصعدة.

## ببليوغرافيا

#### المصادر:

- -غايوس كريسبوس سالوستيوس (2006). حرب يوغرطة، ترجمة، العربي عقون، الجزائر: دار الهدى.
- -Diodore de Sicile. (1851). Bibliothèque Historique, Paris, Adolphe.
- -Pline l'ancien, (1950). Histoire Naturelle, trad. J. Beaujeu, Paris: Les Belles Lettres.
- -Polybe, (1970). Histoire, trad. Roussel, Paris: La Pléiade.
- -Strabon, (1867). Géographie, trad. Amedée Tarieu, Paris: Librairie Hachette.
- -Tite-Live, (1930). Histoire Romaine, trad. Verger, V., Paris: Panckoucke.
- -Virgile, (1965). L'Eneide, trad. Rat, M., Paris: frères Garnier.

#### المراجع

- -العروي، عبد الله.(1996). مجمل تاريخ المغرب، ط5، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- -الميلي، محمد بن المبارك .(1986). تاريخ الجزائر في القديم والحديث،، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
  - الميلي، محمد إبراهيم .( 1980). الجزائر في ضوء التاريخ، فسنطينة: مطبعة البعث.
- -حارش، محمد الهادي.( 1992). التاريخ المغاربي القديم ( السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.
- شنيتي، محمد البشير. ( 1985). الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة. 146 ق.م- 40م)، ط3، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عقون، محمد العربي.( 2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر: دار المدى
- -غانم، محمد الصغير.( 1998). المملكة النوميدية والحضارة البونية، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيم.
- -فرحاني، فتيحة.( 2007). نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 قم- 46 ق.م، مطبعة متيجة.
- -Camps, G. (1960). « Aux origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire ». Libyca, VIII, p. 1-320.
- -Cat, E. (1891). Essai sur la province romaine de Mauritanie Césarienne, Paris: E. Leroux.
- -Decret, F., Fantar M. (1981). Histoire d'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines au 5 eme siècle après J.-C, Paris: Payot.
- -Gsell, S. (1913-1928). Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris: Hachette.
- -Flatters, P. (1877). «L'Afrique septentrionale », Revue Africaine, 21, p. 153-168.

المثاقفة ودورها في الحراك الفكري في المغرب القديم أحمد شعبان، على أحمد شعبان، جامعة عنابة

يعتبر الحوض المتوسط مركز إشعاع حضاري كبير، ولقد شهد حراك وتفاعل بين مختلف الحضارات في الفترة القديمة منها الفرعونية اليونانية القرطاجية والرومانية وقد أثبتت التجارب التاريخية لمختلف الحضارات أن التفاعل الثقافي عامل أساسي من عوامل نموها وازدهارها وذلك بفضل ما يحدثه من إثراء وإخصاب لها وتنويع في روافدها وتنشيط وشحذ لقدراتها وإبراز لطاقاتها الكامنة ويكسبها القدرة على مزيد من الإنتاج والعطاء فهو اللقاح الكفيل بابتكار مبادئ وقيم مستحدثة وإنجاب تصورات وخيارات جديدة اقدر على السمو بالوضع البشري وأنجع في تحقيق رقيه وفتح الآفاق العريضة أمام مستقبله.

وقد شمل التفاعل الثقافي مجالات متعددة وحساسة في حياة مختلف الحضارات وهي مجالات يمكن إجمالها في ثلاثة ميادين أساسية: أولها عالم الأفكار والتصورات وما يجري فيه من تبادل للعلوم والمعارف وقد لعبت المثاقفة في هذا المجال دورا أساسيا في تمكين كل المجتمعات من الاستفادة من نتاج العقل البشري حيثما كان وتوظيفه في سبيل تنمية أوضاعها الحضارية ولولا ذلك لبقيت تلك المعارف حكرا على مجتمع دون أخر ولما تواصل بقاؤها ونموها عبر الزمن. فقد مثلت المثاقفة في هذا المجال صلة الوصل التي بدونها ما كان للإرث الحضاري الإنساني أن ينمو ويستمر بحكم التراكم وبفضل الجهد المشترك. (جورج، س. 1957: 1، 21)

وثانيها مجال التواصل اللغوي إذ أثر التفاعل الثقافي في اللغات والألسن وكان ولا يزال سببا في نموها وتطورها واغنائها بالمصطلحات والمفاهيم الجديدة سواء بصورة مباشرة عن طريق الاقتراض اللغوي نتيجة المعاشرة والمخالطة أو عن طريق ترجمة الآثار المكتوبة من لغة إلى أخرى أو بفضل حركة التبادل التجاري وما ينتقل خلالها من رصيد لغوي عبر ما تحمله منتجاتها من تسميات ومن تعبير عن الخصائص والمواصفات وبفضل هذا التفاعل أصبحت اللغات أقدر على البقاء وعلى مواكبة العصر ومسايرة

النمو الحضاري. ولا جدال في أن كل لغة هي مرآة لأوضاع مجتمعها وعنوان لتحضره ودليل على نصيبه من الرقي والتمدن.

وثالثها مجال الإبداع في الفنون والمهارات والخبرات إذ لكل مجتمع تجاربه ومكتسباته في هذا المجال لكن المجتمعات ليست على مستوى واحد من نضج تلك التجارب وجودة تلك المكتسبات ولذلك كانت المثاقفة بينها كفيلة بإفراز النتاج الأرقى والأنجع والأكثر طرافة وتميزا وبدفع المجتمعات إلى التنافس في مزيد تحسينه وتجويده.

وكان لمنطقة المغرب نصيبها من هذا الحراك بما أنها تنتمي إقليميا إلى هذه المنطقة الإستراتجية الحساسة بحيث توافدت مختلف هذه القوى الحضارية على المنطقة سواء باللينة أو بالقوة وهذا ما سمح للمنطقة للخروج من عزلتها والاتصال بالأخر والتعرف على ثقافته ومنجزاته.

ومن بين أهم الحضارات التي تركت بصماتها في المغرب هي الحضارة الرومانية اللاتينية والتي بسطت نفوذها لمدة ستة قرون عرف من خلالها تقارب وامتزاج كبير بين الثقافة اللاتينية والمحلية و الذي سمح بظهور جيل من المفكرين ذو ثقافة ذات بعد متوسطي وذلك بمختلف الإسهامات الفكرية والأدبية والعلمية والدينية التي قاموا بها خاصة و أنها كانت بالقنوات التعبيرية العالمية في تلك الفترة وهي اليونانية واللاتينية. وجوهر الموضوع يدفعنا إلى طرح الإشكالية التالية: ما مساهمة التفاعل الثقافي في تطور الحياة الفكرية في المغرب القديم ؟

ومن اجل تحليل أعمق للموضوع تنبثق من هذه الإشكالية عدة تساؤلات وأهمها:

- كيف كان التقارب الثقافي بين سكان المنطقة و الرومان و ما هي العوامل المساعدة على ذلك ؟
  - إلى أي مدى نجح هذا التقارب بين الثقافتين ؟

بعدما تدهوره قوة قرطاجة وتكبيلها من الناحية الاقتصادية والعسكرية من طرف روما بما يسمى بمعاهدة زاما 201 ق.م، فسح المجال لمسينسا من أجل أخذ الريادة بمملكته في شمال إفريقيا بحيث عمل من أجل فتح قنوات الاتصال مع دول الضفة الشمالية لحوض المتوسط وبالأخص روما وبلاد الإغريق وذلك لما تمتلكه المملكة من مؤهلات اقتصادية وعسكرية،

بحيث أصبح التجار الإغريق والرومان يتوافدون على المنطقة خاصة المدن التجارية سواء الداخلية أو الساحلية ومن بينها: هيبو-رجيوس، روسيكادا، القل، صلدي (بجاية)، ويول (شرشال) و لعل أهمها سرتا والتي أصحت مركز تجاري هام في حوض المتوسط وكان التفاعل الثقافي فيها هام جدا بحكم الاحتكاك الذي أدى إلى انتشار اللغتين اليونانية واللاتينية، إضافة إلى توافد المفكرين والفلاسفة على المدينة وهذا حسب ما يذكره المؤرخون القدامي.

وبعد السيطرة الرومانية على المنطقة، عملت روما على نشر ثقافتها بشكل واسع وذلك تنفيذا لمخططها القاضي بالتفكيك الثقافي والاجتماعي للمجتمع النوميدي وترسيخ مبادئ الحضارة الرومانية، بحيث قامت روما ببناء مدن عديدة ذات المرافق الرومانية وكذلك نشر المدارس في مختلف المناطق الخاضعة لسيطرتها، هذه المنشات التي لعبت دورا في التفاعل الثقافي الناجم عن تردد النوميدين إليها بمختلف الطبقات الاجتماعية وبالأخص ذات المستوى المعيشي الجيدوهذا ما أدي إلى ظهور مجموعة من المفكرين الأفارقة متشبعين بالثقافة اليونانية والرومانية، فلقد نبغوا في كل الميادين الفكرية وأنتجوا إنتاجا غزيرا رائعا في جميع مناحي الفكر البشري وكانوا يحررون مؤلفاتهم في العهود الأولى باليونانية ثم باللاتينية، مثل المؤرخ و الفيلسوف فلوروس، والخطيب البارع فرونطو، الجغرافي يوبا الثاني، المنافة إلى هؤلاء نجد الروائي أبوليوس والفيلسوف القديم وهذا ما جعل اللذان كان لإبداعاتهما صدى كبير في ثقافة العالم القديم وهذا ما جعل منهم محل دراسة في مقالنا هذا محاولة منا رفع الغموض عن حياتهم وانجازاتهم والتعريف بها للقارئ وتخليدها للأجيال القادمة

لكيوس أبوليوس توزوس Lucius Apuleius Theseus أو أبولي Apulée

هو محام وفيلسوف وطبيب مغاربي من مواليد عام 125 م بمدينة مادورا، مداوروش بالجزائر الحالية وكان يعتز بمدينته وبوطنه يقول عن نفسه بأنه نصف نوميدي ونصف جايتولي يقول أيضا: " أنا لا أخجل من وطنى، لقد كنا أقوياء في عهد سفاكس، ولكن لما انهزم هذا الأخير سلم

بدأ أبوليوس دراسته الابتدائية بنفس المدينة التي ازداد فيها و كان في مداورش آنذاك مدارس مهمة تردد عليها مفكرون أفارقة ذو شهرة عالمية ففيها درس القديس اوغسطينوس و كذلك مارتيانوس كابيلا احد ناقلي منطق ابوليوس إلى القرون الوسطى.

لم يكن ابوليوس يعرف في البداية إلا لغة بلده أي اللغة الامازيغية أما اللغة اللاتينية واليونانية فتلقنها في المدرسة وكان بتحدثهما بطلاقة مع لكنة افريقية وبعد نهاية دراسته الابتدائية، تم إرساله إلى قرطاجة حيث كانت أهم جامعة في المغرب القديم وقد احتوت هذه الأخيرة على خزانة تعادل في أهميتها خزانة الإسكندرية بمصر القديمة وهناك درس اللغتين اللاتينية واليونانية والفلسفة ولإتمام دراسته الجامعية رحل ابوليوس إلى أثينا محج أغلبية مثقفى شمال إفريقيا القدامي وهناك تعلم الريطوريقا والموسيقي والشعر والعلوم الطبيعية والجدل ( المنطق) والفلسفة كما درس بها الديانات اليونانية والشرقية. (Apuleius. 1924 (2).XVIII) ثم انتقل فيما بعد الى روما حوالي 150 م وفيها عمق دراسته في اللغة اللاتينية والقانون والديانات القديمة.لكنه لم يمكث فيها طويلا فعاد إلى مادور ثم إلى قرطاجة أين بدا يبني شهرته وبعد فترة بدأ رحلة إلى الإسكندرية ليزور جامعتها وخزانتها المشهورة آنذاك غير انه مرض وهو في طريقه إليها فاضطر إلى التوقف بمدينة أويا (Oea طرابلس الحالية) وبهذه المدينة تعرف على أرملة غنية أسمها بودونتلا Pudentilla ، ولما لاحظت عائلة هذه الأخيرة أن ابوليس يستغل ثروتها من اجل تمويل بحوثه العلمية (حيث كان يقتن حيوانات نادرة لإجراء التجارب التشريحية عليها) اتهمته بأنه مارس عليها السحر لإغرائها واكتساب عواطفها من اجل استغلال ثروتها فرفعت العائلة دعوة قضائية ضده تولى فيها الدفاع عن نفسه ودون مرافعاته في كتاب اسماه الدفاع (Apologia)، وبعد نجاحه في كسب القضية رجع أبوليس إلى قرطاجة في حوالي 160م (Apuleius, Apologia, 1924, XVIII) حيث توفيخ بعد سنة 170م. يمكن اعتبار العصر الذي عاش فيه أبوليوس بداية الفترة الذهبية للأدب المغاربي حيث كان التنقل بين مختلف المراكز العلمية في حوض المتوسط

(قرطاجة، أثينا،روما، الإسكندرية) بشكل كبير وكثر فيها الإنتاج الفكري والاختلافات الثقافية بحكم اتساع الإمبراطورية الرومانية وتعدد شعوبها وامتازت ثقافة هذه الفترة بالازدواجية في اللغة (اليونانية واللاتينية). لقد انتشرت شهرته في كل الأفاق خلال القرون القديمة والوسطى (باستثناء في الأوساط المسيحية للقرنين الرابع والخامس، نظرا لكون ابوليوس عدوا للمسيحية وساحرا في نظر المثقفين المسحيين لتلك الفترة). كان شغوفا بمعرفة كل شئ، وكان ولوعا بالسفر، ويشهد مؤرخو الفكر القديم أن لديه موهبة كبيرة وذكاء خارقا يملك الثقافتين اليونانية والرومانية معا بالإضافة إلى ثقافته المحلية والبونية. مارس الخطابة القضائية والبيانية، يقول مونصو: كان مثقفو قرطاجة يتسارعون لحضور محاضراته وكان الأمر يتعلق بمهرجان عمومي لا احد مثله يعرف إثارة إعجاب الناس وكان قادرا في نفس الخطاب الحديث بالغتين اليونانية واللاتينية، Monceaux, P. قادرا في نفس الخطاب الحديث بالغتين اليونانية (1894: 265-268) يعرف ابوليوس الكثير من الأشياء، و كان يستشهد بكتب حفظها عن ظهر قلب، وكان معجبا بنفسه إلى درجة أنه كان يقرن نفسه بسقراط أعجب بالديانات القديمة الشرقية وكان يميل إلى التصوف ويكره المسيحية ويعتبر مونصو شخصية ابوليوس نموذجا حيا لشخصية المثقف المغاربي، لكن النقاد لم يهتموا بمؤلفاته، سواء الأدبية منها او الفلسفية أو العلمية، إلا في العصر الحديث و ذلك ابتداء من القرن 19م، أما المثقفون المحليون فلم يهتموا به على الإطلاق ترك لنا ابوليوس مجموعة من المؤلفات في ميادين مختلفة منها:

المؤلفات الأدبية : كان لابوليوس في ميدان الأدب أربعة كتب وصلتنا تقربا كلها و هي :

كتاب الخطابات Florida وهو عبارة عن مجموعة من خطب ابوليوس ومحاضراته ألقاها بالمسرح العمومي لمدينة قرطاجة بعض هذه الخطب موجة الى بروقناصلة قرطاجة وبعضه الأخر موجه ضد الفلاسفة مع اعتباره هو الفيلسوف الحق ويتبين من خلال هذا الكتاب مدى قدرة أبوليوس على الفصاحة وفيه مارس الخطابة البيانية والقضائية معا.

كتاب المرافعات Apologia وهو عبارة عن مجموعة من الحجج صاغها ابوليوس للدفاع عن نفسه أثناء مرافعته ضد أصهاره في التهمة الموجهة إليه

فيما يخص أموال زوجته، هذا الكتاب في نظر مونصو عمل أصيل من (Monceaux, P. الناحية الأدبية لأنه يعبر عن موهبة الكاتب في الريطوريقا .1894: 308-330)

كتاب التحولات Metamorphose او الحمار الذهبي Ane D'or وهو من أكثر مؤلفات أبوليوس شهرة ويعتبر من أوائل الروايات التي وصلتنا كاملة في تاريخ الأدب الإنساني ويتكون الكتاب من احد عشرة فصلا يصف فيها المؤلف مغامرات شاب أسمه لوسيوس تحول جحش ذهبي بطرق سحرية وبعد مغامرات كثيرة تشكل هيكل القصة، رجع إلى حالته الطبيعية البشرية الكتاب مليء بالمعلومات حول الديانات الإفريقية القديمة وحول عقيدة ابوليوس نفسه، كما عمد أيضا إلى نقد الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة تحت الحكم الروماني والتي أثرت كثيرا على المغاربة وهذا ما يفسر الثورات المتواصلة من قبلهم على السلطة الرومانية إلى سقوطها.

المؤلفات العلمية: ترك لنا ابوليوس كتب علمية كثيرة ضاع اغلبها ومن أهمها:

كتاب في علم الحساب Arithmética، وأخر في علم الفلك ذكرهما ايزدوروس، و للأسف كلاهما ضاعا.

كتب كثيرة في علم الفلاحة والفزيولوجيا وكذالك كتاب في علم الطب بحيث كان يعرف كل أنواع الصرع ويمارس التنويم المغناطيسي بإتقان إلى درجة انه اتهم بالسحر ودون نتائجه التجريبية في كتاب تحت عنوان الطب Medicinalia.

# القديس اوغسطين Saint Augustin:

من مواليد مدينة تاغست المعروفة اليوم بسوق اهراس بالجرائر في 13 نوفمبر 354م من أم مسيحية تدعى مونيك ذات الأصول البربرية، وأب وثني يدعى باتريكيوس Patricius مواطن بسيط من أصول رومانية

(De Courcelles, D. 1995: 28) وبما أن العلم والثقافة من سبل النجاح في المجتمع الروماني، التحق اغسطين بالمدرسة عند وصوله السن المحدد وذلك سنة 360 م ولقد كان ميالا إلى اللغة اللاتينية عكس اللغة اليونانية نتيجة تأثره الكبير بالحضارة الرومانية، وعند بلوغه سن الثانية عشر انتقل إلى الدراسة في معهد شهير في مداوش في السنوات 365- 369م لدراسة النحو

. 2)1957 (Cress, A. و بعدها سافر إلى روما سنة 383م للتدريس، إلا انه لم يمكث فيها طويلا بحيث ارسل من طرف سيماخوا هدير المدرسة في روما إلى ميلانوا ليصبح أستاذ بلاغة سنة 384م، في هذه الفترة لم يكن اغسطين مؤمن بالمسيحية وأكثر من ذلك كان متأثر جدا بالمانوية،نسبة إلى مؤسسها ماني (Mani) الفارسي الأصل، هذا المذهب الذي يقوم على تعايش قوتين متصارعتين الخير والشر. فالمانوية كديانة تمثل خليط من العقائد كالبوذية والمسيحية وعقائد أخرى إلا أن حياة أغسطين تبلورت كليا عندما التقى بالقديس امبرواز في ميلانوا والذى فاقت شهرته الحدود استقبل أغسطين وشرح له معانى الكتاب المقدس بكل فصاحة وبلاغة وأثر فيه كثيرا بحيث أصبح يواظب على دروسه، ومع مرور الوقت بدا اغسطين يدرك أن افكار امبرواز مقبولة وغيرت رأيه ومن نظرته للمسيحية فاعتنقها بعد أن تيقن بأن الإيمان يكون قبل الاقتناع وليس كما كان يظن الاقتناع ثم الإيمان. وبعد أربعة سنوات عاد إلى مسقط رأسه وأسس مع فرقة من أصحابه فرقة من النساك، كما أسسوا خارج المدينة ديرا والذي اصبح له شهرة كبيرة وتكون فيه العديد من الاساقفة ومن بينهم : أليبوس بتاغست، سيفروس أسقف ميلاف (ميلة) 396م، بوسيديوس أسقف كالما(قالمة) 397م والذي أصبح مؤرخ القديس اغسطين الشخصى، فرترتوس أسقف سيرتا (قسنطينة) 402م.

وفيما بعد استقر اغسطين نهائيا في هيبو رجيوس والتي دخل فيها الى سلك الكهنة عام 396م لمدة ألربعين سنة قضاها في خدمة المسيحية .(كبير، ع. 2008: 81).

#### مؤلفاته:

الاعترافات: يعتبر من أهم مؤلفاته باعتباره يمثل البداية الحقيقية للكتابة الاوبيوغرافية في الفكر الإنساني، فهو المؤلف الأول للسيرة الذاتية الروحية الدينية تاريخيا.

الاعترافات في المفهوم المسيحى هو الاقرار والتصريح بالأخطاء المرتكبة، وتكون بطرق مختلفة فقد يكون الاعتراف بالذنب الي الله وحده سرا، او

الى فردا وذلك يكون علنا او سرية وفقا لصيغة عامة، أو عن طريق الاعتراف الخاص والمفصل.(Vacant, A. 1923: 827).

اما القديس اغسطين فلقد اعطى معنى مزدوج للاعترافات التي تعبر عن الذنب والشكر، فهناك اعتراف الفرد بفضل الله بمدائح الحمة لعظمة الله، وهناك اعتراف الفرد المتألم باخطائه المرتكبة فوفقا لهذا المفهوم جاءت اعترافات القديس اغسطين في ثلاثة عشر كتابا ألفها في الفترة الممتدة ما بين 397- 401م، وهي ليست صك اتهام ضد نفسه بقدر ما هي شهادة حية تنطق بجودة الله وصلاحه ومحبته والاعتراف بفضله.

لقد حطم اغسطين في مؤلفه قيود الحياء البشري وسحق الكبرياء وقضى في ذاته على الأنانية التي تستعبد معظم الناس، فقد كان متعطشا إلي الحقيقة قبل إيمانه، وبعد أن وصل إلى قوة الإيمان سرد سيرته الذاتية في منتهي الصدق والصراحة مفصلا حياته موضحا انسياقه وراء الأهواء والشهوات خاصة في قرطاجة حيث ولع بالمسرح والحب، والجنس، كما بين كيف اهتدى إلى الله وكيف انتقل بعد ذلك إلي الفكر المسيحي كما كشف لنا عن تصوره وموقفه من الصراع العقائدي والاجتماعي الذي كان يعيش فيه إبان مرحلة الصراع ألمغاربي الروماني.(31 (Brown, P. 2001: 31)

ي كتاب الاعترافات يدعوا القديس اغسطسن إلى إسلام الروح ومحبة الله والارتماء في اخضان الرب من اجل استراحة نورانية ومن اجل الظفر بتوبة وغفران الرب، وفي هذا الصدد يقول احسان عباد "فتحت المام الكتاب مجالا جديدا من الصراحة الاعترافية، شجعت الميل الى تعرية النفس في حالات كثيرة تليش بالآثام ، و يثقل فيها عناء الضمير" (عباس،أ. 1986:

مدينة الله: يعتبر من أهم الكتب التي ألفها أغسطين فهو تحفة تعكس سعة علمه وعبقريته، إذ يحتوي تقربا على كل مذهبه، تم تأليفه في الفترة الممتدة ما بين 413- 425م فجاءا عملا ضخما مقسما إلى قسمين، الأول خصصه لدراسة ودحض التهم الموجهة إلى روما اثر سقوطها، أما القسم الثاني فخصصه لمدينة الله ومقابلتها بمدينة الأرض، وتم عرض هذه الأفكار في اثنين وعشرين مقالا.

خصص اغسطين المقالات العشر الأولى للرد على المزاعم التي تعتبر أن أزمة الويل والدمار التي حلت بروما كان نتيجة أتباع المسيحية والتخلي عن الآلهة القديمة للرومان خاصة بعدما حرم الإمبراطور تيودوس عبادتها وإغلاق معابدها، ويؤكد اغسطين أن الحقيقة غير ما يدعون وأن المسيحية حافظت على تماسك الشعب الروماني.

في القسم الثاني ينتقل اغسطين للحديث عن المدينتين (مدينة الله، مدينة الأرض)، وهنا يجلى كليا تأثر القديس بأفلاطون والمثل العليا التي يتمنى كل إنسان الوصول إليها والتي ترتكز أساسا على القيم الأخلاقية المثلى والتي هي في صراع كبير مع القيم الموجودة في الأرض و المليئة بالماثم، وحسب القديس فالولوج إلي هذه المدينة يستلزم التخلي عن الحسد والتحلي بالصبر والتسامح. (اغسطين 2007: 213).

كما كان للقديس أغسطين مؤلفات أخرى مثل المراسلات والتي تحتوي على مختلف الرسائل التي يبعثها إلى الحكام في روما، ومن خلالها يبرز مواقفه من مختلف القضايا وبالأخص السياسة الرومانية اتجاه شعوب مستعمراتها وله أيضا كتاب تحت عنوان ضد الدوناتيين والتي يوجه فيها انتقادات لاذعة لأعمال العنف التي طبقت من طرف الدوناتين في المنطقة ضد الحكام الرومان

يتضح مما سبق ذكره بان عامل التفاعل الثقافي ساهم بقدر كبير في الإبداع الفكري لدي المغاربة القدامى وساهموا في تطوير ثقافة العالم القديم، وهذا بعدما أتحت لهم فرصة زيارة مختلف أقطاب العلم والفكر في حوض المتوسط من الإسكندرية إلى أثينا ثم إلي روما وكان الاحتكاك بين المفكرين المغاربة والمتشبعين بالثقافة المحلية مع نصرائهم من المفكرين سواء اليونان أو اللاتينيين، وهذه الثقافة المزدوجة جعلت من أفكار وإسهامات المغاربة تكون كبيرة وخالصة وتأثيرها على الثقافة لم يكن في الفترة القديمة فقط بل تعدتها إلى الفترة الوسطية والحديثة. لكن للأسف الشديد ضاع اغلب ما كتبه المغاربة القدامى سواء بفعل الزمن أو بفعل الاضطرابات التي عانت منها المنطقة ولهذا فنحن بحاجة إلى مجهودات إضافية لنفض الغبار على ماضينا وإعادة الاعتبار لثقافتنا وأبرز ما ميزها.

الببليوغرافيا

#### المصادر

- القديس أغسطنيوس. (1962) اعترافات، ترجمة الخوري يوحنا الحلو ،ط 1 ،المطبعة، لبنان: الكاتولكية.
  - القديس أغسطنيوس. (2007) مدينة الله، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، ط 2، لبنان: دار الشرق.
- -Apuleius. (1924 (1)). Apologia, trad. Vallette, P., Paris: Collection des Universités de France.
- -Apuleius. (1924 (2)). Florida, trad. Vallette, P., Paris: Collection des Universités de France.
- -Saint-Augustin. (1959). Confession, trad. Gomdesg, France : Descelée de Brower. -Saint-Augustin. (1957). La cité du Dieu, trad. Gomdesg, France : Descelée de Brower.

#### المراجع

- -جورج سارتون .(1957).تاريخ العلم ،ترجمة محمد خلف الله وآخرون، القاهرة: دار النشر. -عباس، أ.(1986)، فن السيرة ، ط1 ، ، مصر: دار المعرفة.
- -كبير ، ع. (2008). ثاغست القديس أغسطين في الجزائر، ترجمة ، امنة بعلي ،ط1 ، الجزائر: منشورات ابيك.
- -Brown, P. (2001). La vie de Saint-Augustin, trad. Marrou, J.-H., France: Edition du Seuil.
- -Cress, A. (1957). Saint-Augustin sa vie son œuvre avec un exposé de sa philosophie, Paris : Presse Universitaire de France.
- -Monceau, P. (1923). Histoire littéraire de l'Afrique Chrétienne, Paris : Erneste le Roux.
- -Vacant, A., alii. (1923). Dictionnaire de Théologie Catholique, Paris: Librairie Letouzey et Ané

# المحتويات

| 03         | أ.د. غماري طيبي  |                       | المداخلة الإفتيتاحية          |
|------------|--|-----------------------|-------------------------------|
| 05         | Qsar Ibn Sinan (Albulae)                                       | D                     | r. Bakhta Moukraenta          |
| 15         | ، د. مها عيساوي  | بة في مدينة تيفست     | المنشآت المعمارية الروماني    |
| 25         | أ. واعمر إعيشوشن   | ىرية في جنوب نوميديا  | المنطقة الريفية والمنطقة الحض |
| 41         | أ. مريم بقدور  | لرومانية بالجزائر     | المرافق الاساسية للمدن        |
| 53         | القديمة أ. جازية الفيلالي                                      | وماني في الجزائر      | دراسة مقارنة للمسرح الر       |
| 63         | الشلف أ. محمد فوكة   | بة في مناطق سهل       | تطور التجمعات السكان          |
| 79         | نة قالمة أ. محمد فوزي معلم                                     | إحية المنتشرة في منطة | لمحة عن مختلف المنشآت الفلا   |
| 101<br>105 | Les thermes, Frigidaria ou r<br>La poliorcétique en Numidie au |                       |                               |
| 123        | خالد محفوظ   | في شمال إفريقي        | التوسع العمراني للرومان       |
| 137        | ى تصنيف د. مراد زرارقة   | القلع وأثرهما علو     | الوسط الطبيعي وتقنيات         |
| 149        | ة د. محمد بن عبد المؤمن  |                       |                               |
| 167        | الجزائر د. عزيز طارق ساحد                                      |                       |                               |
| 195        | ط أ.د. أم الخير العقون   | في الصحراء الوس       | العصر الحجري الحديث           |
| 205        | صر الحجري أمحمد وابــل   | الوسطى خلال العد      | الزراعة في منطقة الصحراء      |
| 225        | بل التاريخ، أبن بوزيد لخضر                                     | عوية خلال فترة ما ف   | دور المرأة في المجتمعات الر   |
| 247        | أ.د. العربي عقون   | بة الهوية والأهمية    | موسوعة الفلاحة الأفريق        |
| 257        | د. محمد الحبيب بشاري   | الجزائر" القديمة      | سياسة روما الزراعية في        |
| 277        | إقليم الزاب أ. عناق جمال                                       | في الفترة القديمة ب   | الأنظمة والتقنيات المائية .   |
| 309        | Origine de la poterie du site                                  | antique de Tigzirt    | Dr. Boukhenouf Arezki         |
| 315        | ية أ.ة. ستي صندوق  | مة نمودجية وتحليا     | المصابيح القيصرية : دراء      |
| 323        | أ. بن أعطي الله عبد الرحمان                                    | ل العصور القديمة      | البدو في الجزائر ودورهم خلا   |
| 335        | بة أ. عبدالحميد بعيطيش   | في المملكة النوميدي   | التجمعات القبلية الكبرى ـ     |
| 353        | ، القديم أ. على أحمد شعبان                                     | الفكري في المغرب      | المثاقفة و دورها في الحراك    |

الإيداع القانوس 2014-5591 الهانف والفاصي . 048 54 66 07 040 41 17 96 الهانف . 07 73 394265